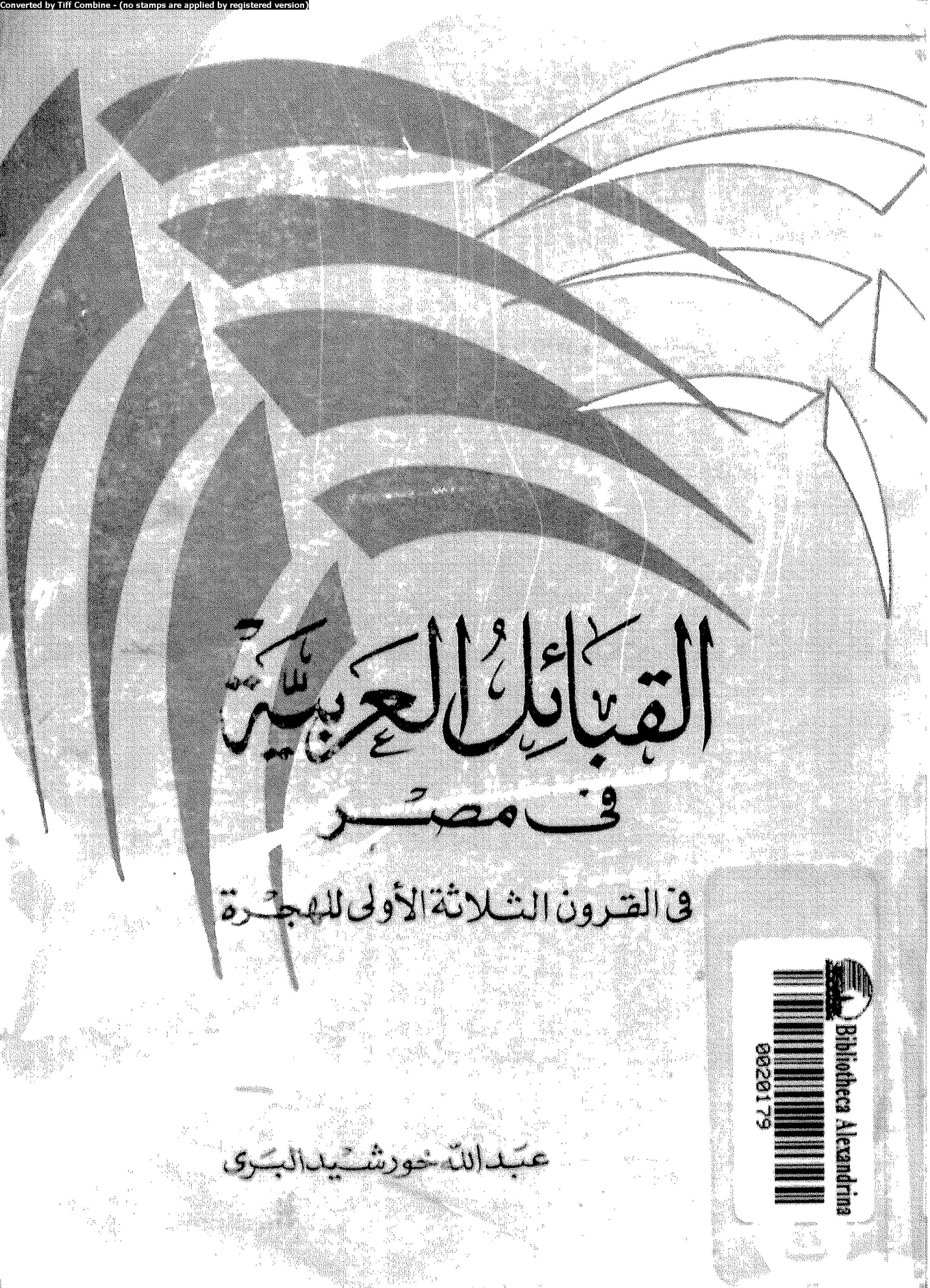


القبائل العربية في مصر

في القرون الثلاثة الأولى للهجرة

عبد الله خورشيد البري



القبائل العربية فى مصر

فى القرون الثلاثة الأولى للهجرة

تأليف

د. عبدالله خورشيد البرى



الهيئة المصرية العامة للكتاب

١٩٩٢

الاخراج الفنى :

فاتن احمد رضا

● مدخل

هجرات العرب
وصلاتهم القديمة بمصر



بسم الله الرحمن الرحيم

مدخل

هجرات العرب وصلاتهم القديمة بمصر

لما كانت كلمة « سامى » ذات دلالة لغوية أكثر منها اثنولوجية لأنها تسمية تقوم على اساس التقارب فى اللهجات وعلى أساس فكرة الانساب الواردة فى التوراة التى تذهب الى أن الساميين قد تحدروا من كبير أبناء نوح ــ وهى فكرة لا تستند الى اسس علمية ــ ، كما اصبحت هذه الكلمة فى أوروبا وامريكا ذات مدلول يهودى قبل كل شيء ، ربما لكثرة انتشار اليهود فى هاتين القارتين ، فقد دعا بعض المؤرخين الى استبدال مصطلح « عربى » و « عربية » بالمصطلح « سامى » و « سامية » ، واطلاق لفظة « عرب » على جميع سكان الجزيرة بقطع النظر عن الزمان الذى عاشوا فيه والمكان الذى وجدوا فيه سواء كان شمالى الجزيرة او وسطها او جنوبها . فكل هؤلاء عرب ، لأن كلمة « عرب » ــ علما على قومية خاصة ــ اصطلاح ظهر متأخرا فى النصف الأخير من الألف الأول قبل الميلاد ، وتركز وثبت بعد الميلاد بخاصة وقبيل ظهور الاسلام على الأخص . وعلى هذا فالذين عاشوا قبل الميلاد بقرون عديدة وبألوف السنين هم « العرب » بالطبع وان لم يدعوا عربا ، لأن هذه الكلمة لم تكن معروفة بهذا المعنى فى أيامهم . هم عرب اصالة ومن احق واجدر بأن نطلق عليه هذه اللفظة منهم ؟ فهم سكان الجزيرة واصحابها الشرعيون مهما اختلفت لهجاتهم ، وتباينت لغاتهم ، وتعددت أماكنهم . هم الأصل ، ومن جاء بعدهم الفرع ،

وليس الفرع كالأصل . وهكذا تتضمن لفظة « العرب » بمعناها الواسع سكان الجزيرة على الاطلاق (١) .

وأيا كان الأمر فان العرب ، سكان شبه الجزيرة ، هم الممثلون الرئيسيون لما يسميه أويجن فيشر « الجنس الشرقى » وهو ذلك الجنس الذى يمتاز بالرأس الطويلة والوجه الضيق ، والأنف الأقنى ، وبنتوء مؤخرة الجمجمة نتوءا شديدا (٢) . كما يمتاز بالقامة المربوعة والبنية المهزولة دائما . انه ضرب من جنس البحر المتوسط السائد فى شمال افريقية (٣) والذى انتشر فى بلاد العرب وغرب آسيا (فيما عدا هضاب الأناضول) ، وفى ساحل افريقية الشمالى ، وبعض أطراف افريقية الشرقية ، كما انتشر فى السواحل الجنوبية من أوربا لاسيما فى غرب البحر المتوسط (٤) .

أصاب العرب فى تسمية بلادهم جزيرة العرب ، فهى جزيرة حقا ، اذ تحيط بها المياه من جهاتها الثلاث والرمال من جهتها الرابعة (٥) . وقد فرض عليها هذا الوضع الطبيعى نوعا من العزلة الجغرافية النسبية . ولما كانت هذه الجزيرة فى الوقت نفسه من أشد البلاد جفافا وحرا فقد اصبحت بيئة غير جاذبة ، أى لا تملك الاغراء الكافى الذى يحبب الى الآخرين الانتقال اليها وممارسة الحياة فيها . وهكذا لم نعرف فاتحا أو غازيا نجح فى اختراق الحواجز الرملية لهذه الجزيرة وفى تثبيت قدميه فى تلك البلاد فظل سكان الجزيرة كما هم طيلة أزمان التاريخ (٦) .

ولكن هذه البلاد أصبحت من جهة أخرى بيئة طاردة ، تدفع سكانها عنها وترغمهم على الخروج منها كلما تضخم عددهم ، وتجاوزت حاجاتهم

---

(١) فيليب حتى : تاريخ العرب (مطول) — ١ : ٨ ، ٩ ، ١٤ ، ١١٩ ، جواد على : تاريخ العرب قبل الاسلام — ٢ : ٢٨٧ .

(٢) يلحظ فيليب حتى (تاريخ العرب — ١ : ٨) ان الملامح الخاصة التى سماها الافرنج سامية ، ومنها بروز الأنف ، ليست سامية ، بل هى من مميزات اليهود اذا قورنوا بفروع العرق السامى الأخرى ، ولعلهم قد اكتسبوها قديما من الحثيين والحوريين حين اختلطوا بهم .

(٣) كارل بروكلمان : تاريخ الشعوب الاسلامية ١ : ١٢ .

(٤) سليمان حزين : تاريخ الحضارة المصرية (العصر الفرعونى) : ٢٩ .

(٥) حتى : تاريخ العرب ١ : ٨

(٦) المصدر نفسه ١ : ٩

الطاقة الانتاجية المحدودة لهذه البيئة الفقيرة ، ولم يعد امامهم كبديل للهجرة سوى ان يفنى بعضهم بعضا فى تناحر دموى على البقاء ينزل بحجمهم الى الحد الذى يتناسب والموارد الطبيعية .

كانت ظاهرة ازدحام الجزيرة بسكانها كخزان هائل ضاق بما فيه تقع – فى أقصى ما تستطيع أن تمتد اليه يد التاريخ – مرة كل الف سنة تقريبا ، فتؤدى الى خروج العرب عن جزيرتهم فى شكل هجرات أو موجات متعاقبة (٧) وكان السكان الفائضون الذين يتحتم عليهم أن يبحثوا عن مجال حيوى جديد يصطدمون دائما بسؤال ضخم : اين يذهبون ؟

ان معظم سطح الجزيرة صحراء تحيط بها حافة ضيقة من الأرض التى تصلح للسكن ويحيط البحر بهذه الحافة نفسها . والتوسع فى وسط البلاد – وهو صحراء – يعنى الهلاك . ولم يكن فى تلك الأزمان وسائل كافيةلاجتياز البحر . لم يكن أمام هؤلاء المهاجرين اذن الا الاتجاه شرقا الى بلاد الرافدين أو غربا الى شبه جزيرة سيناء ومنها الى وادى النيل الخصيب (٨) .

ان انتقال الجماعات البشرية من الصحراء وحياة المراعى فيها الى الأراضى الزراعية لهو ظاهرة عامة فى الشرق الأدنى نستطيع بوساطتها أن نفهم تاريخه الملىء بغرائب الأحداث ، والذى يعد – الى حد ما – نزاعا متواصلا بين الحضر من سكان الهلال الخصيب وبين البداة الغزاة الذين كانوا يحاولون أن يغتصبوا الأرض منهم . ولقد أصاب من قال : ليست الهجرة والاستعمار الا نوعا مخففا من الغزو والفتح (٩) .

ان أقدم هجرة سامية يعيها التاريخ للعرب خارج بلادهم هى هجرتهم نحو بابل (١٠) . فابتداء من منتصف الألف الرابع قبل الميلاد ؛

---

(٧) المصدر نفسه ١ : ١٣ وان كان المؤلف يرى ان الأولى ان يقال ان هذه التنقلات كانت فى أدوارها الأولى ما يشبه فى طبيعته الهجرات الأوروبية الى العالم الجديد ، اذ يأخذ بعض الأفراد فى الارتحال ، ثم يلحق بهم آخرون ، ثم يزداد عدد الذاهبين حتى يتكون شعور عام بفكرة الارتحال ويزداد الاقبال على الهجرة (ص ١٣) .

(٨) حتى : تاريخ العرب ١ : ١٠ – ١١ .

(٩) المصدر نفسه ١ : ١٣ .

(١٠) اسرائيل ولفنسون : تاريخ اللغات السامية : ٥

فى فترات من القحط بالغة الخطورة (١١) أخذ البابليون (الذين عرفوا أولا بالأكديين نسبة الى أكدو عاصمتهم أو أكاد) ، وبعدهم الأشوريون والكلدانيون ، فى احتلال وادى الرافدين (١٢) . وهناك أسس هؤلاء المهاجرون ملكا عظيما كان له من الحول والطول حظ وافر فى عصور شتى (١٣) . ذلك بأن وادى الرافدين كان يسكنه حينذاك شعب عريق فى المدينة هم السومريون . وقد حل الساميون هذا الوادى وهم فى حالة البداوة والجهل فما عتموا أن تعلموا من السومريين مؤسسى حضارة الفراتين فن بناء المنازل والسكنى بها ، ووسائل الرى ، وفوق ذلك فقد تعلموا منهم كيف يكتبون . ولم يكن السومريون من الشعوب السامية ولكن اختلاطهم بهؤلاء العرب الذين نزلوا عليهم فى وادى الرافدين انتج الشعب البابلى الذى شاطر المصريين الفخر فى وضع الأسس لميراثنا الثقافى . ومن جملة ما استحدثه لنا البابليون هندسة القناطر ، والأقبية (والأرجح أنها سومرية الأصل) ، والعربة ذات العجلات ، ونظام للمقاييس والموازين (١٤) .

والبابليون هم أصحاب الخط المسمارى الذى يعرفه الافرنج بالخط ذى الشكل المثلث أو الأسفينى . ويعرف فى اللغة العبرية باسم خط الأوتاد (١٥) . كما اشتهر البابليون بعلم الفلك وحساب السنين . وعنهم أخذت أغلب الأمم السامية اسماء الشهور (١٦) .

وحوالى منتصف الألف الثالث قبل الميلاد حدثت هجرة سامية أخرى حملت الأموريين الى الهلال الخصيب . وكان بين العناصر التى تألفت منها هذه الموجة الجديدة الكنعانيون ، وقد حلوا غربى الشام وفلسطين بعد ٢٥٠٠ ق.م ، والساحليون الذين سماهم الاغارقة الفينيقيين (١٧) . وكان هؤلاء الكنعانيون أو الفينيقيون ذوى عقلية مادية أرضية ، يعتقدون أن آلهتهم تسكن الأرض على قمم الجبال

---

(١١) بروكلمان : تاريخ الشعوب الاسلامية ١ : ١٣ .
(١٢) حتى : تاريخ العرب ١ : ٩ .
(١٣) ولفنسون : تاريخ اللغات : ٥ .
(١٤) حتى : تاريخ العرب ١ : ١١ .
(١٥) ولفنسون : تاريخ اللغات : ٣٤ .
(١٦) المصدر نفسه : ٤١
(١٧) حتى : تاريخ العرب ١ : ١١ .

ورءوس الأشجار وفى أعماق الآبار واتجهت ميولهم نحو الزراعة والصناعة والتجارة ، فهم الذين اخترعوا السفينة ، واهتدوا الى عمل الزجاج ، ووضعوا نظام الحساب (١٨) . وهم أول من نشر فى العالم نظاما خاصا للكتابة بالحروف الهجائية المجردة وعددها اثنان وعشرون ، والتى اصبحت أساسا لكل الحروف الهجائية التى يكتب بها اليوم أبناء أوروبا أو آسيا أو امريكا أو افريقية ، بحيث صح قول القائل : ان هذا أعظم اختراع اخترعه البشر على الاطلاق (١٩) .

وبين سنتى ١٥٠٠ و ١٢٠٠ ق.م تسرب العبرانيون الى جنوب الشام اى فلسطين ، وتسرب الآراميون (السريان) الى الشمال الى سهل البقاع (جوف سورية) الواقع بين جبلى لبنان الشرقى والغربى . وكانت هذه الهجرة سببا لتقلبات اجتماعية ودينية كثيرة وكبيرة الأثر فى التاريخ العام (٢٠) .

وحوالى سنة ٢٥٠٠ ق.م نزل الانباط الأرض الواقعة الى الشمال الشرقى من شبه جزيرة سيناء حيث أقاموا دولتهم على انقاض المملكة الأدومية ، وكانت عاصمتها سلع ، ومعناها بالعبرية الصخرة وباليونانية بترا . ومن هنا امتدت الى صحراء سورية حتى شملت دمشق واطراف نهر الفرات من ناحية ، كما انها توغلت فى بلاد الحجاز من ناحية اخرى . ونستطيع ان ندرك مدى الرقى الذى بلغته حضارة هؤلاء الأنباط بتأثير الرومان بما يبدو فى آثار البتراء ، عاصمتهم تلك المنحوتة فى الصخر ، من عظمة ومجد (٢١) .

هذا عرض خاطف للتحركات الكبرى التى تمت من داخل جزيرة العرب الى خارجها شمالا وشرقا . وهذه التحركات ، وما ترتب عليها من نتائج المعنا اليها الماعا فيما تقدم تضع أمام اعيننا حقيقة ناصعة تبهر البصر ، وتفرض ذاتها ، تلك هى أن العربى ــ ذلك الانسان البسيط فى مأكله وملبسه الصبور ، المقاتل ، المضياف ، الشجاع ، الديمقراطى ،

---

(١٨) ولفنسون : تاريخ اللغات : ٥٢ .

(١٩) حتى : تاريخ العرب ١ : ١٢ .

(٢٠) ولفنسون : تاريخ اللغات : ٥ ، حتى : تاريخ العرب ١ : ١٢ .

(٢١) ولفنسون : تاريخ اللغات : ١٣٤ ــ حتى : تاريخ العرب ١ : ١٢ .

الفصيح ، الشاعر ، الفارس (٣٢) ـ هو المصــدر الأصيل ، والمنبع النقى لتلك الشعوب التى استقرت منذ أزمان بعيدة فى العراق والشــام ، وانتجت تلك الحضــارات الخصبة الزاهرة التى منحت الانسانيــة اقــدس واجمل وانفس ما فى تراثها من دين وفن وعلم . ولمـا كانت الحضارة المعاصرة تدين فى الجزء الأكبر منها لحضارات الشرق الأدنى كان من السهل أن ندرك ضخامة الدين الذى تدين به الانسانية لهؤلاء العــرب .

مثلما اتجه العرب شرقا وشمالا اتجهوا غربا الى مصر . ونحن لا نغالى اذا قلنا ان اتصــال العرب بمصر يرجع الى عهود سحيقة ، فان صلات السلالة والدم بين وادى النيل الأدنى وشــمال الجزيرة العربية هى صلات بعيدة الأصــل ترجع الى عصور ما قبل التاريخ ، اذ يرى علماء الجيولوجيا أن الجزيرة عبارة عن تكملة طبيعية لصحارى افريقية التى يفصلها عنها الآن منبطح وادى النيل ومنخفض البحر الأحمر العميق ، كما ذهبوا الى أن الجزء الجنوبى الغربى من بلاد العرب كان فى العصور الجيولوجية القديمــة يتصل بافريقية وكان البحر الأحمر عبارة عن بحيرة (٢٣) . واذا كان البحر والصحراء قد شــكلا فيما قبل التاريخ موانع لا يمكن التغلب عليهــا بالنسبة الى قوة حربيــة كبيرة وجعلا من مصر بلدا لا يسهل غزوه ، فقد كان الأمر ميسورا جــدا فى حالة تسلل افراد أو جماعات متجولة أو قوافل تجارية صغيرة ســواء من الشمال عند شبه جزيرة سيناء حيث تلتقى الصحراء الشرقيــة ببلاد العرب لقاء دائما ، أو من الجنوب حيث يشتد اقتراب جزيرة العرب من افريقية عند باب المندب فلا يفصــل بينهما ســوى خمسة عشر ميلا (٢٤) .

لا جدال فى أن العلاقــة بين مصر فى اقدم عهودها وبين آســيا كانت موجودة ، ولكن أقدم ما يستطيع التاريخ أن يتذكره من هــذه

---

(٢٢) حتى : تاريخ العرب ١ : ٣٠ وما بعدها .

(٢٣) محمد كامل حسين : أدب مصر الاسلامية : ١٢ ــ ١٣ ، حتى : تاريخ العرب ــ ١ : ١٥ . سليمان حزين : تاريخ الحضــارة المصرية (العصر الفرعونى) : ٢٩

(٢٤) كامل حسين : أدب مصر الاســلامية : ١٣ ، حتى : تاريخ العرب ــ ١ : ٤٠ . جون ولسون : الحضارة المصرية : ٤٢ ، ٨٩ .

العلاقـة هو ما تم فى نهايـة عصر ما قبل الأسرات اى حوالى سـنة ٣٥٠٠ ق.م . فالمعروف ان اقواما ساميين من عرب آسيا غزوا وادى النيل حينذاك ، واخذ بعض التغيير يدخل على الشعب الحـامى الجنس الذى يعيش حول النيل ما بين البحر الأبيض واسوان والناشىء من طبيعـة البلاد نفسها ، لأن العناصر الجديدة التى دخلت البـلاد كان لها مميزات خاصة تختلف اختلافا بينا عن الشعب الأصلى ، فقد كانت ذات رءوس أعرض من رءوس المصريين انفسهم . وبالرغم من اختلاف الرأى فى الطريق الذى سلكه هؤلاء المهاجرون فان الأقرب الى الذهن انهم هبوا من برزخ السويس ، كما فعل العرب فيما بعد فى بدايـة الاسلام ، زاحفين من شمال سورية عن طريق فلسطين وسيناء ، ولاشك فى أن دخول هـذا الجنس الى البلاد قد أتى تدريجيا من غير عنف ، وانهم توصلوا الى الاستيلاء بنجـاح على البلاد شيئا فشيئا . ويبدو أن هؤلاء المهـاجرين كانوا أرقى مدنية من المصريين أصحاب البلاد الذين لم يعرفوا الا الآلات والأوانى الحجريـة ، فهم قد عمموا لغتهم فى مصر ، وادخلوا معرفة المعادن وبخاصـة النحاس ، كما ادخلوا عبادتهم للأموات وديانتهمو كتابتهم وفنونهم ونظمهم الاجتماعية والسياسية . غير انه لا يلزمنا أن نبالغ فى أهمية انتشار الجنسية الآسيوية فى مصر اذ الواقع ان حضارة البلاد من أساسها افريقية ، ويجب أن نتخيل أن النازحين لم يكونوا الا عددا ضئيلا بالنسبة الى السكان الأصليين ، لذلك سرعان ما اختلطوا بهم ، واندمجوا فيهم ، وتطبعوا بطبائعهم وهكذا نجد اللغة والزراعة والديانة التى نمت وترعرعت فى البـلاد مصبوغة بصبغة أهلها الأصليين منذ اقـدم عهودهم ، لم يؤثر النازحون فى تغيير شىء كبـير منها بل كان تأثيرهم سطحيا ، وبذلك نرجح انه كان هناك نوع من الغزو الحضـارى دون أن يكون هنـاك غزو مادى . وفى أى حال فان نهاية هـذا الفتح الطويل البطىء كانت على ما يظهر اتحاد كل البـلاد من أسوان الى البحر الأبيض المتوسط تحت صولجان ملك واحد قد اتفقت كل المصـادر التاريخية على أنه الملك مينا ، وظهور المصريين القدماء اللذين وضعوا كثيرا من العناصر الأساسية فى المدنية (١٥) .

---

(٢٥) برستد : تاريخ مصر من اقـدم العصـور الى الفتح الفارسى : ١٧ .
سليم حسن : مصر القديمة ـ ١ : ١٤٢ ـ ١٤٤ ـ حتى : تاريخ العرب ـ ١ : ١١ .
جون ولسون : الحضـارة المصرية : ٨٩ ـ ٩٠ .

باتحاد مصر انتقلت من عصر ما قبل الأسرات الى العصر العتيق أو العصر الطينى ، عصر التأسيس والبناء (٣٢٠٠ ق٠م) الذى يشمل الأسرتين الأولى والثانيـة . ويبدو ان ازدياد قوة البلاد نتيجة لاتحادها كان له أثره الكبير فى البطش بتلك القبائل البدوية التى كانت تغير على البلاد من الغرب أو الجنوب أو الشرق طمعا فى خيراتها ، فاستطاع المصريون أن يؤدبوا بدو الصحراء الشرقيـة وشبه جزيرة سيناء (٢٦) . ذلك بأن الأقسام الشرقية من مصر ، ولاسيما المناطق المتصلة بطور سيناء مأهولة بقبائل عربيـة منذ زمن قديم . وطور سيناء نفسها موطن قديم من مواطن العرب . ومن الجـائز أن المصريين قصـدوا من كلمة « عمو » التى معناها عندهم بدوى أو اسيوى الأعراب الظاعنين فى الأراضى المصرية أو حولها . يؤيد ذلك الرسـوم والصور التى عثر عليها فى آثار المصريين ويرى الباحثون أنها تشير الى الأعراب . وقد كان العرب ينزلون الأرضين المحصـورة بين النيل والبحر الأحمر ، والمنطقة الواقعة شرقى النيل وجنوبى البحر المتوسط والمتصلة بطور سيناء منذ القديم . فالعرب من قدماء سكان مصر لا كما يتصـور بعضهم من انهم دخلوا مصر فى الفتح ، وانهم لذلك غرباء لا صلة هنـاك بينهم وبين المصريين قبل الاسلام (٢٧) .

وكانت أيام الدولة القديمة التى تمثل عصر الاستقرار ، عصر بناة الأهرام (٢٩٠٠ ق٠م) ، أيام سـلام وامن فى مجموعها . ومع ذلك لم يخل الأمر بين حين وحين من كفـاح ضـد بدو الصحراء فى الجنوب والشرق وسيناء الذين تضطرهم قسوة ظروف بيئتهم الى الاغـارة على الأراضى الزراعيـة حيث يتوفر الخير ويتركز العمران (٢٨) . وتدل كل ظواهر الأمور على أن فراعنـة مصر كانوا يرقبون عن كثب كل حركات هؤلاء الأقوام وتلك القبائل التى كانت تهدد البلاد من حين الى حين وتكون سببا فى قطع العلاقات التجارية الخارجية وما ينجم عنها من نضوب موارد الدولة . فكانوا يقضون على كل حركة من هـذا النوع كما كانت الحال فى سيناء التى كانت منبعا فياضا لاستخراج النحـاس والفيروز (٢٩) .

---

(٢٦) محمد جمـال الدين مختـار : تاريخ الحضـارة المصريـة (العصر الفرعونى) : ٩٥ .

(٢٧) جواد على : تاريخ العرب قبل الاسلام — ٢ : ٢٨٦ — ٢٨٧ ، ٣٤٢ .

(٢٨) جمال مختار : تاريخ الحضارة المصرية (العصر الفرعونى) : ٩٧ .

(٢٩) سليم حسن : مصر القديمة ٢ : ٢٤٩ .

يرجع اهتمام المصريين المبكر بشبه جزيرة سيناء الى ما فيها من مناجم النحاس والفيروز . وفى العهد السابق لفجر التاريخ المصرى كان بدو سيناء يبيعون هـذه المنتوجات الثمينة فى أسـواق وادى النيل . وتولى فراعنة الأسرة الأولى شئون التعدين فى سيناء وقد عثر فى آثار هذه الأسرة على اقدم رسـوم تمثل البدو . وفى الكتابات المصريـة الأولى تتردد بكثرة كلمة « عمو » ومعناها بدوى أو آسيوى (٣٠) . وزار زوسر ، مؤسس الأسرة الثالثة ، سيناء وعمل على اخراج النحـاس وأحجار الزمرد ، ونقشت زيارته فى وادى مغارة شـمالى مدينة الطور الحالية . وغزا سنفرو ، مؤسس الأسرة الرابعة ، سيناء ، ونقش أخبار حملته على الأحجار ، وبنى حصـونا ليلجأ اليها عمال المناجم من هجمات قبائل العرب (٣١) .

وتدل الآثار والرسوم على وجود علاقات برية وبحرية ، سـلمية وحربية بين مصر وآسيا (٣٢) . والعلاقات التجـارية بين مصر وسورية فى عهد الدولة القديمة من الحقـائق التاريخية التى لا تقبل الجـدل أو الشك ، والتى كان لها اثر فعال فى نمو مصر وتقدمها . وهنـاك ما يحملنا على الظن بأن بلاد فلسطين الجنوبية كانت تابعة للفراعنـة بعض الشيء ولا سيما خلال النصف الأخير من عهد الدولة القديمة (٣٣) .

وتطلع المصريون كذلك فى هـذه الدولة الى البلاد البعيدة ، فقام الرحالة منهم منذ أيام الأسرة الخامسة برحلات موفقة الى بلاد مختلفة منها بلاد بونت التى كانت تشـمل الشاطئين الافريقى والآسيوى حول بوغاز باب المندب . فجعل المصريون يرسـلون الحمـلات بطريق البر تارة ، وبطريق البحر تارة أخرى ، الى تلك البلاد ليحصـلوا على خيراتها وبخاصة البخور والعطور ، ذلك بأنهم كانوا فى حاجة دائمة الى اللبـان وغيره من أنواع البخور كالمر والصموغ العطرة والراتينج والأخشـاب الزكيـة ليحرقوها فى هياكلهم ويستعملوها فى تحنيط موتاهم . وكان

---

(٣٠) حتى : تاريخ العرب ــ ١ : ٤٠ ــ ٤١ .
(٣١) كامل حسين : أدب مصر الاسلامية : ١٤ .
(٣٢) سليم حسن : مصر القديمة : ٢ : ٢٤٧ ، ٢٤٨ . جمال مختـار : تاريخ الحضارة المصرية (العصر الفرعونى) : ٩٨ .
(٣٣) سليم حسن : مصر القديمة ــ ٢ : ٢٥٣ .

جنوب بلاد العرب غنيا جدا بهذه الموارد ، فقد اشتهرت حضرموت — وهى بين اليمن وعمان — بأنها أرض البخور واللبان . وماتزال أشجار اللبان تنمو فى حضرموت وغيرها من انحاء الجنوب . ولما كان المصريون يحصلون على هذه المواد الهامة من ارض فوط (الصومال الحديثة) ومن اليمن على السواء فلا يستبعد أنهم أطلقوا لفظة فوط (بنت) على هذين البلدين اللذين لا يفصل بينهما سوى باب المندب . وأيا كان الأمر فقد كان ذلك سببا فى قيام علاقات وثيقة ودائمة بين مصر وبين جنوب الجزيرة . وقد رأس ساحو رع ، احد فراعنة الأسرة الخامسة (٢٧٤٣ — ٢٧٣١ ق.م) ، أول حملة بحرية بطريق البحر الأحمر الى هذه البلاد (٣٤) .

بدأ المصريون اذن منذ الدولة القديمة يرسلون الحملات لاستكشاف شاطىء البحر الأحمر الآسيوى والافريقى ، وتأسيس صلتهم بمن كانوا يقطنون فى تلك المناطق . ولسنا فى حاجة الى القول بأن التبادل التجارى وسيلة من أهم وسائل نشر الثقافة . ولهذا فمن المحتمل جدا أن الحضارة المصرية قد بدأت تنتشر فى البلاد الواقعة على شاطىء البحر الأحمر ، وفى الشاطىء الشرقى لافريقية وبخاصة اريتريا والصومال ، وجنوبى الجزيرة العربية منذ أيام الدولة القديمة . ولكن عدم القيام بأبحاث اثرية أو انثروبولوجية كافية فى تلك البلاد حتى الآن يحول بيننا وبين الحديث بشىء من التفصيل أو التأكيد عن مدى أثر تلك الصلات فى ذلك العهد (٣٥) .

ثم دخلت مصر فى العصر الوسيط الأول ، عصر الاقطاع (٢٣٠٠ ق.م) حيث ساد الانحلال السياسى والتفكك الاجتماعى ، وحل القحط ، وتتابعت الفتن ، وانتشرت الفوضى ، واختل الأمن . وكان طبيعيا جدا فى مثل هذه الظروف أن يطمع فى مصر الطامعون ، فأغار بدو الصحراء على الدلتا وعاثوا فيها فسادا . ولكن امراء اهناسية

---

(٣٤) كامل حسين : أدب مصر الاسلامية : ١٣ — ١٤ — حتى : تاريخ العرب — ١ : ٤١ — ٤٣ . جمال مختار : تاريخ الحضارة المصرية (العصر الفرعونى) : ٩٨ . أحمد فخرى : تاريخ الحضارة المصرية (العصر الفرعونى) : ٦٠٥ .

(٣٥) احمد فخرى : تاريخ الحضارة المصرية (العصر الفرعونى) : ٦٠٥ .

الأقوياء الذين اغتصبوا العرش وأرادوا أن ينقذوا البـلاد نجحوا فى طرد هؤلاء البدو من الدلتا (٣٦) .

ثم استردت مصر قوتهـا على أيدى فراعنـة الدولة الوسـطى (٢٠٦٠ ق.م) الذين أعادوا الى البلاد وحدتها ، وقضوا على الحروب الأهلية ، وهيئوا الطريق لقيـام عصر جديد فى حياة مصر هو عصر الرخاء . وكان اقرار النظـام فى الداخل وتأمين الحدود من غـارات المعتدين فى الخارج من اهم أهداف هذه الدولة ، فأنشأت لذلك جيشا قويا استطاع أن يطهر أطراف البلاد من البدو والليبيين ، وان يطارد المعتدين من بدو سـيناء حتى فلسـطين . وبنى على خليج السويس سور أصبح يعرف باسم « سور الحاكم » ليصـد هجرات أو غارات الآسيويين عن بلاد الدلتا ، هـذه الغارات التى كانت موضع شـكوى فى الأزمان السابقة . وفرضت مراقبة شديدة عند الحدود الشرقيـة المصرية ، وامتدت الحرب الى آسـيا ، وجردت حملة الى فلسـطين ، وتم تأديب (هؤلاء « العامو » (الآسيويين) التعساء الذين يعيشون فى بلاد لا تسكن ، اذ لا ماء فيها ، ولا شجر يكثر ، وطرقها وعرة لما يتخللها من الجبال ، فهم لا يسكنون فى مكان معين ، بل دائمـا يرخى الواحد منهم لساقيه العنان ، وهم دائما فى حرب منذ زمن « حور » ، فهم لا يهزمون ولا يهزمون ، وهم لا يعلنون يوم هجومهم) .

وأيا كان الأمر فقد انتهت المناوشـات التى كانت تقع بين المصريين والبدو ، وعادت العلاقات بين مصر وجاراتها فى الشـمال الشرقى فى سورية وفلسطين على أحسن ما يكون من ود وصفاء بسرعة مدهشة . وافتخر القائد المصرى بأنه قد قهر سـكان الكهوف من الآسـيويين وسكان الرمل ، وخرب معاقل البدو ووطىء حقولهم . واصبح هؤلاء المهـاجرون الآسيويون يأتون الى مصر يحملون الجزيـة والمحاصـيل الآسيوية . وحتى عندما يكونون فى ضيق فى وطنهم فانهم يسعون فى الاقامة فى مراعى وادى النيل . وسمح استقرار الأحوال على الحدود باستئناف ارسال البعثـات على نطاق واسـع الى مناجم ومحـاجر الصحراء الشرقية وسيناء التى ظلت شبه مغلقة طوال العصر السابق . واستمر ملوك الأسرة الثانيـة عشرة يستغلون محاجر وادى الحمامات ،

---

(٣٦) جمال مختار : تاريخ الحضارة المصرية (العصر الفرعونى) ٩٨ — ٩٩ .

وفتح منجم جديد فى شبه جزيرة سيناء ، واعيد استعمال آخر فى سرابة الخادم (٣٧) .

وكذلك بدأ فراعنة الدولة الوسطى يرسلون الحمـلات الى بلاد بونت منذ عهد الأسرة الحادية عشرة (٢٠٦٠ ق٠م) وارسل امنمحات الثانى (١٩٣٨ – ١٩٠٣ ق٠م) بعثتين الى هـذه البلاد بغرض احضار العطور والروائح الزكية . وكان على المصريين ان يخترقوا الصحراء حتى يصـلوا الى البحـر الأحمـر . وبعد ذلك كان لابد من بنـاء السفن اللازمة لحمل رجـال البعثة . وفى أراضى الصحراء الجرداء القاحلة يلاقون قبـائل العرب الرحل الذين تعودوا السلب والنهب يجولون طلبا للسـطو على اية غنيمة وبعد ذلك كانت البعثة تقلع عدة أيام متجهة جنوبا محاذية الشاطىء الخـالى من السكان . وفى نهايـة المطاف كان عليهم أن ينزلوا عند قوم من الناس غاية فى السذاجة غير معروفين لهم فيتجرون معهم . ثم يحملون عند عودتهم المر والأصماغ ذات الروائح الزكية (٣٨) . ولكن سنوسرت الثالث حفر قنـاة فى شرق الدلتا وصل بها ما بين النيل وخليج السـويس عن طريق وادى طميلات والبحيرات المرة . وتعد هذه القناة أقدم طريق مائى وصل بين البحر المتوسط والبحر الأحمر اذ كانت السفن تشق طريقها فى النيـل ثم فى تلك القنـاة الى البحر الأحمر متجهة الى بلاد بونت (٣٩) . ثم كان للأسرة الثامنة عشرة أسطول فى البحر الأحمر . وتعددت طرق الاتصال بين بلاد العرب ومصر ، فكان هناك الخط البرى الشـمالى عند شبه جزيرة سيناء والطريق الجنوبى عند باب المندب ، فى حين يربط البرين فى أواسط ساحل الجزيرة الغربى خط يقطع البحر الأحمر الى القصير فوادى الحمامات قبالة انعطاف النيل بالقرب من طيبة . ولمـا كانت تجارة البخور الآتيـة من جنوب الجزيرة تمر بوادى الحمامات فقد أصبح ذلك الخط الأوسط أهم حلقة للاتصـال ببلاد العرب الجنوبية . وأصبح سكان الجنوب الشرقى من جزيرة العرب ارباب تجـارة وثراء توسطوا فى سوق التجارة بين مصر وما بين النهرين والبنجاب – وهى

---

(٣٧) سليم حسن : مصر القديمة – ٣ : ١٧٩ ، ١٨٥ ، ٢٦٦ ، ٤٢٠ – ٤٢٢ .
جمال مختار : تاريخ الحضارة المصرية (العصر الفرعونى) : ١٠٠ ، ١٠١ .
(٣٨) سليم حسن : مصر القديمة – ٣ ، ٢٤٨ ، ٢٤٩ ، ٢٥٠ ، ٤٢٠ .
(٣٩) جمال مختار : تاريخ الحضارة المصرية (العصر الفرعونى) : ١٠١ .

مراكز ثلاثة هامة للمتاجرة فى العصور القديمة — وباسمهم تسمى البحر الفاصل بين هذه البلدان (٤٠) .

هنـاك دليل على أن هجرات أقوام غير مستقرين كانت تشـق طريقها فى آسيا وافريقية فى عصر الدولة الوسطى ، وكانت تعكر صفو الرخاء المنظم الذى كان يسـودها منذ زمن طويل . ففى حوالى الألف الثانية قبل الميلاد تدفق الآريون فى الشرق الأدنى ، وكان من الطبيعى أن يحـاول الساميون — وقد دفعوا فى ظهورهم — أن يتجهوا الى الجنوب تتبعهم شراذم من الآريين . وفى نهاية المطـاف جاءت هذه الموجة تموت فى مصر . ولاشك فى أن هؤلاء القوم الذين اصبحوا يعرفون فى مصر باسم الهكسوس (٤١) لم يدخلوا البلاد دفعة واحدة ، بل وفدوا اليها جماعات صغيرة متفرقة كانت تزداد فى عددها الى أن أصبح لهم سلطان عظيم فى البلاد . وهم قد اقاموا أولا فى شرق الدلتا ولم يحتلوا مصر بمعناها الحقيقى الا فيما بعد . وربما امتدت هـذه الفترة نصف قرن كان فى اثنائه يصل فوج جديد من الآسيويين كل عام . وهناك أسباب عدة تدل على أن أولئك الغزاة كانوا قد أصبحوا قوة ثقافيـة فى وادى النيل منذ عهد سنوسرت الثانى (١٩٠٦ — ١٨٨٧ ق.م) ، أى فى منتصف عهد الدولة الوسطى عندما كانت مصر فى أوج عظمتها وفى ابان عصرها الذهبى . كان الهكسـوس اذن جماعات من الآسيويين دفعتها المهاجرة الآرية فنفذت الى مصر وأقامت فى شرق الدلتا .. ولمـا كان الملوك الوطنيون أضعف من أن يصـدوهم فقد تظاهروا بتجاهلهم . وأسس الطارئون الجدد عاصمة لهم حت وعرت (أواريس = هوارة = صـان الحجر) فلمـا أصبحوا على شىء من الكثرة انتظموا فى دولة وانتخبوا لهم رئيسا أوحد : سلاتيس ، وعندئذ باشروا غزو مصر . وهكذا لم يتم غزو الكهسوس لمصر بين عشية وضحاها ، ولكنـه تم تدريجيا وعلى مهل ، فكان يكتسب قوة بمرور الزمن كالشجرة التى

---

(٤٠) حتى : تاريخ العرب ١ : ٤٠ ، ٤٢ .

(٤١) من الثابت أن الكهسوس — أو أبرز عناصرهم على الاقل — ساميون أسيويون ولكن مانيثون المؤرخ المصرى القديم يذكر (دريوتون : مصر ٣٢٢) ان بعضهم يعدهم عربا ، فى حين لا يستبعد برستد (تاريخ مصر : ١٤٢) ان يكون سكان بلاد العرب الذين كانوا يهاجرون كثيرا الى سـورية قد اتحدوا مع الســوريين بعد جهود حربية تحت ادارة حاكم قوى وكونوا مملكة واحدة هى مملكة الكهسوس .

تضرب بأعراقها على مر الأيام فى أرض خصـــبة فتزداد نموا واينعا .
وهذا الغزو كثير الشبه بما حصـــل للبلاد سابقا قبل حكم الأسر ،
وتكرر هـــذا الغزو أيام العرب لمـــا دخلوا القطر المصرى فى بداية الاسلام .
ولكن تغلغل الآسيويين فى الدلتا هـــذه المرة لم يكن شبيها بما كان فى
عصر الفترة الأولى عندما كان يأتى عدد قليل من البدو الشرقيين لا يكاد
يكون معهم شيء . وكان هؤلاء البدو يحسون بالعرفان بالجميل لمـــا هيأته
لهم الفرصـــة للاستقرار فى الأرض الخصـــبة وسرعان ما هضمتهم
الحضـــارة المصريـــة . وكان من الممكن الا يبقى أثر من تســـلل هؤلاء
الآسيويين الأول . ولكن فى هذه المرة الثانية هنـــاك غزو مصحوب بقوة
وجاء بغرض الحكم دون احساس بالاحترام للحضارة المصرية . وان لم
يكن من العدل ان نظل متأثرين بفكرة أن الكهسوس كانوا قوما جفاة
متوحشين ، وانهم كانوا يقفون موقفا سلبيا على طول الخط من حضارات
البـــلاد التى اخضعوها . فاذا كانوا مجموعة من الشعوب المختلفة الذين
اخترقوا بلادهم بعربـــاتهم فيجب أن يكون بينهم كثيرون ممن اتصلوا
بالحضارتين المصرية والعراقية . ومن الحق ان الهكسوس كانوا على
جانب عظيم من المدنيـــة ، بل كانوا أكثر تقدما فى بعض النواحى من
جيرانهم فى وادى النيل الذين كانوا يعدون أقدم منهم . وقد احضروا
معهم الى مصر معدن البرونز فى صـــورة راقية رقيا بارعا . وهم الذين
جلبوا الخيل والعربات ــ هذه العناصر الجديدة الهامة من المدنية ــ الى
مصر . واثروا فى اللغـــة المصريـــة القديمـــة تأثيرا عظيما ، وامتزجوا
بالمصريين امتزاجا شديدا حمل بعض العلماء على أن ينظروا الى المصريين
كأنهم أمة سامية . لقد حكم الهكسوس مصر بين مد وجزر نحو قرن
ونصف قرن من الزمان (١٧٣٠ ــ ١٥٨٠ ق.م) يعرف فى تاريخ مصر
باسم العصر الوسيط الثـــانى أو عصر الاحتلال الأجنبى . ولا نزاع فى
ان كل ما اتى به الكهسوس من جليل الأعمال لا يمكن أن يتم فى جو كله
حروب مستديمة ، بل يجب أن تعزى تلك الأعمال الى قوم على جانب
عظيم من المهـــارة قد اعتنقوا طرائق الحياة المتمدينة التى تحيط بهم
عندما حطوا رحالهم واستقر بهم المكان . وبالرغم من أن احمس الأول
قد قضى عليهم جملة فى مصر بوصفهم امة حاكمـــة فليس معنى هـــذا
انه قد قضى على نفوذهم الثقافى فى البلاذ ، اذ ليس من الضرورى أن
يسير النفوذ الثقافى جنبا الى جنب مع النفوذ الســـياسى ، أو أن ينسب
كل منهما الى الآخر بصفة مباشرة ، اذ لدينا من الادلة ما يبرهن على
أن ثقافة الهكسوس قد استمرت تطبع الحياة المصرية بطابعها الخاص

الى مدة لا يستهان بها فى عهد الأسرة الثامنة عشرة بعد طردهم من البلاد . وعلى كل حال فالشىء الأساسى فى حكم الهكسوس لمصر هو أن هذه البلاد ، للمرة الأولى فى تاريخها ، ترى نفسها وقد هزمها واحتلها اجانب ، وكان هؤلاء الأجانب فى نظر المصريين انجاسا وهمجا مكروهين « حكموا بدون الاله رع » (٤٢) .

كان فى غزو الهكسوس واحتلالهم للبلاد عظة كبيرة للمصريين ، اذ أدركوا ما للقوة العسكرية من اهمية كبرى فى حماية الوطن والذود عن حياضه ومن ثم فقد اهتموا بانشاء جيش قوى عامل منظم . وبهذا الجيش العظيم قامت الدولة الحديثة ، ودخلت مصر عصر التوسع الخارجى (١٥٨٠ ق.م) ، وتكونت الامبراطورية المصرية التى كانت تشكل فى الحقيقة وحدة افريقية آسيوية تتزعمها مصر وتضم معها شمال السودان وفلسطين وسورية . وبفضل ملوك الأسرة التاسعة عشرة من الرعامسة العظام تجددت وحدة بلاد الشرق العربى القديمة . واتسعت التجارة فى عهد الدولة الحديثة فشملت فينيقيا وسورية وبلاد بنت والسودان وجزر البحر المتوسط . ونظمت حملات كثيرة الى بلاد بنت بخاصة فى طلب المر والصموغ العطرة والراتينج والأخشاب الزكية من أشهرها وأكبرها الحملة التى جردتها الملكة حتشبسوت (نحو ١٥٠٠ ق.م) وخلدت اخبارها على معبدها بالدير البحرى . ويظن أن الذهب أيضا كان يصدر من جزيرة العرب الى مصر . ولكن من الجدير بالذكر ان المصريين القدماء لم يستقلوا بميدان المصالح التجارية فى الجزيرة فقد كان ينازعهم فى تجارة الطيوب والمعادن منافسون أشداء فى مقدمتهم أبناء بابل (٤٣) . وكان المحور الأساسى الذى تدور عليه سياسة الأسرة الثامنة عشرة هو تأمين البلاد من محاولة غزو القبائل السامية ، ولذلك غزا أمنحتب الأول سورية وأعلن تحتمس الأول ان الفرات هو حدود مصر الشرقية (٤٤) . ومن

---

(٤٢) راجع : برستد : تاريخ مصر : ١٣٩ . ولفنسون : تاريخ اللغات السامية : ١٨ – ١٩ دريوتون : مصر ٣٢٢ – ٣٣٤ . سليم حسن : مصر القديمة – ٤ : ٥٤ ، ٥٥ ، ٥٦ ، ١٦٣ ، ١٦٤ ، ١٦٥ ، جون ولسون : الحضارة المصرية : ٢٥٩ ، ٢٦٧ ، ٢٦٩ ، ٢٧٠ .

(٤٣) جمال مختار : تاريخ الحضارة المصرية (العصر الفرعونى) : ١٠٣ ، ١٠٤ ، ١٠٦ ، حتى : تاريخ العرب ١ : ٤٢ ، ٤٣ .

(٤٤) محمد كامل حسين : أدب مصر الاسلامية : ١٤ .

أهم الوثائق التى بقيت لنا منقوشة على جدران معبد الكرنك المتن الذى يحدثنا عن السبب المباشر الذى حدا بالفرعون سيتى الأول لمهاجمة قبائل « شاسو » (البدو) الآسيويين فى فلسطين . وقد كان للعبرانيين ضلع فى الحركة التى قام بها هؤلاء البدو ، اذ كانوا يسعون لتوطيد أقدامهم فى فلسطين ، وكان هؤلاء البدو المغيرون قد انتهزوا من جانبهم الفرصة للتخلص من البقية الباقية من تسلط مصر على بلادهم (٤٥) . وفى عصر رعمسيس الثانى ووالده سيتى الأول نلحظ أن عناصر أجنبية كانت تفد على مصر بلا انقطاع وتقيم فيها بوصفهم أسرى حروب يستخدمون عبيدا للآلهة وللجنود ولعلية القوم ، أو بوصفهم من التجار والجنود المرتزقة الذين كانوا يعملون فى الجيش المصرى بجانب الجنود الوطنيين . كذلك كان يفد على البلاد طوائف من البدو استوطنوا وادى طميلات . وكل هؤلاء كانت تزخر بهم المدن المصرية الكبيرة . ففى مدينة بر رعمسيس عاصمة الملك (قنتير الحالية) ، وفى منف وغيرها من المدن قد أنشئت أحياء كاملة لأولئك المهاجرين من الكنعانيين والفينيقيين الذين جاءوا الى مصر مصطحبين معهم آلهتهم وأربابهم المحليين . من أجل ذلك نجد أن الجنس المصرى قد اعتراه تغير مادى باختلاط الدم الأجنبى به . وقد كان هذا الاختلاف لا ينقطع وفوده من الجنوب . ونلحظ فضلا عن ذلك انه فى العهد الذى تلا عصر رعمسيس الثانى قد اختلط الدم المصرى بدم الأقوام الذين كانوا يسكنون غربى مصر وهم اللوبيون . كما نجد نفس الظاهرة شائعة من جهة الحدود الشرقية فقد اختلط الدم المصرى بالدم السامى . ولكن على الرغم من كل هذا الاختلاط فى الدم نجد أن المصرى من جهة أخرى قد تغلب عقليا وخلقيا بما له من ثقافة قديمة ومدنية عريقة وطيدة الأركان ثابتة الدعائم على هؤلاء النزلاء من كل الجهات وصبغهم بثقافته وجعلهم جزءا منه (٤٦) . غير أن فينيقية وفلسطين كان لهما أثرهما فى مصر من ناحية أخرى وهى اللغة ، اذ نجد أن الكلمات الكنعانية كانت تتدفق بمقدار عظيم على اللغة المصرية . ولم يكن ذلك قاصرا على اسماء السلع والبضائع والأسلحة والخيل والعربات وأدوات الحرب من بلط ودروع ، بل تخطى ذلك الى الألفاظ السامية

---

(٤٥) سليم حسن : مصر القديمة ٦ : ٢٣ .

(٤٦) سليم حسن : مصر القديمة ٦ : ٥٩٣ ـ ٥٩٤ .

التى تستعمل فى أداء التحيـة مثل كلمة « السلام » ، وكذلك الألفاظ الدالة على الشباب ، هـذا الى حشر العبارات المنمقة من اللغـات الأجنبيـة التى تدل على حسن الذوق والثقافـة العاليـة فى اللغـة المصرية (٤٧) . ولكن من المهم أن نلحظ أن تأثر اللغة المصرية القديمـة الحامية باللغات السامية يرجع الى عصور أقدم بكثير نتيجة للاختلاط الشديد الذى لم ينقطع فى العصـور القديمة بين المصريين والساميين والذى كانت الفتوح الحربيـة من أهم بواعثه . ولذلك كانت هنـاك ألفاظ حامية كثيرة تشبه ألفاظا عبرية سامية (يم ، فم ، ماء ، الخ ..) ولا سيما الكلمـات السامية المشتقة من أصـل ذى حرفين ، كما كان هناك شيء من الشبه بين قواعد اللغـات الساميـة وقواعد اللغـات الحامية (٤٨) . وكذلك نجد أن الآلهة الساميين أخذ يزداد دخولهم فى زمرة الآلهة المصريين بصفة مطردة مثل الالاهة قادش ، اله الحرب رشب ، الالاهة عنتا ، الالاهة عشيت ، الالاهة بعلات سابون . وكانت هذه الآلهة موضـع تبجيل المصريين انفسهم أما الاله « بعل » السامى الأصل فكان موحدا عند المصريين مع الاله « ست » الذى كان يعد اله البلاد الأجنبية وهو الذى عبده الهكسوس عندما احتلوا مصر ، ثم هوت عبادته للحضيض بعد طرد الهكسوس ولكن لم تلبث أن احييت عبادته ثانية فى عهد الرعامسة . ظهرت كذلك الالاهة عشتارت الاهة الحيـاة والفزع بصـورة واضحـة فى تلك الفترة فقد كان لها معبد فى الحى السامى من مدينـة منف ، وكانت عبادتها سائدة منتشرة فى عهد الأسرة السادسة والعشرين ، كما بقيت قائمة فى منف وفى السرابيوم حتى العصر الاغريقى فى مصر . وقد سمى سيتى الأول باسم إله القاطمـة التى نشأ منها ، كما أقام رمسيس الثـانى لهذا الاله المعابد فى أنحاء القطر . وأيا كان الأمر فان عبادة الآلهـة الأجنبية كانت منتشرة مما يدل على أهميتها فى نظر المصرى (٤٩) .

ثم دخلت مصر العصر المتأخر أو عصر النفوذ الأجنبى ، فتعرضت للاحتلال الليبى فى أواسط القرن العاشر قبل الميلاد ، ثم الاحتـلال النوبى فى أوائل القرن الثامن . ولمـا قامت دولة أشور جعلت مصر تمد

(٤٧) المصدر نفسه : ٦ : ٥٩٤ .
(٤٨) ولفنسون : تاريخ اللغات السامية : ١٨ .
(٤٩) سليم حسن : مصر القديمة ٦ : ٥٩٤ – ٥٩٦ .

العون والمساعدة الى قبائل البدو المتاخمة للشام كى تسبب المضايقات لممتلكات اشور فى نواحى الشام وتعترض طريق قوافلها التجارية ، مما اضطر ملوك اشور الى تجريد تسع حملات لمعاقبة هذه القبائل « التى لا تقهر » . ثم غزا الأشوريون مصر فى القرن السابع ق.م وأدخلوا اليها لأول مرة الجمل العربى (٥٠) .

نتج عن استيلاء الفرس على معظم الهلال الخصيب اتصالهم بالعرب واحتكاكهم بهم احتكاكا مباشرا . وبالرغم من أن جميع أقوام آسيا قد اعترفوا بسلطان فارس فان العرب استعصوا على هذا السلطان ولم يخضعوا البتة لفارس وانما كانوا أحلافها . ولولا العرب لما استطاع قمبيز أن يفتح مصر سنة ٥٢ ق.م ، فهم الذين مهدوا له السبيل اليها ، ذلك بأنه طلب المعونة منهم فامدوه بالجمال ومونوا قواته بالماء الذى ملئوا به قربا كثيرة حملوها على الجمال ، وساعدوه بذلك مساعدة كبيرة على اجتياز الصحراء . وقد لجأ قمبيز الى العرب ، فيما يزعم هيرودوت ، بناء على مشورة فانس الذى خان سيده فرعون مصر فهرب منه وذهب خلسة الى قمبيز وحثه على فتح مصر واشار عليه أن يستعين بالعرب . وكان من جملة الفرق العسكرية التى تألف منها جيش الفرس فى مصر فرقة من العرب كان على رأسها قائد فارسى من أبناء دارا . ويظهر أن هؤلاء العرب كانوا عرب مصر القاطنين فى الصحراء الشرقية (٥١) .

زار المؤرخ اليونانى هيرودوت مصر حوالى ٤٤٨ ــ ٤٤٥ ق.م . ويظهر من كلامه ان الأقسام الشرقية من مصر ، ولاسيما المناطق المتصلة بطور سيناء كانت مأهولة بقبائل عربية . وطبيعى أن هذه القبائل استقرت هناك قبل ذلك العصر بزمن طويل (٥٢) . وكان هيرودوت يعرف أن الافاعى منتشرة فى جميع أقطار العالم خلا الحيات المجنحة فلا تراها الا فى بلاد العرب (٥٣) . وقد حرص هيرودوت على أن يزور

---

(٥٠) حتى : تاريخ العرب ١ : ٢٧ ، ٤٨ . جمال مختار : تاريخ الحضارة المصرية (العصر الفرعونى) : ١٠٦ ــ ١٠٧ .

(٥١) حتى : تاريخ العرب ١ : ٥٠ ، ٥٧ ، جواد على : تاريخ العرب قبل الاسلام ٢ : ٣٣٨ ، ٣٤٢ .

(٥٢) جواد على : تاريخ العرب قبل الاسلام ٢ : ٢٨٦ .

(٥٣) حتى : تاريخ العرب ١ : ٤٧ .

بنفسه ذلك المكان من بلاد العرب الذى يوجد فيه هـذا النوع من الحيات . فوجد أن هـذا المكان الذى يقع تجاه مدينة بوطو (حاليا كوم الفراعين بالقرب من ابطو) تقريبا عبـارة عن ممر ضيق فى الجبل ينفرج عن سهل فسيح يتاخم سـهل مصر . والمكان ممتلىء بعظـام حيات وأعمدتها الفقرية بكثرة تفوق الوصف ، فقد كانت هناك أكوام من الأعمدة الفقرية بعضها كبير وبعضها اصغر منها وبعضها أصغر من هذه أيضا . وتذهب الرواية الى أن الحيات المجنحة تطير فى الربيع من بلاد العرب صوب مصر ، ولكن الطـائر أبا منجل لا يدعها فى طريقها بل يبيدها . ويقول الأعراب انه من أجـل هـذه الخـدمة يقـدس أبو منجل عند المصريين تقديسا عظيما . ويوافق المصريون على أنهم يقدسون هذه الطيور من أجل هذه الخدمات (٥٤) . ويبدو أن الجبل الذى يتحدث عنه هيرودوت هو احد جبـال السلسلة الشرقيـة فى مصر ، وبذلك تكون بلاد العرب التى يعنيها هى صحراء مصر الشرقية الواقعة بين النيل والبحر الأحمر ، ويلحظ بوجه عـام أن بلاد العرب التى يتحدث عنها هيرودوت فى كتابه عامة هى العربيـة القريبة من مصر وفلسطين والأقسام الغربية من الجزيرة . اما الوسط والجنوب والعروض فلم يذكر من أمرها شيئا (٥٥) .

يرى هومل ان جموعا كثيرة من قبائل معين اليمنية تركت وطنها فى الألف الثانى قبل الميلاد وانتشرت فى جميع انحـاء الحجاز وهضبات طور سيناء الى حدود مصر . أما جلازر فيرى ان هـذه القبائل المعينية هى نفس القبائل السامية التى دخلت مصر وحكمتها قرونا ثم طردت منها واصبحت تعرف باسم الشاسو أو الهكسوس . والصحيح فى ذلك أن المعينيين هاجروا الى الشـمال ، وغزوا جنوب فلسطين ، وكونوا دولة فى منطقة غزة حافظت على كيانها الى عهد الاسكندر الأكبر الذى حاصر هذه المدينـة زمنا غير طويل تمكن فيه من أن يدمرها تدميرا ، فانسحبت معين الى بلاد طور سيناء والحجـاز حيث كونت مستعمرة باسم معان ــ اسمها فى النقوش مصران واسمها الرسمى معان مصران ــ مجاورة للبتراء ، وانتقلت هـذه المستعمرة الى حيازة دولة سـبأ حوالى سنة ٦٤٠ ق.م ، ثم استولى عليها اللحيانيون (٥٠٠ ــ ٣٠٠ ق.م) ،

---

(٥٤) هيرودوت فى مصر (ترجمة وهيب كامل) : ٧٠ .

(٥٥) جواد على : تاريخ العرب قبل الاسلام ٢ : ٤٠١ .

ثم تلاهم الانباط فحكموها . وهكذا أصبحت معان مركز السلطة المعينية فى شمال الجزيرة الغربى ، ومستعمرة خطيرة ، ومركزا تجاريا فى أرض مدين شرقى سيناء (٥٦) .

عثر فى الجيزة وفى موضع قصر البنات على طريق قنا وفى منطقة ادفو على كتابات معينية بالخط المسند تشير الى وجود صلات تجارية بين مصر والمعينيين والى وجود جالية معينية فى مصر . ونصوص الجيزة مؤرخة فى السنة الثانية والعشرين من حكم بطليموس بن بطليموس . وبالرغم من صعوبة تحديد هذا الحاكم البطلمى فان تلك النصوص لم تكتب بعد سنة ٢٦١ ق.م . وهى فى كل حال وثيقة هامة جدا بالرغم من قصرها لأنها تتحدث عن وجود العرب الجنوبيين بمصر فى ذلك العهد البعيد . كما تتحدث عن كاهن معينى يحتمل انه كان يخدم فى معابد مصر بالرغم من أصله الأجنبى ، ويستورد اليها من بلاده البخور والمر والقليمة (قصب الذريرة او قصب الطيب) ويصدر فى مقابل ذلك المنسوجات المصرية (٥٧) . ومن الواضح جدا أن دكتور جواد على يعتقد أن المعينيين الذين عاشوا فى مصر حينذاك وخلفوا لنا هذه النصوص هم من دولة معين الأولى الأساسية القديمة التى عاشت فى اليمن وازدهرت منذ الألف الثانية قبل الميلاد فى منطقة الجوف الخصبة بين نجران وحضرموت . وهذا فى رأينا غير ممكن لأن دولة معين الجنوبية هذه قد زالت حوالى عام ٦٥٠ ق.م وافسحت الطريق لدولة سبأ التى ورثتها . وقد رأينا كيف هاجر معينيون الى شمال الجزيرة وعاشوا فى طور سيناء وكونوا دولة باسم معان . فاذا عرفنا انه فى عام ٢٦١ ق.م كانت معان قد خضعت لدولة الأنباط التى قامت هناك منذ أوائل القرن الرابع قبل الميلاد ، وعرفنا ان الأنباط كانوا حينذاك فى حالة من التحالف او الخضوع مع البطالمة استطعنا ان نجد مبررا لقدوم المعينيين الى مصر واقامتهم بها بل اشتغالهم بالكهانة فى معابدها ، ولا يمنع ذلك من أن هؤلاء المعينيين انفسهم زاولوا النقل التجارى بين مصر وبين دولة حمير المزدهرة فى الجنوب حينذاك .

---

(٥٦) ولفنسون : تاريخ اللغات السامية : ١٧٦ — ١٧٧ . حتى : تاريخ العرب ، ٣ : ٧٠ — ٧١ .

(٥٧) جواد على تاريخ العرب قبل الاسلام ١ : ٣٨٤ ، ٣٩٧ — ٣٩٨ و ٢ : ٣٨٢ .

كان السبئيون أقدم الأقوام العربيـة التى تخطت عتبة المدنية . وكانوا فينيقيى البحر الجنوبى ، فقد عرفوا طرقه وتعرجات سواحله وموانيه ، واستلكوا رياحه الموسمية الغدارة — السموم — فامتلكوا بذلك تجـارته خـلال القرون الثلاثة عشر الأخيرة قبل الميـلاد . ذلك بأن الانتصارات التى أحرزها عرب الجنوب انتصارات تجارية اقتصـادية شأنهم فى ذلك شأن الفينيقيين ، ولم تكن الممالك التى شادوها دولا حربيـة وانما كانت ممالك تجـارية . ويمتد عصر سـبأ الذهبى بين ٦٥٠ و ١١٥ ق.م على وجـه التقريب بعد ان ورثوا مملكة أقربائهم المعينيين وأصبحوا سادة على بلاد العرب الجنوبية . وكان خط التجارة الرئيسى فى البحـر الأحمر حينذاك يمتـد من باب المندب الى وادى الحمامات على ساحل مصر الوسطى ؛ ولكن سـبأ اضطرت لمـا يلازم الملاحة فى أنحاء هذا البحر الشمالية من آفات الى افتتاح خطوط برية بين اليمن والشام تحـاذى سـاحل الجزيرة الغربى وتؤدى الى مكة والبتراء ومنهما تتشـعب الى مصر والشـام وما بين النهرين (٥٨) . ولاشك فى أن ذلك كان يتيح فرصا كثيرة وهامة للاتصال بين المصريين والسبئيين . غير أن دارا الأكبر وضع مشروعا خطيرا جدا من الأوجه العسكرية والسياسية والاقتصادية للسيطرة على البحار يتلخص فى انشـاء أسطول يصل فارس بالهند وبمصر . وحفر ، أو أعـاد حفر ، القناة القديمة التى تصل النيل بالبحر الأحمر عن طريق الفرع البلوزى بالقرب من الزقازيق مخترقة وادى الطميـلات الى السـويس . وهو مشروع يؤثر على البلاد العربيـة بالطبع ، ويقتطع منها أرباحها من التجارة العالمية ، ويوقع بها خسائر فادحة ، ويضعفـه — وهـذا هو الأهم من وجهة نظرنا فى هذا البحث — من صلة ما بين المصريين والعرب. فلما كان الاسـكندر الأكبر عـاد ففكر فى انشاء أسـطول ضخم يحمل البضائع مباشرة دون الاعتماد على التجار العرب ، وذلك لكى يقضى على سيادة العرب على الخطوط التجارية البرية والبحرية ، ويحد من الارتفاع الهائل الذى وصلت اليه اسعار البضـائع الثمينة التى كانت تأتى من الشرق الى أسواق مصر أو بلاد الشام محمولة على سـفن عربية أو على ظهور جمال القوافل ، ومن هنـاك تنقل الى أوروبا (٥٩) .

---

(٥٨) حتى : تاريخ العرب ١ : ٦٣ — ٦٥ ، ٧١ — ٧٢

(٥٩) جواد على : تاريخ العرب قبل الاسلام ٨ : ٧٦ — ٧٧ .

عثر على كتابات ثمودية فى منطقة العــلا من شــمال الحجــاز ، وخاصة فى بقعة الحجر ـ مدائن صالح ـ ، من عهد القرن الخامس قبل الميلاد ، لغتها عربية شمالية لا يفرق بينها وبين لغة الضاد الا اختلاف طفيف . وارسل بطليموس الأول (٣٢٣ ـ ٢٨٥ ق.م) أحد رجــاله ليتعرف سواحل بلاد العرب من طور سيناء حتى باب المندب ، فطاف سواحل خليج ايلة (العقبة) وســواحل الحجــاز ، وذكر قوم ثمود ومعين ، وهو أول اغريقى اشــار الى ثمود . وأدرك قوم ثمود أيام المسيح ، وعاشوا بعد الميلاد ، ووجدت جموع منهم فى نواحى العلا الى عهد غير بعيد من ظهور الاســلام . وكانت عاد وثمود تسكن فى أعــالى الحجاز ، فى دومة الجندل والحجر وغربى واحة تيماء ، فى هــذه المنطقة الجبلية المهمة التى تخترقها الطرق التجارية التى تصل ما بين اليمن والحجــاز والشــام ومصر والعراق . وكانت الحجر بصــفة خاصة ـ هذه القرية الثمودية ـ محطة تجارية ذات اهمية عظيمــة فى التجارة العالمية القديمة لأنها تقع فى مفترق تلك الطرق التجارية القادمة من اليمن وتتفرع منها طرق القوافل الى العراق والشام ومصر . لذلك كله نستطيع أن نطمئن الى وجــود علاقــات بين المصريين والثموديين فيما قبل الميلاد وبعده ولاسيما اذا عرفنا ان مجموعة النصوص الثمودية المتناثرة الآن فى المتاحف الأوربية وفى مكتبات بعض الجامعات وفى أوراق المستشرقين قد عثر عليهــا فى إماكن مختلفة من بينها شــبه جزيرة طور سيناء ومصر نفسها (٦٠) .

زهت فى شمال الجزيرة بضــع دويلات عربية كان عمرانها كعمران دول الجنوب يعتمد على التجــارة . وأقدم هذه الدويلات الشــمالية مملكة الأنباط وهى مملكة عربية لم يعرف الاخباريون العرب من امرها شيئا . والأنباط قبــائل بدوية نزحت فى مطلع القرن الســادس قبل الميلاد من شرق الأردن فنزلت أرض الادوميين ، وانتزعت منهم البتراء فيما بعد ، ثم امتدت سلطتهم من قاعدتهم البتراء الى النواحى المجاورة . وعرفت مملكة النبط فى طور سيناء باسم بترا العربيــة . وزهت البتراء فى ختام القرن الرابع قبل الميلاد ، وظلت نحو أربعمائة سنة تشغل مركزا

---

(٦٠) ولفنسون : تاريخ اللغات : ١٧٥ . حتى : تاريخ العرب ١ : ٩٠ ، ٩٤ . جواد على : تاريخ العرب قبل الاسلام ١ : ٢٤٨ ـ ٢٥٠ و ٢ : ٣٧٥ .

خطيرا على طريق القوافل الذى يقطع الصحراء واصلا بين سبأ الجنوب وبين ثغور بحر الروم . والظاهر انهم دخلوا تحت حكم البطالسة فى أوائل القرن الرابع قبل الميلاد . وقد عنى بطليموس الثانى بارسال حملة تأديبية الى الأنباط واخضاع الأدوميين والبحر الميت وشرق الأردن وذلك لضمان الحصول على التجارة الشرقية القادمة بطريق البحر الأحمر وبلاد العرب . وفى سنة ٤٧ ق.م التمس يوليوس قيصر من ملكوس الأول (مالك بن عبادة) ، ملك الأنباط العربى ، كتيبة من الخيالة لاكتساح الاسكندرية . ثم عقدت روما محالفة مع الأنباط لصد هجمات عنيفة كانت موجهة من قبائل الصحراء على الحدود الشمالية والمصرية ، وسمحوا بمقتضى هذه المحالفة باقامة حامية رومانية فى مدينة Leuke Kome (القرية البيضاء) التى كانت تابعة لهم ، كما اسهموا بألف جندى نبطى فى الحملة التى سيرتها روما سنة ٢٤ ق.م على بلاد العرب بقيادة ايليوس جالوس . ويظهر من وصف بلينوس (٢٣ — ٧٩ م) للعربية الغربية أن النبط يومئذ كانوا من أبرز سكان القسم الشمالى الغربى من الجزيرة ، اذ كانوا أصحاب تجارة يتاجرون مع مصر والشام والعراق ولهم قوافل تسير خاصة الى غزة وتدمر . وسيطر الأنباط على الحجر (مدائن صالح) فى شمال الحجاز فى القرن الأول الميلادى عندما بلغت البتراء قمة مجدها ، ودخل تحت سلطانهم مدينة ايلة الواقعة على خليج العقبة والتى كانت من المدن المهمة تقصدها القوافل من الشام ومصر وجزيرة العرب كما تقصدها السفن القادمة من سواحل مصر أو من موانى افريقيا والمحيط الهندى . ثم زالت دولة النبط عندما قضت روما على سيادتهم القومية عام ١٠٥ م وحولتها الى ايالة تابعة لروما . ثم تحول الخط التجارى عنهم (٦١) . وقد ظل جماعة من النبط يمارسون التجارة وقيادة القوافل حتى بعد فتح الرومان لبلادهم ، كما يتبين ذلك من بعض الكتابات النبطية التى عثر عليها فى طور سيناء وفى مصر ، فمنها ما هو مؤرخ بسنة ٢٦٦ بعد الميلاد . وقد تبين أن أكثر الكتابات النبطية التى عثر عليها فى الأماكن المذكورة تقع على الطرق القديمة الموصلة الى جزيرة العرب أو البحر الأحمر . وفى وجودها فى هذه الأماكن

(٦١) حتى : تاريخ العرب : ٩٦ .

دلالة على أن أصحابها كانوا اصحاب تجارة يتجرون بين مصر والـ
وموانى ساحل البحر الاحمر ولاسيما ساحل النبط المقابل
مصر (٦٢) .

كان العرب يحتكرون التجارة الشرقية القادمة بحرا عن
الجنوب — وهو أحد طرق ثلاثة رئيسية نحو البحر الأبيض المتوسـ
الذى كان يأتى من الهند الى الموانى فى جنوب بلاد العرب أو جنـ
الغربى — وكانت أهمها فى عهد البطالمة عدن وجزيرة سقطرى — و
المراكب الهندية تفرغ حمولتها فى قبضة الأعراب فقد كانوا يحر
أشد الحرص على هذه التجارة الى حد انهم كانوا لا يسمحون للمـ
الهندية بدخول بوغاز باب المندب . وكان دأب هؤلاء العرب أن يـ
حاصلات بلادهم وحاصلات افريقية الشرقية والهند ثم يرسلوهـ
ظهور الابل شمالا من مأرب الى مكة فالشام ومصر اجتنابا لأهوال ا
فى البحر الأحمر ، اما اذا اضطروا الى نقل البضائع بحرا ، أو رأو
أصلح ، فانهم كانوا اما يسلكون البحر الأحمر كله الى القناة
يتحولون ببضائعهم الى أحد فروع النيل العليا الشرقية أو يقلعون
وادى الحمامات ثم يعبرون الصحراء المصرية الى طيبة أو يقلعو
النيل الى ممفيس . وقد ظل الخط البحرى الجنوبى الى الهنـ
أيدى العرب الجنوبيين حتى القرن الأول للميلاد عندما مال نجم
الجنوب الى الأفول حين بدأ اليمنيون فى التخاذل فى الاستئثار بمـ
التجارة فى جهات البحر الأحمر والسيطرة عليها ، عندما بدأ البط
أول محاولة للنزاع مع عرب الجنوب لانتزاع السيادة البحرية منهم
أن جلسوا على اريكة مصر سنة ٣٢٣ ق.م واعادوها الى مصاف ا
العظمى . واظهر البطالمة اهتماما كبيرا بالتجارة مع الجنوب والـ
من أجل تصريف المنتجات المصرية ، وكذلك من اجل الحصول من
العرب الجنوبية وغيرها على العطور والبهار والبخور والمر والقر
والعاج والأرز والأصداف واللآلىء والأصباغ والقطن والحرير .
أشرنا منذ قليل الى اهتمام بطليموس الأول بكشف سواحل

---

(٦٢) ولفنسون : تاريخ اللغات السامية : ١٣٤ ، ١٣٥ ، ١٧٢ . حتى : ؛
العرب ١ : ٨٨ ، ٨٩ ، ٩٠ . جواد على : تاريخ العرب قبل الاسلام ٢ : ٨٤
٣٨٦ و ٣ : ٣١ — ٣٢ ، ٥٤ ، ٣١١ ، ٣١٣ .

العرب الغربية . ونضيف هنا انه استولى على جوف سورية (فلسطين ، فينيقية ، جزء من سورية) وقبرص وبعض الأقاليم الواقعة على شواطىء آسيا الصغرى الجنوبية ، وذلك لحماية حدود مصر الشرقية والحصول على المعادن والأخشاب التى يفتقر اليها وادى النيل . واشرنا كذلك الى الحملة التأديبية التى أرسلها بطليموس الثانى الى الأنباط والشعوب المجاورة لهم ، ونضيف هنا انه أمر باعادة حفر القناة القديمة بين النيل والبحر الأحمر ، وبتوسيع التجارة مع سواحل افريقية وسواحل جزيرة العرب والهند ، وبتكثير الأصناف التى كانت تستورد من المناطق الحارة . وبذلك اتخذت تجارة مصر والبلاد العربية وافريقية شكلا لم تعهده من قبل . وفى عصر البطالمة ، والرومان من بعدهم ، انشئت على سواحل البحر الأحمر مستعمرات صغيرة لايواء السفن التجارية وتقديم المساعدات الى أصحابها ، وشراء السلع من القبائل الساكنة على مقربة منها . وسرعان ما صارت هذه المستعمرات أسواقا صغيرة للبيع والشراء يبيع فيها هؤلاء التجار الأجانب ما يأتون به من تجارة من حوض البحر الأبيض المتوسط ويشترون منهم ما عندهم من مواد أولية يقبل عليها أهل مصر واليونان والرومان وسكان البحر المتوسط . وكان ميناء Leuke kome من أهم الموانى التجارية على سواحل الحجاز على عهد البطالمة ، منه تتجه السفن الى الساحل المصرى لتفرغ شحنتها هناك فتنقل اما بوساطة القوافل واما بالسفن من القناة المحفورة بين البحر الأحمر ونهر النيل لتتابع طريقها الى موانى البحر المتوسط . ولا ندرى بالطبع هل اسم Leuce Come ترجمة لمسمى عربى أو هو اسم حقيقى لذلك الميناء اطلقه عليه مؤسسوه فى زمن البطالمة أو قبيل ذلك وكانوا من اليونان . ولوجود خرائب عديدة على ساحل الحجاز ، ترجع الى ما قبل الاسلام بها آثار يونانية ورومانية لم تدرس دراسة علمية دقيقة ولم تمسها أيدى المنقبين ، لا يمكن القطع فى موضع هذا الميناء وفى اسمه الحقيقى الذى كان يعرف به . وفى خلال النصف الأول من القرن الثانى قبل الميلاد تلاشى سلطان البطالمة من بحر ايجه ، وطردوا من آسية الصغرى وسورية وفلسطين وفينيقيا ، فاتجه اهتمامهم — ولاسيما فى عهد بطليموس الثامن عند منتصف هذا القرن — الى البحر الأحمر ذاته للسيطرة على تجارة طريق الجنوب قبل بلوغها منافذ ذلك الطريق . ولم يلبث ان امتد هذا الاهتمام الى المحيط الهندى ايضا . وقد جنى بطليموس الثامن أطيب

الثمار من وراء الجهود التى بذلها لتنظيم الطريق الجنوبى وتأمينه ، ومما ساعده على ذلك انهيار مملكة سبأ عام ١١٥ ق.م . وجاءت أساطيل البطالمة التجارية ، التى لا يستبعد انهم استخدموا فيها خبراء من العرب عركوا البحر وعرفوه قبلهم بعصور ، الى البحر الذى يفصل بين مصر والجزيرة العربية والذى كان يعرف باسم « الخليج العربى Sinus Arabicus » فأدى ذلك الى اندحار زعامة الجنوب العربى التجارية . وفى الحقبة الأخيرة من عصر البطالمة كشف أحدهم أسرار الخطوط التجارية ، وتبدلات رياح السموم الدورية فيها ، وعرف الخط المباشر الى الهند ، فكسر احتكار العرب لنقل البضائع وتحكمهم فى الأسعار . ولكن ذلك الكشف الخطير لم يستعمل الا بعد أن فتحت روما مصر وانتزعتها من البطالمة حوالى منتصف القرن الأول قبل الميلاد ، وحذت حذوهم فى مزاحمة العرب فى البحر ، وبذلت جهدها لتحرير مصر من الاتكال التجارى على اليمن ، فدخلت السفن الرومانية المحيط الهندى ، وكان ذلك نذير الموت لحياة اليسر والرخاء فى بلدان الجزيرة الجنوبية (٦٣) .

قامت بين المصريين والعرب فى أيام البطالمة علاقات تجارية نشيطة وثيقة هيأت بلاشك فرصا واسعة لتبادل الصلات المختلفة فيما بينهم . وزادت هذه الفرص عددا وعمقا فى المستعمرات التجارية ، وأبرز مثال لها مستعمرة « المدينة البيضاء » . وتدل النصوص المعينية التى كشفت فى الجيزة وغيرها على أن هذه العلاقات ظلت قائمة بالرغم من نشوب الصراع بين البطالمة والعرب على سيادة البحر . وبديهى أن تلك الصلات الاقتصادية قد انعكست فى الصلات الثقافية ، فالقرائن تشير الى أن العناصر الأجنبية المختلفة التى استقرت فى مصر — ومن بينها العرب — قد أحضرت معها عباداتها وآلهتها كما فعل الاغريق واليهود ، وأنها قد تمتعت جميعها بحريتها الدينية فى ظل ذلك التسامح الدينى الذى كان احدى الدعائم الأساسية التى اقام عليها البطالمة سياستهم الدينية (٦٤) . وانتبه المؤرخ ديودور الصقلى الى

---

(٦٣) حتى : تاريخ العرب ١ : ٧٦ — ٧٧ ، ٧٨ — ٧٩ . جواد على : تاريخ العرب قبل الاسلام ٢ : ٢٨٦ ، ٣٧٦ ، ٣٧٨ — ٣٨٠ ، ٣٨٢ و ٨ : ٨٢ . ابراهيم نصحى : تاريخ الحضارة المصرية (العصر اليونانى والرومانى) : ٨ — ٩ ، ٤٥ ، ٤٦ .

(٦٤) ابراهيم نصحى : تاريخ الحضارة المصرية (العصر اليونانى والرومانى) : ٣٦ .

هذه الظـاهرة عندما زار مصر فى القرن الأخير قبل الميلاد ، فقد ذكر كيف أن فريقا من المؤرخين يجـاهر بأن قبرى الالهين ايزيس واوزيريس يوجدان فى « نيسا » من بلاد العرب ــ هنا دعى ديونيسوس اله الخمر « نيسـايوس » ــ وانه قد أقيم هناك لكل من هذين الالهين نصب نقشت عليه كتابات بالحروف المقدسـة . وينبغى أن ننتبـه الى مفهوم بلاد العرب عند هذا المؤرخ ، فان معظم ما ذكره عنها يكاد ينحصر فى الأقسام الساحلية الغربية منها ، ولا تعنى كلمـة Arabia عنده جزيرة العرب وحدها بل تشـمل أيضا المنطقة الواقعة بين سورية ومصر ، وتشـمل كذلك الأرضين الشرقية من مصر المطلة على البحر الأحمر والمتصـلة بأرض Troglodytiea وهى امتداد الساحل الافريقى على هـذا البحر وكانت مأهولة بالعرب فى أيام هـذا المؤلف وقبله بقرون عـديدة ولاشك (٦٥) . كما أشار الجغرافى والمؤرخ اليونانى سترابون المعاصر لديودور ، والمتوفى حوالى الميـلاد أو بعد ذلك بقليل ، الى الظـاهرة نفسها حين سجل فى كتابه مجموعة من الأقاصيص التى يرويها المصريون فى زمانه عن وجود تمثال لايزيس فى بلاد العرب وذهاب الاله أوزيريس الى مدينة نيسا من مدن « العربية السعيدة » حيث تعلم زراعة الكروم منها وحيث شرب النبيذ . ومن المهم أن نعرف أن سترابون ذكر أن العرب كانوا يسكنون على الطرف الثانى من الخليج العربى ، أى البحر الأحمر ، ما بين مصر والحبشة ، على الساحل المسمى Troglodytiea ساحل سكان الكهوف ، ولذلك ميزوا عن غيرهم من العرب باسم سكان ساحل الـ Troglodytiea أى العرب سكان الكهوف (٦٦) .

واستمرت العلاقات بين العرب والمصريين قائمـة بعد انتهاء عهد البطالمة وانتقال مصر الى قبضة الرومان . وقد ذكرنا من قبل كيف أن الملك النبطى مالى بن عبـادة أعان يوليوس قيصر بكتيبة من الفرسـان العرب على فتح الاسكندرية سنة ٤٧ق.م ، وكيف واصـل الرومان سياسة أسلافهم البطالمة فى مزاحمة العرب فى البحر ، فبذلوا جهودهم لتحرير مصر من الاتكال التجـارى على اليمن ووضعوا لأول مرة موضع التنفيذ الكشف الذى تم فى أواخر عهد البطالمة عن أسرار خطوط الملاحة

---

(٦٥) ديودور فى مصر (ترجمة وهيب كامل) : ٥٦ ــ ٥٧ . جواد على : تاريخ العرب قبل الاسلام ٢ : ٤٠٣ ــ ٤٠٤ .

(٦٦) جواد على : تاريخ العرب قبل الاسلام ٢ : ٤٠٤ .

فى المياه الجنوبيـــة ، فدخلت سفنهم المحيط الهندى وكان ذلك ايذانا بانتهاء العصر الذهبى لعرب الجنوب .

ولمـا استولى اغسطس على مصر وجعلها تابعة لحكم قياصرة روما طهر القناة التى تربط بين النيل والبحر الأحمر ،وعنى بالتجـارة البحرية ومياه البحر الأحمر التى غصت بقرصـــان البحر . وأوعز الى حاكم مصر ، ايليوس جالوس ، بغزو جزيرة العرب للاستيلاء عليهـا وعلى ثروتها العظيمة التى اشـتهرت بها من الاتجار بالمر واللبـــان والبخور والافاويه ، وكذلك بفرض الاستيلاء على طرق النقل التى احتكرهـا عرب الجنوب واستغلال مرافق اليمن ومواردها لمصلحة روما ، وتأمين سلامة تجـارة مصر مع أواسط افريقية والهند . ومن الواضح أن هذه الحملة التى أقلعت من الســويس سنة ٢٤ق.م ، والتى كان قوامها عشرة آلاف جنـدى جمعوا من مصر من المصريين والرومـــانيين ومن حلفائهم ــ وبينهم الف نبطى وخمسمائة يهودى ــ والتى كان دليلهـا قائدا من الأنباط ، والتى أمضت شهورا تتوغل فى بلاد العرب نحو الجنوب حتى احتلت نجران وبلغت حدا بعيدا فى الجنوب الشرقى .. نقول ان من الواضح أن هــذه الحملة تمثل واحدة من الفرص الكثيرة الهامة لاتصـــال المصريين بالعرب . ويعزو سترابو ، مؤرخ هذه الحملة وصديق قائدها جالوس ، اخفاق هذه الحملة التى كانت أول بل آخر غارة ذات بال قصــدت بها دولة أوروبية اكتساح داخل الجزيرة ، الى تضليل دليلها النبطى لها وخيانته اياها (٦٧) .

وكان ميناء Arabia Eudaemon ، أى عدن ، وهو الميــناء المهم الذى اشتهر وعرف فى بلاد العرب ومايزال يحـــافظ على مركزه وأهميته عسكريا واقتصاديا ، موضعا هاما لاتصـــال العرب والمصريين . ذلك بانه كان مركزا لتبادل السلع الافريقية والهندية والمصرية ، ومكانا تبحر منه السفن الى الهند كما تلجـأ اليه السفن الواردة من تلك البلاد . وقد أقام الرومان فى هــذا الميناء حامية لحماية التجار الداخلين الى البحر الأحمر من مصر ، ذلك بانه فى عهد الامبراطور الرومانى كلاوديوس

---

(٦٧) حتى : تاريخ العرب ١ : ٥٨ ــ ٥٩ . جواد على : تاريخ العرب قبل الاسلام ٢ : ٣٨٤ . وفى الصفحات ٣٨٥ ــ ٣٦٨ وصف سترابون الكامل لهذه الحملة . ابراهيم نصحى : تاريخ الحضارة المصرية (العصر اليونانى والرومانى) : ١١٤ .

(٤١ ــ ٥٤ م) نشطت تجارة الاسكندرية مع الهند نشاطا كبيرا نتيجة للعناية التى أولاها الرومان لتأمين الملاحة فى البحر الأحمر بقطع دابر القراصنة ونشر نفوذهم فى تلك الأصقاع . ويقال انه حوالى ذلك الوقت استولى الرومان على عدن ، وان ذلك كان احدى الخطوات التى اقتضاها تأمين التجارة مع الهند ازاء ازدياد قوة مملكة اكسوم منذ منتصف القرن الأول الميلادى التى كانت تحاول الحصول على قاعدة لها فى جنوب بلاد العرب ، وكان ذلك يمكنهم من قطع الطريق البحرى مع الشرق ، ولكن الرومان قضوا على هذه المحاولة ببسط حمايتهم على مملكة الحميريين والاستيلاء على عدن وجزيرة سقطرى (٦٨) .

وقد أشرنا الى ما كان عليه النبط من صلات تجارية بالمصريين فى القرن الأول للميلاد أيام بلينيوس صاحب كتاب التاريخ الطبيعى (ت ٧٩ م) وكيف كانت مدينة أيلة Aelana الخاضعة لهم ملتقى هاما لتجارة الشام ومصر وجزيرة العرب وافريقية والمحيط الهندى .

وتيسيرا للاتصال بالبحر الأحمر أمر تراجان (٩٨ ــ ١١٧ م) بحفر قناة تربط النيل بهذا البحر ، وكانت تخرج من النيل عند بابليون ، وتمر بهليوبوليس ، وتلتقى بمجرى القناة القديمة التى حفرها بطليموس الثانى قبل دخولها وادى طميلات (٦٩) .

رأينا فيما مر كيف قامت الصلات بين مصر وبين الدول العربية فى شمال الجزيرة وجنوبها . ولكن لعلها لم تتصل بأى من هذه الدول بأقوى ولا أعجب ما اتصلت بمملكة تدمر ، أو بالميرا ، تلك الدولة العربية التى خلقتها خطوط القوافل التجارية عند واحة بأواسط بادية الشام ، اذ حباها مركزها الجغرافى وما فيها من المياه النقية المعدنية فائدة المحافظة على طريق الأموال المتنقلة بين الشرق والغرب فضلا عن انها كانت على طريق التجارة بين الجنوب والشمال . ولم تلبث تدمر حتى أصبحت عقدة من العقد الخطيرة فى العمود الفقرى لعالم التجارة بعد الميلاد ، وصار لأسواقها من الشهرة فى العالم القديم ما جعلها قبلة

---

(٦٨) جواد على : تاريخ العرب قبل الاسلام ٨ : ٩٨ . ابراهيم نصحى : تاريخ الحضارة المصرية (العصر اليونانى والرومانى) : ١١٨ .

(٦٩) ابراهيم نصحى : تاريخ الحضارة المصرية (العصر اليونانى والرومانى) : ١٢٠ .

التجار بين الهند والفرس والعراق وسورية وفلسطين ومصر وأوروبا ، ذلك بأنها كانت على اتصال بأسواق العراق وما يتصل بالعراق من أسواق في ايران والهند والخليج والعربية الشرقية ، كما كانت على اتصال بأسواق حوض البحر المتوسط ولاسيما ديار الشام ومصر ، كما كانت على اتصال وثيق بالعربية الغربية وبأسواقها الغنية بأموال افريقية . وهكذا اصبحت هذه القاعدة الصحراوية ملتقى جميع القوافل ، وتبوأت طوال القرنين الثاني والثالث للميلاد أعلى مراتب الثروة والجاه بين مدائن الشرق ، ووصلت الى أوج عزها بين سنة ١٣٠ و ٢٧٠ م ، وبلغت صلاتها التجارية شرقا حتى الصين ، وأصبحت الوارث الحقيقي للبتراء . على أن صلات مصر بتدمر لم تقتصر على هذا الجانب التجاري الاقتصادي ، فقد استطاع اذينة حاكم تدمر أن ينال تقدير روما بفضل بلائه في الصراع ضد أعدائها الفرس ، فأنعم عليه بلقب امبراطور فخري ، وعين قائدا لجيوش روما في الشرق وبذلك تمت له السيادة على آسيا الصغرى والقطر المصري بصورة اسمية . ولما اغتيل اذينة (٢٦٥ م) آل الملك من بعده الى زنوبيا (وفي العربية الزباء أو زينب) زوجته الجميلة الطموح وصية على العرش ريثما يبلغ ابنها القاصر وهب اللات سن الرشد . عقدت زنوبيا عزمها — وكان كعزم الرجال — على توسيع ملكها بضم مصر وآسيا الصغرى الى سلطانها . وتنسب الروايات اليها انها ادعت أنها من مصر وانها من نسل كليوباترة الملكة المصرية ، وأنها كانت تتكلم المصرية بطلاقة ، بل أنها الفت في تاريخ مصر . وربما كان من أسباب هذا الادعاء — اذا صح — رغبتها في كسب ود المصريين فيسهل عليها تحقيق مشروعها الخطير في الاستيلاء على مصر . ومن المؤرخين من زعم فعلا إنها مصرية . وقد أثنى عليها المؤرخ تريبليوس بوليو ، وذكر أنها كانت تتكلم اليونانية ، وتحسن اللاتينية ، وتتقن المصرية وتتحدث بها بكل طلاقة . وأيا كان الأمر فانه في سنة ٢٦٨ م قتل الامبراطور الروماني جاليانوس ، وهاجم الألمان حدود الامبراطورية ، وخرج عامل مصر الروماني على رأس أسطول الاسكندرية الى عرض البحر لمطاردة القرصان ، وانتهز الوطنيون اليونانيون المعارضون لحكم الرومان الفرصة فكتبوا الى الزباء يحثونها على تحرير مصر من حكم روما ، وأبدى رجل من أثرياء سلوقية الشام استعداده لمساعدتها بالمال وبكل ما ينبغي اذا أرادت فتح مصر . فأمرت الزباء قائدها « زبدا » بالتحرك الى مصر على رأس سبعين الف

رجل . وأفلح ذلك الجيش العربي فى فتح مصر ، ثم تركها بعد أن خلف فيها حامية صغيرة من خمسة آلاف جندى . ولكن عامل مصر الرومانى عاد الى مصر وحارب التدمريين ، فرجع الجيش التدمرى الى مصر وهزم الرومان عند بابلون (الفسطاط فيما بعد) . واستولت الزباء على مصر (٢٦٩ — ٢٧٠ م) . ولما كان الامبراطور مشغولا فى أمر القوط والألمان وغيرهم فانه لم يستطع أن يفعل شيئا تجاه الزباء ، فاتفق معها بشأن مصر . كما أن الزباء لم تشأ أن تستقل بمصر بل اعترفت بسلطان روما . ثم توفى الامبراطور سنة ٢٧٠م ، وقرر خلفه القضاء على حكم الزباء بعد الانتهاء من فتنة روما وتأديب الجرمان . وقررت الزباء القيام بعمل سريع ، فالغت اتفاقيتها مع الرومان ، وضربت النقود خالية من صورة رأس الامبراطور ، ونودى بابنها القاصر ملكا على مصر ، ولقبت هى وابنها فى مصر بلقب أغسطس . ثم سحبت القسم الأعظم من جيشها المعسكر فى مصر لتشترك فى مهاجمة الامبراطورية الرومانية ، فانتهز الرومان الفرصة وهاجموا التدمريين وهزموهم . وكانت هذه أول نكبة عظيمة تنزل بالزباء . ومنذ ٢٩ اغسطس من سنة ٢٧١ م انقطع فى الاسكندرية ضرب النقود التى تحمل صورة الزباء ووهب اللات . ولكن تدمر لم تلبث حتى ثارت ومن بعدها الاسكندرية لارتباط البلدين بصلات تجارية وثيقة ، فعاد الامبراطور الرومانى أورليانوس الى الشرق وقضى على الفتنة فيهما . ان قصة تدمر مع مصر ذات دلالة عميقة وهامة على وحدة المشاعر والمصالح بين المصريين والعرب منذ القدم (٧٠) .

ظل ميناء مخا Muza على ساحل اليمن على البحر الاحمر هو أهم ميناء على هذا الساحل . وكان مقصودا تصل اليه السفن البيزنطية والسفن الواردة من مصر تتزود ببضائع البلاد العربية أو تبيع فيه ما استوردته من مصر وسواحل البحر الأبيض . وكان بهذا الميناء جاليات من اليونان أو من غيرهم مقيمة هناك للاتجار والتعامل مع الوطنيين (٧١) .

---

(٧٠) ولفنسون : تاريخ اللغات الاسلامية : ١٢٧ ، ١٣٣ . حتى : تاريخ العرب ١ : ٩٧ — ١٠٠ . جواد على : تاريخ العرب قبل الاسلام ٣ : ٧٦ ، ١٠٣ ، ١٠٤ ، ١٠٥ ، ١٠٦ — ١٠٧ ، ١١٥ ، ١١٦ . ابراهيم نصحى : تاريخ الحضارة المصرية (العصر اليونانى والرومانى) : ١٢٣ .

(٧١) جواد على : تاريخ العرب قبل الاسلام ٨ : ٩٧ .

ظلت مصر هى الطريق الذى يتوسط الشرق الأقصى والغرب . وكانت السفن تأتى من الصين والهند مارة بباب المندب محملة بالأفاويه والأخشاب والحرائر والأوانى الخزفية ، فتخترق البحر الأحمر ثم ترسو فى الموانى البيزنطية التى ورثتها بيزنطة عن البطالمة . وكان أكثر البضائع يفرغ فى منطقة القصير ، ومن ثم تحملها القوافل الى قفط ، ومنها تشحن فى مراكب تقطع المسافة بين قفط والاسكندرية فى اثنى عشر يوما . غير أن هذا الوضع لم يستمر ، فبعد ان كانت التجارة مزدهرة فى مصر فى العصر الرومانى أخذت تتعثر فى العصر البيزنطى ، لأن موانى البحر الأحمر ما فتئت أهميتها تتضاءل حتى لم يبق على البحر الا ميناء القلزم ، وذلك بسبب منافسة الفرس الشديدة التى أفضت الى تحويل جانب كبير من التجارة الشرقية الى الخليج الفارسى (٧٢) .

كان لمصر مكانة رفيعة بين دول العالم فى نواحى الحياة كلها مجتمعة ابان عهود الفراعنة ، وكانت المعبودات المصرية فى دلالتها تنم عن فكر سام رفيع اذا قيست بمعبودات الشعوب الأخرى . بل استعارت البلاد الأخرى أحيانا المعبودات المصرية لعبادتها . وقد أشرنا الى ما ذكره المؤرخون الكلاسيكيون من انتقال آلهة مصر الى بلاد العرب بصفة خاصة تمظهر للصلات القديمة بين الوثنية المصرية والوثنية العربية ، ونضيف أن الآلهة المشهورة التى ورد ذكرها فى القرآن وهى : اللات والعزى ومناة ، بل غيرها أيضا ، يمكن رد أصلها الى نظائر من آلهة مصر اسمها شبيه بالاسم العربى ، ووصفها شبيه بوصف مصر لتلك الآلهة وعملها ، فاسمها ورسمها مصريان . فاللات — مثلا — هى معبودة مصرية ، اسمها المصرى شبيه بالاسم العربى ، ويرمز بها فى مصر الى الحصاد ، حين يذكر فى العربية ان هذا الاسم مشتق من لت السويق المتخذ من الحنطة والشعير (٧٣) .

فلما دخلت المسيحية مصر وانتشرت بها غدا للكنيسة المصرية نفس المركز الدينى الرفيع بين كنائس العالم . وساعد على ذلك

---

(٧٢) مراد كامل : تاريخ الحضارة المصرية (العصر اليونانى والرومانى) : ٢٠٦ — ٢٠٧ .

(٧٣) مراد كامل : تاريخ الحضارة المصرية (العصر اليونانى والرومانى) : ٢٤٨ . أمين الخولى : المصدر نفسه (العصر الإسلامى) : ٥٣٧ — ٥٣٨ .

ما عرف عن علماء مصر من تعمق فى معارفهم وعلومهم . وأصبح للاسكندرية الزعامة الدينية فى الشرق المسيحى بما فيه بلاد العرب . ففى سنة ١٩٠ م سافر بنتينوس ، مدير مدرسة الاسكندرية اللاهوتية ، فى بعثة تبشيرية الى الهند بناء على طلب الهنود أنفسهم . وكانت رحلته موفقة . وفى رجوعه من الهند عرج فى زيارة تبشيرية كذلك على الحبشة وبلاد العرب (٧٤) .

ولم يقتصر نشاط أوريجانوس ، مدير مدرسة الاسكندرية كذلك (ت ٢٥٣ م) ،على التعليم والتأليف فى هذه المدرسة ، بل امتد الى التبشير ، فسافر الى روما والى بلاد العرب للقضاء على بعض البدع فيها . ويؤكد المؤرخ الألمانى هرناك زيارة أوريجانوس للبلاد العربية وقيادته لمجمع دينى فى بصرى (٧٥) .

ويقول مؤرخو الكنيسة المسيحية ان الرهبنة نقلت من مصر الى بلاد العرب والشام . ويذكرون من بين الرهبان الذين كان لهم أثر واضح فى نشر المسيحية ببلاد العرب الراهب هيلاريون ، او القديس ايلارى الكبير ، الذى جاء من فلسطين فدرس الفلسفة فى مدرسة الاسكندرية ، ثم تتلمذ للقديس انطونيوس (ت ٣٥٦ م) ، أحد مؤسسى الرهبنة المصرية . فلما رجع الى فلسطين اسس الأديرة على النمط المصرى مستعينا ببعض الرهبان المصريين وقد ابتدأ فى برارى غزة فأجابه نحو ثلاثة آلاف رجل فرقهم فى سورية وفلسطين وبلاد العرب فنشروا الرهبنة بها (٧٦) .

وفى سنة ٣٤٥ م اسس أحد المبشرين كنيسة فى عدن . وربما كان ذلك بتأثير الجاليات اليونانية والرومانية أو القبطية النصرانية فى هذا الميناء (٧٧) .

كذلك يتحدث مؤرخو المسيحية عن الناسك موسى المصرى الذى عين اسقفا لمسيحيى العرب سنة ٣٧٢ م . وذهب بعضهم الى أن نسطور

---

(٧٤) مراد كامل : تاريخ الحضارة المصرية (العصر اليونانى والرومانى) : ٢٣٩ ، ٢٤٨ .

(٧٥) المصدر نفسه : ٢٤١ ، ٣١٣ .

(٧٦) محمد كامل حسين : ادب مصر الاسلامية : ١٥ . مراد كامل : تاريخ الحضارة المصرية (العصر اليونانى والرومانى) : ٣١٢ .

(٧٧) جواد على : تاريخ العرب قبل الاسلام ٨: ٩٨ — ٩٩ .

صاحب المذهب النسطورى نفاه الامبراطور ثيودوسيس الثانى الى بترا عاصمة بلاد النبط ، ثم نقله الى مصر ، ولكنه استطاع أن يهرب فى صحراء طيبة ومنها الى بلاد العرب سنة ٤٤٠ م . وقيل ان مذهبه انتشر فى مصر وبلاد العرب ولاسيما بعد الاضطهاد الذى لحق بأتباعه (٧٨) .

عاش فى الاسكندرية فى عصر الامبراطور يوستنيانوس (٥١٨ — ٥٦٥ م) تاجر محب للأسفار ، جرىء على المخاطر ، يدعى كزماس (قزمان) ، واصبح يعرف « بالبحار الهندى » لأنه قام بسياحات علمية طويلة حول بلاد العرب والهند ، وزار اثيوبيا والساحل الشرقى لافريقية حتى وصل الى زنجبار . وقد دفعه الى ذلك حبه للأسفار والاطلاع على مجاهل البلاد أكثر مما دفعه حب المال والربح . وأدت هذه الرحلات الى زيادة معرفة الناس بالبلاد الشرقية . وقد عكف كزماس فى منتصف القرن السادس على كتابة ملاحظاته القيمة فى كتاب سماه « الطبوغرافية المسيحية » . وله مؤلفات أخرى تحدث فيها عن البلاد التى زارها ولكنها فقدت ولم يبق منها الا مقتطفات قليلة متفرقة (٧٩) .

فى سنة ٥٦٥ م توجه انطونيوس الشهيد من مصر الى الأماكن المقدسة للحج عن طريق البر ، فراى صنما عظيما للعرب يتعبدون له ويقيمون عيدا فى جبل هريب ، كما رأى القبائل المغيرة وهى تضرب فى الصحراء بقرب « فرا » التى قد تكون الفرما (٨٠) . ويلفت النظر ان يظل هؤلاء العرب المتاخمون لمصر المسيحية محتفظين بوثنيتهم حتى أواسط القرن السادس الميلادى بالرغم من انهم كانوا يكثرون التردد على الجزء الشرقى من الدلتا القريب من بلادهم الشبيه بها حتى خلعوا اسمهم عليه ، فأصبح يعرف فى العصر القبطى بهذه الاسماء المتكافئة : Tapabia, apibikoy, apabi, apibia وهذه الاسماء كلها تقابل الاسم الحالى « فاقوس » (٨١) .

---

(٧٨) بتلر : فتح العرب لمصر : ٩١ . محمد كامل حسين : أدب مصر الاسلامية : ١٥ . مراد كامل : تاريخ الحضارة المصرية (العصر اليونانى والرومانى) : ٢٠٧ .

(٧٩) بتلر : فتح العرب لمصر : ٩١ . محمد كامل حسين : أدب مصر الاسلامية : ١٥ . مراد كامل : تاريخ الحضارة المصرية (العصر اليونانى والرومانى) : ١٧ .

(٨٠) بتلر : فتح العرب لمصر : ١٨٩ هامش .

(١٧) E. Amélineau : La Géographie de l'Egypte à l'Epoque Copte, P. 483.

وعاش المصريون فى الحجاز ، بل فى مدينتيه الكبيرتين مكة ويثرب نفسهما . ففى سيرة ابن هشام وفى « أخبار مكة » للأزرقى أن الكعبة طغى عليها قبيل ظهور الاسلام ، أو على وجه التحديد قبل بعثة النبى بخمس سنوات (٦٠٦ م) ، سيل عظيم صدع جدرانها ، فأعادت قريش بناءها مستعينة فى ذلك بنجار قبطى كان يسكن مكة ، ويقول شراح السيرة ان اسمه باقوم (٨٢) . وجاء فى كتب الطبقات أن جبر بن عبد الله القبطى كان أحد الصحابة الذين أخذوا عن النبى دينهم . ولذلك يفخر قبط مصر به . وقد كان رسول المقوقس الى النبى بمارية والهدية . ثم والى غفارا ، واختط قصرا بمصر . وتوفى سنة ٦٣ هـ (٨٣) .

وربما كانت آخر هجرة عربية الى مصر قبل ظهور الاسلام تلك التى قامت بها بعض بطون خزاعة ، فيما يقول صاحب الأغانى ، حين خرجوا فى الجاهلية الى مصر والشام لأن بلادهم أجدبت (٨٤) .

وفى سنة ٦١٠ م كان يعيش فى الاسكندرية كثير من العرب الى جانب غيرهم من الاغريق والقبط والسوريين واليهود الأمر الذى كان يجعل العاصمة المصرية من أشق بلدان العالم حكما (٨٥) .

ويؤكد شارب ان الجنود التى فتح بها كسرى مصر آخر سنة ٦١٨م وملكها بهم كان بعضهم من أهل الشام وبعضهم من العرب ، وكان هؤلاء يمتون الى الفلاح المصرى بصلات الدم والود . والى هذه العلاقة بين العرب وبين الشعب المصرى يعزو شارب ميل البلاد كلها الى التسليم للفرس بعد هزيمة الروم ، ولكن هذا السبب عينه هو الذى أضعف الفرس وسبب لهم خسارة ما فتحوه سريعا ، وذلك عندما تمرد عليهم العرب (٨٦) .

---

(٨٢) محمد كامل حسين : ادب مصر الاسلامية : ١٦ . مراد كامل : تاريخ الحضارة المصرية (العصر اليوناني والروماني) : ٢٤٧ .

(٨٣) ابن عبد الحكم : فتوح مصر : ١٠٩ . السمعانى : الانساب : ٤٤١ ب . السيوطى : حسن المحاضرة ١ : ٧٩ .

(٨٤) محمد كامل حسين : ادب مصر الاسلامية : ١٦ .

(٨٥) بتلر : فتح العرب لمصر : ٤٠ .

(٨٦) بتلر : فتح العرب لمصر : ٧٣ هامش رقم ١ .

وكان عمرو بن العاص ، الذى قدر له أن يقود الجيش العربى الذى فتح مصر سنة ٢٠ هـ ، تاجرا فى الجاهلية ، وكان يختلف بتجارته ــ وهى الأدم (الجلد) والعطر ــ الى مصر ، وكان يشهد أعياد أهل الاسكندرية والعابهم (٨٧) .

ولما بعث النبى أرسل رسولا الى المقوقس عظيم القبط فى مصر يدعوه الى الاسلام ، فأكرم المقوقس الرسول ، وأرسل معه هدية الى النبى تقبلها شاكرا (٨٨) .

وبعد أن تم لعمر فتح الشام ، وقبل أن يفتح العرب مصر ، انتقل بعض متنصرة غسان برئاسة أبى ثور بن عامر بن صعصعة الى مصر فأقطعهم حاكم مصر منطقة تنيس . ووهم المسعودى حين جعلهم عشرين ألف رجل ، فى حين قارب بتلر الصواب حين انقصهم الى ألفين فقط . وكان أبو ثور يحكم تنيس حين سار اليها المسلمون بعد أن فرغوا من فتح دمياط ، فبرز اليهم فى نحو عشرين ألفا من العرب المتنصرة الذين هاجر بهم من الشام والقبط والروم . وكان بينهم وبين العرب حروب آلت الى وقوع أبى ثور فى أيدى المسلمين ، وانهزام أصحابه ، واستسلام تنيس وتحول كنيستها الى جامع (٨٩) .

ويروى ابن عبد الحكم خبرا عليه مسحة أخبار الملاحم يؤخذ منه أن قوما من لخم كانوا وقت مسير عمرو الى مصر يقيمون على تخومها ، وانهم كانوا يعرفون لغة القبط (٩٠) . ومن خبر له آخر يؤخذ أن العرب كانوا يشكلون جانبا من القوات الرومانية فى حصن بابليون أيام الحصار (٩١) .

وكان العرب يحسون احساسا واضحا بما بينهم وبين المصريين من صلة دموية وقرابة جنسية تتمثل فى امومة هاجر المصرية التى اهداها

(٨٧) ابن عبد الحكم : فتوح مصر : ٥٥ ؛ الكندى : الولاة : ٧ .
(٨٨) ابن عبد الحكم : فتوح مصر : ٤٥ ــ ٤٧ .
(٨٩) المقريزى : الخطط ١ : ١٧٧ . محمد كامل حسين : ادب مصر الاسلامية : ١٧ .
(٩٠) ابن عبد الحكم : فتوح مصر : ٥٩ .
(٩١) المصدر نفسه : ٦٢ .

صاحب مصر الى ابراهيم النبى حين دخل مصر مع زوجته سارة للعرب المستعربة ، وخئولة المصريين لابراهيم ابن النبى من مارية القبطية . وبرا بهذه الرحم اوصى النبى بالقبط خيرا (٩٢) .

ويدخل فى هذا ما ينسب الى عبد الله بن عمرو بن العاص من انه قال : « أهل مصر اكرم الأعاجم كلها ، واسمحهم يدا ، وافضلهم عنصرا ، واقربهم رحما بالعرب عامة وبقريش خاصة » (٩٣) .

أما بعد — فهكذا نفرغ من عرض أهم وابرز العلاقات بين العرب والمصريين عبر العصور المختلفة . وبتتبع هذه العلاقات لا نملك انفسنا من الاحساس الشديد ، ان لم يكن الاقتناع القوى ، باننا ازاء ظاهرة بعينها واضحة ثابتة دائمة ، تلك هى انه منذ اقدم ما يستطيع التاريخ أن يعى، والى أبعد ما استطاع البحث أن يصل ، قامت بين المصريين سكان وادى النيل وبين العرب سكان شبه الجزيرة صلات قوية هامة متنوعة ، وان هذه الصلات لم تزل منذ قامت مستمرة لا تتوقف ، متصلة لا تنقطع ، مثلها مثل سلسلة طويلة تؤدى كل حلقة منها الى التى تليها فى اطراد دائب ، وتتابع مستمر .

اذا القينا نظرة عامة الى هذه العلاقات فى صورتها الكلية ، بعد ان قد رأينا اليها فى تفصيلاتها الجزئية ، ظهر على الفور انها اتخذت على مر العصور اتجاهات معينة ، ففى العصر الفرعونى الذى دام حوالى تسعة وعشرين قرنا كانت غارات العرب الذين يعيشون فى صحراء مصر الشرقية وفى شبه جزيرة سيناء وفى الشمال الغربى لبلاد العرب لا تنقطع على مصر ، فهم لا ينفكون يهربون من صحرائهم القاحلة القاسية الى ارض مصر الخضراء ، والمصريون لا يتوانون عن طردهم وتأديبهم ، وكأنهم فى لعبة أو مباراة لا تنتهى ، يهجم البدو على مصر فيطردهم المصريون ، ولكنهم يعودون فيهجمون ، وهكذا دون أن يمل البدو الهجوم أو يمل المصريون رد الهجوم . ولما ضاق المصريون ذرعا بالأمر اقاموا حاجزا صناعيا عند خليج السويس ، اطلقوا عليه اسم

---

(٩٢) ابن عبد الحكم : فتوح مصر : ٣٥٢ ؛ أمين الخولى : تاريخ الحضارة المصرية (العصر الاسلامى) ج ٥٣٧ .

(٩٣) ابن عبد الحكم : فتوح مصر : ٥ .

« سور الحاكم » ، لعله يحول بين البدو وبين دخول مصر ، ولكن دون جدوى ، كما لو كان الأمر ظاهرة طبيعية كفيضان النيل أو فصول السنة لامفر منها ولا حيلة معها ، بحيث لا نكاد نجد عهدا من عهود هذا العصر الفرعونى — على طوله البالغ — ولا أسرة من أسراته ، ولا حاكما من حكامه لم يشغله هؤلاء « العامو » أو « الشاسو » كما كانوا يسمونهم . ومن الحق ان هـذه الغارات تبدو اقرب الى أن تكون هجرات صغيرة جزئية تنطلق من الصحراء الى مصر بين الحين والحين . وكان يحدث ان تزداد كثافة الهجرة ، ويغزر تدفق البدو على مصر بشكل ملحوظ على نحو ما حدث فى عصر الاقطاع عندما استغل البدو ضعف البلاد فملئوا الدلتا واقاموا بها حتى اجلاهم أمراء أهناسية الأقوياء ، وفى عصر الدولة الحديثة أيام سيتى الأول وابنه رعمسيس الثانى عندما تدفق العرب وغيرهم من الأجانب فملئوا وادى طميلات والمدن المصرية . وكان يحدث ان تنقلب الهجرة الى غزو حقيقى يسيطر فيه الغزاة على البلاد على نحو ما فعل العرب قبيل عصر الأسرات والهكسوس فى اواخر الدولة الوسطى . وهكذا كانت تلك الصلة بين العرب والمصريين نوعا من الصراع الحتمى بين الصحراء والحقل ، وبين الجدب والخصب ، بين الفقر والغنى . ولما كان شبه جزيرة سيناء غنيا بالنحاس والفيروز الى جانب كونه من أهم مراكز الهجرة الى مصر والاغارة عليها فقد اشتد الصراع هناك لوقف الغارات من جهة والتمكن من استغلال المناجم من جهة اخرى .

غير أن العلاقات المصرية العربية فىالعصر الفرعونى كان لها — غير ذلك الجانب الحربى العنيف — جانب مدنى سلمى يتمثل فى الصلات التجارية الاقتصادية التى نشأت منذ عهد مبكر نسبيا بين مصر وبين بلاد بونت أى جنوب بلاد العرب . وبديهى أنه كان من المستحيل أن تقوم كل تلك العلاقات وتستمر كل تلك القرون دون أن يكون لها أثر فى أحد الجانبين على الأقل . وقد مر بنا كيف نقل الآسيويون آلهتهم الى مصر ، وكيف أثرت لغاتهم السامية فى اللغة المصرية القديمة ، وكيف استمر نفوذ الهكسوس الثقافى ممتدا بعد زوال نفوذهم السياسى . بل — من يدرى — لعل اختلاط هؤلاء العرب وغيرهم الدائم بالمصريين ، وامتزاجهم الدموى بهم عن طريق التزاوج ، كان عاملا من عوامل تجدد دماء المصريين وتجديد حيويتهم وبالتالى عاملا من عوامل احتفاظهم بالبقاء وعدم تسرب الشيخوخة اليهم كجنس أو أمة أو شعب .

اذا كانت العلاقات المصرية العربيـة فى العصرالفرعونى قد اتخذت فى معظمها طابعا حربيا عنيفا ، فان الوضـع قد تغير أيام البطالمـة ، ذلك بأن عهد البطالمـة يكاد يكون معاصرا للدولة العربية التى ازدهرت فى الشمال والجنوب من شبه الجزيرة . ولمـا كانت هذه الدول قد قامت نتيجة لعوامل تجارية وعلى أسس اقتصادية محضـة ، وكان البطالمة قد وجهوا عناية خاصـة الى تجارة البحر الأحمر والجنوب ، كان طبيعيا جدا ان تتخذ علاقات المصريين بالعرب طابعا اقتصـاديا تجاريا . وكانت أيلة ، والبتراء ، ولويكى كومى وغيرها من مستعمرات البحر الأحمر ، ومخا ، وعدن أهم المراكز التى اتصل فيها العرب بالمصريين اتصالا وثيقـا ، واحتكوا احتكاكا شـديدا وهم يتبادلون السـلع ، ويمارسون فيما بينهم المعاملات التجـارية والعلاقات الاقتصـادية . ولاشك فى ان ما عثر عليه فى مصر من نصوص معينية وثمودية ونبطية يحمل الكثير من مظاهر الصـلات الوثيقة بين العرب والمصريين طوال العصر البطلمى الذى دام حوالى ثلاثة قرون .

مثلما نشأت الدول العربيـة نتيجة لظروف اقتصـادية بعينها زالت لزوال هذه الظروف نفسها ، وهو أمر كان للبطالمـة انفسهم دخل فيه . غير ان هؤلاء البطالمة لم يلبثوا حتى زالوا بدورهم وظهرت قوة عالمية جديدة هى الامبراطورية الرومانيـة التى اصبحت مصر احدى ولاياتها . وظلت مصر ولاية خاملة الشأن حتى ظهرت المسيحية فآذنت ببدء مرحلة جديدة فى الحياة المصرية .

دخلت المسيحيـة مصر سـنة ٦٥ م ، ولم تلبث حتى انتشرت انتشـارا سريعا انتهى بها الى القضـاء نهائيا على الوثنيـة واخمـال اليهودية الى حد كبير . ولاشك فى انه كانت هناك عوامل اقتصـادية وسياسية واجتماعية وفكرية ونفسية جعلت المصريين يقبلون على الدين الجديد ويستبدلونه بعقائدهم الوثنيـة التى ظلوا يمارسـونها آلاف السنين . وهذه العوامل نفسها هى التى جعلت المصريين يحملون العقيدة الجديدة تصـوراتهم الدينيـة ، ونظرياتهم الفلسفية ، ومشـاعرهم القومية ، وآمالهم السياسية بحيث لم تعد المسيحية مجرد دين يتعبد به ، وانما اصبحت تجسيما كاملا للشخصية المصرية ، وتعبيرا بليغـا عن الوجود المصرى ، وأصبح من الممكن أن يقال ان قضية المسيحية هى قضية مصر وقضية مصر هى قضية المسيحية . وقد تم ذلك كله

فى خلال صراع رهيب خاضه المصريون سياسيا مع الدولة الرومانية الحاكمة وفكريا مع المذاهب الجديدة التى ظهرت نتيجة التفاعل بين العقيدة الجديدة والأفكار السابقة ، وهذه المذاهب مثل : الغنوصية ، والأفلاطونية الحديثة ، والأريوسية ، والنسطورية . ووقفت الكنيسة المصرية فى هذا الصراع مواقف خالدة . كما أن نظام الرهبنة الذى نشأ وازدهر فى مصر منذ القرن الثالث الميلادى أكسبها قوة جديدة . وحقق هذا كله لمصر زعامة فكرية دينية فى العالم المسيحى شرقا وغربا ، وأصبح الدين اهم ما تستطيع مصر أن تصدره الى الآخرين ، واتخذت علاقات مصر ببلاد العرب طوال القرون الستة التى سبقت ظهور الاسلام طابعا دينيا واضحا اذ وقفت مصر من هذه البلاد موقف التبشير والتعليم (٩٤) .

فى هذا العصر الرومانى غزت مملكة تدمر العربية مصر وحكمتها حكما قصيرا . ولم تكن هذه هى المرة الأولى التى يغزو فيها العرب مصر غزوا عسكريا منظما ، فقد اشتركوا منذ قرون كثيرة فى جيش قمبيز الذى فتح مصر سنة ٥٢٥ ق.م ، وساعد فرسانهم يوليوس قيصر فى الاستيلاء على الاسكندرية ٤٧ ق.م ، ثم عادوا فاشتركوا فى الجيش الفارسى الذى غزا مصر سنة ٦١٧ م . وبعد أقل من ربع قرن ، سنة ٦٤٠ م ، عاد العرب الى مصر فى جيش عربى خالص لم يلبث حتى استولى عليها ، ووضع حدا للحكم الرومانى فيها ، ودخل بها الى عصر جديد هو العصر الاسلامى .

هكذا اتصلت مصر وبلاد العرب ابتداء من عصر ما قبل الأسرات حتى نهاية الحكم الرومانى فى مصر ، أى طوال حوالى واحد واربعين قرنا ونصف قرن . ويلحظ فى هذه الصلات خواص بعينها تعطيها شكلها المتميز . فهى — أولا — لم تنقطع ولم تتخلف فى عصر من العصور وانما استمرت فى اطراد دائم وجريان مستمر كماء النيل نفسه ، وهى — ثانيا — صلات واقعية قوية ، فرضت نفسها فرضا على الجانبين ، ولم تقف فى وجهها الصحراء ولا البحر ولا اختلاف اللغة ، بل لم تكن هذه الحواجز سوى حواجز وهمية . وهى — ثالثا — صلات

---

(٩٤) راجع : مراد كامل : تاريخ الحضارة المصرية (العصر اليونانى والرومانى) ص ١٩٧ وما بعدها .

متنوعة تبادل الشعبان عن طريقها الكثير من حاجات الحياة ومظاهر الحضارة ، فهى صلات اقتصادية ، جنسية ، لغوية ، دينية ، فكرية ، سياسية ، عسكرية . ثم هى - رابعا - صلات حية ، متجددة متطورة ، لم تجمد عند شكل بعينه ، بل تجددت دائما بتجدد طبيعة الظروف ومقتضيات العصر فى استجابة سليمة لمطالب البقاء عند كلا الشعبين .

ومن الحق اننا نحن العرب والمصريين المعاصرين فى حاجة الى أن نعى هذه الحقيقة التاريخية الناصعة بدرجة كافية من الوضوح ، لأن الفكرة السائدة - وهى احد الاخطاء الخطيرة المشهورة ، وقد سبق الى التنبيه اليه دكتور جواد على فى كتابه الهام « تاريخ العرب قبل الاسلام » - هى أن العرب والمصريين لم يسبق لهم ان اتصلوا بعضهم ببعض الا عند الفتح الاسلامى فى القرن السابع للميلاد . وها قد رأينا ان هذه الصلة تمتد فى الماضى الى أبعد ما يمكن أن يصل اليه التاريخ نفسه ، وانها ظلت قائمة على مر العصور دون تخلف . وهذا كله على أية حال ، ينتهى بنا الى نتائج هامة أولاها ان دخول العرب مصر سنة ٦٤٠ م لم يكن حدثا فذا لاسابقة له ولا نظير ، فالواقع انه لم يكن سوى حلقة جديدة فى هذه السلسلة الأزلية من العلاقات العربية المصرية ، دون أن يعنى ذلك بالطبع انكار آثار هذا الحدث العميقة فى الحياة المصرية . وثانيتها ان دخول العرب مصر حينذاك لم يكن مفاجأة للمصريين كما لم يكن شيئا غريبا على العرب ، ذلك بأن العرب لم يكونوا مجهولين من المصريين ، ولا كان المصريون مجهولين من العرب ، فقد كان كل من الجانبين يعرف الآخر معرفة حقة . ويكفى أن ننبه هنا الى أن القرآن الكريم ذكر مصر ذكرا صريحا فى مواضع أربعة . ويذهب المفسرون الى انها أشير اليها اشارة غير صريحة ، وانما تدل عليها القرائن والتفاسير ، فى عشرين موضعا أخرى . وقد ذكرنا وصاية النبى بالمصريين ، وما يدل على احساس العرب بوجود صلة دموية تجمع بينهم وبين المصريين (٩٥) . وثالثتها ان دخول العرب مصر هذه المرة كان - فيما نزعم - ضرورة حتمية لامفر منها بالنسبة الى العرب والى المصريين على السواء . فكيف كان ذلك ؟

* * *

---

(٩٥) جمع ابن تغرى بردى قدرا صالحا من الاقوال فى هذا الموضوع فى الجزء الأول من كتابه : النجوم الزاهرة : ص ٢٧ - ٣٤ .

يقول بندلى جوزى :

أن القول بان الاسلام فكرة دينية محضة ، وان ظهوره وتغلبه على وثنية العرب وانتشاره السريع بين اكثر امم الشرق وفتوحات الخلفاء الراشدين وبنى أمية الواسعة ترجع الى الحماسة الدينية أو التعصب الدينى يعد اليوم قولا جزافا بعيدا عما اثبتته الأبحاث التاريخية والاقتصادية كأبحاث الأستاذ فلهوزن والأمير كايتانى والأستاذ لامانس ونولدكه وبارتولد وغيرهم . فقد أصبح اليوم من المقرر أن الاسلام ، كغيره من الأديان الكبيرة ، ليس فقط فكرة دينية ، بل مسألة اقتصادية واجتماعية أيضا (٩٦) .

ويظن كايتانى أن « الاسلام هو آخر مهاجرة هاجرها العرب ، وأن الدافع اليها هو ما كان يدفع سابقا الى مثلها فى جزيرة العرب أى جفاف أرضهم المستمر وما يتبع ذلك من الضيق والفقر » (٩٧) .

فى حين يرى الفرد بتلر أن ابا بكر وزعماء الدولة الاسلامية الناشئة رأوا ما رآه النبى من قبل ، وذلك انهم اذا شاءوا ان يحفظوا على الدولة تماسكها ، ويتموا عليها اتحادها ، فلابد لهم أن يبعثوا لغزو ما يليهم من البلاد . وكان حب القتال غريزة فى العرب ، وقد زادهم توقدا ايمانهم بان عليهم واجبا دينيا يؤدونه . فاجتمعت لهم صفتان ما اجتمعتا فى قوم الا صار بأسهم شديدا . فلما اجتمعتا للعرب أصبحوا ولا يكاد شىء يقف فى سبيلهم (٩٨) .

أما ولفنسون فيرى ان الهجرة الاسلامية ، اى الهجرة العربية بعد ظهور الاسلام ، الى جميع اطراف العالم القديم كانت آخر حادث سام عظيم وقع فى الجزيرة العربية ، وآخر موجة سامية عظيمة غمرت وجه الأرض ، وهزت العالم باسره هزا عنيفا ، وصدرت عنها تموجات فكرية ونفسية عظيمة شملت اصقاع آسية وافريقية واوروبا . وكان من نتيجتها ان تغيرت أمم كثيرة هناك ، وانقلبت منها كل جوانب الحياة من سياسية ودينية واجتماعية وعمرانية مما أدى الى نتائج

---

(٩٦) الحركات الاجتماعية فى الاسلام : ١٢ .

(٩٧) المصدر نفسه : ١٣ .

(٩٨) فتح العرب لمصر : ١٣٣ .

خطيرة جعلت التـاريخ البشرى فى كل هـذه الجهـات يتجـه اتجاها جـديدا (٩٩) .

ويرى فيليب حتى ـ وهو يحاول تفسير حركة الفتوح الاسلامية ـ أن الحادثتين الخطيرتين فى اواخر العصور القديمة هما الهجرات التوتونية (الجرمانية) التى أسفرت عن تقويض الامبراطورية الرومانية العريقة ، والفتوحات العربية التى دكت صرح الدولة الفارسية الى الأسـاس وزعزعت أركان الامبراطورية البيزنطية (١٠٠) . ثم يذكر حتى أن بعض الباحثين فى الحركة الاسلامية قد مال الى النظرية الدينية التى كررتها المصادر العربية ، ففسروا التوسـع الاسلامى كنتيجة لعامل الدين ولم يعلقوا كبير أهمية على العوامل الاقتصادية .

وتمسك بعض كتاب النصرانيـة بفكرة أخرى خاطئة وهى أن المسلم العربى انما اكتسح البلدان رافعا القرآن فى يده والسيف فى الأخرى (١٠١) . ولا نزاع ـ عند حتى ـ فى أن الاسلام ألف بين المسلمين ، ووحد أهـدافهم ، وخلق لهم شـعارا جديدا فكان نبراسـا لأمانيهم القومية ، فزالت المشاحنة والبغضاء والتحمت العنـاصر المتنـافرة ، فنشأت بين العرب قوة محركة فعالة . الا ان هـذه الروح الاسلامية العجيبة لا تكفى لتعليل الفتوحات . فليست الأثرة الدينية والتعصـب ما حدا بالعرب الى تدويخ الدول وفتح الأمصار ، انما هى الحاجـة المـادية التى دفعت بمعاشر البدو ـ وأكثر جيوش الفتح منهم ـ الى ما وراء تخوم البادية القفراء ، الى مواطن الخصب فى بلدان الشمال . ولئن كانت الآخرة ، أو شـوق البعض الى بلوغ جنة النعيم قد حبب لهم حومة الوغى ، فان ابتغاء الكثيرين حياة الهناءة والبذخ فى أحضان المدنية التى ازدهر بها الهلال الخصيب كان الدافع الذى حبب لهم القتـال .

ويمضى حتى فينبه الى أن مؤرخى العرب القـدماء أنفسـهم لم يتعاموا عن الناحية الاقتصادية فى تعليل الفتوحات ، وهى النظرية التى

---

(٩٩) تاريخ اللغات السامية : ٦ ، ١٦٢ .

(١٠٠) تاريخ العرب ١ : ١٩٣ .

(١٠١) المصدر نفسه ١ : ١٩٥ .

توسع فى بسطها كيتانى وبكر وسواهما من العلماء المحدثين النقدة . وفى حماسة ابى تمام بيت يجمع هذا الرأى ، هو :

فما جنـة الفردوس هاجرت تبتغي

ولكن دعاك الخبز ـ احسب ـ والتمر

وأيا كان الأمر فاننا اذا تحرينا التوسع الاسـلامى ، واحطنا بالأحوال الحقيقية التى احدقت به ، اتضح لنا انه كان الشـوط الأخير فى عملية النزوح المتواصـل على مدى الدهر من البادية القاحـلة الى ما يتاخمها من انحاء الهلال الخصيب ، وانه آخر الهجرات السامية العظيمـة (١٠٢) .

هكذا يرى المؤرخون المحدثون فى الفتوح الاسلامية مجرد هجرة قام بها سكان الجزيرة خضـوعا لعوامل اقتصادية محضة . ونحن لا ننكر أن هذه الفتوح اخذت طابع الهجرة وأن الجنود العرب الذين تكونت منهم الجيوش الغازية كانوا يعرفون باسم « المهاجرة » أو « المهاجرين » ، وأن العامل الاقتصادى لعب دورا أساسيا فى هـذه العملية . ولكننـا بالرغم من ذلك كله نتساءل :

هل كان العرب ليقوموا بهذه الهجرة لو لم يظهر الاسلام ؟

أى اننا نتساءل عن نوع العلاقة بين الاسلام والهجرة اى الفتوحات . رأينا المؤرخين يميلون الى عد الهجرة نتيجة عرضـية ، أملتها الظروف ، وفتح الخلفاء الأول بابها كنوع من استغلال الدين الجديد والحماسـة الدينية المتأججة لتوجيـه ميول العرب الحربية توجيها خارجيا ونافعا اذ لم تعد تجد متنفسا داخليا بعد أن وحد الدين الجديد بين القبائل وحرم عليها تبادل العدوان والقتل . وأيد العرب هـذه السياسة واقبلوا على الفتوح طمعا فيما تحققه من كسب مادى .

ولكننا ننظر الى المسألة من زاوية أخرى .

لم يكن ظهور الإسلام ، فيما نرى ، أمرا وليد الصدفة ، ولا حدثا محليا خاصا . فالحياة الانسانية ، فيما نعتقد ، ليست مجموعة من

---

(١٠٢) حتى : تاريخ العرب : ١ : ١٩٥ ـ ١٩٦ .

الحيوات المتفرقة . المبعثرة المستقلة ، وانما هى كل متكامل ، وكيان مترابط ، ووحدة عضـوية ، يربط بين أجزائها ـ مهما تباينت مكانا ـ ، ويصل بين مراحلها ـ مهما تباعدت زمانا ـ روابط مادية وصـلات واقعية لاشك فى وجودها . الحياة الانسانية وجود مستمر ، وديمومة متصلة ، كالنهر الذى تتدفق مياهه فى خـلال الزمان ، من مكان الى مكان ، تدفقـا متصـلا يربط المنبع الى المصب فى وحـدة متحـركة متجددة ، باقية مستمرة . وما يحدث فى احدى البيئات الانسـانية لا يمكن أن يظل حبيسا فى داخلهـا ، بل هو يتسرب الى البيئات الأخرى ويتفاعل معها ، حتى يحدث نوع من التعادل بين البيئات المتجاورة ، فيما يشبه فكرة الأوانى المستطرقة . يحدث ذلك فى عالم اليوم المتواصل المتشابك المتداخل بصـورة شديدة الوضوح تجعله من البديهيات ، وهو كان يحدث فى العصور القديمة ولكن بسرعة أقل ، وفى زمن أطول ، وبشكل أقل وضوحا ، الا أنه كان يحدث على أية حال .

وثمة دليل على ذلك لا يعدل وضوحه سوى بساطته . فمن المسلم أن المرحلة الحـاضرة من الحضـارة الانسانية لم تنشأ من العـدم ، ولم تنبت فى فراغ ، ولم تظهر فجأة ، وانما هى امتداد متطور لمرحلة حضـارية سابقة كانت بدورها امتـدادا متطورا لمرحـلة أسـبق ، وهـكذا .

وقد عرف الكاتب الأمريكى المعاصر ول ديورانت كيف يرسم فى كتابه « قصة الحضارة » صورة قوية لشعلة الحضـارة وهى تنتقل من شعب الى شعب ، ومن عصر الى عصر فى حركة مطردة تتجة دائمـا الى الأمام مستندة الى المـاضى متطلعة الى المستقبل .

والحياة الانسانية ، مثلها مثل كل حياة ، تحرص على ذاتهـا ، وتتمسك بوجودها ، وتحافظ على بقائها ، وتقاوم كل ما من شأنه أن يعرضها للخطر أو يتهددها بالتلف . والأديان ، والحركات الاصلاحية ، والفلسفات ، والثورات ، حتى الحروب ، ليست آخر الأمر سـوى وسائل الى اصلاح الخطأ ، وتقويم السـلوك ، ومداواة العلل التى تصيب الحياة الانسانية فى خلال صراعها المرير ضد الفنـاء وكفاحهـا المقدس لأجل البقاء ، وبحثها الدائب عن الأفضل .

وقد انتهى الأمر بالحياة الانسانية فى أخريات العصـور القديمة

الى دىرك رهيب من التناقض الاقتصادى ، والتفكك الاجتماعى ، والفساد الدينى ، والجمود العقلى ، والتعفن الأخلاقى .

كان العالم القديم يتداعى ، والحضارة القديمة ــ حضارة مصر وبابل واشور واليونان والشرق الأقصى ــ تشهر افلاسها ، والأفكار والعقائد والنظم السائدة قد لعبت دورها ، واستهلكت امكاناتها ، وفقدت القدرة على الاستجابة لمطالب انسان العصر الذى أصبح يعانى قلقا هائلا ، ويخوض أزمة حادة عندما لا يجد فى كل حضارة عصره جوابا شافيا لحيرته الفكرية ، ولا عقيدة مطمئنة لأشواقه الروحية ؛ ولا تنظيما عادلا لأوضاعه الاجتماعيه ، ولا قيما سليمة لعلاقاته الأخلاقية . ولم يكن ممكنا أن تظل الحياة مندفعة فى طريق التلف والتحلل والضياع . ولم يكن بد من أن تباشر ارادة البقاء وظيفتها . كانت الانسانية فى حاجة الى علاج ، أو اصلاح ، أو ثورة . فكان الاسلام .

ولكن : لماذا الاسلام ؟ وكيف ؟

لما كانت مكة فى « واد غير ذى زرع » لا يصلح للزراعة ولا للصناعة فقد اضطر سكانها الى الاعتماد فى حياتهم على محصولات وواردات بلاد أخرى ، وتوقفت حياتهم وسعادتهم على التجارة أو المضاربة بالأموال . ولم يكد القرن السادس الميلادى ينتهى حتى كانت مكة قد اصبحت مدينة تجارية غنية ، تزخر بالبضائع المحلية كالتمر والجلد والزبيب والبضائع الأجنبية التى كانوا يستوردونها من سورية وفلسطين وجنوب بلاد العرب . وكانت مكة تقوم بتصدير هذه البضائع الى أسواق الحجاز التى كان يؤمها العرب من جميع أطراف الجزيرة ومن سورية والعراق وسائر البلاد العربية . كما كانت مكة قد أصبحت منذ أوائل القرن الخامس مركزا دينيا مهما لقسم كبير من البلاد العربية تحج اليه كل سنة الألوف من جميع أطراف العالم العربى لزيارة الكعبة واقامة شعائر الحج فيها مدة ثلاثة اشهر ، أو للمتاجرة فى أسواق الحجاز وعلى الأخص سوق عكاظ التى كانت تقام كل سنة على مقربة من مكة ، وكان يحضرها ليس فقط تجار العرب وشعراؤهم بل بعض تجار العجم وسورية والحبشة كذلك .

وهكذا أصبحت مكة مدينة تجارية محضة لا يفكر أهلها الا فى التجارة ولا يهمهم الا جمع المال واستثماره بجميع الوسائل المحللة

وغير المحللة . وكان يخرج من مكة قوافل تجارية مرتين فى السنة ـ مرة فى الصيف ومرة فى الشتاء ـ ذاهبة الى سورية وفلسطين وجنوب بلاد العرب ليبتاعوا ما يحتاجون اليه ويبيعوا محصولات بلادهم . ولحماية هذه القوافل وما تحمل من أموال طائلة كان اصحاب رءوس الأموال مضطرين الى استخدام جماعات كثيرة من الناس لخفارة بضائعهم والمحافظة عليها فى الطريق . وكان اكثر هؤلاء الخفراء من الأحابيش أو عبيد افريقية . وكان عددهم يزداد سنة عن سنة حتى تألف منهم جيش منظم كان يقوم بنفقاته تجار مكة الذين بلغوا من الثراء حدا كبيرا ، فكان بعضهم يملك مئات الألوف بل الملايين ، وكانت مصارفهم ملأى بالدنانير والدراهم . وقد ادى تكدس الثروات فى مكة ، وتشبع الأسواق التجارية بالمال ، الى نشوء فئة كبيرة من المرابين اصحاب المصارف فى أوائل القرن السابع . بل لقد انصرف أكثر تجار مكة الى تعاطى الربا حتى صار مصدرا ثانيا لثروتهم فقد كانت فائدته تتراوح بين ٤٠ و ١٠٠٪ . وتضخم عدد المرابين فى عصر النبى ، كما استفحل خطرهم على المجتمع اذ لم يكن يهمهم الا جمع المال بكافة الوسائط ، وكانوا يضاربون بالدراهم والدنانير والتبر والنقود الأجنبية . ثم كانوا يتلاعبون بالديون بطرق تؤدى دائما الى خراب المستدين واستعباده واستغلاله بشتى الطرق التى كانت توحيها اليهم ضمائرهم الفاسدة وسنن ذلك العصر وذلك الوسط المنحط . فمن جملة هذه الطرق أن يحمل الدائن امرأة المستدين أو ابنته على البغاء لايفاء ما على أبيها أو زوجها من الدين ، وكان ذلك يعرف عندهم بالمساعاة . ولما لم يكن هناك تقريبا سبيل الى سداد الدين لأنه كان يزداد كل يوم بل كل ساعة بما كان يضاف اليه من الربا الفاحش ، فقد كان أكثر المدينين يضطرون اما الى الهرب الى الصحراء والالتحاق بطبقة المتشردين وقطاع الطرق واما الى أن يدخلوا فى طبقة الأرقاء ويقيموا فيها الى ما شاء الله ، وهذا كان حظ الأكثرين .

كل ذلك أدى الى نشوء طبقتين غير متناسبتى العدة والعدد : طبقة المثرين وأصحاب البنوك وسدنة الكعبة واصحاب السلطة ، أو طبقة الارستقراطية أو الملأ أو الأعزاء كما يقول القرآن ، وطبقة الصعاليك والفقراء والأرقاء أو الأراذل ومن كانت تتوقف حياته وسعادته على ارادة أصحاب اليسار . وكان عدد أفراد طبقة الفقراء فى مكة عظيما

جدا بالقياس الى عدد أصحاب الثروة فيها . ولم تكن العلاقات بين هاتين الطبقتين لتختلف كثيرا عما هى عليه اليوم بين الرأسماليين والفقراء أو عما كانت عليه حين ظهر الاسلام فى روما والقسطنطينية والمدائن .

ويكفينا لتصوير حالة الصعاليك على الاطلاق أن نقول انهم كانوا لا يملكون شيئا حتى أنفسهم ، لأن حق التشريع كان محصورا فى أيدى الطبقة العليا ، فكان أصحابها يسنون من الشرائع ما كان يوافق مصلحتهم . ولما لم يكن لأصحاب هذه الطبقة زاجر من أنفسهم ، ولا رادع من ضمائرهم يردعهم عن استثمار أتعاب الصعاليك وامتهانهم ويوقفهم عند حد معلوم من القساوة ، كانت حياة الصعاليك بينهم عرضة دائما للأخطار ، وسلسلة يأس وعذاب . فلا قانون يحميهم ، ولا شريعة ترق لحالهم وتحاول أن تنشلهم من هاوية الموت الاجتماعى والرق الأبدى ، فكانوا يعيشون فى شعاب البلدة وأطرافها البعيدة ، وفى بيوت حقيرة قذرة عيشة ضنك وجوع مستمر ، بينما كان الذين اثروا من أتعابهم يقيمون فى وسط المدينة فى قصورهم الفخمة بالقرب من الكعبة والنادى أو دار الندوة مصدرى ثروتهم وسلطتهم (١٠٣) .

هكذا كان المجتمع المكى فى أوائل القرن السابع للميلاد مجتمع التناقضات الحادة . فهناك تناقض اقتصادى يتمثل فى الثراء الفاحش الذى تتمتع به حفنة قليلة من كبار التجار ، فى حين تشقى الأغلبية فى فقر مدقع . وكان التناقض الاقتصادى يؤدى بدوره الى تناقض اجتماعى صارخ فان تركز المال فى أيدى عدد قليل كان يعطيهم كل السلطة والقوة ويرتفع بهم الى مقام السيادة والتحكم ، ويشكل منهم ارستقراطية تعتمد على المال والسيف والنسب ، فى حين يهبط الفقراء الذين لا يملكون شيئا الى حضيض الهيئة الاجتماعية حيث تنتظرهم عبودية الرقيق . وكنتيجة للتفوق الاقتصادى وما ترتب عليه من تفوق اجتماعى كان الأغنياء السادة يمارسون حياتهم على مستوى رفيع يستمتعون فيه بالثقافة والفن واللهو والترف ، فى حين يعانى الفقراء الأرقاء العيش على مستوى بدائى حيوانى غليظ مظلم .

مع هذا التناقض الحاد حيث تتصادم المصالح وتتعارض تماما لم يكن مفر من وقوع الصراع الحتمى بين الأضداد ، بين الأغنياء

---

(١٠٣) بندلى جوزى : الحركات الاجتماعية : ١٣ ــ ٢١ .

والفقراء ، بين السادة والأرقاء ، بين المترفين والكادحين . فكان شعراء البادية — وهم حينذاك لسان حال الأمة والمعبرون عن عواطف الفئة الكبرى منها — يهاجمون الأغنياء احيانا فى شعرهم . وكان يقع شيء من التذمر والاحتجاج ، واحيانا الثورة ، ولا سيما فى أوقات الأزمات التجارية والزراعية يوم كانت تسوء حالة الفاعل والزارع والرقيق لقلة الأشغال وضغط أصحاب الأموال عليهم (١٠٤) .

وبمرور الزمن كانت الهوة التى تفصل بين طبقتى المجتمع تزداد اتساعا وعمقا ، فتزداد الطبقة الارستقراطية ثراء وسلطانا ، وتزداد الطبقة الكادحة فقرا وبؤسا وتعرضا للاستغلال والاستعباد .

لم ينفرد المجتمع المكى العربى بهذه الأوضاع الظالمة ، فقد كانت هذه طبيعة تلك المرحلة « العبودية » من مراحل تطور المجتمع الانسانى حينذاك ، وهكذا كان مجتمع المدائن الفارسى ، ومجتمع القسطنطينية اليونانى ، ومجتمع روما الرومانى ، ومجتمع الاسكندرية المصرى . وكانت كل تلك العواصم العالمية الكبرى متصلة فيما بينها . ومن الخطأ — فيما يقول بتار — أن نتصور العرب جميعا حينذاك فى عزلة عن العالم تفصلهم عنه مفازات الصحارى ، ويعيشون فى أرضهم لا يعرفهم أحد فليس شيء أبعد من هذا عن الحقيقة (١٠٥) . وكانت كل المجتمعات تعانى نفس المشكلات التى كانت مشكلات العصر . ولكن ربما كان للمسيحية بعض الأثر فى تخفيف حدة هذه المشكلات فى سائر المجتمعات، فى حين لم يكن للوثنية الغليظة مثل هذا الأثر فى المجتمع المكى الذى أصبح بالتالى المجتمع النموذجى لمشكلات العصر وتناقضاته ، واكثر اجزاء المجتمع الانسانى حساسية ، واقربها تعرضا للانفجار الذى لم يلبث حتى وقع فى صورة الاسلام .

لم يكن الاسلام اذن ثورة محلية خاصة بالمجتمع العربى ، وانما كان ثورة انسانية حدثت نتيجة لما انتهى اليه المجتمع الانسانى فى مرحلته تلك من أوضاع بعينها فى العلاقات الانتاجية ، والنظم الاقتصادية ، والأحوال السياسية ، والروابط الأدبية . وقد وقعت

---

(١٠٤) بندلى جوزى : الحركات الاجتماعية : ٢١ .
(١٠٥) فتح العرب لمصر : ١٣٣ .

هذه الثورة الكبرى بطريقة طبيعية موضوعية تماما ، لا دخل فيهـا للمصادفة ولا للرغبات الشخصية ، لتعالج أزمة العصر وتحل مشكلات الانسانيــة .

وكان الاسلام على وعى كامل بطبيعة دوره التاريخى ، يعرف أن عليه أن يطور العالم القديم ، وأن يعيد تنظيم المجتمع وفق علاقـات جديدة ، ليس فى داخل جزيرة العرب فحسب ولكن خارجها كذلك . ولذلك لم يكد الاســلام يفرغ من انجــاز مهمته داخليــا حتى انطلق يحققها وراء الحدود .

ولاشك فى أن الكثيرين من الرجال الذين فتحت سيوفهم الطريق أمام الدين الجديد قد خرجوا يسعون وراء الكسب المـادى العاجل والمنفعة الشخصـــية الضيقة . ولكن لاشــك كذلك فى أن آخــرين كثيرين ـــ وبخاصة هؤلاء الأفراد الممتازون الذين يملكون القدرة على الرؤية الكليــة ، والذين تختارهم الحياة عادة لتحقيق أهدافها الكبرى ـــ كانوا يدركون تماما ويتطلعون بوعى الى الهدف السامى البعيد الحقيقى للاسلام وهو انقاذ الانسانية .

كانت الفتوح الاسلامية هجرة اذن ، ولكنهــا هجرة الهدى الى النفوس المريضــة والأرواح الضالة ، هجرة الحق والعدل والمساواة ضد الباطل والظلم والاستبداد ، هجرة الانسان الى نفسه ليحررها ويسمو بها .

ظهر الاسلام اذن كنتيجة حتمية لضرورات انسانية عامة ، وكمرحلة تاريخية بعينها فى تطور المجتمع لم يكن لها ان تتقدم ولا أن تتأخر . وهذا هو ما يفسر الانتصــارات السريعة التى أحرزها المسلمون ، ثم سهولة انتشار الاسلام بعد ذلك كعقيدة دينية ونظــام اجتماعى . نحن لا ننكر أن تضعضع روما ، وضعف بيزنطة ، وتحلل فارس ، وانقسام العالم المسيحى بعضه على بعض وما صحب ذلك من اضطهاد ، وقسوة الاستعمار الرومانى البالغة فى الحكم ، وحيرة الناس الفكرية والروحية ازاء التعقيدات اللاهوتية الغامضة التى تاهت فيها العقيدة المسيحية الأولى ، وجدب جزيرة العرب وفقر أهلها الشديد ، وصـلابة العرب وخشونتهم كبداة ، ومهارتهم كمقاتلين ، ووجود عرب كثيرين ـــ على

ما لحظ بتلر (١٠٦) — في البلاد المفتوحة يدينون بطاعة اسمية لهرقل أو كسرى ولا يحرصون كثيرا على دين لا يفقهون فيه ، وما سرى في قلوب المسيحيين من الخذلان والوهن نتيجة احساسهم العميق بأن النبى الذى ظهر فى الصحراء ليس سوى سوط من الله أرسله عليهم ليعاقبهم على ذنوبهم ، يقابل ذلك حماسة العرب الشديدة لعقيدتهم الجديدة .. نحن لا ننكر ان هذه الملابسات لعبت دور العامل المساعد فى عملية انتصار الاسلام ثم انتشاره . أما العامل الأساسى فيكمن فى التوقيت الصحيح لظهور الاسلام بحيث انه ظهر كالثمرة التى تظهر فى موعدها الطبيعى ، والفصل الذى يحل فى وقته المرسوم ، والظاهرة الطبيعية التى تنفتح دون شذوذ ولا افتعال . ولذلك لم يبد الاسلام شاذا ولا مقتحما وأقبل الناس عليه اقبال المريض على الدواء ، وفرحوا به فرحة السارى بأنوار الفجر .

من الحق ان الاسلام قوبل بمقاومة ادبية ومادية عنيفة فى المجتمع المكى وغيره ، ولكن من الحق كذلك أن هذه المقاومة وقعت فقط من جانب الطبقة الحاكمة التى كان الاسلام يهدد مصالحها الخاصة ، أما الجماهير الكادحة فقد فتحت له أذرعها وقابلته بكل ترحاب .

لذلك كله نزعم أن الاسلام لو لم يسع الى المجتمعات الأخرى لسعت هى اليه ، ولو لم يفتحها عسكريا لفتحها روحيا . ولئن صدق هذا الكلام على كل المجتمعات انه لأصدق ما يكون على مصر بخاصة . ذلك بأن تاريخ مصر منذ اقدم عصوره يشهد شهادة مطردة لم تتخلف مرة واحدة بظاهرة ساطعة تتلخص فى أنه لم تنشأ حضارة كبرى ، ولا ظهر دين رئيسى ، ولا قامت دولة عظمى ، ولا حدث حادث عالمى مهما كان لونه الا أسهمت مصر فيه بنصيب وتأثرت به وأثرت فيه . ولاشك فى أن موقع مصر المتوسط الذى يهيىء لها بل يفرض عليها ، الاتصال بالأحداث العالمية والتعرض لها هو المسئول عن هذه الظاهرة التى تعد عاملا من عوامل تجدد حيوية مصر ، وما تتمتع به من مرونة تكسبها القدرة على التلاؤم مع العوامل الكبرى التى تطرأ على البيئة الانسانية العامة فتعدل شروط الحياة فيها وظروف الاحتفاظ بالبقاء داخلها .

* * *

---

(١٠٦) فتح العرب لمصر : ١٢٤ — ١٢٦ .

دخل الاسلام مصر سنة ١٩ ــ ٢٠ هـ ، أى بعد سبع سنين فقط من بدء تحركه خارج الجزيرة . وكان ذلك ايذانا ببدء عملية حيوية كبرى اعتملت فى صميم الكيان المصرى ، وأسفرت ــ أول وأهم ما أسفرت ــ فى خلال القرون الثلاثة التالية عن ميلاد مصر العربية ، اذ غيرت مصر فى خلال هذه الفترة لغتها لأول مرة فى تاريخها الطويل وغيرت دينها لثانى مرة . ولم يتم هذا التغيير قهرا ولا قسرا بالسوط أو بالسيف ، ولا حتى باصدار قوانين من الدولة ، وانما ترك يتم بطريقة طبيعية بطيئة طويلة نتيجة للاتصال التدريجى والاختلاط المتزايد بين العرب والمصريين ، ونتيجة لما صحب ذلك الاختلاط ونتج عنه من عوامل وأوضاع اقتصادية وسياسية وعسكرية واجتماعية ودينية وفكرية . فان الجيش العربى الفاتح ، بالرغم من اقامته فى معسكر بنى له خاصة منذ اللحظة الأولى باسم الفسطاط ، لم يكن يقيم فى هذا المعسكر بصفة دائمة ، فقد كان جنوده يتحركون داخل البلاد لأسباب مختلفة منها الارتباع ، فكانوا ينتقلون كل ربيع اذا « تدلت الجوزاء وذكت الشعرى ، واقلعت السماء ، وارتفع الوباء ، وقل الندى ، وطاب المرعى ، ووضعت الحوامل ، ودرجت السخائل » (١٠٧) . الى القرى المصرية يطلقون خيولهم فى حقول البرسيم ترعى حتى تسمن ، بينما ينطلقون هم يصطادون ، ويشربون اللبن الذى يقدمه المصريون اليهم ، ويأكلون الخراف التى يحصلون عليها منهم . ولم تكن هذه العملية التى عرفت باسم « الارتباع » تتم كيفما اتفق ، بل قد وضع لها منذ اللحظة الأولى نظام مرسوم . فكان اذا جاء وقت الربيع واللبن كتب الوالى لكل قوم ــ وكان الجيش الفاتح منظما على أساس قبلى بحت ، بمعنى أنه كان يراعى عند تكوين الكتيبة أن تتكون من أفراد قبيلة واحدة أو ــ اذا لم يتوفر العدد الكافى ــ من أفراد قبائل متقاربة ــ بربيعهم ولبنهم الى حيث احبوا . وبالرغم من أنه كان يترك للقبيلة اختيار الجهة التى تفضل الارتباع بها فى الدلتا أو الصعيد ، فان الوالى كان يصدر أمرا كتابيا يحدد فيه القرية التى تذهب اليها القبيلة وكميات اللبن التى يسمح لها بالحصول عليها من المصريين . وبالنظر فى الجهات

---

(١٠٧) ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ١ : ٧٣ .

التى كانت القبائل تختارها للارتباع (١٠٨) نستطيع أن نلحظ فى وضوح كاف ان هذه الحركة كانت تتركز فى كور أو مناطق بعينها هى : منف ووسيم لخصبها الى جانب قربهمـا من الفسطاط ، ومنوف لخصبها كذلك . كما كانت تتركز فى الشمال الشرقى أى فى تلك الكور التى أصبحت فيما بعد تؤلف ما يعرف باسـم « الحوف الشرقى » وهى عين شمس ، أتريب ، بنا ، بسطة ، فربيط ، طرابية ، صان ، ابليل ، نتو ، تمى . ويلحظ ان هذه الكور تتمتع بالخصب الى جانب متاخمتها من الشرق للصحراء حيث كان يتهيأ للعرب الصيد وتأديب خيولهم وتدريبها مع الاقامة فى جو قريب الى جو البادية التى ما يزال الحنين الشديد يجذب قلوبهم اليها . اما الاتجاه الى الشمال فكان محدودا لا يتجـاوز بنا وبوصير والبدقون وخربتا وسخا . والقبائل التى كانت تذهب هناك قليلة . وكذلك كان الاتجـاه الى الجنوب محدوداً . ففى الفيوم كان يرتبع بعض القبـائل وأقصى ما وصـلوا اليه هو اهناس والبهنسا والقيس حيث كانت ترتبع قبيلة واحدة . وهكذا كانت القبائل تقل كلما زاد الاتجـاه نحو الشمال أو الجنوب فى حين تتركز حول الفسطاط شـمالا وجنوبا وشرقا وغربا بحيث يمكن القول بأن الارتباع كان يتم فيما يشبه دائرة مركزها الفسطاط . ولابد أن القبـائل كانت تختار أماكن ارتباعها وفقا لاعتبارات معينة ، اذ نلحظ مثلا أن فى منف ووسيم القريبتين من العاصمة كانت ترتبع القبائل ذات النفوذ مثل بلى وتجيب ، ومثل ـ بالذات ـ آل عمرو بن العاص وآل عبد الله بن سعد بن أبى سرح أول أميرين لمصر . وكانت العصبية القبلية موضـع اعتبار بوجه عـام بحيث كانت القبائل المتقاربة تشترك فى مرتبعـات واحدة مثل : بلى ولخم وجذام ، غفار وأسلم ، آل عمرو وآل عبد الله بن سعد وقد يكون للقبيلة أكثر من مرتبع مثل : بلى ، تجيب ، لخم ، المعافر . ويبدو ان ذلك يرجع الى كبر حجم هذه القبائل وأمثالها .

---

(١٠٨) انظر ابن عبد الحكم : فتوح مصر : ١٤١ ـ ١٤٣ ، وخرائط الارتبـاع التى صممناها على أسس المعلومات التى سجلها ذلك المؤرخ المصرى الكبير . وينبغى ان نذكر فى هـذا المقـام اننـا لم نستطع التعرف على كورة دسبندس التى ذكرهـا ابن عبد الحكم ، فكل ما هنـالك ـ فيما يذكر صاحب معجم البلدان ج ٢ ص ٥٧٣ ـ انها من بلاد مصر القديمة ولها ذكر فى الفتوح وأما نتا التى يذكر ابن عبد الحكم ان مهرة كانت تأخذ فيها فالصـواب انها نتو ، كما ان الارجح ان ببا التى ذكر ان حضرموت كانت تأخذ فيها هى بنا .

وقد حفظ لنا ابن عبد الحكم (١٠٩) الكلمة التى وجهها عمرو بن العاص الى جنوده بمناسبة بدء موسم الارتباع ، وذلك فى احدى خطب الجمعة ــ فى اخريات الشتاء بعد حميم النصارى ــ اى الغطاس الذى يقع فى ١١ طوبة ــ بأيام يسيرة . وفى هذه الكلمة التى ربما أصبحت تقليدا يتبعه الولاة من بعد يركز الأمير العربى القائد عنايته على الخيل. فيوصى الجند بأن يسمنوها ويصونوها ويكرموها فانها جنتهم من عدوهم وبها مغانمهم وانفالهم . وينبههم الى انه سيعترض الخيل كاعتراض الرجال بعد انتهاء الموسم ، فاذا وجد أحدهم قد اسمن نفسه واهزل جواده من غير علة وقع عليه عقوبة مالية بأن يخصم من عطائه قدر ذلك . وفى هذا ما يدل على أن من أهداف الارتباع الهامة اطعام الخيل وتقويتها بما كانت تشكل جانبا اساسيا من قوة العرب العسكرية حينذاك . ويوصى عمرو جنده بأن يحسنوا معاملة القبط سكان البلاد الأصليين عندما يتصلون بهم فى خلال الارتباع ويؤكد وصيته هذه بأحاديث منسوبة الى النبى تحض على معاملة المصريين بالحسنى . ولما كان عمرو على علم بالوسائل التى يلجأ اليها الغزاة عادة فى الاعتداء على اهالى البلاد المفتوحة ، فانه يأمر جنده هنا أمرا صريحا بأن يكفوا أيديهم عن أموال المصريين وأبدانهم ، وأن يعفوا فروجهم عن أعراضهم ، وأن يغضوا أبصارهم عن نسائهم . وينبه عمرو جنده الى دقة موقفهم فى مصر نتيجة لموقع مصر الحساس من جهة وثروتها المغرية من جهة أخرى ، وما يتطلبه ذلك من يقظة دائمة واستعداد كبير . وفيما عدا ذلك يدعو عمرو الجند الى أن يتمتعوا فى ريفهم ما طاب لهم ــ وكأن الارتباع نوع من العطلة والاستجمام والراحة من مشاق القتال ــ وان ينالوا من خيره ولبنه ، وخرافه وصيده مع تجنب الترف فى المأكل والملبس (١١٠) . فانه يفسد الدين ويقصر الهمم . ولما كان الجنود لا يستصحبون نساءهم معهم فى هذه الرحلة فقد حرص عمرو على أن يذكرهم بأن يأخذوا بعض الهدايا معهم الى أسرهم عند عودتهم .

---

(١٠٩) فتوح مصر : ١٣٩ ــ ١٤١ . ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ١ : ٧٢ ــ ٧٤ .

(١١٠) نص العبارة هنا : « واياكم والمشمومات والمعسولات » (فتوح مصر : ١٤٠) ولكننا نرجح رواية النجوم « واياكم والمسمومات والمعسولات » (١ : ٧٣) كما نرجح ان الاشارة هنا الى نوع بعينه من النسوة يحذر عمرو جنده من الاتصال بهن .

وبالرغم مما فى هــذه الخطبة من زيادات يبدو أنها أضيفت فى فترة متأخرة خدمة لأغراض معينة كالأحاديث المنسوبة الى النبى فى التوصية بالقبط والثناء عليهم ، فان لهــذا النص اهمية خاصــة اذ نعلم منه ان موسم الارتباع كان يبدأ فى اخريات الشتاء وقد « تدلت الجوزاء ، وذكت الشعرى ، .. » ، ويستمر حوالى ثلاثة أشــهر ، ثم ينتهى فى أوائل الصيف « اذا يبس العود ، وســخن العمود ، وكثر الذبــاب ، وحمض اللبن ، وصوح البقل ، وانقطع الورد من الشجر » كما نعرف من النص شيئا من هدف الارتباع وما كان يحدث فى أثنائه من أعمال أو ــ فى بعض الحالات ــ اخطاء .

نستطيع أن نرى فى حركة الارتباع هذه هجرة داخلية كانت تتجدد كل سنة . وكانت القبائل فى الأغلب تتردد على نفس المرتبع . ولا نزاع فى أن موسم الارتباع كان يتضمن فرصــا متعددة للاتصال المباشر بين العرب الطارئين والمصريين المقيمين بحيث يتهيأ للعرب أن يتعرفوا الى البيئة الجديدة وسكانها فى نفس الوقت الذى يتهيأ فيه للمصريين أن يتعرفوا الى هؤلاء المواطنين الجدد . وفى خلال ذلك كان يتم مع الزمن ، شيئا فشيئا ، وبلا تعسف ولا اكراه ، تبادل الصــلات والمؤثرات المــادية والأدبية ، وهو ذلك التبادل الذى انتهى آخر الأمر بتمصر العرب الذين وفدوا الى مصر وتعرب المصريين انفسهم وظهور ذلك الانسان الجديد المصرى بيئة ، المسلم دينا ، العربى لغة . ولــا كان الارتباع هو أقدم أشكال الاتصال بين العرب والمصريين فان لنا ان نعده الخطوة الأولى أو حجر الأســاس فى عملية تعريب مصر . ولا أدل على ذلك من أن قبائل بعينها انتهى بها الأمر الى اتخــاذ مرتبعاتها منازل والاقامة فيهــا بصفة دائمة بعد ان تركت الفسطاط نهائيا ، مثل مدلج ومن حالفهم من حمير وذبحان الذين استقروا فى خربتا ، ومثل خشين وطائفــة من لخم وجذام نزلوا اكناف صان وابليل وطرابية ــ من الحوف الشرقى ــ حيث انتهى بهم الأمر الى الذوبان التام فى سكان تلك المناطق الأصليين « فلم يحفظوا » . ولــا كانت حركة الارتباع قد تركزت حول الفسطاط فى الجيزة ووسط الدلتا وشرقهــا فان لنا أن نتوقع أن هذه المناطق كانت أسرع تعربا من مناطق اخرى مثل شمال الدلتا وغربها والصعيد . ومن الطريف أن نذكر أن أعراب الصحراء الشرقية ــ المشارقة ــ ، فيما يقابل محافظــة بنى سويف ما زالوا يمارسونها ولكن فى حدود ضيقة حتى اليوم ــ فكانوا يستأجرون البرسيم فى قرى المحافظة من

أصحابها ، فاذا أصبح صالحا للرعى أقبلوا بنسائهم وأولادهم وخيولهم وأغنامهم وابلهم ، ونصبوا أبياتهم المصنوعة من الشعر فى ظاهر القرية ، واطلقوا دوابهم ترعى فى الحقول المستاجرة ، ومضــوا هم يمارســون أعمالهم اليومية فيرعون دوابهم ويحلبونها ، ويأخذون شعرها ويغزلونه ، ويصنعون الجبن والســمن ، الخ . وطوال فترة الارتباع التى تمتد بامتداد وجود البرسيم فى الحقول ، وقد تأخذ جزءا غير قصــير من الصيف ، يسود القرية جو غير عادى من النشاط والجلبة والبهجــة تتخلله المبادلات الاقتصادية الساذجة بين البدو واهل القرى ، وتمارس فيه العلاقات الاجتماعية الانسانية المــألوفة من تزاور وتهاد ومجاملة . وقد يحدث أن يتزوج أحد العرب من مصرية ، فى حين لا يحدث العكس لأن العربى يفضل أن يأكلها ــ أى ابنته ــ التمساح ولا يأخذها الفلاح !

غير ان الارتباع لم يكن هو الوسيلة الوحيدة الى اتصال العرب بالمصريين واختلاطهم بهم ، فقد اقتضت ضرورة تأمين البلاد والمحافظة على سلامتها اقامة قوات من الجنود العرب فى الثغور وعلى السواحل بصفة دائمة ، وهو ما يعرف فى المصطلح العســكرى العربى باســم الربــاط .

ولمــا فرغ عمرو من فتح مصر واستقامت له البلاد وضــع التنظيم الأساسى للرباط ، فخصص ربع قواته للمرابطة فى الاسكندرية وحدها ، وربعا آخر للمرابطــة فى سائر السواحل المصرية ، أما النصف الباقى فاستبقاه معه فى الفسطاط العاصمة . ويلحظ فى هــذا التقسيم ادراك العرب أهمية الاسكندرية من جهة وتوقعهم انقضاض الروم عليهــا فجأة من جهة أخرى . ولم يكتف الخليفة عمر بهذا فكان يبعث فى كل ســنة غازية من أهل المدينــة ترابط بالاسكندرية ، وكاتب الولاة الا تغفلها وتكثف رابطتها ولا تأمن الروم عليها . وكانت القوات المرابطة فى المدينــة تغير مرة كل ستة اشهر صيفا وشتاء .

ولم تتخذ هذه القوات معسكرا خاصا كالفسطاط ، وانما كانت تقيم طوال فترة الرباط فى مساكن الأهلين العادية . وكان لكل عريف قصر ينزل فيه بمن معه من أصحابه . وواصل عثمان سياسة سلفه فى الاهتمام بالاسكندرية ــ وخاصة بعد ان نقض الروم العهد وشنوا عليها هجوما غادرا سنة ٢٥ هـ فتكوا فيه بالحامية العربيــة وخرجوا الى

القرى المجـــاورة يعيشـون فيهـــا ــ نكتب الى والى مصر أن يلزم الاسكندرية رابطتها ، ويجرى عليهم أرزاقهم ، ويعقب بينهم فى كل ستة أشـــهر .

ولم يغفل العرب بعد ذلك عن الاسكندرية حتى بلغت القوة المرابطة بها عـــام ٤٤ هـ اثنى عشر الفا من أهل الديوان ، أى ما يســـاوى الجيش الذى فتح مصر كلها سنة ٢٠ هـ . وبالرغم من ذلك كتب قائد هـــذا الجيش الضخم من المرابطين ، علقمـــة بن يزيد الغطيفى ، الى الخليفة نفسه ــ وكان معاوية حينذاك ــ يشكو قلة من معه من الجند حتى ما يكاد بعضهم يرى بعضا ، ويبدى تخوفه على نفسه وعليهم ، ويتهم امير مصر ــ وكان عتبة أخا الخليفة ــ بأنه قد غرر به وبمن معه حين ولاهم رباط الاسكندرية بهذا العدد القليل . واقتنع معاوية بجدية شكوى القائد فأسرع يمده بعشرة آلاف من أهل الشام وخمسة آلاف من أهل المدينة ، فكان فى الاسكندرية سبعة وعشرون ألفا . وفى رواية أخرى تبدو أقرب الى الواقع انه أمده بأربعة آلاف فقط من أهل المدينة ، وامر اربعة آلاف فارس ممسكين بأعنة خيولهم فى الرملة ــ أى فى حالة طوارىء دائمة ــ أن يعبروا اليه متى بلغهم فزع عنه (١١١) . وحتى اذا أخذنا بأقل الروايتين عددا لم يكن ستة عشر ألفا من الجنود فى مدينـــة بالعدد الذى يستهان به وبتأثيره فى سكان هذه المدينة . واذا كانت حركة الارتباع لم تبلغ الاسكندرية لبعدها من جهة وعدم صلاحيتهـــا لأنها ليست ريفا من جهة أخرى ، فلا نزاع فى أن مرابطـــة هذه الأعداد الهائلة من الجند العرب فيها منذ اللحظات الأولى واقامتهم بين الأهـــالى كان له أثر هـــام فى تعريب تلك المدينة العتيدة . ولابد أن الأمر كان هكذا أيضا بالنسبة الى ثغور الساحل فيما بين العريش ولوبية ومراقية مثل : رشـــيد ، اخنا ، البرلس ، دمياط ، الأشتوم . وكان يرابط بهذه الثغور ، التى أصبحت تعرف فيما بعد باسم المواحيز (١١٢) ، أهل الديوان وطائفة المطوعة . وقد مر أن عمرا خصص ربع قواته للمرابطة

---

(١١١) ابن عبد الحكم : فتوح مصر : ١٣٠ ، ١٣١ ، ١٩٢ ــ البـــلاذرى : فتوح البلدان : ٢٦٠ ــ ٢٦٢ ــ الكندى : الولاة : ٣٦ .

(١١٢) المواحيز جمع ماحوز وهو المكان الذى يكون بين القوم وبين عـــدوهم ، وهو من استعمال اهل الشام . ويذكر دوزى أن المـــاحوز فى ســـوريا معناه الحدود . (سيدة كاشف : مصر فى فجر الاسلام : هامش ص ٧٩) .

هناك . وكان هؤلاء المرابطة ينالون مرتباتهم من دخل أحباس السبيل ــ أى الأوقاف التى توقف فى سبيل الله (١١٣) ــ مرة كل سنة فى شهر أبيب من شهور القبط (١١٤) .

اشترط العرب على المصريين فى الصلح ان « للمسلمين عليهم النزل لجماعتهم حيث نزلوا ، ومن نزل عليه ضيف واحد من المسلمين أو أكثر من ذلك كانت لهم ضيافة ثلاثة أيام مفترضة عليهم » (١١٥) . وهكذا كان للعرب أفرادا وجماعات الحق فى أن ينزلوا ضيوفا على المصريين لمدة أقصاها ــ نظريا ــ ثلاثة أيام يتمتعون فى أثنائها بكل ما يجب للضيف من حقوق الضيافة . ولكن يبدو ان هذه المسألة نظمت بحيث كانت القرية كلها تتحمل نفقات من ينزل عليها من الضيوف العرب . فعند تقدير الخراج المستحق على القرية كان يجتمع عرفاؤها ومازوتها ورؤساء أهلها ويتناظرون ، فيخرجون من زمام القرية الذى سيقدر الخراج على أساسه عددا من الفدادين يخصص ريعها للانفاق على المرافق العامة مثل الكنائس والحمامات والمعديات ــ وهو ما يهمنا هنا ــ الضيافة للمسلمين ونزول السلطان (١١٦) . وهنا يجب أن نأخذ كلمة « سلطان » بأوسع معانيها بحيث تشمل كل موظفى الدولة المدنيين وأفراد قواتها المسلحة . ولسنا نستبعد أن هؤلاء الضيوف كانوا ينزلون فى مبانى « الليوان » أو « الايوان » ــ وهو المضيفة أو قاعة الاجتماعات ــ التى ما تزال تحيط بالكنيسة فى كثير من قرى الصعيد والوجه البحرى (١١٧) وسواء كان العربى ينزل ضيفا على المصرى فى بيته الخاص أو فى المضيفة العامة فلابد ان هذا الشكل من أشكال الاتصال ــ وهو الضيافة ــ كان له أثره فى تقارب العرب والمصريين . ويلحظ أن فى رصد اموال خاصة للانفاق على الضيوف ما يدل على ان هذه العلاقة لم تقتصر على المستوى الفردى وانما كانت ظاهرة عامة مألوفة مقررة فى المجتمع المصرى حينذاك مما يجعلها أقوى أثرا .

---

(١١٣) سيدة كاشف : مصر فى فجر الاسلام : هامش ص ٧٩ .

(١١٤) ابن عبد الحكم : فتوح مصر : ١٣٠ ، ١٩٢ ــ الكندى : القضاة : ٤١٨ ــ ٤١٩ .

(١١٥) ابن عبد الحكم : فتوح مصر : ٧٠ .

(١١٦) المصدر نفسه : ١٥٣ .

(١١٧) مراد كامل : تاريخ الحضارة المصرية (العصر اليونانى والرومانى) : ٢٩٣ .

هكذا كان العرب يتحركون فى مصر ويختلطون بالمصريين عند الارتباع وفى الرباط وعند الضيافــة . ولاشــك فى ان ذلك كان يتيح للجانبين فرصا هامة للاحتكاك والاختلاط . وكانت هنــاك فرص أخرى كثيرة تتعدد وتتجدد بتعدد وتجدد مطــالب الحياة اليوميــة نفسها ، فقد اعتمد العرب اعتمادا يكاد يكون كاملا على المصريين فى أمور بعينها كأعمال الديوان ، والطب ، ومسح الأراضى واعمال الزراعة ، وبناء البيوت ، وبناء السفن ، وصناعة الأقمشة ، الخ . ولكن يبقى بعد ذلك كله جانب آخر لاتصــال العرب بالمصريين لعله أهم هــذه الجوانب جميعا . فقد راينا ان العرب كانوا يتحركون خارج الفسطاط مرة كل عام لمدة ثلاثة أو اربعة أشــهر يقضونها فى الريف يرتعون . وكانت هــذه الحركة محدودة فى كور بعينها ، ومؤقتة يعود العرب بعدها الى خططهم الأصلية فى الفسطاط . ولكن العرب كان لهم الى جانب هذه الحركة حركة أخرى أبعد مدى وأطول زمنا ، حملتهم شمالا حتى رشيد والاسكندرية ، وطوحت بهم جنوبا حتى العلاقى ، وســارت بهم شرقــا حتى البحر الأحمر ، وخرجت بهم غربا الى ليبيا . ولم يعد العرب هذه المرة الى الفسطاط ، فقد استقروا فى الكور التى انتهى بهم اليها المطــاف ، واتخذوا فيها منازل ثابتة ، ومضــوا يمارسون هنــاك حياتهم الجديدة بين السكان الأصليين . وقد تتبعنا فى البحث الذى نمهد له بهذا المدخل تلك التحركات ، وكشفنا ما ترتب عليهــا من آثار بالنسبة الى العرب والى المصريين جميعا ، كما وضحنا على الخرائط المواطن التى انتهت هذه التحركات بالعرب الى استيطانها . ولكن يبقى بعد ذلك كله تساؤل هام لا مفر من اثارته ولا من محــاولة الاجابة عنه ، وهو : لمــاذا تمت هذه التحــركات ؟ ما العوامــل التى دفعت بالعرب الى الخــروج عن عاصمتهم حيث خططهم واميرهم وجيشهم الى مدن مصر وقراها حيث القبط مدنيين وفلاحين ؟

لم تحتفظ الأخبار بالأسباب التفصيلية الدقيقة لتحركات القبائل العربية فى أرجاء مصر ، غير اننا نستطيع بالنظر المدقق فى هذه التحركات أن نلمح عددا من العوامل الأساسية تكمن وراءها .

أشرنا من قبل الى أن بعض القبــائل لم تلبث حتى اتخذت من مرتبعها المؤقت موطنا دائما ، فأقامت مدلج ومعها ذبحان احدى قبائل حمير فى خربتا واقامت لخم وجذام ومعهما خشين فى بعض منــاطق الحوف الشرقى . واذا كنا لا نستطيع تعليل اختيار مدلج للاقامة فى

مرتبعها ، فلعل فى وقوع الحوف الشرقى على تخوم الصحراء وقربه من الطريق الى المواطن الأولى للخم وجذام ـ بخاصة ـ فى الفرما والبقارة والورادة ما يصلح لتفسير اختيارهم مرتبعهم هذا موطنا دائما . وبالرغم من أن مناطق الارتباع لا تتطابق بصفة عامة مع المواطن التى استقرت بها القبائل فيما بعد فاننا نستطيع أن نجد فى الارتباع بما هو عملية اقتصادية اجتماعية عاملا من العوامل التى جرت بعض القبائل الى الاقامة فى كور بعينها .

يعزى تأسيس مدينة حلوان سنة ٧٠ هـ الى جوها المناسب بصفة أساسية . وكذلك اقبل العرب ، وبخاصة قريش واهل الحجاز، على الاقامة فى أسوان التى يشبه جوها جو الحجاز . ولما كان جو مصر يزداد ميلا الى الحرارة كلما اتجهنا نحو الجنوب كان لنا أن نتوقع ان هذا العامل المناخى الذى يتمثل فى الرغبة فى الجو الملائم القريب من جو البيئة الأصلية كان عاملا من عوامل تحرك العرب فى مصر نحو الجنوب .

لم يكن الجو وحده هو الذى أغرى العرب بالاقامة فى أسوان فهى من ناحية أخرى بلد خصيب ، كثير الخير ، ويسلك منها الى عيذاب حيث يعبر الى الحجاز واليمن والهند ، وهى تتصل من غربيها بالواحات، وفى جنوبها جبل به معدن الزمرد ، وعلى مسيرة خمسة عشر يوما يوجد معدن الذهب (١١٨) . كانت أسوان اذن مركزا اقتصاديا هاما ، وطبيعى أن يدعو ذلك العرب الى الاقامة فيها . ومن الحق انهم سرعان ما حققوا ثروات طائلة مكنتهم من امتلاك الضياع أيام الأمويين والعباسيين . ويبدو هذا العامل الاقتصادى أوضح وأقوى ما يكون فى انتقال العرب الى العلاقى حيث مناجم الذهب ، فلاشك فى أن السعى وراء الثراء كان السبب الأصيل لهجرة قبائل مضر وربيعة وبلى الى تلك المنطقة حيث اتصلوا بالأهالى وتزاوجوا معهم ، وتداخلت مصالحهم فاعطوهم الدين واخذوا منهم الذهب على نحو يذكرنا بالأوروبيين الباحثين عن الذهب فى أمريكا (١١٩) .

---

(١١٨) المقريزى : الخطط ـ ١ : ١٩٧ ـ ١٩٨ .
(١١٩) المصدر نفسه ـ ١ : ١٩٤ ـ ١٩٧ .

بلغ عدد الرجال الذين فتحوا مصر سنة ٢٠ هـ حوالى اثنى عشر الفا (١٢٠) . وفى زمن معاوية (٤٠ — ٦٠ هـ) كان ديوان مصر يضم اربعين الفا (١٢١) . وقد ذكرنا فيما مضى ان القوات الأساسية المرابطة فى الاسكندرية سنة ٤٤ هـ كانت اثنى عشر الف جندى ، وكان هذا العدد يعادل وفق القاعدة التى وضعها عمرو ربع مجموع الجيش العربى فى مصر الذى كان يجب أن يبلغ على هذا الأساس حينذاك ثمانية واربعين الف جندى . والفرق بين هذا الرقم وعدد أهل الديوان أيام معاوية واضح . فلما كان زمان مروان بن الحكم (٦٤ — ٦٥ هـ) كان جند أهل مصر أكثر من ثمانين الفا (١٢٢) . وايا كان نصيب هذه الأرقام من الدقة فهى تشير الى ظاهرة لاشك فيها وهى ازدياد العرب فى مصر باطراد حتى انهم تضاعفوا حوالى سبع مرات فى أقل من نصف قرن . وطبيعى أن يكون التناسل هو أول عوامل هذا التضخم . ولسنا نظن أن العرب قد اقتنعوا بمبدأ تحديد النسل الذى دعاهم اليه عمرو بن العاص فى خطبة الارتباع حين قال لهم : « اياكم وكثرة العيال » . وفى أخبار الشخصيات العربية فى مصر فى الفترة التى نتناولها بالبحث أمثلة لا حصر لها عن تعدد الزوجات وكثرة الأبناء ، وهو ما يتفق تماما مع العقلية القبلية السائدة حينذاك . وتشكل الهجرة الفردية عاملا آخر من عوامل التضخم ، فبعد أن فتحت البلاد ، وانشئت العواصم العربية الجديدة نشط الأفراد الى الانتقال الى الجهات التى يؤثرونها فانضموا الى قبائلهم فيها واستقروا بها . ولمقابلة هذا التغير المستمر اضطر معاوية الى أن يجعل على كل قبيلة من قبائل العرب فى الأمصار كالفسطاط رجلا — كان على قبيلة المعافر فى مصر مثلا رجل يقال له : الحسن — يصبح كل يوم فيدور على مجالس القبيلة حيث يجتمع رجالها فيقول : هل ولد الليلة فيكم مولود ؟ وهل نزل بكم نازل ؟ فيقال : ولد لفلان غلام ولفلان جارية . فيقول : سموهم ، فيكتب . ويقال نزل بنا رجل من أهل اليمن بعياله ، فيسمونه وعياله ، فاذا فرغ من القبائل كلها اتى الديوان حيث يسجل اسماء القادمين الجدد ليخصص لهم نصيب فى العطاء (١٢٣) . وقد انتبه الكندى الى

---

(١٢٠) ابن عبد الحكم : فتوح مصر : ٩٥ .
(١٢١) ابن عبد الحكم : فتوح مصر : ١٠٢ .
(١٢٢) السيوطى : حسن المحاضرة ١ : ٧٥ .
(١٢٣) ابن عبد الحكم : فتوح مصر : ١٠٢ .

اثر هذين العاملين فى النمو السريع لقبيلة قيس بعد أن هاجرت الى مصر عام ١٠٩ هـ عندما ذكر أنهم « توالدوا وقدم عليهم من البادية من قدم » (١٢٤) . وفى سنة ١٠٠ هـ الحق أيوب بن شرحبيل أمير مصر خمسة آلاف لأهلها بأمر الخليفة عمر بن عبد العزيز (١٢٥) ، بمعنى انه تم نقل هـذا العدد من الأفراد الى مصر من بلاد اخرى فسجلوا فى ديوانها واقاموا بها . وفى سنة ١٣٧ هـ الحق صالح بن على العباسى الفى مقاتل بأهل مصر (١٢٦) . وكان لعمليــة الالتحاق هذه التى قد تكون لها أمثلة اخرى اثر فى زيادة عدد العرب فى مصر . على أن الولاة كانوا يؤدون الى تضخم القبائل فى مصر بطريقة اخرى فان الوالى فى حالات غير قليلة لم يكن يدخل مصر ليتولى عمله بها وحده ، ولكن كان يدخل فى عدد كبير من الناس معظمهم على الأقل من بنى قبيلته . وفى حالات غير قليلة كذلك كان هؤلاء المرافقون للوالى ينضمون الى قبــائلهم فى مصر ويستمرون مقيمين بها بعد انتهاء ولاية الوالى وانصرافه عن مصر . وسوف نرى فى البحث أن قيسا مالت الى الحوثرة بن سهيل الأمير القيسى الذى ولى مصر سنة ١٢٨ هـ فارتفع بذلك عدد قيس من ١٥٠٠ الى ٣٠٠٠ . ودخــل مع الأمير يزيد بن حــاتم عدد من قبيلته الأزد سنة ١٤٤ هـ . أما المطلب الخزاعى فقد صحبه قوم من قبيلته خزاعة ، ولم يلبثوا حتى سكنوا الفسطاط وخلعوا اسمهم « المطلبية » على أحد أزقتها . وفى سنة ١٧٢ هـ ولى مصر مسلمة بن يحيى البجلى فدخلها فى عشرة آلاف من الجند لاشــك فى أن عددا كبيرا منهم كان من قبيلتــه بجيلة ، يؤيد ذلك تاريخ بجيلة فى مصر منذ دخول هذا الوالى . وقياسا على هذه الحالات ، مع ملابســات اخرى ، نرجح أن قبيلة كلب دخلت مصر حين وليها بشر بن صفوان سنة ١٠١ هـ (١٢٧) . ولدينا مثــال وحيد للنفى السياسى كعامل من عوامل تضخم القبائل فى مصر فقد نفى زياد بن أبيــه (٤٥ ــ ٥٣ هـ) قوما من الأزد الى مصر بسبب مبادئهم السياسية فانضموا الى قبيلتهم هناك (١٢٨) . على أن أهم عوامل تضخم

---

(١٢٤) الولاة : ٧٧

(١٢٥) المصــدر نفسه : ٦٨ .

(١٢٦) المصــدر نفسه : ١٠٣ .

(١٢٧) تراجع هذه الحالات جميعا فى مواضعها من البحث .

(١٢٨) انظر البحث .

القبائل كان بلاشــك الهجرة الجماعيــة ، أى هجرة أفواج كبيرة من الخارج وانضمامهم الى من سبقوهم الى دخول مصر منذ الفتح . لقد شهدت بلى الفتح ، ولكن لم يلبث كل من كان منها بالشام حتى لحقوا باخوانهم فى مصر بأمر من عمر (ت ٢٣ هـ) (١٢٩) . ثم مدت الامداد فى زمان عثمان وما بعد ذلك ، وكثر الناس ، ووســع كل قوم لبنى ابيهم حتى كثر البنيان فى الفسطاط والتأم (١٣٠) . وسنرى فى البحث كيف ظلت قريش تهاجر الى مصر منذ القرن الأول حتى الخامس . كما ظل بنو عذرة يفدون الى مصر ســواء بصــورة فردية أو جماعية منذ القرن الأول . ويمكن تفسير تقدم جهينة التدريجى من الفسطاط الى مصر العليا حتى وقفت على حدود مملكة النوبة فى القرن الثالث بهجرة بطون كثيرة منها الى مصر بعد الفتح وانضمامها الى العدد القليل الموجود منها بالفسطاط . أما قيس فقد هاجرت هجرتها الكبرى الى مصر عام ١٠٩هـ وربما كانت تميم دخلت مصر مع العباســيين ســنة ١٣٢ هـ . وتمت الهجرة الفعلية لربيعة الى مصر فى خلافة المتوكل أعوام بضــع واربعين ومائتين (١٣١) . وفى كل حال فقد انعكست ظاهرة تضخم القبــائل فى اعادة تدوين الدواوين ثلاث مرات فى فترات متقاربة بعد التدوين الأول الذى قام به عمرو بن العاص (ت ٤٣ هـ) . فقد دون عبد العزيز بن مروان (ت ٨٦ هـ) التدوين الثانى . أما التدوين الثالث فقام به قرة بن شريك سنة ٩٥ هـ . ودون بشر بن صفوان التدوين الرابع سنة ١٠٢ هـ . ولم يكن بعد ذلك فى الديوان شيء له ذكر الا ما كان من الحــاق قيس فيه زمن هشــام سنة ١٠٩ هـ ، وأشــياء أحدثهــا المسودة ــ أى العباسيون ــ من ارباعهم ــ التى أحدثوها فيه (١٣٢) . وايا كان الأمر فهكذا اجتمعت عدة عوامل ما بين اجتماعية ومناخيــة واقتصادية وديموجرافية على ارغام العرب على ترك الفسطاط والتحرك فى أرجاء مصر فى اتجاهات مختلفة ثم الاستقرار فى الأماكن التى انتهى اليها مطــافهم . ولا نزاع فى أن هذه الهجرة الداخلية كانت ذات اثر بعيد فى وصل ما بين العرب والمصريين .

---

(١٢٩) ابن عبد الحكم : فتوح مصر : ١١٦ .

(١٣٠) المصــدر نفسه : ١٢٨ .

(١٣١) تراجع هذه الهجرات فى مواضعها من البحث .

(١٣٢) الكندى : الولاة : ٧١ المقريزى : الخطط ١ : ٩٤ .

وبعد — فان العرب لم ينكمشوا داخل فسطاطهم ، ولم يتقوقعوا فيه جامدين ، ولم يحاولوا أن يقيموا بينهم وبين أصحاب البلاد الأصليين سورا من العزلة والكبرياء ، ولم يتخذوا من الفسطاط قلعة حربية يتحصنون بها ويمارسون من داخلها حكم البلاد منفصلين عن الشعب خلف ارستقراطية السيف والدم . ربما لم يكن العرب يتوقعون أول الأمر ان يطول بقاؤهم فى مصر ، غير انهم لم يلبثوا حتى قرروا الاقامة الدائمة فيها واتخاذها وطنا جديدا . وهكذا أصبحوا هم « أهل مصر » و « المصريين » ، أما المصريون الأصليون أصحاب البلاد فهم القبط .

وبالرغم من أن الغزو قد بوأ العرب قمة الهرم الاجتماعى ، وجعلهم يشكلون الطبقة الارستقراطية فى المجتمع المصرى ، فان العوامل الأربعة التى فرغنا من تحليلها — الارتباع ، والرباط ، والضيافة ، والهجرة الداخلية — يضاف اليها علاقات الحياة اليومية ، أقامت جسورا مادية وادبية بين الارستقراطية العربية الغازية وبين الشعب المصرى عبرت عليها انواع مختلفة من الصلات بين الجانبين . ولاشك أن الحاجة — أى المنفعة — المتبادلة قد دعمت هذه الصلات وعمقتها ، كما اكسبت تلك العوامل الأربعة قوة جديدة على مباشرة وظيفتها فى الربط بين العرب والمصريين غير اننا لا نستطيع أن نغفل فى هذا المجال بساطة العرب فى مجموعهم وما يتمتعون به من قيم انسانية ، الى جانب ما يوصى به دينهم الجديد من مؤاخاة المؤمنين والتسامح مع الكتابيين ، لقد أقام العرب بين ظهرانى المصريين ، واتصلوا بهم اتصالا دائما ، واحتكوا بهم احتكاكا مباشرا ، وامتزجوا بهم امتزاجا عميقا حتى أصبحوا بعد قليل مواطنين أصليين تجمعهم مع الفلاحين المصريين مصالح حيوية واحدة جعلتهم يشعلون بيد واحدة ثورة أسفل الأرض الكبرى سنة ٢١٦ هـ ضد السلطات الحاكمة (١٣٣) . وفى رجب (٢١٨ هـ) افتتح المعتصم خلافته باسقاط من فى الديوان من العرب ، فجردهم بذلك من صفتهم الحربية كغزاة وما كان يترتب على ذلك من امتيازات طبقية يتمتعون بها وحولهم الى مواطنين عاديين ، وكان لهذا الاجراء الخطير رد فعله فى مصر ، فقد ثار الزعيم العربى يحيى بن الوزير الجروى فى جمع من قبيلتى لخم وجذام ، وبرر ثورته بقوله : « هذا أمر لا نقوم

---

(١٣٣) رجع : الكندى : الولاة : ١٩٠ — ١٩٢ .

فى أفضـــل منه لأنه منعنا حقنا وفيئنا » . وبالرغم من خطورة الأمر الذى يتعلق بالعرب كطبقة ممتازة لم يستمع الى الجروى ســوى نحو من خمسمائة رجل . وبعد معركة بين الثوار وبين والى مصر التركى فى بحيرة تنيس فى جمادى الأولى سنة ٢١٩ هـ أسر الجروى فتفرق عنه أصحابه وانتهت آخر ثورة عربية (١٣٤) . لاشـــك فى ان العرب كانوا حينذاك فى مصر آلافا مؤلفـــة ، ولاشك فى انهم كانوا على جانب كبير من الثراء ، وبالرغم من ذلك لم يشترك فى هـــذه الثورة الفاشلة ســوى ذلك العدد الضئيل . وفى هذا ما يدل بوضـــوح لا يقبل الشك على عدم اكتراث العرب فى مصر بامتيازاتهم الطبقية التى يستمدونها من كونهم سلالة غزاة فاتحين ، كما يدل على أن مصالحهم لم تعد بعد مصالح عسكرية سياسية تستهدف الحكم والسلطان بصفة أساســية وانما أصبحت مصالح اقتصادية زراعية تستهدف الانتاج والثراء . أى أن العرب كانوا حينذاك ــ بعد أقل من قرنين من الفتح ــ قد تحولوا من طبقـــة ارستقراطية عسكرية حاكمـــة الى مواطنين مدنيين يمارسون الأعمال المدنية السائدة فى البيئة الجديدة وهى الزراعة . وهكذا انتهت الأمور بالعرب الى نتيجة مخالفة تماما لسياسة عمر بن الخطاب الذى كان يحرص على أن يظل العرب فى الأمصـــار المفتوحة مجرد جنود لا يمارســـون عملا سوى العمل العسكرى ، ولذلك أعلن فيهم « ان عطـــاءهم قائم ، وأن رزق عيالهم ســـائل ، فلا يزرعون ولا يزارعون » (١٣٥) . ولـــا لم يقتنع شريك بن سمى الغطيفى أحد قادة الفتح ، بذلك ، وباشر الزراعة فى مصر بالفعل غير آبه باعتراض عمرو ، محتجا بأنهم لا يعطونهم ما يحسبهم ، اســـتدعاه عمر الى العاصـــمة ليجعله نكالا لمن خلفه ، ولكنه لم يلبث حتى عفا عنه بعد أن أعلن توبته من المخالفة الخطيرة (١٣٦) .

وفى كل حال لم يقف الأمر بالعرب عند هـــذا الحد ، فقد انتهوا الى الذوبان التـــام فى المصريين ذوبانا عبر عنـــه المقريزى بقوله انهم « قد أبادهم الدهر » (١٣٧) . ولكن الحق ان الدهر لم يبد العرب

---

(١٣٤) الكندى : الولاة : ١٩٣ ــ ١٩٤ .

(١٣٥ ، ١٣٦) ابن عبد الحكم : فتوح مصر : ١٦٢ .

(١٣٧) البيان والاعراب : ١٨ .

الا ظاهريا فقط وفقا لقانون الفناء أو التلاشى الظـاهرى . لقد اختفى هؤلاء العرب كأفراد وقبائل ، ولكن بعد أن نقلوا دماءهم الى عروق الشعب الكبير ، ونفخوا فيه من روحهم ، واكسبوه لسانهم ، وادخلوه دينهم ، وتحولوا الى خلايا حية فى كيان الأمة الخـالد . لقد دفع العرب الفاتحون أجسامهم الفانية ثمنا لخلود روحهم فى روح ذلك الشعب العظيم الذى ارتبط بهم طوال الأزمان .

عندما دخل العرب مصر هذه المرة التى تمت فى وضح التاريخ سنة ٦٤٠ م بدأت مرحلة تاريخية جديدة فى حياتها ، وانفتح عصر جديد فى تاريخها هو العصر العربى الاسـلامى . ولما كان واقعنا الحـاضر الحى ــ نحن المصريين ــ ليس سوى الامتـداد الطبيعى المتطـور لتلك المرحلة وجب علينا . كحاجة حيوية وضرورة علمية ــ ان ندرس عمليـة دخول العرب مصر هـذه ، وتحركهم فى أرجائها ، واتصـالهم بأهلها ، و ــ فى كلمة ــ تفاعلهم مع بيئتها ومجتمعها دراسة جادة عميقة تكشف جوانب هذه العملية الحيوية سياسيا واجتماعيا ولغويا وفنيا الخ .. بحيث يتيسر لنا ان ندرك فى وضوح ودقة ــ اى علميا ــ نقطـة الانطلاق التى بدأ منها واقعنا القومى العربى الذى نعيشه اليوم وتعيشه معنـا سائر الشعوب العربية بعد ان وجدنا فيه انفسنا وعرفنا منه طريقنا .
ولما كان الجيش العربى الفـاتح يقوم على أسـاس قبلى بحت ، كما كانت الطبقة العربية تقوم على الأساس نفسه بحيث كانت القبيلة واوضاعها وعلاقاتها هى اساس الاجتماع والسـلوك العربى فى مصر كان حجر الزاوية فى هذه الدراسـة ، أو المنهج المتفق مع طبيعة الموضوع ذاته ، هو دراسة وفود تلك القبائل الى مصر ، وتتبع تحركات كل قبيلة فى ارجائها ــ هـذه التحركات التى فرغنا فيما مر من تحليل عواملها الكبرى ــ وتوضيح أوجه نشاطها ، وحصر الشخصيات التى نبغت من بين أبنائها أو مواليها ، وبيـان مدى ونوع اتصـالها بالمصريين ، وتحديد الأثر الخـاص الذى تركته فى الحياة المصرية ، ثم بيان المصير الذى انتهت اليه .

هذه الدراسة نفسها هى ما حاولت تحقيقه فى ذلك البحث الذى حصلت به على درجة الماجستير ، بتقدير جيد جدا ، من قسم اللغة العربية من كلية الآداب من جامعة القاهرة عام ١٩٥٦ باشراف الأستاذ الجليل المرحوم الدكتور محمد كامل حسـين أسـتاذ الأدب المصرى السابق وأحد رواد دراسة هذا الأدب فى عصره الاسلامى .

يبدأ المقريزى المقالة الوجيزة التى الفها فى ذكر من بأرض مصر من طوائف العرب بعنوان « البيان والاعراب عما بأرض مصر من الاعراب » قائلا : « أعلم أن العرب الذين شهدوا فتح مصر قد ابادهم الدهر وجهلت أحوال أكثر اعقابهم ، وقد بقيت من العرب بقايا بأرض مصر ، فمن بقى » : (١٣٨) وهذه العبارة الموئسة من ذلك المؤرخ المصرى الكبير صحيحة الى حد بعيد ، ولكن اهمية الموضوع تدفع الباحث الى تحدى العقبات مهما كانت . وأهم هذه العقبات وأضخمها هو عدم وجود مرجع رئيسى مباشر فى الموضوع ، اذ لم يخطر لأى من المؤرخين المصريين الأقدمين — وما كان أكثرهم وأعظمهم — أن يهتم بهذه المسألة الأساسية. ولكن هؤلاء المؤرخين انفسهم ، وغيرهم من المؤرخين الاسلاميين ، قد ذكروا — عن غير قصد معلومات قيمة عن هذه القبائل وهم يسجلون حوادث مصر أو يترجمون لشخصياتها . وبالرغم من ان ذلك يفرض على الباحث صعوبة أخرى ، اذ يتحتم عليه أن ينقب بدقة فى كل المراجع العامة والخاصة ، فهى صعوبة محتملة ولاسيما انها الطريق الوحيد . وقد قدمت كتب الطبقات ، وأوراق البردى ، وشواهد القبور خدمات هامة فى هذا السبيل . وانا أقوم بهذا العمل كنت أحس احساسا قويا كما لو كنت ازاء مجموعة ضخمة من الأوانى الثمينة النادرة تعرضت لسبب أو لآخر للتحطيم ، ثم اختلط حطامها ، ثم تبعثرت شظاياها هنا وهناك على ابعاد كبيرة فى مساحة هائلة من الأرض ، وان مهمتى هى ان انحنى فوق ذلك الحطام التقطه قطعة قطعة ، ثم انظف هذه القطع وانقيها مما قد يكون تسرب اليها من قطع دخيلة ، ثم أصنفها تصنيفا واسعا عاما لا ينفك يدق ويضيق شيئا فشيئا حتى ينتهى الى مجموعات جد محدودة تشترك فى خواص أساسية تمكننا آخر الأمر من تمييز الحالات الفردية وفصلها بعضها عن بعض .

ولست أزعم انى قد أفلحت فى حصر المجموعة كلها وترميم جميع أوانيها ، ولكننى أستطيع أن أقرر انى قد قمت بالجانب الأكبر من المهمة. ان مزيدا من التنقيب قد يضيف قطعة هنا أو قطعة هناك ، ولكن دون أن يؤدى الى تغيير جوهرى . وهناك تجمعات قد عجزت عن ردها الى أصلها ، وليس يسعدنى شىء أكثر من أن أوفق ، أو يوفق غيرى ، الى اماطة هذا الغموض عنها .

---

(١٣٨) البيان والاعراب : ١٨ .

وقد التزمت ــ وهذا طبيعى تماما ــ فى تصنيف القبائل العربية فى مصر نفس التصنيف التقليدى الذى ابتدعه ثم التزمه علمـاء النسب الأقدمون عندما قسموا العرب قسـمين ، أو شعبين اساسيين : عدنان وقحطان ، ثم قسموا عدنان الى مضر وربيعـة ، وقحطان الى كهـلان وحمير ، وهكذا حتى ينتهوا الى الأسرة الواحدة الصغيرة متسلسلين من الشعب الى القبيلة ثم العمارة ، ثم البطن ثم الفخذ ثم العشيرة ثم الفصـيلة .

وحرصت على ان اشير الى الموطن السابق للقبيلة فى بلاد العرب ، وحياتهم هنـاك ، وما عرفت به بين القبائل قبل الاسـلام وبعده . ثم أحدد زمن قدومها الى مصر ، ومكان نزولها . ثم أتتبع تحركاتها ، وأسجل نشاطها ، واشير الى من نبغ من ابنائها . ثم أتناول فروعها ــ ان كان لها فروع فى مصر ــ وفق الخطة نفسها . واخيرا أذكر من عرف من مواليها . ثم أحاول أن أصـدر حكما عاما على القبيلة يبين مـدى أهميتها بالنسبة الى الحياة المصرية .

وأمكن بالنظر فى جميع القبائل العربية وبطونها التى وفدت الى مصر فى الفترة المحددة للبحث أن نخرج بالاحصاءات الآتية :

أولا ــ مجموع القبائل والبطون العربيـة التى وفدت الى مصر واقامت بها ، سواء مع الفتح أو بعده ، ٢٤٤ توزع كالآتى :

(أ) عـدنان	٣٠ قبيلة
	٣٠ بطنـا
(ب) قحطـان	٦١ قبيلة
	١١١ بطنا
(جـ) تجمعات خاصة	٣
(د) قبائل مجهولة	٩
ثانيا ــ مجموع قبائل عدنان وبطونها	٦٠
مجموع قبائل قحطان وبطونها	١٧٢

وعلى هذا الأساس يكون العرب القحطانيون حوالى ثلاثة اضعاف العرب العدنانيين . ولنا أن نتوقع أن القحطانيين كانوا نتيجة لذلك أصحاب الأثر الفعلى الذى تركه العرب فى الحياة المصرية (١٣٩) .

ثالثا ــ ليست القبائل متساوية فى عدد من جاء منها الى مصر ، وسوف نرى فى البحث قبائل لا نكاد نجد منها أحدا ، فى حين أن هناك قبائل تكاد تكون هاجرت برمتها الى مصر . والاحصائية التالية تبين أكثر القبائل بطونا وبالتالى اضخمها عددا :

القبيلة	العدد			
قريش	١٣ بطنا	خندف ــ مضر ــ عدنان		
الأزد	١٨ قبيلة	مالك	كهلان	قحطان
غافق	٩ بطون			
تجيب	١٤ بطنا	عريب		
خولان	٧ بطون			
مراد	١٠ بطون			
المعافر	١٣ بطنا			
حضرموت	١٠ بطون	الهميسع	حمير	
رعين	١٢ بطنا			

(١٣٩) تختلف هذه النتيجة مع ما يقرره أستاذنا الجليل د. سليمان حزين ، وهو يتحدث عن تطور الصفات السلالية لسكان وادى النيل الأدنى على مر العصور (تاريخ الحضارة المصرية : العصر الفرعونى : ٢٩) من ان القبائل العربية التى نزحت فى العهد العربى الى وادى النيل الأدنى كان منها قلة من القحطانيين (عرب الجنوب) وكثرة من العدنانيين (عرب الشمال) ، معللاً بذلك عدم حدوث تغيير فى تكوين المصريين العام نتيجة لموجات العرب المتلاحقة . ونحن نميل الى تعليل عدم تغير تكوين المصريين العام بقلة عدد العرب الوافدين بالنسبة الى مجموع الشعب المصرى . وهذه الظاهرة تلحظ فى جميع مراحل تاريخ مصر ، فقد تعاور على المصريين كثير من الأجناس المختلفة من عرب الى نوبيين الى ليبيين الى يونانيين الى فرس الى أتراك ، امتزجوا بالمصريين امتزاجا دمويا دون أن يؤدى ذلك الى تغيير خصائص المصريين الجنسية ، لأن هؤلاء الوافدين كانوا يفلحون فقط فى تجديد دماء المصريين دون تغييرها اذ لا يلبث الشعب حتى يهضمهم ويتمثلهم وكان ذلك احد عوامل احتفاظ المصريين بحيويتهم عبر العصور .

من هذه الاحصائية نستطيع الخروج بالنتائج الآتية :

١ — قريش أكبر القبائل العدنانية عددا فى مصر .

٢ — قبائل عريب أكثر القبائل القحطانية عددا .

٣ — قبائل الهميسع أقوى تمثيلا لحمير من قبائل قضاعة .

٤ — قبائل كهلان بعامة أقوى تمثيلا لقحطان من قبائل حمير ، وكانت النسبة بينهما ٣ : ١ تقريبا .

واخيرا فانى اذ أرجو أن يكون هـذا البحث وثيقة تسهم علميا فى التدليل على عراقة مصر العربية ، أرجو فى الوقت نفسه أن يجد فيه الباحثون المعنيون بتاريخ اقليمنا المصرى وآدابه ولغته شيئا مفيدا .

ولابد لى فى هذا المقام من أن أذكر بالمحبة والاجلال أستاذى وأبى الروحى الأسـتاذ أمين الخـولى الذى بدأت معه درس الأدب المصرى الاسلامى والتخصص فيه عام ١٩٥٠ .

كما أجد واجبا على أن أسجل الشكر الجميل للسيدة « ف » ابنة شقيقتى التى أدين لذكائها واخلاصها بأكبر الفضل فى انجـاز هذا البحث .

عبد الله خورشيد البرى

القـــاهرة

سبتمبر ١٩٦٤

الباب الأول

• القبائل العدنانية



الفصـــل الأول

تنسب القبائل العربية التي عاشت فى النصف الشمالى من شبه جزيرة العرب ، والتى تتكون من العرب المستعربة ، الى عدنان ، باعتباره جدها الأعلى . وكان ذلك القسم الشـــمالى من الشعب العربى ينقسم بدوره قسمين عظيمين هما : مضر ، وربيعـــة . ثم يعود كل من هذين القسمين فينقسم اقساما اخرى اصغر . ونتناول بالحديث الآن هذه الأقسام جميعا مرتبة ترتيبا تنازليا :

قبـــائل مضر

امتاز هذا القسم بالضخامة حتى لقد قيل : اكثر من ربيعـــة ومضر (١) وهيات هـــذه الكثرة العددية التفوق المـــادى والأدبى لقبائل مضر ، فكانت أهل الكثرة والغلب بالحجاز من ســـائر بنى عدنان ، وكانت لهم الرياسة بمكة والحرم (٢) . وفى الاســـلام ظهر منهم جماعة من العلماء والمحدثين من المتقدمين والمتأخرين (٣) .

وقدمت قبائل من مضر ، كما سنرى فى جيش عمرو الذى فتح

---

(١) السمعانى : الانساب : ص ٥٣٣ أ

(٢) القلقشندى : نهاية الأرب ص ٣٤٠ .

(٣) الانساب ص ٥٣٣ أ .

به مصر . وقد اختطت هذه القبائل ــ اى اتخذت مساكنها ــ بالفسطاط فى أسفل الشرف ــ او التل ــ المطل على بركة الحبش ، وهو التل الذى أقامت على سفحه قبائل حمير والمعافر القحطانية (٤) .

ويبدو أن قبائل مضر بعامة فقدت جانبا من قوتها مع الزمن ، أو انها كانت باقامتها فى مصر أسرع من غيرها الى التخلص من عنف البداوة ، والأخذ بأسباب النظام والقانون ، فحينما رفضت قبيلة المعافر استعمال المدى الذى أراد الخليفة هشام أن يوحد به المكيال فى خلافته سنة ١١٧ هـ وكسرته افتخر الشاعر المعافرى بهذا السلوك العنيف ضد الخليفة القوى .

من بعد ما ذلت له　　　اعناق يعرب بل مضر (٥)

وقد حفظ لنا اسم أحد عرفاء مضر ، شعبة بن عثمان التميمى (ت ١٣٣ هـ) أول من قدم مصر من قواد المسودة (العباسيين) ، وكان على مقدمة عامر بن اسماعيل المرادى الجرجانى . ولا نستطيع اتخاذ هذا دليلا على انحياز مضر الى العباسيين عند ذاك ، فان شعبة نفسه قد ضرب صالح بن على ، أمير مضر ، عنقه سنة ١٣٣ هـ لأنه تستر على أحد الأمويين الهاربين (٦) .

وفى كل حال فان بعض القبائل المضرية كان من بين القبائل العربية الكثيرة التى سارت الى الجنوب بحثا عن الذهب فى منطقة العلاقى (٧) ، والتى أقامت بأسوان وملكت الضياع فى بلاد النوبة منذ صدر الاسلام فى دولة بنى أمية وبنى العباس (٨) .

هذا عن قبائل مضر ككل . ونتناولها الآن بالتفصيل الذى يتيح لنا أن نرى الى نسبتها العددية ، وتحركاتها ، واثرها فى الحياة المصرية فى الفترة التى نعنى ببحثها .

تنقسم مضر قسمين كبيرين هما : خندف ، وقيس .

---

(٤) ابن عبد الحكم : فتوح مصر ص ١٢٦ ــ ١٢٧ ، على بهجت : حفريات الفسطاط ص ٢٢ .
(٥) الكندى : الولاة : ص ٧٩ .
(٦) الولاة ص ٩٩ ، وابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ج ١ ص ٣٠٢ .
(٧) اليعقوبى : كتاب البلدان : ص ١٢٣ .
(٨) الخطط : ج ١ ص ١٩٧ ــ ١٩٨ .

اولا – خنـــدف

تنقسم بدورها قسمين كذلك : بنو مدركة ، وبنو طابخة .

١ – بنـو مدركـة

جاء الى مصر من بنى مدركة القبائل الآتية :

١ – هـــذيل :

تفرقت هذه القبيلة فى البلاد بعد الاســلام (٩) . وجاء قســم منهـا الى مصر ، فكان لها خطـة بالفســطاط (١٠) ، فى الحمــراوات الثلاث (١١) ، وهى خطط القبـائل من غير الجنس العربى من الروم والفــرس (١٢) .

وكانت هذيل تترك خطتها هذه مرةعلى الأقل كل عـام ، وتتجه نحو الشمال ذاهبــة الى بنا وبوصبر (١٣) (مركز سمنود ، محافظـة الغربية) (١٤) حيث كانت تأخذ مرتبعها أى ترعى دوابها فى الربيع . فى حين اتجهت طائفة منها – فى وقت متأخر أغلب الظن أنه يقع فيما بين منتصف القرنين الرابع والخامس – الى الجنوب حيث أقامت فى طوخ الخيل (١٥) ، قرية بالصعيد فى غربى النيل (مركز المنيا) (١٦) . وعلى شواهد القبور ما يشير الى ذلك . فهنـاك شـاهدان يرجعـان الى أواسط القرن الثالث الهجرى ، لاثنين من هذيل أحدهما بالفسطاط والثانى بالصعيد (١٧) .

---

(٩) الانساب ص ٨٨ب .

(١٠) فتوح مصر ص ١١٧ .

(١١) ابن دقماق : الانتصار ج ٤ ص ٥ .

(١٢) فتوح مصر ص ١٢٩ ، وحفريات الفسطاط ص ٢٢ .

(١٣) فتوح مصر ص ١٤١ .

(١٤) Amélineau, p. 9 والدليل الجغـرافى ص ١٧٧ ، ويلاحظ اننـا استبدلنا كلمة « محافظة » بكلمة « مديرية » تمشيا مع القـانون الخـاص بذلك ، قانون نظام الادارة المحلية رقم ١٢٤ لسنة ١٩٦٠ .

(١٥) نهـاية الأرب ص ٣٤٩ .

(١٦) ياقوت : معجم البلدان ج ٦ ص ٦٦ والدليل الجغرافى ص ٢٩٣ .

(١٧) Rép. Chro. 11, pp. 31 — 32, 199 — 200.

ومن شخصيات هذيل البارزة بمصر بدر بن عامر وهو شاعر مخضرم (١٨) ، ومنصف بن خليفة له شعر فى مدح ابن طولون سنة ٢٦٩ هـ (١٩) .

وكان لهذيل فى مصر بطون انتسب اليها أبناؤها بالرغم مما زعمه ابن عبد ربه من أن بطون هذيل كلها لا تنتسب الى شىء منها ، وانما تنتسب الى هذيل لأنها ــ اى هذيل ــ ليست جمجمة (٢٠) .

وبطون هذيل بمصر فى كل حال هى :

(ا) زليقة :

منها عطاء بن رافع (ت ٨٤ هـ) ، كان من قواد الأسطول المصرى (٢١) .

(ب) خناعة :

منها عطاء بن دينار (ت ١٢٦ هـ) من صغار التابعين بمصر من الموالى (٢٢) .

والذى نستطيع أن ندركه بعد هذا هو أن قبيلة هذيل كانت بمصر محدودة الأهمية ، مثلما كانت محدودة العدد ، وانما ظلت ظاهرة بمصر حتى القرن الثالث .

٢ ــ كنانة :

قبيلة عربية كبيرة كانت مضاربها عند بدء الاسلام فى المنطقة حول مكة (٢٣) . وتستمد كنانة أهميتها من أن قبيلة قريش ، والنبى بالتالى ، منها . وبالرغم من أن بطونا مختلفة من كنانة قد هاجرت فى

---

(١٨) السيوطى : حسن المحاضرة ج ١ ص ٧٦ .
(١٩) الولاة ص ٢٢٨ .
(٢٠) العقد الفريد ج ٢ ص ٢١٨ .
(٢١) الانساب ص ٢٧٧ أ .
(٢٢) المصدر نفسه ص ٢٠٨ أ ، ونهاية الأرب ص ٢٠٨ ، وحسن ج ١ ص ١٠٩ .
(٢٣ ، ٢٤) Ency. Isl. II,p p. 1017 — 1018.

فترات متفاوتة ــ كان آخرها فى القرن السادس الهجرى ــ الى مصر حيث أقامت فى غربى الدلتا وفى الصعيد قرب اخميم (٢٤) ، فان هـذه القبيلة ــ اذا نظرنا اليها فى غير بطونها التى مثلتها فى مصر ــ تبدو فى الفترة التى ندرسها غامضـة غير محسوسة الأثر . فليس لدينا من شخصياتها التاريخية سوى رجل واحد هو الدماحس بن عبد العزيز الذى قاد جماعة من قيس منضما الى عمرو بن سهيل الأموى فى الثورة على مروان الحمار سـنة ١٣٢ هـ ونزلوا الحـوف الشرقى وأظهروا الفساد (٢٥) . وحتى هـذا الرجل نشك فى كونه من كنانة مدركة التى نتحدث عنها الآن ، ونميل ــ اعتمادا على ما نعرف من طبيعة ثورات أهل الحوف التى كان يقوم بها قبـائل قيسية ويمنية بالذات ــ الى الظن بأن الدماحس هـذا كان من كنانـة كلب القبيلة القضاعيـة . أما شواهد القبور فتشير الى وجود عدد كبير نسبيا من هـذه القبيلة بمصر فى أواسط القرن الثالث الهجرى (٢٦) .

وبالرغم مما يلاحظه مكمـايل (٢٧) من أن تاريخ هجرة كنانـة الى مصر ومداها كليهما غير مؤكد فاننا نستطيع أن نطمئن الى وجودها من بين قبائل الفتح على الأقل ممثلة فى بطونها (٢٨) التى سـوف نتحدث عنها بالتفصيل بعد قليل . ثم كانت كنانة من القبائل التى هاجرت ــ ولو جزئيا ــ من الفسطاط الى منطقة الأشمونين (٢٩) حيث أقامت مع قريش التى تركزت فى هذه المنطقة منذ القرن الثالث على الأقل (٣٠) .

وفى تاريخ يجىء بعد قيام الدولة الفاطمية ، اى بعد منتصف القرن الرابع الهجرى ، هاجرت كنانة بصورة واسعة من الحجاز ــ ومعها جماعة من أخلاط العرب ــ الى مصر . ويبدو أن كنانة اتجهت عند ذاك مباشرة الى بلاد قريش اى منطقة الأشمونين اعتمادا على الصـلات القديمة بينها وبين قريش . ولكن قريشا لم تمكنهم من التعدية الى بلادهـا الا بوسـاطة بنى ابراهيم بن محمـد وهم من سـلالة جعفر

---

(٢٥) الولاة ص ٦٤ .

(٢٦) Rép Chro. II, pp. 9 108 — 109, 158, 208.

(٢٧) Macmichael, I, p. 141.

(٢٨ ، ٢٩) نهاية الارب ص ٣٣٠ .

(٣٠) أوراق البردى ج ١ ص ٧٤ ، تناولنا مسألة تحرك قريش بالتفصيل ص ٨٦ ــ ٩٠ من هذا البحث .

الطيار (٣١) . ويبدو ان هـذه الهجرة كانت بداية ، أو احدى الهجرات التى انتشرت كنانـة عن طريقهـا فى غربى مصر وفى صعيدها كما سبق القول .

ولكنانة بطون كبيرة بلغت درجة القبائل الكبرى التى تتكون من عدة بطون ، ولكننا نرجىء الحديث عنها لحظة لنذكر البطون الصغيرة الآتيـة :

(أ) العقـب :

يظن السمعانى (٣٢) انه بطن من كنانة ، ويذكر منه فضل بن عمير (ت ١٩٧ هـ) من أهل مصر ، محـدث ، ولى القضـاء باحدى كور مصر .

(ب) كنانـة طلحـة :

ذكرهم القضـاعى فى خطط مصر وقـال ان منهم أخلاطا فى بلاد قريش (٣٣) .

(ج) جـرش :

لا نعرف عن هذا البطن سوى ما ذكره ابن دقماق (ج ٤ ص ٣) من انه من كنانة ، من أهل الراية .

ونتنقل الى بطون كنانـة الكبرى ، وسنعاملها من حيث الترقيم معاملة القبائل المستقلة .

٣ - فهـر :

ليس لدينا قبيلة ذات كيان خاص تحمل هذا الاسم ، فالمعروف أن فهرا هو جماع قريش منه تفرقت بطونها (٣٤) . وعندما نتحدث عن الفهريين ، أو بنى فهر ، فانما نعنى فى الواقع ذرية الحـارث ومحارب

---

(٣١) البيان والاعراب ص ٤٠ .
(٣٢) الانساب ص ٣٩٤ ب .
(٣٣) نهاية الارب ص ٣٣٠
(٣٤) البيان والاعراب ص ٣١

ابنى فهر وهم قريش الظواهر لأنهم نزلوا حول مكة وليست لهم (٣٥) . أما ذرية الابن الثالث ، غالب ، فهم قريش ، قريش البطاح (٣٦) .

يبدأ موكب الفهريين فى مصر منذ اللحظة الأولى . فهم لهم دار باسمهم فى الفسطاط (٣٧) . ونرى من شخصيات الفتح يزيد بن أنيس وولديه (٣٨) ، والمستورد بن سلامة الصحابى (ت ٤٥ هـ بالاسكندرية) (٣٩) وعقبة بن الحارث (ت ٥٨ هـ بمصر) الصحابى المقرىء الفقيه المحدث الأمير (٤٠) . ولعل عبد الرحمن بن جحدم هو أهم الفهريين فى مصر على الاطلاق وان كان لم يقم بها ، فان حروبه بها واستيلاءه عليها باسم الزبير (٦٤ – ٦٥ هـ) من أهم الحوادث فى تاريخها (٤١) .

ومن بنى فهر كانت فى مصر أسرة نشأت بها مع الفتح ، وظل أفرادها حتى أوائل القرن الثالث يلعبون على مسرح الحياة المصرية أهم الأدوار أولئك هم بنو نافع بن عبد قيس . وكان نافع نفسه ممن شهد الفتح (٤٢) . وشهده معه ابنه عقبة (ت ٦٣ هـ) ، الذى اختط بمصر ، واضطلع بالمهمات الحربية الخطيرة ، وولى المغرب (٤٣) . وكان ابنه عياض ممن لحق بابن الزبير من أهل مصر سنة ٦٤ هـ (٤٤) . وكذلك فعل ابنه أبو عبيدة الذى كان قائدا للمصريين فى غزوة القسطنطينية سنة ١٠٠ هـ (٤٥) ، فضلا عن انه كان من مشاهير التابعين بمصر (٤٦) . وكان نافع بن أبى عبيدة قائدا بحريا كأبيه (٤٧) .

---

(٣٥) العقد الفريد ج ٢ ص ٢٠٦ .

(٣٦) المصدر نفسه ج ٢ ص ٢٠٧ .

(٣٧) الانتصار : ج ٤ ص ١١ ، ١٢ .

(٣٨) فتوح مصر : ص ١٣٥ – ١٣٦ وحسن المحاضرة ج ١ ص ٩٣ ، ١٠٠ .

(٣٩) حسن المحاضرة ج ١ ص ٩٨ .

(٤٠) المصدر نفسه ١ : ٩٢ . ويلحظ ان السيوطى يذكره خطأ بدلا من عقبة ابن عامر الجهنى .

(٤١) الولاة ص ٤١ – ٤٣ ، والخطط ج ٤ ص ٣٤٠ .

(٤٢) النجوم ج ١ ص ٢٠ ، ٢١ .

(٤٣) فتوح مصر ص ١٩٤ – ١٩٩ ، والولاة ٣٢ – ٣٣ . والانساب ٤٩٧ ب .

(٤٤) الولاة : ص ٤١ .

(٤٥) المصدر نفسه : ٤١ ، ٦٩ .

(٤٦) حسن ج ١ ص ١٠٧ .

(٤٧) الولاة ص ٨٠

ثم لعب آل نافع بن عبد قيس هؤلاء دورا مهما فى الصراع الأخير بين الأمويين والعباسيين فقد لحق الأسود بن نافع ــ أحد أحفاد نافع ــ بالاسكندرية فسود بها ــ أى لبس السواد علامة انضمامه الى العباسيين ــ سنة ١٣٢ هـ ، واشتبك مع قائد مروان الحمار فى معركة دارت رحاها فى الكريون (ذو القعدة سنة ١٣٢ هـ) وقتل فيها عمه عيسى بن عبدة (٤٨) . وقد أحسن العباسيون مكافأة الأسود بعد انتصارهم (٤٩) . واذا كانت أسرة نافع التى بدأت أموية قد انتهت بالتحول الى جانب العباسيين فان الأدوار التى مرت بها الحياة المصرية بعد ذلك جعلت أحد أفرادها ــ ابن عبيدس (٥٠) ، من ولد عقبة بن نافع ــ يتزعم أهل نتووتمى ــ بحوف مصر الشرقى ، من أسفل الأرض (٥١) ــ فى ثورة أسفل الأرض الكبرى سنة ٢١٦ هـ (٥٢) وان اشتراك ابن عبيدس فى هذه الثورة التى ضمت سكان الدلتا جميعهم ــ عربا وقبطا (٥٣) ــ لدليل على مدى اقتراب هذه الأسرة بخاصة والعرب بعامة من الشعب المصرى ــ القبط ــ اقترابا يظهر فى وحدة المصالح التى دفعتهم الى التشارك فى الثورة على اداة الحكم .

والى جانب هذه الشخصيات البارزة من الفهريين الصلبيين نجد بعض الشخصيات المهمة من مواليهم . فهناك يعقوب القبطى رسول المقوقس الى النبى (٥٤) . وولده مسلم (٥٥) ، وحفيده ابراهيم كان فقيها (٥٦) . ولكن لا جدال فى أن عبد الله بن وهب ــ الفقيه المالكى المصرى العظيم (١٢٥ ــ ١٩٧ هـ) (٥٧) ــ هو أعظم موالى فهر على

---

(٤٨) الولاة ص ٦٥ ــ ٩٦ و ١٠١ .

(٤٩) المصدر نفسه : ص ١٠١

(٥٠) ذكر باسم عبدوس الفهرى فى الطبرى ج ٧ ص ١٩١ ، ١٩٢ والنجوم ج ٢ ص ٢١٦ .

(٥١) معجم البلدان ج ٢ ص ٣٦٦ ، ٤١٢ .

(٥٢) الطبرى ج ٧ ص ١٩١ ، ١٩٢ ، الولاة ص ١٠٩ ، ١٩٢ ، والنجوم ج ٢ ص ٢١٥ ، ٢١٦ .

(٥٤) الانتصار ج ٤ ص ٦ ، والانساب ص ٤٤١ ب ، وحسن ج ١ ص ١٠٠ .

(٥٥ ، ٥٦) الانساب ص ٤٤١ ب .

(٥٧) القضاة ص ٤١٠ ، ٤١٤ ، ٤١٧ ــ ٤١٨ وفيات الأعيان : ج ١ ص ٣١٢ والانساب ص ٤٣٤ ب وحسن ج ١ ص ١٢١ .

الاطلاق . وهنـــاك كذلك ابن أخيه أحمد بن عبد الرحمن بن وهب (ت ٢٦٤ هـ) كان محدثا ثقة (٥٨) .

لعل لنا الحق ، بعد هذا العرض السريع لبنى فهر فى مصر أن نحكم بأنهم كان لهم طوال القرنين الأولين أثر بارز موجه فى الحيـــاة المصرية سياسيا ودينيا وفكريا واجتماعيا ، ومن الواضح أن نفوذهم هذا كان نتيجة مركزهم الأدبى الرفيع ، الى جانب اقامتهم المستمرة فى مصر ، واتصالهم بالمصريين اتصـــالا يبدو فى أن معظم مواليهم من أصل مصرى .

٤ ـ قـريش :

قبيلة من كنانة انفصلت عنها قبل ظهور النبى ببعض الوقت (٥٩) . والمعروف أن قصى بن كلاب قام بجمع أولاد فهر بن مالك ـ وكانوا متفرقين فى بنى كنانة ـ الى مكة من كل أوب ، فأصبحوا عندئذ قبيلة واحدة يطلق عليها اسم قريش (٦٠) لم تلبث ان تغلبت على خزاعـــة وانتزعت منها سدانة الكعبة وحكم مكة (٦١) . فذلك الاسم هو فى الواقع جماع نسب ، وليس بأب ولا أم ولا حاضن ولا حاضنة (٦٢) ، فكما تدل كلمة قريش على البطون الكثيرة التى تنضـــوى تحتها تدل على نسب عام كذلك . ولذلك نبدأ بالحديث عن قريش فى مصر بما هى نسب عام يدل على جملة القبائل القرشية التى أقامت بمصر وينتسب اليه بعض الأفراد ، فاذا فرغنا من هـــذا تحدثنا عن القبـــائل أو البطون القرشية فى مصر .

كان عمر بن الخطاب قد حجر على أعلام قريش من المهـــاجرين الخروج فى البلدان الا باذن وأجل ، وقال فى تعليل ذلك : « الا وان قريشا يريدون أن يتخذوا مال الله معونات دون عباده ، الا فأما وابن الخطاب حى فلا . انى قائم دون شعب الحرة آخذ بحـــلاقيم قريش

---

(٥٨) الانساب ص ٥٨٦ ب وطبقات الشافعية ج ١ ص ١٩٩ .

(٥٩) نهاية الأرب ص ٣٢١ و Mac, I, P. 140.

(٦٠) العقد ج ٢ ص ٢٠٢ ـ ٢٠٣ .

(٦١) نهاية الارب ص ٣٢٣ و Ency. Isl. II, P. 984

(٦٢) البيان والاعراب ص ٣١ .

وحجزها ان يتهافتوا فى النار » (٦٣) . وربما كان هذا هو السبب الحقيقى لقلة القرشيين الذين شهدوا فتح مصر مع عمرو وأقاموا بهـا على نحو ما سنرى عند دراسة بطون قريش فى مصر . ويكفى دليلا على قلتهم أول الأمر انهم كانوا من أهل الراية (٦٤) ، أى العرب الذين لم يكن من قبائلهم فى جيش الفتح عدد يكفى لاعتبار كل منها وحدة مستقلة فجمعهم عمرو معا وجعل لهم راية خاصـة بهم يقفون تحتها (٦٥) . أما ما يراه مكمايكل من أن القرشيين كانوا ممثلين تمثيلا طيبا عند فتح مصر اعتمادا على أن عمرو بن العاص والزبير بن العوام وآخرين كثيرين من مشاهير الزعماء فى الجيش ومعظم الصحابة الذين جاءوا مع عمرو كانوا من قريش (٦٦) فهو أمر لا نميل الى الأخذ به بعد ما قدمناه.

على أن الأمر لم يستمر هكذا ، فان عثمان بن عفان لم يأخذ قريشا بالذى كان يأخذهم به عمر فانساحوا فى البلاد (٦٧) . وهنا قد نجد فرصـة لما يقوله مكمايكل من أن آخرين كثيرين من قريش هاجروا مع الولاة الأمويين والعباسيين المتعاقبين وان فرقة واحدة منهم على الأقل قد عبرت البحر الأحمر الى السودان فى القرن الثامن (٨٢–١٨٤هـ) (٦٨) .

والمسألة البالغة الأهمية فى كل حال هى مسألة تحرك قريش فى مصر . فمن الثابت أن قريشا اختطت بالفسطاط حول عمرو والمسجد هم والانصار وبقية أهل الراية (أسلم ، غفار ، جهينة ، الخ ...) (٦٩) وربما كانت قريش تأخذ مرتبعهـا فى كورة منف ووسيم القريبـة من الفسـطاط حيث كان آل عمرو بن العاص وآل عبد الله بن سـعد يرتبعون (٧٠) .

وبدأت قريش منذ الربع الأخير من القرن الأول تزحف نحو الجنوب وتقيم فى مدن الصعيد الأدنى القريبة من الفسطاط مثل حلوان وسكر . وكان بنو أمية هم الذين مثلوا قريشا فى هـذا الزحف . ولما التهت

---

(٦٣) الطبرى ج ٣ ص ٤٢٧ .

(٦٤) الانتصار ج ٤ ص ٣ .

(٦٥) فتوح مصر ص ٩٨ ، ١١٦ – ١١٧ .

(٦٦) Mac. I, P. 141.

(٦٧) الطبرى ج ٣ ص ٤٢٨ .

(٦٨) Mac. I, PP. 141 — 142.

(٦٩) فتوح مصر ٩٨ ، ١٢٧ .

(٧٠) المصدر نفسه ص ١٤١ .

الدولة الأموية ١٣٣ هـ كان للأمويين مراكز ثابتة فى الصعيد مثل بوصير قوريدس (محافظة بنى سويف) التى قتل فيها آخر خلفائهم . وربما كان فرار الأمويين من وجه العباسيين حينذاك والتجاؤهم الى مدن الصعيد فرصة كذلك لانتشار القرشيين به . وفى خروج دحية بن مصعب الأموى سنة ١٦٧ هـ بأهناس (محافظة بنى سويف) وتغلبه على عامة الصعيد دليل على وجود عصبية قرشية قوية هناك (٧١) .

فلما كان القرن الثالث كانت قريش قد تكاثرت فى الصعيد تكاثرا ملحوظا ، ويقابلنا منها ومن مواليها شخصيات كثيرة طوال ذلك القرن منهم : عبد الواحد الطحاوى (ت ٢٢٣ هـ) (٧٢) وابنه أحمد (ت ٢٤٤ هـ) (٧٣) من طحا (مركز قلوصنا بالمنيا) (٧٤) ، وأغلب الظن انها طحا الأعمدة حاليا مركز سمالوط بالمنيا) (٧٥) . والبويطى الفقيه الشافعى العظيم (ت ٢٣١ هـ) من بويط بصعيد مصر (٧٦) وذو النون الأخميمى الزاهد (ت ٢٤٥ هـ) من أخميم (٧٧) . وما كان الثوار العلويون الثلاثة – ابن الصوفى ، وبغا الأكبر ، وبغا الأصغر – ليخرجوا فى الصعيد ما بين عامى ٢٥٣ و ٢٥٥ هـ (٧٨) لولا وجود عدد كبير من قريش بخاصة ومن العرب بعامة فى الصعيد حينذاك . واذا كانت شواهد القبور تقوم (٧٩) دليلا ماديا على تكاثر قريش بمصر فى القرنين الثانى والثالث ، فان أوراق البردى (٨٠) تقدم الدليل نفسه على وجودها بالصعيد فى القرن الثالث بخاصة .

---

(٧١) انظر بنى أمية ص ٨٥ وما بعدها من هذا البحث .

(٧٢ ، ٧٣) الانساب ٣٦٨ ب .

(٧٤) Amé. r. 472

(٧٥) الدليل الجغرافى ص ٢٠٠ .

(٧٦) القضاة ص ٤٣٣ – ٤٣٥ ، ٤٤٧ ، معجم البلدان ج ٢ ص ٣١١ – ٣١٢ ، وفيات الأعيان ج ٢ ص ٤٥٧ ، حسن المحاضرة ج ١ ص ١٢٣ ، طبقات الشافعية ج ١ ص ٢٧٥ – ٢٧٧ .

(٧٧) القضاة ص ٤٥٣ والسمعانى ص ٢٢ أ ومعجم البلدان ج ١ ص ١٥٣ ، ووفيات الأعيان ج ١ ص ١٢٦ ، وحسن المحاضرة ج ١ ص ٢١٧ .

(٧٨) الولاة : ص ٢١١ – ٢١٤ .

(٧٩) Rép. Chro. I, PP. 50, 54, 57, 76, 109, 124, 222, 294 & II PP. 14, 27, 61, 121, 202 — 203, 273.

(٨٠) أوراق البردى ج ١ ص ٧٣ ، ١٠٥ – ١٠٦ ، ١١٣ ، ١١٤ ، ١١٧ و ج ٢ ص ١٠١

نستطيع بعد هذا أن نطمئن الى أن قريشا كانت فى القرن الثالث تقيم اقامة فعلية فى الصعيد الأدنى . ولكن فى أى أجزاء هذا الصعيد ؟

هنا نحب أن نشير الى انه أقام بأســوان خلق كثير من قريش ملكوا الضياع بأرض النوبة فى صدر الاســلام : فى دولة بنى أمية وبنى العباس (٨١) كما أن منطقة الأشمونين (فى مركز الروضة : محافظـة أسيوط) (٨٢) أصبح يطلق عليها فى وقت متأخر اسم بلاد قريش . وذلك لمـا سكنتها قريش بعد أن طردت منها قبيلة جهينة بمســاعدة الفاطميين . وبما ان هــذه التسمية مألوفة جدا لدى القضــاعى (ت ٤٥٤ هـ) فى كتابه « المختار فى ذكر الخطط والآثار » فاننا نرجح أن تكون هجرة قريش هذه الى بلاد الأشمونين تمت فيما بين أواسط القرن الرابع (وقت دخول الفاطميين مصر) وأواسط الخامس (زمن وفاة القضاعى) ولكننا نتساءل عما اذا كانت تلك الهجرة فعلية . وان رواية الحمدانى الخاصــة بهذه الهجرة (٨٣) تجعلنا نظن ان قريشا ــ أو جزءا منها على الأقل ــ كانت تقيم بمنطقة الأشمونين فعلا من قبل . ثم حدث خلاف بين قريش وبلى وجهينة سكان تلك المنطقة ، فانتهزت الدولة الفاطمية الفرصــة للتخلص من قبائل بلى وجهينة المشاغبة ، ولكن بليا خافت بمجرد سماعها بتحرك جنود الحكومة فانهزمت الى الصعيد . أما جهينة فانتظرت حتى طردت طردا وبذلك بقيت قريش وحدها بالأشمونين التى سارع الى الانتقال اليها عند ذلك سائر البطون القرشية التى لم تكن أقامت بها بعد .

ومن المهم أن نلاحظ ان هناك بطونا من قريش ، لا ذكر لها فى أخبار الفتح ، نفاجأ بظهورها فيما بعد بصــورة قوية . وهذه البطون هى : بنو مخزوم ، بنو تيم بن مره (البكريون) ، بنو زهرة ، بنو شيبة (من بنى عبد الدار) ، بنو أسد بن عبد العزى (الزبيريون) ، بنو مسلمة وبنو حبيب (من المروانيين والجعافرة) . وبتأمل هــذه البطون ــ وقد تحدثنا عنها فى الصفحات القادمة ــ نلاحظ أنها جميعا كانت من سكان منطقة الأشمونين ، أو هى بمعنى أصح من القبائل التى هاجرت الى

---

(٨١) الخطط ج ١ ص ١٩٧ ــ ١٩٨ .

(٨٢) Amélineau, P. 170

(٨٣) راجع هذه الرواية فى نهاية الأرب ص ١٨٦ والبيان ص ٣١ .

تلك المنطقة فى هجرة قريش الكبرى اليها . ونحن نتساءل : من أين هاجرت هذه القبائل ؟ اذا كانت هاجرت من الفسطاط أو غيرهـا من بلاد مصر فكيف لا نجد لها ذكرا فيما قبل هجرتها تلك التى حددناها بالفترة الواقعة بين أواسط القرنين الرابع والخامس ؟ ان ذلك يحملنا على أن نظن ظنا قويا أن بطونا من قريش قامت بهجرة واسـعة النطاق من الحجـاز الى مصر بعد الفتح . ولكن متى على وجـه التحديد ؟ لا نستطيع أن نحدد تاريخا بعينه ، ولكننا نستطيع أن نختـار القرن الثالث لذلك . وليس بعيدا أن البطون التى كانت تصل الى مصر عند ذاك كانت تتجه مباشرة الى بلاد الأشمونين حيث لم تزل تتكاثر الى أن طردت قبائل بلى وجهينة من هناك واستأثرت هى بالمنطقة .

والذى ننتهى اليه من ذلك كله هو أن قبيلة قريش اتجهت نحو الصعيد منذ القرن الأول اتجاها ظل موصـولا طوال القرن الثانى . فلما كان القرن الثالث كانت قريش تقيم فى الصعيد الأدنى ابتداء من حلوان حتى الأشمونين ، مع ملاحظـة ان اقامتها فى الأشمونين كانت حتى ذلك الوقت اقامة جزئية ، فلما كان القرن الرابـع ـ الخـامس أصبحت قريش جميعها تقيم فى منطقة الأشمونين التى أصبحت منذ ذلك الوقت تعرف باسـم بـلاد قريش . وأخبـار بطون قريش لدى القلقشندى توحى بهذه النقطة الأخيرة ايحاء قويا (٨٤) .

وسوف نرى عند الحديث عن بطون قريش أن هـذه القبيلة ظلت تتمتع فى مصر بمركز قوى ممتاز . ويكفى أن الولاة كانوا طوال معظم القرون الثلاثة الأولى قرشيين ، بل أن حديث القلقشندى والمقريزى عن بطون قريش يظهر فى وضـوح أن هذه البطون ظلت محتفظة بكيانهـا ونفوذها حتى وقتهما أى القرن التاسع .

وننتقل الآن الى ذكر بطون قريش التى أقامت فى مصر :

(ا) بنو سامة بن لؤى :

لم يبق لنا من اخبارهم سـوى زياد بن ذهل الذى شـهد الفتح واختط بالفسطاط (٨٥) .

---

(٨٤) نهاية الارب ص ٦٣ ، ١٨٥ ــ ١٨٦ و ٢٦٢ و ٣٣٠ و ٣٣١ .
(٨٥) الانتصار ج ٤ ص ١٠٦ .

(ب) بنو عامر بن لؤى :

أظهر من كان بمصر منهم بنو مالك بن حسل بن عامر رهط سودة بنت زمعة زوج النبى (٨٦) . وأول شخصيات بنى مالك هؤلاء وأخطرها هو عبد الله بن سعد بن أبى سرح الذى دخل مصر مع عمرو بن العاص على ميمنته ، ثم شارك عمرا فى حكم مصر واليا على الصعيد سنة ٢٣ هـ، ثم انتهى اليه أمر مصر كله صلاتها وخراجها سنة ٢٥ هـ . ومثلما كان حاكما رشيدا كان قائدا عظيما انتصر فى ثلاث حروب كبار ضد البربر فى افريقية سنة ٢٧ هـ ، وضد الأساود فى النوبة سنة ٣١ هـ وضد البيزنطيين فى البحر سنة ٣٤ هـ . ثم رأس وفدا من وجوه مصر الى عثمان سنة ٣٥ هـ لما أطلت الفتنة الكبرى برأسها . وحال تطور الحوادث بعد ذلك بينه وبين العودة الى مصر (٨٧) .

وبالرغم من أن عبد الله بن سعد توفى خارج مصر (٨٨) فان أسرته ظلت مقيمة بها حيث نظل نقابل أفرادا منها حتى أواخر القرن الثالث . وقد اختط عبد الله دارين له فى الفسطاط ، ثم بنى لنفسه (٢٧ هـ) قصرا كبيرا يعرف بقصر الجن (٨٩) . وكان آل عبد الله بن سعد من أهل الراية (٩٠) ، ولكن يبدو انهم كانوا كثيرين نسبيا . وقد أقاموا معه فى الفيوم التى يبدو انه اتخذها مقرا حكم منه الصعيد (٩١) . فلما عاد الى مصر واليا بدلا من عمرو بن العاص « وصل ومعه خلق كثير » (٩٢) . وكان آل عبد الله فى كل حال يرتبعون مع آل عمرو بن العاص فى منف ووسيم (٩٣) القريبتين من الفسطاط . ومن آل عبد الله هؤلاء نجد أخاه أويس بن سعد شهد فتح مصر واختط بها (٩٤) . ثم نجد طائفة

---

(٨٦) نسب عدنان ص ٤ .

(٨٧) فتوح مصر ص ٥٨ و ١٧٣ — ١٧٤ و ١٨٣ — ١٨٨ و ١٩٠ — ١٩١ والولاة ص ١٠ — ١٤ .

(٨٨) فتوح مصر ص ٢٦٣ .

(٨٩) المصدر نفسه ص ١١٠ .

(٩٠) المصدر نفسه ص ١٤١ .

(٩١) انظر المصدر نفسه ص ١٧٣ — ١٧٤ .

(٩٢) ساويريس الأشمونينى : سير الآباء البطاركة — المجلد الأول ص ٢٣٧ .

(٩٣) فتوح مصر ص ١٤١ .

(٩٤) الانساب ٥٣ ب .

يعرفون بالسرحيين يقيمون بمصر ، وهم من أولاد عبد الله بن سعد وقد انتسبوا الى جده سرح . ومن هؤلاء السرحيين سعد بن عمرو (ت ٢٨٧ هـ) وأبو الخيداق (٢٩١ هـ) (٩٥) .

وكان لعبد الله بن سعد موال نصارى ولكنه اعتقهم (٩٦) . ومن مواليه وردان الذى تنسب اليه خطة بنى وردان بمصر ، وعيسى ابنه الذى ينسب اليه حبس — أى وقف — وردان بمصر كذلك (٩٧) .

ومن بنى مالك بن حسل كان بمصر — سوى آل عبد الله بن سعد — طائفة من كبار الموظفين منهم هشام بن كنانة (٢٥ هـ) (٩٨) وابنه السائب بن هشام بن كنانة (٣٧ — ٦٥ هـ) (٩٩) والسائب بن هشام ابن عمرو (٤٠ — ٤٩ هـ) (١٠٠) .

ومن سائر العامريين بمصر : بسر بن أبى أرطاة من رجال الفتح ، وكان قائدا بحريا لمعاوية (١٠١) . ويحيى بن حنظلة الذى أشرف على اصلاح المسجد الجامع (٩٣ — ٩٤ هـ) (١٠٢) وهرم بن سليم الذى اتهم بالقدر (١٦٩ — ١٧١ هـ) (١٠٣) .

نرى من هذا ان بنى عامر ظهر منهم بمصر عدد كبير نسبيا من الشخصيات المهمة . ولكن من الواضح أن تفوق بنى عامر لم يستمر طويلا وكأنما كانوا يستمدون قوتهم من شخصية عبد الله بن سعد الجبارة .

(٩٥) المصدر نفسه ص ٢٩٦ أ .
(٩٦) فتوح مصر ص ١٥٦ .
(٩٧) معجم البلدان ج ٥ ص ١٦٧ .
(٩٨) الولاة ص ١١ .
(٩٩) المصدر نفسه ص ١٣ ، ٢٠ ، ٣٨ ، ٣٩ ، ٤٣ .
(١٠٠) فتوح مصر ص ١٠٧ ، وحسن المحاضرة ج ١ ص ٨٧ .
(١٠١) فتوح مصر ص ١٩٠ ، ١٩٤ ، ٢٦٠ ، الولاة ص ١٧ — ١٨ ، والانتصار ج ٤ ص ١٠٦ وحسن ج ١ ص ٧٥ .
(١٠٢) الولاة : ص ٦٥ .
(١٠٣) المصدر نفسه ص ١٣١ .

(ج) بنو سهم :

ممن انتهى اليه الشرف فى الجاهلية فوصله بالاسلام ، كانت اليهم الحكومة والأموال المحجرة التى سموها لآلهتهم (١٠٤) . حضر بعضهم فتح مصر فلما تم الفتح قدم على عمرو منهم من لم يكن شهده (١٠٥) . ويبدو ان قد جاء منهم عدد كبير ، فقد اضطر عمرو الى أن يبنى لهم دار السلسلة التى فى غربى المسجد ، والأرجح انها دار بنى سهم بالفسطاط التى أشار اليها الكندى (١٠٦) فى حركة العلويين بمصر سنة ١٤٥ هـ . فنحن نعرف أن دور بنى سهم كانت حول جامع عمرو بالفسطاط (١٠٧) . واذا دلت هذه الاشارة على وجود بنى سهم بالفسطاط حتى أواسط القرن الثاني الهجرى فان شواهد القبور تشير الى وجودهم بمصر طوال القرن الثالث (١٠٨) .

ومن رجال الفتح من بنى سهم قيس بن أبى العاص أول قاض بمصر (ت ٢٠ – ٢٣ هـ) (١٠٩) ، وعثمان ابنه (ت ٣٥ هـ) القاضى كذلك (١١٠) .

وكان من مواليهم يحيى بن حنظلة (٩٠ هـ) (١١١) الذى يبدو أنه كان تابعا لعبد الله بن عبد الملك أمير مصر (٨٦ – ٩٠ هـ) ، والذى نميل الى أن يحيى بن حنظلة – الذى ذكرناه فى العامريين – ليس شخصا آخر سواه . ومنهم عبد الرحمن بن عمرو (١٦٠ – ٢٣٤ هـ) من الفقهاء المالكية بمصر (١١٢) . أما يزيد بن سعد الاسكندرانى (ت ٢٥٩ هـ) آخر من حدث عن مالك بمصر والذى يذكره

---

(١٠٤) العقد : ج ٢ ص ٢٠٣ ، ٢٠٤ .

(١٠٥) فتوح مصر : ص ١٠٨ .

(١٠٦) الولاة ص ١١٤ .

(١٠٧) نهاية الارب : ص ٢٤٦ والبيان ص ٣٨ .

(١٠٨) Rép. Chro. I, pp. 195, 213, 224 & II, pp. 15, 149, 168 — 169, 262.

(١٠٩) القضاة : ص ٣٠١ وفتوح مصر ص ١٠٣ .

(١١٠) القضاة : ص ٣٠٢ ، ٣٠٦ والخطط ج ١ ص ٤٦١ وحسن ج ١ ص ٦٥ ، ٩٢ .

(١١١) الولاة : ص ٦٢ .

(١١٢) حسن ج ١ ص ١٩٠ .

السمعانى (١١٣) على أنه من موالى بنى سهم ، فالأرجح أنه منسوب الى قبيلة أصبح ، وسوف نذكره هناك .

ومثلما كان آل عبد الله بن سعد ابرز بنى عامر بمصر ، كان آل عمرو بن العاص أبرز بنى سهم بها . وهم من أهل الراية (١١٤) . وكانوا يرتبعون مع آل عبد الله فى منف ووسيم كما ذكرنا من قبل . ولعلنا فى غنى عن الحديث عن عمرو بن العاص فاتح مصر وأميرها (٢٠ — ٢٣ هـ ٣٨ — ٤٣ هـ) (١١٥) . ويأتى بعده ابنه عبد الله (ت ٦٥ هـ) محدث مصر الأول وأول من تفقه عليه أهلها واتبعوا فتاواه (١١٦) .

ومما يذكر ان بنت عبد الله هـذا قد تزوجها عبد العزيز بن مروان أمير مصر الأموى (٦٥ — ٨٦ هـ) (١١٧) .

وكان لآل عمرو بن العاص مواليهم كذلك ، وأولهم وأشهرهم وردان الرومى مولى عمرو (ت ٥٣ هـ) وهو من الشخصيات الاسلامية البارزة فى عصر الفتح (١١٨) . ومن موالى عمرو كذلك أبو قيس (ت ٥٤ هـ) كان من مشاهير التابعين بمصر (١١٩) ويزيد بن رباح له رواية (١٢٠) . وهناك كذلك أبو هبيرة الكحلانى مولى عبد الله بن عمرو له رواية (١٢١) ، ودراج بن سمعان (ت ١٢٦ هـ) مولى عبد الرحمن بن عمرو من صغار تابعى مصر (١٢٢) .

لعلنا على حق فى أن نقول ان آل عمرو بن العاص كانوا الشطر الأكبر من بنى سهم فى مصر . بل أن المقريزى حين يتحدث عن بنى سهم

---

(١١٣) الانساب : ٣٤٩ أ .

(١١٤) فتوح مصر : ص ١٤١ .

(١١٥) فتوح مصر ص ١٨٠ — ١٨١ و ٢٤٨ والولاة ص ٧ ، ١٠ ، ١١ ، ٢٨ ، ٣١ — ٣٤ والنجوم ج ١ ص ٣ — ١١٦ .

(١١٦) فتوح مصر : ص ٩٧ ، ٢٥٤ ، والولاة ص ١٠ ، ٣١ ، ٣٤ ، ٣٩ ، ٤٦ والخطط ج ٤ ص ١٤٣ ، Ency. Isl. : Egypt, p. 20

(١١٧) فتوح مصر :ص ١١٢ .

(١١٨) فتوح مصر : ص ٧٣ — ٧٤ ، ٩٣ ، ٩٨ ، ١٣٦ والولاة ص ٣٨ والانتصار ج ٤ ص ٦ و ٣٢ ومعجم البلدان ج ٥ ص ١٧٧ .

(١١٩) فتوح مصر ص ٢٥٠ وحسن ج ١ ص ١٠٥ .

(١٢٠) فتوح مصر ص ٤٩ ، ١٨٣ ، ٢٥٠ .

(١٢١) المصدر نفسه ص ٢٥٨ .

(١٢٢) حسن ج ١ ص ١٠٨ .

فى مصر فانما يعنى بهم ولد عمرو بن العاص (١٢٣) . ولا نزاع فى أن آل عمرو هؤلاء تمتعوا بمركز ممتاز فى مصر منذ البداية . وكانت لهم حصة فى وقف عمرو على أهله بفسطاط مصر (١٢٤) . وظلوا يعيشون فى الفسطاط ولكن كان فرق منهم اشتات بالصعيد (١٢٥) . وقد ذكرهم المقريزى ممن كان بالصعيد من قريش (١٢٦) وأغلب الظن انهم اقاموا فى فى منطقة الأشمونين منذ هجرة قريش هناك التى سبق الحديث عنها (١٢٧) .

وثمة ملاحظة اخيرة على بنى سهم بعامة وآل عمرو بخاصة تلك هى انهم يغلب عليهم دائما الطابع الدينى .

(د) بنو جمح :

أبناء عم بنى سهم ، وهم مثلهم ممن انتهى اليه الشرف من قريش فى الجاهلية فوصله بالاسلام وكانت اليهم الأيسار وهى الأزلام (١٢٨) . أمر عمرو بن العاص أن تكون خطتهم بالفسطاط بجوار داره (١٢٩) . وينتهى القرن الأول دون أن نقابل منهم بمصر سوى بضعة أفراد منهم وهب بن عمير الذى شهد الفتح (١٣٠) ، ومحمد بن حاطب (ت ٧٤ هـ) من الصحابة (١٣١) ، وهذان فى الواقع من شخصيات عصر الفتح . فاذا كان القرن الثانى قابلنا فى ثلثه الأول أولاد ابن حاطب الذين ظلوا بمصر حتى نهاية الدولة الأموية (١٣٢ هـ) (١٣٢) . وفى أواسطه نقابل الحارث بن الحارث من كبار الموظفين (١٣٣) . وفى أواخره ابن عبد الغفار الجمحى (١٠٩ هـ) من القواد (١٣٤) وفى أوراق البردى وثيقة بتاريخ

---

(١٢٣) البيان ص ٣٧ .
(١٢٤ ، ١٢٥) المصدر نفسه ص ٣٨ .
(١٢٦) المصدر نفسه ص ٣٦ .
(١٢٧) انظر ص ٨٩ — ٩٠ من البحث .
(١٢٨) العقد ج ٢ ص ٢٠٣ — ٢٠٤ .
(١٢٩) فتوح مصر : ص ١٠٨ .
(١٣٠) المصدر نفسه ص ١٠٨ ويلاحظ انه مذكور بالاسم نفسه فى الانتصار ج ٤ ص ٨ أما فى النجوم ج ١ ص ٤ و ٢٣ فيذكر باسم عمير بن وهب الجمحى .
(١٣٣) الولاة ص ١٢٠ — ١٢١ .
(١٣١ ، ١٣٢) الانتصار ج ٤ ص ٨ .
(١٣٤) المصدر نفسه ص ١٥٧ .

(١٥٩ هـ) ــ يحتمل انها كشفت فى الأشمونين بلاد قريش ــ تحمل اسم رجل من جمح (١٣٥) . وشواهد القبور تحمل اسماء بضعة أفراد آخرين توفوا فى النصف الأول من القرن الثالث (١٣٦) .

أما موالى بنى جمح فمنهم أبو فراس من عصر الفتح (١٣٧) . وخالد (ت ١٣٩ هـ) من الأئمة المجتهدين بمصر (١٣٨) . ثم ابنه عبد الرحيم (ت ١٦٣ هـ) أول من قدم بعلم مالك الى مصر (١٣٩) .

هذا الفقر فى الشخصيات ــ عادية كانت أو ممتازة ، مع استثناء عبد الرحيم الفقيه ــ دليل على قلة بنى جمح فى مصر ، وعلى ضعف تأثيرهم فيها بالتالى ، ولعلهم ذابوا لقلتهم تلك فى غيرهم من بطون قريش وأقاموا معهم فى الأشمونين .

(هـ) بنو عدى بن كعب :

رهط عمر بن الخطاب (١٤٠) ، وعدى بن كعب نفسه هو جد عمر . ورهط عمر وعشيرته وأولاده من بعده ومواليه ينتسبون اليه ، وفيهم كثرة وشهرة (١٤١) . وهم ممن انتهى اليه الشرف من قريش فى الجاهلية فوصله بالاسلام ، فان عمر بن الخطاب كانت اليه السفارة فى الجاهلية (١٤٢) .

والذى يلفت النظر فيمن كان بمصر من هؤلاء العدويين انقسامهم الى قسمين أو على الأصح أسرتين واضحتين هما : أولاد عمر بن الخطاب ويسمون العمريين وأولاد خارجة بن حذافة . ونتكلم فيما يلى عن كل منهما :

---

(١٣٥) Arabic Papyri, III p. 93.

(١٣٦) Rép. Chro. I, pp. 241, 264 & II, p. 30

(١٣٧) الانتصار : ج ٤ ص ٨ .

(١٣٨) حسن : ج ١ ص ١٢٠ .

(١٣٩) خطط : ج ٤ ص ١٤٥ .

(١٤٠) نسب عدنان ص ٣ .

(١٤١) الانساب : ص ٣٨٦ أ .

(١٤٢) العقد : ج ٢ ص ٢٠٣ .

١ ـ العمريون :

نرى منهم عند الفتح عبد الرحمن بن عمر بن الخطاب الذى شرب الخمر بمصر (١٤٣) واخاه عبد الله (ت ٧٣ هـ بمكة) الذى اختط بمصر وحدث بها وان كان لم يقم فيها (١٤٤) . ويسود بعد ذلك صمت طويل حتى تكون أواسط القرن الثالث فتحدثنا شواهد القبور عن اثنين من العمريين (١٤٥) ويظهر فى الوقت نفسه أبو عبد الله العمرى (٢٥٦ هـ) الذى وضع حدا لغارات البجه على حدود مصر ، وحارب أهل النوبة وهزم ابن الصوفى العلوى الثائر فى اسوان سنة ٢٥٩ هـ (١٤٦) . أما عبد الرحمن بن عبد الله العمرى قاضى مصر (١٨٥ ـ ١٩٤ هـ) فلم يكن من أهل مصر ولكن شخصيته الغريبة أثارت اهتمام المصريين طوال اقامته بينهم (١٤٧) .

ومن موالى العمريين لدينا العجلان مولى عمر ، كان له دار بالفسطاط (١٤٨) . وسارية مولى عمر كذلك ، أقطعه معاوية فى الفسطاط (١٤٩) ونافع مولى ابن عمر (ت ١١٠ هـ) بعثه عمر بن عبد العزيز الى مصر يعلمهم السنن فأقام بها مدة (١٥٠) .

نرى من هذا ان العمريين مروا بمصر مرا عابرا يعطينا الحق فى الا نعدهم من المصريين ويجعلنا نؤيد الشريف محمد بن أسعد الجوانى النسابة (١٥١) فى تكذيبه القوم الذين بأرض مصر ينسبون أنفسهم الى عبد الله بن عمر بن الخطاب ويطلقون على أنفسهم اسم العمريين .

---

(١٤٣) الطبرى : ج ٣ ص ٢٢٧ .
(١٤٤) الانتصار : ج ٤ ص ٦ وحسن ج ١ ص ٩٠ .
(١٤٥) Rép Chro. II, pp. 165, 209
(١٤٦) الولاة ص ٢١٤ والخطط ج ٤ ص ٣٣٥ .
(١٤٧) القضاة ص ٣٩٤ ـ ٤١٣ .
(١٤٨) الانتصار ج ٤ ص ٦٦ .
(١٤٩) فتوح مصر : ص ١٣٣ .
(١٥٠) حسن ج ١ ص ١١٦ .
(١٥١) البيان والاعراب ص ٣٧ .

٢ — بنو خارجة بن حذافة :

كان خارجة نفسه ممن لعبوا دورا مهما فى مصر الى جانب عمرو بن العاص منذ الفتح حتى اغتيل بدلا منه سنة ٤٠ هـ (١٥٢) . وليس بمستغرب أن يكون لعشيرة خارجة بعد هذا حظوة لدى الأمويين تظهر فى معاملة معاوية لهم بشأن القصاص من قاتل خارجة (١٣٥) . وكان خارجة من أوائل العرب الذين أقاموا مع المصريين صلات اجتماعية فانه تزوج امرأة قبطية من سلطيس — سنطيس الحالية مركز دمنهور محافظة البحيرة (١٥٤) — وانجب منها ولده عونا (١٥٥) . وظل آل خارجة يتمتعون فيما يبدو بمركز طيب فى مصر فقد كان حفيد خارجة — الربيع بن عون — أحد وجوه مصر الذين خرجوا ببيعة أهلها الى يزيد بن الوليد سنة ١٢٦ هـ (١٥٦) .

ولئن كان بنو خارجة أبقى أثرا فى مصر من العمريين فان هذا لا يمنع من أن بنى عدى بن كعب بعامة كانوا ذوى أهمية جد محدودة بالنسبة الى الحياة المصرية .

(و) بنو مخزوم :

ممن انتهى اليه الشرف من قريش فى الجاهلية فوصله بالاسلام ، فان خالد بن الوليد — وهو منهم — كانت اليه القبة والأعنة (١٥٧) . كما كان منهم أم سلمة زوج النبى (١٥٨) . وليس لدينا ما ينبىء بقدومهم الى مصر كقبيلة فى عصر الفتح . بل ليس لدينا منهم سوى سعيد بن هشام بن صالح نزيل الفيوم الذى رفض أن يتولى قضاء الفيوم نائبا للقاضى العمرى (١٨٥ — ١٩٤ هـ) (١٥٩) .

---

(١٥٢) فتوح مصر : ص ١٠٤ ، ١٠٧ ، ١٤٥ ، ٢٦٠ والولاة ص ١٥ ، ٣١ ووفيات الأعيان ج ٢ ص ٥٣٨ والانتصار ج ٤ ص ٦ وحسن ج ١ ص ٥٩ ، ٨٣ .

(١٥٣) فتوح مصر : ص ١٠٦ .

(١٥٤) الدليل الجغرافى : ص ٢٣٤ .

(١٥٥) فتوح مصر : ص ٨٤ .

(١٥٦) الولاة ص ٨٤ والانساب ص ٣٨٦ ب .

(١٥٧) العقد ج ٢ ص ٢٠٣ .

(١٥٨) نسب عدنان : ص ٣ .

(١٥٩) القضاة : هامش ص ٤١١ .

أما مواليهم فنجد منهم مهاجر بن القبطية مولى أم سلمة (١٦٠) ، ويحيى ابن عبد الله بكير (ت ٢٣١ هـ) المصرى الأصـــل ، راوى الموطـــأ (١٦١) . وهو نفس يحيى بن عبد الله بن ابى بـكر المخزومى المصرى الذى ذكره ابن دقماق على انه صاحب مالك وله زقاق ابن بكر (كذا) فى الفسطاط (١٦٢) . ومن الطريف أن شواهد القبور حفظت لنا اسم حفيدة له تدعى زينب بنت عبد الملك (ت ٢٧٦ هـ) (١٦٣) .

والمقريزى يذكر بنى مخزوم فيمن كان بالصعيد من قريش (١٦٤) . وحديثه يفيد انهم كانوا فى وقته (التاسع الهجرى) يقيمون بالبهنسا ، وكانوا أكثر قريش بقية وفيهم بأس ونجدة (١٦٥) .

ونحن الآن نتساءل : متى قدم بنو مخزوم الى مصر ؟

واضح مما سبق انهم عاشـوا فى مصر كقبيلة . ونستطيع أن نقرر انهم لم يدخلوها وقت الفتح ، فان الأخبار التى حفظت لنا اسماء بطون صغيرة لا اهمية لها لا يعقل أن تغفل قبيلة كهذه من قبـائل قريش المرموقة . ولذلك نرجح انهم دخلوا مصر فى وقت متأخر هو قبل هجرة قريش الى الأشمونين فى كل حال .

(ز) بنو تيم بن مرة :

ممن انتهى اليه الشرف من قريش فى الجاهلية فوصله بالاسلام ، فان أبا بكر الصـديق ــ وهم رهطه ــ كانت اليه فى الجاهلية الأشناق وهى الديات والمغرم (١٦٦) . وهم كأبناء عمهم بنى مخزوم ليس لدينـا ما يدل على قدومهم الى مصر زمن الفتح بشكل قبلى ولكنهم يظهرون بعد ذلك . واذا نحن استثنينا أبا عقيل التيمى (ت ١٣٥ هـ) (١٦٧)

---

(١٦٠) فتوح مصر : ص ٣١١ والانساب ص ٤٤١ ب وحسن ج ١ ص ٩ .
(١٦١) القضاة ص ٣٩٥ ــ ٣٩٦ ، ٤٠٤ ، ٤٢٣ ، ٤٣٣ وحسن ج ١ ص ١٤٦ ومقدمة كست للولاة ص ٢٤ ــ ٢٥ .
(١٦٢) الانتصـار : ج ٤ ص ١٤ .
(١٦٣) Rép. Chro. II, p. 243.
(١٦٤) البيـان : ٣٦ .
(١٦٥) المصدر نفسه : ص ٣٧ .
(١٦٦) العقد ج٢ ص ٢٠٣ .
(١٦٧) حسن ج ١ ص ١٠٨ و ٢١٨ .

الصالح الزاهد ، نزيل مصر ، ومن صغار التابعين بها ، كان البكريون ـ أى بنو أبى بكر الصديق ـ هم الذين مثلوا بنى تيم فى مصر تمثيلا فعليا . والواقع ان حديثنا عن بنى تيم فى مصر لن يكون سوى حديثنا عمن عاش بمصر من بنى أبى بكر هؤلاء .

واول من نلقى من البكريين هو محمد بن أبى بكر الذى كان من زعماء حركة اغتيال عثمان فى المدينة سنة ٣٥ هـ ، ثم ولى مصر لعلى بن أبى طالب سنة ٣٧ هـ وظل بها حتى خاض المعركة الفاصلة ـ موقعة المسناة ـ بينه كقائد لأنصار على وبين عمرو بن العاص قائد انصار معاوية ، فهزم وقتل سنة ٣٨ هـ (١٦٨) .

ثم نلقى أخاه عبد الرحمن بن أبى بكر (ت ٥٣ هـ بمكة) (١٦٩) فى نفس وقت معركة المسناة ، سواء كان من جند عمرو (١٧٠) ، أو لأنه دخل مصر بسبب أخيه محمد (١٧١) . وقد حدث أهل مصر عنه حديثا واحدا (١٧٢) مما يدل على انه أقام بها زمنا ما . أما هاشم بن أبى بكر قاضى مصر النزيه الحازم (١٩٤ ـ ١٩٦ هـ) الذى أصلح ما أفسده سلفه القاضى العمرى فنذكره بالرغم من انه كوفى لأنه لعب بمصر ، حيث مات ، دورا مهما بالرغم من قصره (١٧٣) .

والذى يعنينا الآن هو أن البكريين الذين عاشوا بمصر انما هم ، فيما يقال ، ولد محمد وعبد الرحمن هذين ، والأول هم المعروفون ببنى محمد فى حين يعرف الآخرون ببنى طلحة . ونتكلم عن كل منهما على حدة :

١ ـ بنو محمد :

كل من القلقشندى والمقريزى يذكرهم مرة بما يفيد انهم من ولد محمد بن أبى بكر (١٧٤) ، ثم يعود كل منهما فيذكر انهم من بنى طلحة

---

(١٦٨) الولاة ص ٢٧ ـ ٢٩ ، الطبرى ج ٣ ص ٤١١ .
(١٦٩) النجوم : ج ١ ص ١٤٤ ، وحسن ج ١ ص ٩١ .
(١٧٠) النجوم ج ١ ص ١١٠ .
(١٧١ ، ١٧٢) حسن ج ١ ص ٩١ .
(١٧٣) القضاة : ص ٤٠٣ ، ٤٠٤ ، ٤١١ ـ ٤١٧ .
(١٧٤) نهاية الأرب ص ١٠٦ ، والبيان ص ٣٧ .

الآتى ذكرهم (١٧٥) . وهـذا الاضطراب فى تعيين أبيهم ، يضـاف اليه ما نعلمه من أن عائشة لما بلغها قتل أخيها محمد بن ابى بكر وجـدت عليه وجدا عظيما واخذت أولاده وعياله وتولت تربيتهم (١٧٦) ، يجعلنا نرجح أن بنى محمد الذين يذكرون على انهم من البكريين هم فى الواقع فرقة من بنى طلحة .

٢ ـ بنو طلحـة :

هم بنو طلحـة بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبى بـكر (١٧٧) . وبما أن جدهم عبد الرحمن لم يقض حياته بمصر ، فأغلب الظن انهم هاجروا اليها فى وقت متأخر وأقاموا بمصر الوسـطى وبالأشـمونين بخاصـة (١٧٨) . وبنو طلحة هؤلاء بطون كثيرة منهم بنو أسحق (١٧٩) وبنو فضالة (١٨٠) وكانت مساكنهم ببلاد الأشمونين .

ولعله من المهم ان شـواهد القبور تشير الى اثنين من ذريـة عبد الرحمن بن أبى بكر توفيـا بمصر فى أوائل النصف الثانى من القرن الثالث (١٨١) . وهما ليسا من بنى طلحة ولكنهما من أبناء عمومتهم .

ونستطيع بعد هذا ان نزعم أن من عاش بمصر من ولد أبى بكر انما هم من ذرية ابنه عبد الرحمن فقط ، وانهم انتقلوا الى مصر فى وقت متأخر نسبيا . وليس لدينا فى كل حال ما يدل على الأثر الخـاص الذى تركه البكريون بعامة فى الحياة المصرية فيما عدا محمد بن أبى بكر الذى فشل فى ابقاء مصر فى قبضة على بن أبى طالب ، فانتقلت بهزيمتـه سنة ٣٨ هـ الى سيطرة الأمويين الأمر الذى كان له اثره فى التعجيل بانهاء الصراع بين على ومعاوية سنة ٤٠ هـ .

(ح) بنو زهـرة :

قبيلة كبيرة من قريش ، ومنها آمنة أم رسول الله (ص) وخلق

---

(١٧٥) نهاية الأرب : ٣٣٤ والبيان : ٣٧ .
(١٧٦) النجوم ج ١ ص ١١١ .
(١٧٧ ، ١٧٨) نهاية الأرب ص ٢٦٧ والبيان ص ٣٦ .
(١٧٩) نهاية الأرب ص ٣٤ والبيان ص ٣٦ .
(١٨٠) نهاية الأرب ص ٣١٨ .
(١٨١) Rép. Chro. II, pp. 52, 190 — 191.

كثير من الصحابة وغيرهم (١٨٢) . وليس لدينا كذلك ما يدل على انهم كانوا من جيش الفتح ، ولكننا نجد حليفا لهم فى مصر فى أواخر القرن الأول هو عمران بن عبد الرحمن قاضى مصر (٨٦ ــ ٨٩ هـ) (١٨٣) . وفى القرنين التاليين ــ والثالث منهما بخاصة ــ يزدادون ظهورا بمصر ، منهم الزهرى القائد الذى حارب دحية بن مصعب الثائر الأموى سنة ١٦٩ هـ (١٨٤) ، وعبد الوهاب بن موسى (١٨٢ ــ ٢١٠ هـ) من كبار الموظفين (١٨٥) ، وأبو ضمرة (٢١٢ هـ) يبدو أنه كان من وجوه المصريين وذوى الرأى فيهم (١٨٦) ، وهارون بن عبد الله (٢١٧ ــ ٢٢٦ هـ) قاضى مصر الحازم القوى (١٨٧) . وعلى شواهد القبور اسماء ثلاثة من بنى زهرة توفى أولهم بالصعيد فى ٢١٣ هـ (١٨٨) وثانيهم بالفسطاط فى ٢٣٩ هـ (١٨٩) وثالثهم فى ٢٦٠ هـ (١٩٠) .

اما موالى بنى زهرة فنجد منهم ليثا القيسى (١٩١) ، وعمرو بن السائب (١٩٢) من محدثى القرن الثانى . على أن بنى الأشج هم أهم موالى بنى زهرة ان لم يكونوا من أهم موالى مصر جميعا . وتبدأ هذه الأسرة فى الظهور بيحيى بن مسلم بن الأشج الذى سود بأسوان ١٣٢ هـ عندما تفشت حركة التسويد فى مصر (١٩٣) . والمفهوم من سياق الكلام أن يحيى هذا كان مقيما بأسوان . وشواهد القبور التى تحمل عددا كبيرا نسبيا من اسماء بنى الأشج ، والتى ترجع الى القرن الثالث الهجرى ، تؤيد اقامتهم فى الصعيد وفى أسوان بخاصة (١٩٤) . ولكن

---

(١٨٢) نسب عدنان ص ٣ ووفيات الأعيان ج ١ ص ٥٧٢ .
(١٨٣) الولاة ص ٥٨ والقضاة ص ٣٢٦ .
(١٨٤) الولاة ص ١٢٩ .
(١٨٥) المصدر نفسه : ١٣٩ ، القضاة : ٣٩٢ ، الخطط ــ ٣ : ١٨٥ .
(١٨٦) القضاة ص ٤٣٣ ــ ٤٣٤ .
(١٨٧) المصدر نفسه ص ٤٤١ و ٤٤٣ و ٤٥٠ .
(١٨٨) Rép. Chro. p. 144 — 145
(١٨٩) Ibid, I, p. 281
(١٩٠) Ibid, II, p. 67
(١٩١) الانساب ص ٤٦٨ ب .
(١٩٢) حسن ج ١ ص ١٠٩ .
(١٩٣) الولاة ص ٩٥ .
(١٩٤) Rép. Chro. I, p. 292 & II, pp. 35, 39, 113 139.

هذا لم يمنع بنى ميمون بن يحيى (ت ١٩٠) (١٩٥) ــ وهم الذين يحملون اسم بنى الأشج ــ ان يكون لهم زقاق باسمهم فى الفسطاط (١٩٦) مما يدل على اقامة عدد كبير منهم بهذه المدينة . ولكننا نتساءل فى كل حال عما اذا كان بعض بنى زهرة قد اقام اذن باسوان حيث اقام مواليهم اولئك !

نستطيع بعد هذا ان نرى فى وضوح ان الزهريين اقاموا بمصر اقامة فعلية منذ القرن الثانى فى الأقل . والمقريزى يحسبهم ممن كان بالصعيد من قريش (١٩٧) ، فى حين يحدد الحمدانى مكانهم ببلاد الأشمونين وما حولها من صعيد مصر (١٩٨) ، ويفهم من هذا انهم ذهبوا للاقامة فى بلاد قريش منذ هجرة الأشمونين المشهورة التى مر ذكرها .

واذا اردنا ان نزن هذه القبيلة وجدنا ان من ظهر بمصر من ابنائها ومن مواليهم يهيىء لها مكانة طيبة بين العرب فى مصر . وهنا يجب الا ننسى ان اثنين من القضاة ــ اى من كبار الموظفين ورجال الدولة فى مصر ــ وهما عمران بن عبد الرحمن الكندى الذى مر ذكره ، وابراهيم بن اسحق القارى (٢٠٤ ــ ٢٠٥ هـ) (١٩٩) قد حالفا بنى زهرة . هذا ومن المعروف ان ليثا ــ من كنانة ــ والقارة ــ من خزيمة بن مدركة ــ حلفاء لهم (٢٠٠) .

(ط) بنو عبد الدار :

ممن انتهى اليه الشرف من قريش فى الجاهلية فوصله بالاسلام ، فقد كانوا سدنة البيت واصحاب الألوية (٢٠١) . وليس لدينا ما ينص صراحة على انهم ممن كان من قريش فى جيش الفتح . ولكن احدهم ــ زكريا بن جهم العبدرى ــ شغل فى مصر منذ البداية منصبا خطيرا هو منصب صاحب الشرطة لعمرو (٢٠٢) . وكان ابنه عبد الحميد يروى

(١٩٥ ، ١٩٦) الانتصار ج ٤ ص ١٨ .
(١٩٧) البيان ص ٣٦ .
(١٩٨) نهاية الأرب ص ٢٢٨ .
(١٩٩) القضاة ص ٤٢٧ .
(٢٠٠) العقد ج ٢ ص ٢٢٠ ، والنجوم ج ١ ص ٨٧ ، والانساب ص ٤٩٧ ب .
(٢٠١) نسب عدنان ص ٣ والعقد ج ٢ ص ٢٠٣ .
(٢٠٢) فتوح مصر ص ١٧٩ والولاة ص ١٠ و ٣٢ .

عنه (٢٠٣) . وفى هـذا ما يجعلنا نحتمل دخولهم مصر زمن الفتح كقبيلة ولكنها صغيرة .

ولكن هنالك ما هو أهم من ذلك . فالمقريزى يذكر قوما من بنى عبد الدار هؤلاء باسم بنى شيبة ، ويعدهم ممن كانوا بالصعيد من قريش ، وكانت ديارهم بنواحى سفط (٢٠٤) . والمرجح أن سفطا هـذه هى احدى البلاد الكثيرة التى تحمل اليوم اسم صفط فى محافظة المنيا بالذات (٢٠٥) . وتأتى شـواهد القبور فتشير الى مولى لبنى شيبة هؤلاء توفى بالصعيد فى ٢٤٢ هـ (٢٠٦) . ونحن نعرف أن شيبة بن عثمان بن أبى طلحة العبدرى ــ وهو الذى ينتسب اليه بنو شيبة ــ كان حاجب الكعبة ، وتوفى سنة ٥٩ هـ (٢٠٧) . فلعل واحدا من أبنائه دخل مصر مع بنى عبد الدار وقت الفتح ، أو وهو الأرجح فيما نرى ــ هاجر اليها فيما بعد فأقام بها وترك ذريته . والمهم هو أن بنى شيبة كانوا فى مصر منذ منتصف القرن الثالث فى الأقل .

(ى) بنو اسد بن عبد العزى :

هم رهط خديجة زوج النبى ، والزبير بن العوام (٢٠٨) .

ونرى منهم بمصر الزبير بن العوام نفسه فى معارك الفتح قائدا للمدد سنة ١٩ هـ . واليه يرجع الفضـل فى الاستيلاء على حصـن بابليون (٢٠٩) . وقد اختط بمصر دارا وهبها فيما بعد لمواليه واختط غيرها (٢١٠) . وقد صادر المروانيون هـذه الدار من بنى الزبير بن العوام ثم ردها ابو جعفر المنصور عليهم (٢١١) . وفى رواية أن عبد الله بن الزبير كان يأتى الى مصر وينزل هذه الدار (٢١٢) .

---

(٢٠٣) الانسـاب ص ٣٨٠ ب .
(٢٠٤) البيـان ص ٣٦ و ٣٧ .
(٢٠٥) انظر الدليل الجغرافى ص ٥٣ .
(٢٠٦) Rép. Chro, I, pp. 298 — 299.
(٢٠٧) النجوم ج ١ ص ١١٨ و ١٥٣ .
(٢٠٨) نسب عدنان ص ٣ والعقد ج ٢ ص ٢٠٥ .
(٢٠٩) فتوح مصر ص ٩٦ و ١١٤ والولاة ص ٨ .
(٢١٠) فتوح مصر ص ١١٤ والخطط ج ٤ ص ١٠ .
(٢١١ ، ٢١٢) فتوح مصر ص ١١٤ .

من الحق أن الزبيريين هم الذين مثلوا بنى أسد بن عبد العزى فى مصر تمثيلا فعليـا . وما مر من سيرة الزبير يعطينا الحق فى أن نفترض اقامة بعض بنيه فى مصر اقامة مستمرة منذ الفتح . ولكن القلقشندى والمقريزى يذكران أن بمصر جماعة من الزبيريين ، من بنى عبد الله الزبير وبنى أخيه عروة ، يقيمون بالصعيد فى البهنسا والأشمونين ، وقد تحول أكثرهم – على عهدهمـا طبعـا ، أى القرن التاسـع – الى فلاحـين محكومين (٢١٣) . ولكن هـذا لا يمنعنا من أن نلاحظ أن عبد الله بن الزبير بالرغم من أنه شهد فتح مصر وكان مع ابن أبى سرح فى غزوة افريقية سنة ٢٧ هـ (٢١٤) فانه انتقل الى الحجـاز بعد ذلك ، وانغمس فى الصراع الحزبى ، ودعـا لنفسه بالخلافة ، وقاد صراعا مريرا ضـد المروانيين انتهى بقتله سنة ٧٣ هـ . ولم يكن له علاقـة بمصر فى خـلال ذلك كله الا استيلاءه قصير العمر عليهـا بوساطة قائـده ابن جحدم (٦٤ – ٦٥ هـ) (٢١٥) وان كانت الرواية تدل على انه كان معروفـا للمصريين ومحبوبا منهم (٢١٦) . أما أخوه عروة (ت ٩٤ هـ) فهو من أهل المدينة وفقهائها الأكابر (٢١٧) .

وهنا نصطدم بالسؤال نفسه الذى قابلناه فى البطون السابقة وهو : متى قدم هؤلاء الزبيريون – أى بنو عبد الله وبنو عروة – الى مصر وأقاموا بصعيدها ؟

(ك) بنو نوفل بن عبد مناف :

ممن انتهى اليه الشرف من قريش فى الجاهلية فوصله بالاسـلام . وكانت اليهم الرفـادة وهى ما كانت قريش تخرجه من أموالها وترفـد به منقطع الحاج (٢١٨) .

يبدو انهم كانوا ممن جاء مصر من قريش فى جيش الفتح . فعندنا

---

(٢١٣) نهاية الأرب ص ١١٧ – ١١٩ ، ٢٦٧ ، ٢٩٣ والبيان ص ٣٦ و ٣٧ .
(٢١٤) النجوم ج ١ ص ٢٥ ، ٨٥ ، ١٠٥ ، ١٥٨ ، ١٦٨ ، ١٨٦ ، ١٨٩ .
(٢١٥) الولاة ص ٤١ – ٤٤ والنجوم ج ١ ص ١٥٨ و ١٦٥ .
(٢١٦) الولاة ص ٤١ – ٤٤ وسير الآبـاء البطاركة م ١ ص ٢٦٦ .
(٢١٧) نهاية الأرب ص ٢٩٣ والنجوم ح ١ ص ٢٢٨ و ٢٢٩ .
(٢١٨) العقـد ج ٢ ص ٢٠٣ .

أبو سروعة الصحابى ، شـــهد فتح مصر واختط بالفسطاط (٢١٩) ، وهو الذى شرب الخمر مع عبد الرحمن بن عمر (٢٢٠) .

وهناك كذلك مجاهد بن جبر مولاهم ، اختط بمصر ، واستخلفه عمرو بن العاص على خراج مصر عند قدمته الأولى على عمر (٢٢١) .

ولكن من الواضح قلة عددهم بمصر وقلة أهميتهم بالتالى .

(ل) بنو المطلب بن عبد مناف :

يبدو أن عددا منهم شهد فتح مصر ، وقد بقى لنا منهم ذكر الحكم ابن الصلت بن مخزمة ، كان من رجال قريش ، شـــهد الفتح ، وكان من انصـــــار محمد بن أبى حذيفـــة الذى اغتصب الحـــكم فى مصر (٣٥ — ٣٦ هـ) (٢٢٢) .

ولا نصادف أحدا منهم بعد ذلك حتى قرب نهاية القرن الثـــانى عندما يأتى الامام الشافعى الى مصر سنة ١٩٨ هـ ويظل بها حتى وفاته سنة ٢٠٤ (٢٢٣) . وعندئذ تصبح أسرة الشافعى هى الممثلة لهذا البطن . ونرى منها محمد بن عبد الله ابن عم الشـــافعى (ت ٢٣١ هـ) من الأئمة المجتهدين بمصر ، وزوجتـــه زينب بنت الشافعى ، وابنه أحمد من ائمة مصر المجتهدين لم يكن فى آل شافع بعد الامام أجل منه (٢٢٤) .

(م) بنـــو اميـــة :

ليس لهم ذكر فى اخبار الفتح ، وربما كان ذلك لأنهم بقوا بالشـــام تحت امرة معاوية بن أبى سفيان . ويبدأ اتصـــال الأمويين بمصر بعد مقتل عثمان (٣٥ هـ) ونشوب الصراع بين على ومعاوية . وقد انتهى الأمر بسيطرة الأمويين على مصر ســـنة ٣٨ هـ (٢٢٥) سيطرة لم تنته الا بانتهاء الدولة الأموية نفسها (١٣٢ هـ) .

---

(٢١٩) الانتصار ج ٤ ص ٦ وحسن ج ١ ص ٩٢ .

(٢٢٠) الطبرى ج ٣ ص ٢٢٧ .

(٢٢١) فتوح مصر ص ١٧٩ .

(٢٢٢) الولاة ص ١٩ وحسن ج ١ ص ٨٢ .

(٢٢٣) الولاة : ص ١٥٤ ، وحســن ج ١ ص ١٢٢ وطبقـات الشـافعيـة ج ١ ص ١٠٠

(٢٢٤) حسن ج ١ ص ١٢٣ و ١٦٧ .

(٢٢٥) الولاة : ص ٢٨ والنجوم ج ١ ص ١٠٨ — ١١٠ .

ومع أن الأمويين ملكوا مصر فى ذلك الوقت المبكر ، فان اقامتهم الفعلية بمصر لم تبدأ الا منذ النصف الثانى من القرن الأول . وان الوحشة التى كان يشعر بها عبد العزيز بن مروان وهو يستقبل حكمه لمصر — وهى بلد ليس به أحد من بنى أبيه (٢٢٦) — سنة ٦٥ هـ لدليل قوى على خلو مصر آنذاك من بنى أمية . وتومىء شــواهد القبور وأوراق البردى — وهى لا تتناسب مع ضخامة عدد الأمويين بمصر — الى وجود أمويين بالصعيد فى القرنين الثانى والثالث (٢٢٧) .

ومن الأفضل فى كل حال عند الحديث عن بنى امية تقسيمهم الى الفرعين المشهورين : العنابس (٢٢٨) . ومنهم معاوية بن أبى سفيان ، والأعياص (٢٢٩) . ومنهم عثمان بن عفان ومروان بن الحكم .

١ — العنــــابس :

ويعنينا منهم فى هذا المقام آل معاوية . وقد اقام معاوية نفســه بمصر اقامة خاطفة فى سلمنت من كورة عين شمس — وهى سلمنت الحالية مركز بلبيس محافظة الشرقية (٢٣٠) — فى أواخر سنة ٣٦ هـ طلبا للثأر من قتلة عثمان (٢٣١) ، ولم يزل معاوية يتدخل منذ ذاك عن طريق رسله وعيونه فى سياسة مصر عاملا على اخراجها من قبضـة على وضمها الى صفه الى أن نجح فى أن ملكها سنة ٣٨ هـ قبل أن يصبح خليفة (٢٣٢) . ومع ذلك لا نرى بمصر من أسرته ســوى أخيــه عتبة الذى حكم مصر (٤٣ — ٤٤ هـ) وتوفى بها (٢٣٣) .

على أن الممثلين الحقيقيين للعنابس هم بنو خالد بن يزيد بن معاوية الذين كانوا ينزلون أرض دلجة (٢٣٤) ، قرية بصعيد مصر من غربى

---

(٢٢٦) الولاة : ص ٤٧ .

(٢٢٧) Ara. Pap. III, 79 & Rép. Chro. II, p. 218.

(٢٢٨ ، ٢٢٩) نسب عدنان ص ٢ و ٣ .

(٢٣٠) الدليل الجغرافى : ص ١٢٤ .

(٢٣١) الولاة : ص ١٩ .

(٢٣٢) انظر تفصيل مؤامرات معاويــة وعمرو بن العاص فى هـذا السبيل فى النجوم الزاهرة ج ١ ص ٩٦ — ١١١ .

(٢٣٣) الولاة ص ٣٥ — ٣٦ .

(٢٣٤) الخطط ج ١ ص ٢٣٩ .

النيل فى الجبل بعيدة عن الشاطىء (٢٣٥) ، وهى دلجـا الحالية مركز ديروط محافظـة اسيوط (٢٣٦) . كما يبدو أن جزءا آخر منهم كان يقيم فى تندة ـ مركز ملوى محافظة اسيوط (٢٣٧) ـ مع فروع أخرى من بنى أمية (٢٣٨) ـ واغلب الظن فى كل حال انهم انتقلوا الى بـلاد الأشمونين تلك فى هجرة قريش اليها .

٢ ـ الأعيـاص :

وهم فى مصر قسمان : آل عثمان بن عفان ، وآل مروان بن الحكم . ونتحدث عنهما فيما يلى :

(أ) العثمـانيون :

المراد بهم هنا ذرية عثمان بن عفان ومواليه . وأول من نرى بمصر منهم هو عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان ، من الطبقة الثالثة من تابعى أهل المدينـة ، وتوفى بسـكر بصعيد مصر سـنة ٩٦ هـ (٢٣٩) مما يدل على انتقاله اليها . أما ابان بن عثمان بن عفان (ت ١٠٤ هـ) فهو من أهل المدينـة وولى امرتها لعبد الملك بن مروان من ٧٦ هـ الى ٨٢ هـ (٢٤٠) . وكان كثير العقب (٢٤١) . وقد قدمت جماعة من ابنائه واقامت مع سائر بنى امية وقريش فى منطقة تندة بالأشمونين (٢٤٢) . واغلب الظن أن ذلك حدث وقت هجرة قريش الى الأشمونين .

ولكن موالى عثمان بن عفان هم فى الواقع أهم من اقام بمصر من المنتسبين اليه ويمتازون بأنهم ثلاث طوائف :

١ ـ اهـل ايـلة :

كانت هذه المدينة الواقعة على بحر القلزم ـ وهى العقبـة حاليا ـ

---

(٢٣٥) معجم البلدان ج ٤ ص ٦٧ .

(٢٣٦) Amé. pp. 176, 488 والدليل الجغرافى ص ٣١٥ .

(٢٣٧) الدليل الجغرافى ص ٣١٨ .

(٢٣٨) نهاية الأرب ص ٧٤ والبيان ص ٣٧ و Ara. Pap. III, p. 92

(٢٣٩) معجم البلدان ج ٥ ص ٩٨ والنجوم ج ١ ص ٢٣٤ .

(٢٤٠) النجوم ج ١ ص ١٩٥ و ٢٠٤ .

(٢٤١) نهاية الأرب ص ١٢٨ .

(٢٤٢) المصدر نفسه ص ١٢٨ والبيان ص ٣٧ و Ara. Pap. III, p. 92

وبها مجتمع حاج الشام وحاج مصر منزلا لبنى أمية . واكثرهم موالى عثمان بن عفان . وكانوا سقاة الحاج (٢٤٣) .

واشتهر من هؤلاء الموالى عدة محدثين يحمل كل منهم النسبة : الايلى منهم : عقيل بن خالد (ت ١٤١ هـ) (٢٤٤) ، ويونس بن يزيد (ت ١٥٢ هـ) (٢٤٥) وابن أخيه عنبسة بن خالد (ت ١٩٧ هـ) (٢٤٦) ، وهارون بن سعيد (١٧٠ — ٢٥٣ هـ) ممن أخذ بمحنة خلق القرآن سنة ٢٢٧ هـ (٢٤٧) ، واسحق بن اسماعيل (ت ٢٥٨ هـ) (٢٤٨) ، وحسان بن أبان (ت ٣٢٢ هـ) (٢٤٩) .

٢ — أهل غيفة :

غيفة قرية تقارب بلبيس ، واغلب الظن انها غيتة الحالية مركز بلبيس محافظة الشرقية (٢٥٠) . ينزل فيها الحاج اذا خرجوا من مصر (٢٥١) وكان بها موال لعثمان بن عفان منهم محدثون مثل حسين بن ادريس (٢٥٢) وعمرو بن ادريس (ت ٣٢٩ هـ) (٢٥٣) .

٣ — بنو عبد الحكم :

وهم هذه الأسرة الكبيرة الشهيرة الى لمعت فى مصر ما بين منتصف القرن الثانى ومنتصف الثالث ، وظهر منها عدد من الفقهاء المتازين ، الى جانب المؤرخ المصرى العظيم عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم (ت ٢٥٧ هـ) صاحب كتاب فتوح مصر (٢٥٤) .

وفى ولاء بنى عبد الحكم خلاف (٢٥٥) ولكن اذا لاحظنا ان جدهم

---

(٢٤٣) كتاب البلدان ص ١٢٩ ، ومعجم البلدان ج ١ ص ٣٩١ ، والمقريزى ج ١ ص ١٨٤ .

(٢٤٤ ، ٢٤٥ ، ٢٤٦) الانساب ص ٥٥ أ .

(٢٤٧) القضاة ص ٤٥١ — ٤٥٣ .

(٢٤٨ ، ٢٤٩) معجم البلدان ج ١ ص ٣٩٢ .

(٢٥٠) الدليل الجغرافى ص ١٢٥ .

(٢٥١) معجم البلدان ج ٦ ص ٣١٨ .

(٢٥٢ ، ٢٥٣) الانساب ص ٤١٤ ب .

(٢٥٤) حسن ج ١ ص ١٩٠ ومقدمة كست ص ٢٢ .

(٢٥٥) الانساب ص ١٧٢ أ .

أعين بن الليث أصله من حقل (٢٥٦) ، وهى قرية بجنب ايلة على البحر فى الطريق من مصر الى مكة (٢٥٧) . وان حفيده عبد الله بن عبد الحكم (٢٢٤ هـ) هو مولى رافع مولى عثمـان بن عفان (٢٥٨) ، أصبح من المحتمل اعتبارهم من موالى عثمان .

(ب) المروانيـون :

المراد بهم هنا بنو مروان بن الحكم ومواليهم بمصر .

أما مروان نفسه فقد أقام بمصر شهرين سنة ٦٥ هـ بعد ان استخلصها من يد ابن جحدم والى ابن الزبير عليهـا وردها الى سيطرة بنى أمية (٢٥٩) . وعـاد مروان الى عاصمته دمشق تاركا ابنه عبد العزيز أميرا على مصر (٢٦٠) . وقبل أن يموت عبد العزيز سنة ٨٦ هـ استخلف اخاه محمدا القـائد (٢٦١) (ت ١٠٢ هـ) ــ والد مروان الحمـار ــ الذى حالفـه النصر طويلا فى بـلاد الروم (٢٦٢) ، ولكن يبدو أن ذلك كان استخلافا اسميا . فان محمدا لم يدخل مصر قط فيما يبدو من اخباره . ومن المروانيين الذين لفتوا النظر فى مصر عبد الله بن عبد الملك اميرها (٨٦ ــ ٩٠ هـ) الذى جعل اللغة الرسمية فى مصر هى اللغـة العربية سنة ٨٧ هـ . ولكن المصريين سخطوا عليـه وهجوه لسـوء سيرته (٢٦٣) ، وهنـاك أخوه محمد بن عبد الملك المحدث الناسك ولى مصر شـهرا (١٠٥ هـ) ثم تركها الى الأردن فرارا من الوبـاء ومن مسئوليات الحكم (٢٦٤) .

اولئك افراد من آل مروان اقاموا بمصر ــ باستثناء عبد العزيز بن مروان ــ اقامة عابرة ، ولكن هنـاك بطون ــ او اسر ــ كاملة أقامت اقامة دائمة حفظها التاريخ . هذه البطون هى :

---

(٢٥٦) الانسـاب ص ١٧٢ أ
(٢٥٧) المسالك والممالك ص ١٤٩ ومعجم البلدان ج ٣ ص ٣٠٦ .
(٢٥٨) معجم البلدان ج ٣ ص ٣٠٦ والانساب ص ١٧٢ أ .
(٢٥٩) الولاة ص ٤٢ ــ ٤٦ .
(٢٦٠) المصدر نفسه ص ٤٧ ــ ٤٨ .
(٢٦١) المصدر نفسه ص ٥٥ .
(٢٦٢) النجوم ج ١ ص ١٩٠ ، ١٩٣ ، ١٩٥ ، ٢٠٤ ، ٢٠٧ ، ٢٠٩ .
(٢٦٣) الولاة ص ٥٨ ــ ٦٤ والقضاة ص ٣٢٧ ــ ٣٢٩ .
(٢٦٤) الولاة ص ٧٢ ــ ٧٣ والنجوم ج ١ ص ٢٥٧ .

٥ - بنو مسلمة :

هم بنو مسلمة بن عبد الملك (ت ١٢٢ هـ) الأمير القائد الذى تتابعت غزواته من ٨٦ حتى ١٢٢ هـ (٢٦٥) ، وكانت مساكن بنيه هؤلاء مع قومهم بنى أمية بتندة وما حولها من بلاد الأشمونين (٢٦٦) ، مما يرجح انتقالهم هناك فى هجرة الأشمونين . هـذا الى انهم كانوا - وهو عجيب - حلفاء بنى جعفر بن أبى طالب (٢٦٧) .

٦ - بنو حبيب :

أبوهم حبيب بن الوليد بن عبد الملك . كانت ديارهم كذلك بتندة (٢٦٨) وما حولها وأغلب الظن انهم هم بنو حيدر الذين ذكرهم القلقشندى (٢٦٩) .

٣ - بنو عبد العزيز :

هو عبد العزيز بن مروان أمير مصر (٦٥ - ٨٦ هـ) . أسس فى مصر أسرة كبيرة هى المثلة الفعلية بها للمروانيين بل لبنى أمية جميعا ، وكما استمتعت هذه الأسرة بكل روعة المجد الذى بلغه الأمويون دفعت الجانب الأضخم من ضريبة الدم الرهيبة التى جباها منهم العباسيون الذين اسقطوا دولتهم سنة ١٣٢ هـ .

والواقع ان المروانيين - أو بنى عبد العزيز فى الأصح - عاشوا الفترة الأولى من حياتهم فى مصر (٦٥ - ١٣٢ هـ) أمراء . وان حياة عبد العزيز نفسه القريبة من حياة الخلفاء خير نموذج لعصر المروانيين الذهبى هناك (٢٧٠) . فاذا ما سقطت الدولة الأموية وأسدل الستار عليها فى بوصير بمصر سنة ١٣٢ هـ بدأت الفترة الثانية من حياة بنى عبد العزيز التى كانوا فيها شهداء . وفى صفحات متتابعة يصور الكندى (٢٧١)

---

(٢٦٥) النجوم ج ١ ص ٢٨٩ .
(٢٦٦) نهاية الأرب ص ٣٢٩ والبيان ص ٣٧ .
(٢٦٧) الخطط ج ١ ص ٢٣٩ .
(٢٦٨) البيـان ص ٣٧ .
(٢٦٩) نهاية الأرب ص ٢٠٣ .
(٢٧٠) الولاة ص ٤٩ - ٥٨ والنجوم ج ١ ص ١٧١ - ١٧٨ .
(٢٧١) الولاة ص ٩٤ - ١٠٠ .

عملية الابادة التى شنها العباسيون عليهم فكانوا يعدمونهم بالجملة . فاذا ما انجلى غبار المعركة وانصرف العباسيون الى جنى الثمر ، وسكتوا عن فلول الأمويين عاد هؤلاء يطلون براسهم وقد تحركت فيهم غريزة الثار العربية . وهناك يظهر بنو عبد العزيز الثوار على مسرح الحياة المصرية . ودحية بن مصعب (١٤٥ — ١٦٩ هـ) (٢٧٢) — من أحفاد عبد العزيز — نموذج كامل لأموبى ذلك العصر . وأغلب الظن ان الأمويين كانوا فى تلك المرحلة من حياتهم بمصر قد دنوا دنوا كبيرا من عامة المصريين ، فما كان لهم أن يقودوا تلك الحركات الثورية العنيفة بدون سند شعبى ضخم .

لعل لنا الحق بعد هـذا كله فى أن نحكم بأن الأمويين الذين عاشت أعداد كبيرة منهم بمصر طوال أكثر من قرن ، والذين تحكموا فى مصائرها كل ذلك الزمن يعدون من أهم العناصر العربية بها .

(ن) بنو هاشـــم :

هم بنو هاشـــم بن عبد منـــاف ، وكل عـــلوى وعبـــاسى فهو هاشمى(٢٧٣) . وكان بنو هاشم بمصر أقساما هى : العلويون ، والجعافرة ، والعباســيون . وتدل شــواهد القبور واوراق البردى على وجــود الهاشميين ومواليهم فى مصر فى القرنين الثانى والثالث (٢٧٤) .

١ — العـــلويون :

ونعنيهم هنا بمعناهم الجنسى لا السياسى . فنحن نقصــد ذرية على بن ابى طالب . ومن الطبيعى أن يتأخر ظهورهم بمصر . ولا نجد معنى لـــا يقوله ياقوت من أن مدينـــة قفط وقف على العلوية من أيام على وليس فى ديار مصر ضيعة وقف ولا ملك لأحد غيرها (٢٧٥) . والمعروف أن العلويين ينتمون الى الحســـن والحسين ابنى على بن أبى طالب . ونتكلم عن كل قسم منهما على حدة :

---

(٢٧٢) المصدر نفسه ص ١١٢ ، ١٣٤ و ١٢٦ و ١٢٨ — ١٣٠ والمقريزى ج ١ ص ٣٠٨ والنجوم ج ٢ ص ٤٩ و ٥٧ و ٦٠ و ٦١ .

(٢٧٣) الانســاب ٥٨٧ ب . Rép. Chro. I, pp. 52, 99.

(٢٧٤) 137 & II, pp. 21, 90, 249 — 250 & Ara. Pap. III, P. 93.

(٢٧٥) معجم البلدان ج ٧ ص ١٣٩ .

(أ) الحسنيون :

أول من ظهر بمصر منهم بخاصة ومن العلويين بعامة هو على بن محمد بن عبد الله عندما ظهرت دعوة بنى الحسن بها (١٤٤ ــ ١٤٥ هـ)ــ وكانت البيعة باسمه فى هذه الحركة التى أوشكت ان تنجح ، ولكنه اضطر الى الاختفاء فى احدى قرى الصعيد حتى مات (٢٧٦) . ثم حضر الى مصر ادريس بن عبد الله بعد فشل احدى محاولات العلويين بمكة سنة ١٦٩ هـ ، وتستروا عليه كما تستروا على سلفه حتى هرب الى المغرب (٢٧٧) . أما السيدة نفيسة بنت الحسن بن زيد (ت ٢٠٨ هـ) فقد أقامت بمصر حيث كسبت منزلة روحية عالية مازال المصريون يحفظونها لها حتى اليوم (٢٧٨) . وفى ٢٥٣ هـ أعلن ابن الصوفى العلوى ثورة لم تزل مشبوبة حتى سنة ٢٥٩ هـ عندما هزمه أبو عبد الله العمرى بأسوان (٢٧٩) . وفى تلك الأثناء خرج بغا الأكبر بالصعيد سنة ٢٥٤ هـ (٢٨٠) . ثم تلاه بغا الأصغر فخرج سنة ٢٥٥ هـ فيما بين الاسكندرية وبرقة ، وانتقل بثورته الى الصعيد حيث قتل فى نفس العام (٢٨١) . وفى سنة ٢٧٠ هـ ــ فى عهد الطولونيين ــ نقابل على بن الحسن بن طباطبا نقيبا للطالبيين بمصر (٢٨٢) .

أما شواهد القبور فتؤيد وجود هؤلاء الحسنيين بمصر فى القرن الثالث (٢٨٣) .

(ب) الحسينيون :

يعد أولهم ظهورا بمصر زيد بن على الامام الذى تنسب اليه

---

(٢٧٦) الولاة ص ١١١ و ١١٥ ، ومعجم البلدان ج ٦ ص ٦٦ ، ٦٧ والنجوم ج ٢ ص ١ ــ ٣ .

(٢٧٧) الولاة ص ١٣١ والنجوم ج ١ ص ٥٩ و ج ٢ ص ٤٠ ــ ٤١

(٢٧٨) وفيات الأعيان : ج ٢ ص ٢٢٣ ــ ٢٢٤ والخطط ج ٤ ص ٣١٣ ــ ٣١٦ وحسن ج ١ ص ٢١٨ .

(٢٧٩) الولاة : ص ٢١٣ ــ ٢١٤ .

(٢٨٠) المصدر نفسه : ص ٢١١ .

(٢٨١) المصدر نفسه : ص ٢١٢ .

(٢٨٢) القضاة ص ٥٠٩ ، ٥١٣ .

(٢٨٣) Rép. Chro. I, p. 128 & II, p. 205

الزيدية من طوائف الشيعة . وقد بعث الأمويون براسه الى مصر سنة ١٢٢ هـ ، فسرقه أهل مصر ودفنوه وبنوا عليه مشهدا (٢٨٤) . ومع أن عليا الرضى (ت ٢٠٣ هـ) لم يأت الى مصر فان توليته عهد المأمون أحدث فتنة كبيرة (٢٠٢ ـ ٢٠٣) هـ (٢٨٥) . وكان أسحق المؤتمن بن جعفر الصادق ، زوج السيدة نفيسة التى ذكرت فى بنى الحسن ، من أهل الصلاح والفضل والخير والدين بمصر . وكان له بها عقب منهم بنو الرقى (٢٨٦) . وفى سنة ٢٤٨ هـ كشف أمر ابن الخزرى العلوى الذى كان يمارس الدعوة فى الخفاء بمصر ، فقبض عليه وأرسل هو وجمع من آل أبى طالب الى العراق (٢٨٧) . وانضم ابن الأرقط العلوى الى جابر المدلجى فى ثورته (٢٥٢ ـ ٢٥٣ هـ) (٢٨٨) . وهناك اخيرا السيدة كلثوم بنت القاسم ، كانت من الزاهدات العابدات ، ومشهدها بمقابر قريش بمصر بجوار الخندق (٢٨٩) .

وعلى شواهد القبور نجد طائفة من اسماء بنى الحسين الذين توفوا بمصر حوالى منتصف القرن الثالث (٢٩٠) .

أما موالى العلويين فكان بمصر منهم : عبد الله بن محمد بن صالح (ت ٢٠٤ هـ) مولى سكينة بنت الحسين ، ينسب اليه درب الزجاج بالفسطاط (٢٩١) . مما يدل على اقامته به . وعبد الله بن ميمون (ت ٢٠٧ هـ) مولى على بن أبى طالب (٢٩٢) . ومحمد بن روح (ت ٢٥٤ هـ) مولى بنى قنبر مولى على (٢٩٣) .

وباستقراء أخبار العلويين فى مصر بعامة ـ حسنيين وحسينيين ـ يتضح لنا انهم اقاموا بمصر طوال القرنين الثانى والثالث . وكان لهم

---

(٢٨٤) الولاة ص ٨١ والخطط ج ٤ ص ٣٠٦ و ٣٠٧ و ٣٠٩ و ٣١٣ .
(٢٨٥) الولاة : ص ١٦٧ ـ ١٧٠ والنجوم ج ٢ ص ١٧٤ .
(٢٨٦) الخطط : ج ٤ ص ٣١٤ ـ ٣١٥ .
(٢٨٧) الولاة ص ٢٠٣ ـ ٢٠٤ والخطط ٤ ص ١٥٣ ـ ١٥٤ .
(٢٨٨) الولاة : ٢٠٦ ـ ٢٠٨ .
(٢٨٩) الخطط ٤ ص ٣١٦ .
(٢٩٠) Rép. Chro. II, pp. 35, 63, 175, 187, 188, 189
(٢٩١) الانتصار ج ٤ ص ٢٩ .
(٢٩٢) Rép. Chro, I, p. 118.
(٢٩٣) الانساب ص ٤٦٣ أ

بحكم مركزهم الروحى مكانة شعبية رفيعة ذات اثر خطير فى الحياة المصرية . ولا يبدو هذا الأثر فى الحركات والثورات المختلفة التى قادوها فى مصر وتابعهم فيها المصريون فحسب ، بل يبدو كذلك فى الذكرى العزيزة التى ما يزال المصريون يحملونها لهم حتى اليوم .

ونتتقل الى القسم الثانى من الهاشميين بمصر :

٢ ــ الجعافرة :

بنو جعفر الطيار بن أبى طالب (٢٩٤) . والمقريزى (٢٩٥) لا يعطينا فكرة واضحة عن أول اقامتهم بمصر ، ولكنه فى موضع آخر يذكر أن عدة بطون منهم كانت تنزل بأرض الأشمونين ، وانهم كانوا بادية أصحاب شوكة يحالفون الأمويين المقيمين هناك (٢٩٦) . فى حين يرى مكمايكل أن هؤلاء الجعافرة هاجروا الى مصر لما طردوا من مكة فى القرن العاشر الميلادى (٢٩٧) ، اى ما بين أواخر القرنين الثالث والرابع الهجريين (٢٨٩ ــ ٣٩١ هـ) . وتحفظ شواهد القبور اسم سيدة بالفسطاط هى أم لأحد أفراد الجيل الثامن من ذرية جعفر الطيار ، اى انها تعد معاصرة للجيل السابق منهم ، ومع ذلك فسنة وفاتها هى ٢٨٢ هـ (٢٩٨) . والعباس بن أحمد القماح (ت ٣٦٣ هـ) ، محدث راوية من أهل مصر ، يكتفى السمعانى (٢٩٩) . بأن يذكر انه مولى الجعافرة مما يدل على انهم كانوا فى ذلك الوقت مألوفين فى مصر .

نستطيع أن نخرج من هذا بأن الجعافرة عاشوا فى مصر منذ القرن الثالث على الأقل ، وانهم هاجروا الى الأشمونين فى هجرة قريش الكبرى الى تلك المنطقة .

يبقى بعد ذلك القسم الأخير من الهاشميين ، وهم :

---

(٢٩٤) البيان ص ٣٢ .

(٢٩٥) المصدر نفسه : ص ٣٢ ــ ٣٤ .

(٢٩٦) الخطط جـ ١ ص ٣٣٩ .

(٢٩٧) Mac. I.P. 142.

(٢٩٨) Rép. Chro. II, p. 262 — 263.

(٢٩٩) الانساب ص ٤٦٠ ب .

٣ ـ العباسيون :

فى وقت مبكر جدا ، وفى خلافة عثمان (٢٣ ـ ٣٥ هـ) ، دخل مصر عبد الله بن عباس بن عبد المطلب (ت ٦٨ هـ بالطائف) (٣٠٠) . جد السفاح أول خلفاء الدولة العباسية . ويبدو انه اقام بمصر زمنا فقد روى أهلها عنه أحاديث (٣٠١) . وبعده ظل بنو العباس لا يدخلون مصر حتى كان سقوط الدولة الأموية وقيام دولتهم ، هذه العملية التى اختتمت فى صعيد مصر ١٣٢ هـ . ومنذ ذلك الحين حتى حوالى منتصف القرن الثالث يتتابع على مسرح الحياة فى مصر عدد كبير من العباسيين يقيمون بها اقامة تطول حينا وتقصر فى اغلب الأحيان ، ولكنها تنتهى فى كل الأحوال بخروجهم من مصر . هؤلاء هم الامراء من بنى العباس الذين حكموا مصر ، وكانوا فى حكمهم بعيدين عن المصريين ، بل كان منهم من يظل يؤجل حضوره الى مقر حكمه مستخلفا من ينوب عنه ، بل كان منهم من حكم مصر دون أن يدخلها مطلقا (عبد الملك بن صالح بن على سنة ١٧٨ هـ) (٣٠٢) .

ولئن كان العباسيون قد اثروا فى مصائر الأمور فى مصر بما هم سادة حاكمون ، فانهم قد أثروا فيها كذلك من الناحية التى نعنى بها فى البحث : ناحية الجنس والدم . من ذلك ما أتاه صالح بن على ـ فاتح مصر وأول وال عباسى بها ـ من الحاق ألفى مقاتل بأهلها (٣٠٣) .

ومن موالى العباسيين لدينا ثلاثة ولاؤهم لأبى جعفر المنصور بالذات ، كان أولهم (مطر : ١٥٧ ـ ١٥٩ هـ) على خراج مصر (٣٠٤) ، فى حين كان الثانى والثالث (واضح المنصورى : ١٦٢ ـ ١٦٩ هـ (٣٠٥) ، والحسين بن جميل : ١٩٠ ـ ١٩٢ هـ (٣٠٦) ، أميرين على مصر صلاتها وخراجها .

وبذلك ننتهى من الحديث عن قريش وقبائلها ، فنواصل الحديث عن قبائل كنانة .

(٣٠٠ ، ٣٠١) حسن جـ ١ ص ٩٠ .
(٣٠٢) الولاة ص ١٣٦ ـ ١٣٧ والنجوم جـ ٢ ص ٩٠ ـ ٩١ .
(٣٠٣) الولاة ص ١٠٣ .
(٣٠٤) الطبرى جـ ٦ ص ٣٠٢ ، ٣٥٦ وابن دقماق جـ ٤ ص ٥١ .
(٣٠٥) الولاة ص١٢١ والنجوم جـ ٢ ص ٤٠ ـ ٤١ .
(٣٠٦) الولاة ص ١٤٢ ـ ١٤٤ والنجوم جـ ٢ ص ١٣٤ .

٥ ـ مدلج :

بطن من كنانة فيهم القيافة ، ومنهم سراقة بن مالك الذى طارد النبى حين هاجر (٣٠٧) . وهم من قبائل الفتح ، فقد اختط بنو معاذ ـ منهم ـ دارين بمصر (٣٠٨) ، وكانوا مع عمرو بن العاص فى غزوة طرابلس سنة ٢٣ هـ (٣٠٩) . ولم تطل اقامتهم بالفسطاط فالظاهر انهم كانوا يترددون على خربتا ـ وهى خربتا الحالية مركز كوم حمادة محافظة البحيرة (٣١٠) ـ للارتباع ، ثم لم يلبثوا ان أقاموا بها فاتخذوها منزلا هم وذبحان حلفاؤهم الحميريون (٣١١) . وكانت اقامتهم تلك مخالفة صريحة للأسس التى وضعها عمر بن الخطاب لاقامة العرب فى بلاد الفتوح . ولكن الولاة اضطروا ازاء قوتهم ونزعتهم الى التمرد الى التغاضى عنهم . بل ان أحدهم ، قيس بن سعد الأنصارى (٣٧ هـ) صارح محمد بن ابى بكر خليفته على حكم مصر ، (٣٧ ـ ٣٨ هـ) ، بتجنبهم اتقاء لشرهم (٣١٢) . ومن مظاهر قوتهم أن نزل عليهم فى خربتا شيعة عثمان من أهل مصر الذين غضبوا لقتل عثمان وطالبوا بثأره . ووسط هؤلاء الثوار بنى مدلج بينهم وبين أمير مصر قيس بن سعد (٣١٣) ولكن خربتا لم تكن أكثر من نقطة ارتكاز اتجهوا منها نحو الغرب . فعلى الطريق من مصر الى المغرب منازل لبنى مدلج فى البرية بعضها على الساحل وبعضها بالقرب من الساحل (٣١٤) . وفى أدانى قرى كورتى لوبية ومراقية قوم منهم يعيشون مع سكانها الأصليين البربر (٣١٥) . وفى الرمادة فى عمل لوبية وهى أول منازل البربر ، قوم منهم كذلك (٣١٦) . كما أقاموا فى وادى هبيب ـ بالجانب الغربى من مصر ، فيما بين مريوط والفيوم (٣١٧) ـ حيث عملوا خفراء لدياراته الكثيرة (٣١٨) . ومع هذا فقد أقام جانب ضخم منهم بالاسكندرية حيث

---

(٣٠٧) نسب عدنان ص ٥ ، والعقد جـ ٢ ص ٢١٩ ، ونهاية الأرب ص ٣٣٥ .

(٣٠٨) فتوح مصر ص ١١٥ .

(٣٠٩) المصدر نفسه : ص ١٧١ .

(٣١٠) الدليل الجغرافى ص ٢٤٤ .

(٣١١) فتوح مصر ص ١٤٢ .

(٣١٢) الولاة ص ٢٧ .

(٣١٣) الولاة ص ٢٠ ، ٢١ ، ٢٧ والنجوم جـ ١ ص ٦٨ .

(٣١٤ ، ٣١٥ ، ٣١٦) كتاب البلدان ص ١٢٨ ، ١٣١ .

(٣١٧) خطط المقريزى (بولاق) جـ ١ ص ١٨٦ .

(٣١٨) سير الآباء البطاركة ـ مجلد أول ص ٥٦٨ .

نقابلهم منذ أخريات القرن الثانى حتى منتصف الثالث يقومون بأعنف الثورات (٣١٩) .

وبالرغم من الطابع الثورى المنيف الذى يسم حياة بنى مدلج بمصر نجد منهم شخصيات سلمية مثل الخيار بن خالد (ت ١١٥ هـ) قاضى مصر ، كان رجلا صالحا محمودا جميل المذهب (٣٢٠) . ويعمر بن ابى خالد الذى روى عنه الليث بن سعد (٣٢١) .

وكان مواليهم يشاركونهم تصرفاتهم ، فقد اجتمع كثير منهم الى جابر المدلجى فى ثورته الكبيرة بالاسكندرية (٢٥٢ — ٢٥٣ هـ) (٣٢٢) . ومع هذا كان من مواليهم أبو محمد المراقى المحدث أصله من مراقية وسكن الاسكندرية (٣٢٣) .

ويبدو أن المدالجة كانوا كثيرين بمصر ، فقد كان منهم البطنان الآتيان :

(أ) بنو مصالد :

من ذكرهم ، وانهم اختطوا بمصر دارين .

(ب) بنو الهجيم بن عثوارة :

منهم جابر المدلجى زعيم ثورة الاسكندرية (٣٢٤) .

٦ — ليث :

بطن من كنانة (٣٢٥) وحلفاء لبنى زهرة (٣٢٦) . وهم من قبائل الفتح ، واختطوا بالفسطاط عند أصحاب القراطيس (٣٢٧) . ويبدو ان

---

(٣١٩) الولاة ص ١٥٣ ، ١٦٤ ، ١٦٦ ، ١٧٠ ، ١٩١ ، ٢٠٥ — ٢١٠ و ٢١٢ وسير البطاركة مجلد اول ص ٥٤٤ و ٥٦٥ .

(٣٢٠) فتوح مصر ص ٢٤٠ والقضاة ٣٤٣ والانساب ٥١٥ أ ، ب .

(٣٢١) الانساب ص ٥١٥ ب .

(٣٢٢) الولاة ص ٢٠٥ .

(٣٢٣) الانساب ٥١٩ ب .

(٣٢٤) الولاة ص ٢٠٥ .

(٣٢٥) نسب عدنان ص ٤ .

(٣٢٦) الانساب ص ٤٩٧ ب .

(٣٢٧) فتوح مصر ص ١١٥ .

لم يجىء منهم فى جيش الفتح سوى اسرة واحدة هى آل عروة بن شييم (٣٢٨) . وهذا سبب قلتهم فهم من أهل الراية (٣٢٩) . وكانوا يتركون الفسطاط الى أتريب ــ كورة فى شرقى مصر قصبتها عين شمس (٣٣٠) ، حيث كانت تشغل الجزء الشمالى من محافظة القليوبية (٣٣١) ــ يرتبعون مع بنى عمهم : غفار (٣٣٢) .

وليس لدينا من شخصيات هذه القبيلة فى عصر الفتح سوى عروة بن شييم نفسه عميد البطن الذى مثل ليثا فى مصر . وكان عروة هذا ضد عثمان فانه كان احد القواد الستة للجيش المصرى الذى أرسله ابن أبى حذيفة الى عثمان سنة ٣٥ هـ لبشترك فى التخلص منه (٣٣٣) . وعلى شواهد القبور وفى أوراق البردى اسماء لأفراد من ليث طوال القرن الثانى ، بعضهم بالصعيد (٣٣٤) ، مما يدل على تحرك هذه القبيلة نحو الجنوب ــ الى الأشمونين ربما ــ منذ ذلك الوقت .

وكان بنو ليث مع بطون كنانة الآخرى التى هاجرت من الحجاز الى مصر ، تلك الهجرة التى ذكرناها من قبل . وقد سكنوا ساقية قلتة ــ والأرجح انها ساقلتة الحالية مركز أخميم محافظة سوهاج (٣٣٥) ــ وما يليها (٣٣٦) .

ولم تتح قلة الليثيين لهم أن يتركوا بمصر اثرا مذكورا . وكان منهم بمصر البطن الآتى :

عشوارة :

يظنها السمعانى بطنا من الأزد (٣٣٧) ، فى حين ينص القلقشندى

---

(٣٢٨) المصدر نفسه ص ١١٥ مع ملاحظة انه مذكور فى الولاة على انه ابن شتيم وفى الخطط ابن سليم .

(٣٢٩) الانتصار جـ ٤ ص ٣ .

(٣٣٠) معجم البلدان جـ ١ ص ١٠٢ و ١٠٣ .

(٣٣١) Toussoun, p. 51.

(٣٣٢) فتوح ص ١٤٢ .

(٣٣٣) الولاة ص ١٧ .

(٣٣٤) Rép. Chro. I, p. 48 & Ara. Pap. III, pp. 79, 93

(٣٣٥) الدليل الجغرافى ص ٣٢٦ .

(٣٣٦) البيان ص ٤٠ و Ara. Pap. III, p. 91 — 92

(٣٣٧) الانساب ص ٣٨٤ أ .

على انها من كنانة من ليث بن بكرة (٣٣٨) . وكان من عثوارة أبو الهيثم من محدثى القرن الأول (٣٣٩) .

٧ ـ غفـــار :

بطن من كنانة (٣٤٠) ، كانت تعيش فى الحجاز واشتركت فى فتح مكة سنة ٨ هـ مع مزينة وجهينة وسليم وأسد وقيس وقبــائل اخرى تحت قيادة خالد بن الوليد (٣٤١) . وسجل الرســول ثناءه عليها فى حديثه : « غفار غفر الله لها » (٣٤٢) . ويبدو انها كانت جـديرة بهــذا الثناء فانها اعترفت بالخليفة أبى بكر بعد وفاة النبى ، وحاربت فى صفه ضد القبائل الثائرة (٣٣٤) .

وكانت غفار من قبائل الفتح . وقــد اختطت بالفسطاط حول عمرو والمسجد مع قريش والأنصــار وأسلم وجهينــة ، وغيرهم من أهــل الراية (٣٤٤) . وكانت خطتهم فى الزقاق الذى عرف فيما بعد بزقـــاق ابن بلادة (٤٥) . وكونهم من أهــل الرايــة دليل على قلتهم . وكانــوا يتجهون دائما نحو الشمال الشرقى ، فكان لهم مرتبع مع ليث فى أتريب كما سبق (٣٤٦) . وكذلك كانوا يرتبعون هم وأسلم مع قبائل أخرى من جذام فى كل من كورة بسطة التى كانت تشغل جزءا من مركز الزقازيق الحالى (٣٤٧) ، وكورة فربيط وهى مركز كفر صفر حاليا (٣٤٨) ، وكورة طرابية التى كانت تشغل مركز فاقوس الحالى ووادى الطميلات (٣٤٩) .

ومن الغريب أن الذين ظهروا بمصر من بنى غفار كلهم من الصحابة

---

(٣٣٨) نهاية الأرب ص ٥٢٨ .
(٣٣٩) الانساب ص ٣٨٤ أ .
(٣٤٠) نسب عدنان ص ٥ والعقد جـ ٢ ص ٢١٨ ـ ٢١٩ .
(٣٤١) Ency. Isl. II, p. 159.
(٣٤٢) البخارى جـ ٥ ص ١٧ ـ فتوح مصر ص ١٣٨ والانساب ص ٤١٠ ب .
(٣٤٣) Ency. Isl. II, p. 159.
(٣٤٤) فتوح مصر ص ٩٨ .
(٣٤٥) الانتصار جـ ٤ ص ١٥ .
(٣٤٦) فتوح مصر ص ١٤٢ و ص ٩٥ من هذا البحث .
(٣٤٧) فتوح مصر ص ١٤٢ و Toussoun, p. 17.
(٣٤٨) فتوح مصر ص ١٤٢ و Toussoun, p. 23.
(٣٤٩) فتوح مصر ص ١٤٢ و Toussoun p. 14.

من جهة ومن عصر الفتح ، بل من وقت الفتح ذاته ، من جهة ثانيـــة . وقد اختطوا جميعـــا بمصر ، وحـــدثوا بها ، وســـكنوها ما عدا أباذر (٣٢ هـ بالربذة) (٣٥٠) ، وهبيب بن مغفل الذى ينســـب اليه وادى هبيب لأنه اعتزل به فى فتنة عثمان وظل فيه حتى توفى (٣٥١) .

ومن مواليهم جبر بن عبد الله القبطى (ت ٦٢ هـ) رســـول المقوقس الى النبى . وهو الذى تفخر القبط بسببه بأن منهم من صحب النبى (٣٥٢) .

ان اختفاء غفار المبكر شاهد اما على انقراضهم واما على انعدام التفوق فيهم . ومن المحتمل انهم هم بنو ضمرة الذين يذكر القضاعى فى خططه ان منهم اناسا ببلاد قريش يعنى بلاد الأشمونين (٣٥٣) .

وبذلك ننتهى من قبائل كنانة لنواصل الحديث عن قبائل مدركة :

٨ ـ اســـد :

ليس لدينا مطلقـــا ما يتصل بحضـــورهم الى مصر وقت الفتح أو بعده . وكل ما لدينا هو اسم اثنين من أســـد توفيا بمصر فى الربع الأول من القرن الثالث (٣٥٤) . ولســـنا نستبعد أن يكونا من بنى أســـد بن عبد العزى الذين مروا فى قريش .

٩ ـ القـــارة :

اشتهروا بأنهم أمهر العرب جميعا فى الرماية (٣٥٥) . وكانوا حلفاء بنى زهرة (٣٥٦) . وليس لهم ذكر فى أخبـــار الفتح أو ما بعده . ولعلهم لم يذكروا لأنهم لم يكونوا قبيلة قائمة بذاتها ، وانمـــا كانوا حلفـــاء لغـــيرهم .

---

(٣٥٠) فتوح مصر : ٢٨٦ وحسن جـ ١ ص ١٠١ .

(٣٥١) فتوح مصر : ٩٤ والخطط جـ ١ ص ١٨٦ وحسن جـ ١ ص ١٠٠ .

(٣٥٢) فتوح مصر : ص ١٠٩ وحسن جـ ج ص ٧٩ ـ ٨٠ .

(٣٥٣) نهاية الارب ص ٢٦٢ .

(٣٥٤) Rép. Chro. I, pp. 144, 151

(٣٥٥) العقد : جـ ٢ ص ٢٢٠ .

(٣٥٦) النجوم جـ ١ ص ٨٧ .

وأول من نقابله منهم بمصر فى كل حال هو يعقوب بن عبد الرحمن المحدث (ت ١٨١ هـ) ، سكن الاسكندرية وتوفى بها ، ولكنه ليس مصريا أصلا (٣٥٧) . أما ابراهيم بن أسحق قاضى مصر (٢٠٤ ـ ٢٠٥ هـ) الذى استقال احتجاجا على تدخل والى مصر فى عمله (٣٥٨) ، فيبدو انه مصرى . وربما كان يحيى بن جابر ، قاضى رشيد وأحد المحدثين الذين خرجوا منها (٣٥٩) دليلا على اقامة بنى القارة أو بعضهم فى تلك المدينة .

فرغنا الآن من بنى مدركة الذين يمثلون القسم الأول من خندف . وننتقل الى القسم الثانى .

٢ ـ بنو طابخة

جاء الى مصر من بنى طابخة القبائل الآتية :

١ ـ تميم :

يبدأ ظهور هذه القبيلة بمصر مع قيام الدولة العباسية سنة ١٣٢هـ ولعلها دخلت مع جيوش العباسيين التى فتحت مصر وقضت على آخر الخلفاء الأمويين بها ، فان أول من قدم من قواد العباسيين (شعبة بن عثمان ت ١٣٣ هـ) من بنى تميم (٣٦٠) . وربما كان تولى اثنين من تميم (موسى بن كعب سنة ١٤١ هـ (٣٦١) ، وسالم بن سوادة سنة ١٦٤ هـ) (٣٦٢) حكم مصر فرصة متاحة لدخول آخرين من بنى تميم .

والهذيل بن مسلم الفقيه (ت ١٨٩ هـ) الذى سكن مصر وملك فيها دارا باسمه (٣٦٣) ، شاهد على اقامة بنى تميم بمصر فى القرن الثانى .

---

(٣٥٧) الانساب ص ٤٣٧ ب .
(٣٥٨) القضاة ص ٤٢٧ .
(٣٥٩) معجم البلدان جـ ٤ ص ٢٥٢ .
(٣٦٠) الولاة ص ٩٩ والنجوم جـ ١ ص ٣٠٢ .
(٣٦١) الولاة ص ١٠٦ ـ ١٠٨ والنجوم جـ ١ ص ٣٤٢ ـ ٣٤٥ .
(٣٦٢) الولاة ص ١٢٣ والنجوم جـ ٢ ص ٤٧ .
(٣٦٣) الانتصار جـ ٤ ص ٨ .

اما القرن الثالث ففى شواهد القبور (٣٦٤) دليل على انه ــ أو نصفه الأول على الأقل ــ كان حافلا بالتميميين الذين عاشوا فى مصر وماتوا بها.

نستطيع ان نطمئن الى أن قبيلة تميم أقامت اقامة فعلية فى مصر حيث تمتعت بمركز قوى استمدته من أبنائها الذين ولوا الحكم فيها ، بل أن من مواليها (موسى بن زريق سنة ١٦٢ هـ) (٣٦٥) . من كبار الموظفين .

٢ ــ مزينــة :

هم الذين منهم زهير بن أبى سلمى الشاعر المشهور (٣٦٦) . ومن القبائل التى ذكر الرسول انهم مواليه (٣٦٧) . وكانوا من قبائل الفتح ، الا انهم كانوا قلة ، فهم من اهل الرايـة (٣٦٨) . وفى العصر الأموى نقابل منها بشير بن النضر قاضى مصر (٦٨ ــ ٦٩) (٣٦٩) . ولا يظهر من مزينة بعد ذلك احد حتى يكون القرن الثالث فيتألق الامام أبو ابراهيم المزنى (١٧٥ ــ ٢٦٤ هـ) الفقيه الشافعى العظيم (٣٧٠) .

وهكذا نفرغ من بنى طابخة ، فنفرغ من خندف جميعا أى من القسم الأول من قبائل مضر ، ويبقى أمامنا القسم الثانى منها :

ثانيـا ــ قيس

تشتمل قيس على ثلاثة أقسام كبيرة : سعد ، وجديلة ، وخصفة . وسنتكلم عن كل قسم وما يضم من قبائل بعد أن نتحدث عن قيس القبيلة العامة .

---

(٣٦٤) Rép. Chro. I, pp. 106, 110 — 111, 153, 247 — 248, 260 & II, pp. 96 — 97.

(٣٦٥) الولاة ص ١٢١ .

(٣٦٦) العقد جـ ٢ ص ٢٢١ .

(٣٦٧) البخارى جـ ٥ ص ١٤ .

(٣٦٨) الانتصار جـ ٤ ص ٣ .

(٣٦٩) القضاة ص ٣١٣ ــ ٣١٤ والانتصار جـ ٤ ص ٣٩ .

(٣٧٠) القضاة ص ٤٦١ و ٥٠٨ و ٥١١ و ٦٧١ ، وحسن جـ ١ ص ١٢٣ ، وطبقات الشافعية جـ ١ ص ٢٣٨ و ٢٤١ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

قيس :

خضعت هذه القبيلة فى الجاهلية لامبراطورية كندة قصيرة العمر ، مثلها فى ذلك مثل قبائل وسط شبه الجزيرة . ولما ظهر النبى عادته أول الأمر عداء تاما ، ولكنها كانت عندما مات قد خضعت لشريعة الاسلام . الا أن معظمها عاد فانضم انضماما صريحا أو ضمنيا الى حركة الردة التى فشت فى جزيرة العرب جميعها . ولكنهم عادوا مسلمين طيبين منذ أن هزمهم خالد بن الوليد ، واشتركت جماعات منهم فى المعارك ضد الفرس . وفى موقعة الجمل وفى صفين حاربوا الى جانب على (٣٧١) .

كتب عبيد الله بن الحبحاب صاحب خراج مصر (١٠٣ — ١١٦ هـ) الى الخليفة هشام ان ليس فى مصر من قيس سوى قليل من جديلة وهم : فهم وعدوان . وتناقل المؤرخون (٣٧٢) هذا الزعم ما عدا ابن عبد الحكم (٣٧٣) .الذى نفى وجود قيس بالحوف الشرقى بخاصة — لا بمصر كلها — قبل زمن ابن الحبحاب . ولكن من الثابت أن قبيلتى فهم وعدوان اشتركتا فى الفتح واختطتا بالفسطاط . ومن الثابت كذلك ان قبائل اشجع وعبس وثقيف — وكلها من قيس — شهدت فتح مصر واقامت بها . وقد وضحنا هذا عند حديثنا عن هذه البطون (٣٧٤) . ومن الثابت أيضا انه كان لقيس داران بالفسطاط : دار كعب بن ضنة ودار الزبير (٣٧٥) . كما كان لها — شأنها شأن القبائل الأخرى — مجلس فى جامع عمرو تحده اربعة أعمدة مذهبة الرءوس ذهبها قرة بن شريك العبسى (٣٧٦) أمير مصر القيسى (٩٠ — ٩٦ هـ) محاباة لقبيلته . وفى هذا المجلس قضى عبد الملك بن رفاعة الفهمى ، أمير مصر القيسى كذلك ، بعض الوقت يوم عزله سنة ٩٩ هـ (٣٧٧) .

---

(٣٧١) Ency. Isl. II, pp. 654 — 655.

(٣٧٢) الولاة ص ٧٦ والبيان ص ٥٠ .

(٣٧٣) فتوح مصر ص ١٤٣ .

(٣٧٤) انظر الصفحات التالية من البحث .

(٣٧٥) فتوح مصر ص ١١١ .

(٣٧٦) الخطط ج ٤ ص ٩ .

(٣٧٧) الولاة ص ٦٧ .

عاشت قيس اذن فى مصر منذ الفتح ممثلة فى خمس من قبائلها . وشاركت طوال القرن الأول فى الحياة المدنية لمصر . وظهر منها الوجوه والأمراء وكبار الموظفين : كعب بن يسار العبسى (٢٠ هـ) ، خالد بن ثابت الفهمى (٢٠ – ٦٤ هـ) ، حبيب بن أوس الثقفى (٢٠ – ٦٥ هـ) ، ابن يربوع الفزارى (٨٧ هـ) بنو رفاعة (٨٩ – ١١٩ هـ) قرة بن شريك (٣٧٨) . ولكن عدم تجاوب قبائل قيس المصرية مع حركة قيس العامة ضد الخلافة بالانضمام الى ابن الزبير ومحاربة الأمويين منذ ٦٤ هـ حتى ٧٣ هـ (٣٧٩) دليل على أن قيسا لم يكن لها بمصر من القوة ما يمكنها من القيام بمثل هذه الحركة .

وفى سنة ١٠٩ هـ طلب ابن الحبحاب من هشام الموافقة على انتقال عدد من قيس الى مصر (٣٨٠) . ولم يتردد هشام فى الموافقة بسبب قوة مركز قيس فى بلاد الخلافة . ومنذ ذلك الوقت بدأت هجرة قيس الكبرى الى مصر ، فمازالوا ينتقلون اليها ويتكاثرون بها حتى بلغوا فى حوالى نصف القرن (١٠٩ – ١٥٤ هـ) خمسة آلاف نسمة ، فقد قدم منهم أول الأمر سنة ١٠٩ هـ أربعمائة أهل بيت لم يلبثوا أن بلغوا فى سنة ١٢٥ هـ – سنة موت هشام – ألفا وخمسمائة . وكان تولى الأمير القيسى ، الحوثرة بن سهيل الباهلى (١٢٨ – ١٣١ هـ) فرصة جديدة لتدفق القيسية حتى انهم تضاعفوا فى هذه الفترة القصيرة فأصبحوا وقت موت مروان الحمار (١٣٢ هـ) ثلاثة آلاف . ولم يتوقف نموهم عند هذا الحد ، فانهم قد « توالدوا وقدم عليهم من البادية من قدم » فاذا بهم بعد حوالى جيل – فى ولاية محمد بن سعيد صاحب خراج مصر ما بين ١٤٢ و ١٥٢ هـ – قد قاربوا الضعف من جديد ، فكانوا صغيرهم وكبيرهم وكل من جمعت الدار منهم خمسة آلاف (٣٨١) . وليس لنا أن نشك فى معدل الزيادة هذا اذا وضعنا فى اعتبارنا نظرية مالتوس التى تقول بزيادة عدد السكان وفق متوالية هندسية : ١ : ٢ : ٤ : ٦ : ٨ ... الخ مرة كل ٢٥ سنة (٣٨٢) ، واذا

---

(٣٧٨) تحدثنا عن هذه الشخصيات بالتفصيل فى قبائلها فى الصفحات القادمة .

(٣٧٩) Ency. Isl. II, p. 655. وبروكلمان : تاريخ الشعوب الاسلامية جـ ١ ص ١٥٦ و ١٥٧ .

(٣٨٠) الولاة ص ٧٦ .

(٣٨١) مراحل هذه الهجرة مذكورة فى الولاة ص ٧٦ – ٧٧ والبيان ص ٥١ .

(٣٨٢) مصطفى كمال فريد : أصول المذاهب الاقتصادية ص ٨٢ وصلاح العبد : مبادىء علم الاجتماع ص ٣٦ .

راعينا كذلك العلاقة الطردية بين زيادة السكان وبين ارتفاع مستوى المعيشة وهو ما حدث لهذه القبـائل بما هيأ لهم ابن الحبحاب من الرخاء والانتعاش الاقتصادى عندما أمرهم باشتراء الخيول والابل التى سهل عليهم تربيتها لجودة مرعاهم ، تم استغلوها فى حمل الطعـام الى القلزم (السويس حاليا) (٣٨٣) « فكان الرجل يصيب فى الشهر العشرة دنانير وأكثر واقل » (٣٨٤) ولاشـك فى أنه كان لهذه الخيول أثرها فى الدور الخطير الذى لم تلبث قيس أن لعبته فى حيـاة مصر سياسـيا وحربيا . فالواقع أن هجرة قيس تلك الى مصر واقامتهـا بمنطقة الحوف كانت بداية مرحلة جديدة من مراحل حياتها هنـاك غلب عليها طابع العنف على نحو ما سنرى .

لم تكد قيس تستقر فى مقامهـا الجديد ــ بلبيس احـدى كور الحوف ــ حتى تهيأت لها فرصـة لرد جميل الأمويين ، فخرج جمع منهم سنة ١٢٧ هـ مع زبان بن عبد العزيز بن مروان لمنع ثابت بن نعيم الجـذامى ، الثـائر على مروان بن محمـد من دخـول مصر . ولقوه وهزموه (٣٨٥) . وفى ١٢٨ هـ أخمد الحوثرة بن سهيل حركة خلع مروان التى ظهرت بمصر ، وجعل زبان بن عبد العزيز على رأس ألف من قيس يتناولون ارفع درجات العطـاء وهو عطـاء الخاصة (٣٨٦) . ولعل هؤلاء الألف هم نفس الذين اشتركوا مع زبان فى قتـال ابن نعيم فى العـام السابق وكان ذلك الصنيع من الحوثرة مكافاة لهم . على ان ذلك الولاء للأمويين لم يطل أجله فقد تفشت الدعوة العباسية فاشـترك جمع منهم مع احد الأمويين فى الثورة على مروان سنة ١٣٢ هـ (٣٨٧) ثم لم يلبثوا ان انضموا الى العباسيين وسودوا (٣٨٨) .

ولكن هذا الولاء للعباسيين لم يكن أطول أجلا من الولاء للأمويين ، فان قيسا قد تحالفت مع القبائل اليمنية الموجودة بالحوف ، فاختلط تاريخهم منذ ذلك الوقت ، واصبح لهم اسم واحد ، يجمعهم هو أهـل الحوف ، وكونوا بتحالفهم ذلك قوة هائلة قاومت الدولة مقاومة عنيفة

---

(٣٨٣) Amé. p. 227.

(٣٨٤) الولاة ص ٧٧ والبيان ص ٥١ .

(٣٨٥) الولاة ص ٨٧ .

(٣٨٦) المصدر نفسه ص ٩٠ .

(٣٨٧) المصدر نفسه ص ٩٤ .

(٣٨٨) المصدر نفسه ص ٩٥ والنجوم جـ ١ ص ٣١٦ .

فى عدد كبير من المعارك المريرة التى نشبت لأسباب تعود فى معظمها الى سوء معاملة الولاة وجشعهم فى أخذ الخراج وخيانة الموظفين . وهذا يبدو واضحا عند النظر فى ثورات أهل الحوف فى الأعوام ١٦٨ (٣٨٩) ، ١٧٢ — ١٧٣ (٣٩٠) ، ١٧٨ (٣٩١) ، ١٧٩ — ١٨٠ (٣٩٢) ، ١٨٦ (٣٩٣) ، ١٩٠ (٣٩٤) ، ١٩٤ (٣٩٥) ، ١٩٨ — ٢٠٩ (٣٩٦) ٢١٤ (٣٩٧) ، ٢١٥ (٣٩٨) ، ٢١٦ — ٢١٧ (٣٩٩) ، ٢٥٣ (٤٠٠) .

ولا عجب فى هذا فقد كانوا باعتمادهم على الزراعة واهتمامهم بها يمثلون مصلحة طبقة المزارعين فى مصر . بل لقد انتهى بهم الأمر الى أن اشتركوا مع القبط فى ثورة أسفل الأرض (٢١٦ — ٢١٧ (٤٠١) التى كانت ثورة المصريين بعامة ، بل الفلاحين بالذات . على انهم لم ينسوا عروبتهم وظلوا يمثلون مصالح الطبقة العربية ، ولذلك وقفوا الى جانب الأمين ضد المأمون فى الصراع الذى دار بينهما ، وكانت مصر مسرحا لفصول منه طوال المدة من ١٩٦ — الى ١٩٨ (٤٠٢) .

وكانت الدولة تقابل ثورات اهل الحوف بكل ما تملك من قوة وقسوة وحين كان الجيش المحلى — أهل الديوان — يعجز عن قهرهم كان الخليفة يضطر الى ارسال جيش من عاصمته (٤٠٣) . بل لقد اضطر المعتصم — وهو أمير بعد — الى مقاتلتهم بنفسه فى جيش هائل

---

(٣٨٩) الولاة ص ١٢٥ — ١٢٧ .
(٣٩٠) النجوم جـ ٢ ص ٧١ .
(٣٩١) الولاة ص ١٣٦ والنجوم جـ ٢ ص ٨٧ — ٨٨ .
(٣٩٢) النجوم جـ ٢ ص ٩٨ .
(٣٩٣) الولاة ص ١٤٠ والنجوم جـ ٣ ص ١١٤ .
(٣٩٤) الولاة ص ١٤٣ والنجوم جـ ٢ ص ١٣٥ .
(٣٩٥) الولاة ص ١٤٧ .
(٣٩٦) المصدر نفسه ص ١٥٣ — ١٥٥ .
(٣٩٧) المصدر نفسه ص ١٨٥ — ١٨٨ والنجوم جـ ٢ ص ٢٠٥ ، ٢٠٧ — ٢٠٨ .
(٣٩٨) النجوم جـ ٢ ص ٢١٢ .
(٣٩٩) الولاة ص ١٩١ والنجوم جـ ٢ ص ٢١٥ — ٢١٦ .
(٤٠٠) الولاة ص ٢٠٨ — ٢٠٩ .
(٤٠١) المصدر نفسه ص ١٩٠ — ١٩٢ والنجوم جـ ٢ ص ٢١٥ — ٢١٦ .
(٤٠٢) الولاة ص ١٤٩ — ١٥١ .
(٤٠٣) المصدر نفسه ص ١٣٦ ، ١٤٤ ، ١٤٧ .

من أتراكه(٤٠٤) . ولقد لقيت الدولة عنتا شديدا فى اخضـاعهم لغلبة البداوة عليهم وكثرتهم العددية وثرائهم ، فلم يكونوا ينهزمون الا ليعاودوا التمرد من جديد . وكان انتصار الدولة عليهم يقابل بالتهليل من الشعراء باعتباره من الأمور الجديرة بالتمجيد والتسجيل (٤٠٥) .

على أن أعجب ما فى تاريخ أهل الحوف كله هو شهادتهم لأهـل الحرس القبط بانهم عرب . على أن الذى يبدو من ملابسـات هـذه القضية التى شغلت الرأى العام فى مصر زمنا طويلا (١٨٥ - ١٩٤هـ)(٤٠٦) ان اليمانية وقضـاعة منهم بالذات ، هم الذين وقفوا الى جـانب أهل الحرس لا القيسية ، فقد كان من شـهودهم حوى بن حوى العذرى (ت ٢٠٠ هـ) أحد أشراف مصر (٤٠٧) . هـذا الى اننا نستطيع اعتبار موقف الشاعر طاهر القيسى العدائى من هـذه القضية صـدى لموقف القبيلة كلها (٤٠٨) .

ولعله من الطريف أن كان من موالى هـذه القبيلة أحد كبار الموظفين الذين ولوا أمر الخـراج بالذات (محمـد بن زيـاد بن طبق القيسى ت ٢٢١ هـ) (٤٠٩) .

وهكذا نرى أن قيسا التى سارت فى القرن الأول فى طريق المدنية عندما عاشت فى الفسطاط ، لم تستطع أن تتخلص من بداوتها وعنفها وقسوتها لمـا أقامت فى الحوف وبذلك كتب عليها أن يكون دورها على مسرح الحيـاة المصرية دورا دمويا هداما أكثر مما كان مدنيا سلميـا بنـاء .

نتحدث الآن عن القبائل القيسية فى مصر متبعين ما أشرنا اليه من تفرع قيس الى ثلاثة أقسام .

---

(٤٠٤) المصدر نفسه ١٨٨ - ١٨٩ والنجوم جـ ٢ ص ٢٠٨ - ٢٠٩ .
(٤٠٥) الولاة ص ١٤٥ .
(٤٠٦) انظر تفاصيل هذه القضية المهمة فى الكندى : الولاة ص ٣٩٧ - ٤٠٠ .
(٤٠٧) القضـاة ص ٣٩٨ .
(٤٠٨) المصدر نفسه ص ٤١٣ ، ٤١٥ .
(٤٠٩) الولاة ص ١٤٧ والانتصار جـ ٤ ص ٢٥ .

١ ـ بنو سعد

عاش منهم بمصر القبائل الآتية :

١ ـ باهلة :

كان العرب ينظرون باحتقار الى هذه القبيلة ، وأورد ابن خلكان طائفة من النوادر فى السخرية منها (٤١٠) . وجاءت باهلة الى مصر فى وقت متأخر ليس قبل ١٢٨ هـ على أية حال وذلك عندما ولى أحد أفرادها (الحوثرة بن سهيل) حكم مصر (١٢٨ ـ ١٣١ هـ) فقد قال الكندى (٤١١) ، وهو يسرد مراحل قدوم قيس مصر ، ان قيسا مالت الى الحوثرة لما ولى مصر فى زمن مروان بن محمد ، فنتج عن هذا ان ارتفع عدد قيس الى ثلاثة آلاف ، بعد ان كانوا الفا وخمسمائة ، فكأن هذه الدفعة الجديدة لم تكن لتقل عن ألف نسمة . وكون الحوثرة باهليا يجعلنا نرجح أن تلك الدفعة كانت كلها أو معظمها من نفس قبيلته ، لاسيما وانه كان من أهل قنسرين والجيش الذى دخل مصر به لتأديب الثوار فيها كان قسم منه من أهل قنسرين (٤١٢) .

ولسنا نعرف لباهلة دورا خاصا قامت به فى مصر ، ولكننا نجد أحد العمال بمصر منها (١٩٠ ـ ١٩٢ هـ) (٤١٣) . وقد ظل الاحتقار القديم يلاحقها فوصف سعيد بن عفير الشاعر المصرى الباهليين بانهم مأوى اللؤم من مضر (٤١٤) . وتحفظ شواهد القبور اسم مولاة لرجل باهلى توفيت بالصعيد سنة ٢١٥ هـ (٤١٥) .

٢ ـ اشجع :

كانوا اهم عرب المدينة النبوية (٤١٦) ، اذ كانوا يسكنون شمالها

---

(٤١٠) وفيات الأعيان جـ ١ ص ٥٤٢ ـ ٥٤٣ .
(٤١١) الولاة ص ٧٧ ـ انظر كذلك : البيان ص ٥١ .
(٤١٢) الولاة ص ٨٨ .
(٤١٣) المصدر نفسه ص ١٤٢ .
(٤١٤) المصدر نفسه ص ١٤٣ .
(٤١٥) Rép. Chro. I, p. 159.
(٤١٦) نهاية الأرب ص ٣٧ .

الشرقى (٤١٧) . وقد اشتركت مع قيس فى معـاداة النبى أول الأمر ، ولكنها وجدت المستصوب بعد غزوة الخندق (سنة ٦ هـ) ان تعقد مع النبى ، من ناحيـة سياسية صرف ، معاهدة تحالف ، واشترك عدد منهم فى فتح مكة (سنة ٩ هـ) فى صف النبى (٤١٨) .

وظلت أشجع محافظة على ايمانها ، فكانت القبيلة الوحيدة من غطفان التى لم تشترك فى الهجوم الذى قامت به القبـائل البدويـة على المدينة فى حروب الردة (٤١٩) .

واشتركت أشجع فى فتح مصر ، ولكنهم كانوا قلة فهم من أهل الراية (٤٢٠) . ومن المحتمل ان لم يحضر منهم الى مصر سـوى بطن واحد هو دهمان الذى تنتسب اليه عفيرة الأشجعية زوجة توبة بن نمر الحضرمى قاضى مصر (١١٥ ــ ١٢٠ هـ) (٤٢١) .

٣ ــ فــزارة :

عاش أفراد هذه القبيلة ــ كلهم من كبار الموظفين ــ بمصر . فكان ابن يربوع أول عربى ولى ديوان مصر بعد أن جعلت العربيـة لغتـه الرسمية سنة ٨٧ هـ (٤٢٢) . وحكم المغيرة بن عبيد الله مصر (١٣١ ــ ١٣٢ هـ) ، وجعل ابنه عبد الله (ت ١٣٢ هـ) على شرطه ، واستخلف ابنه الثانى الوليد عند موته سنة ١٣٢ هـ (٤٢٣) .

ولسنا نستطيع اعتبار هـذه القبيلة مصرية ، فابن يربوع من أهل حمص (٤٢٤) ، والمغيرة وولداه قدموا الى مصر بحكم الوظيفة ، ولم يكن لهم عصبية بها ، بدليل ان جند مصر فرضوا على الوليد موظفا معينا للشرطة (٤٢٥) .

(٤١٧ ، ٤١٨) Ency. Isl. II, p. 655.
(٤١٩) Ibid, I. p. 966.
(٤٢٠) الانتصار ج ٤ ص ٣ .
(٤٢١) القضاة ص ٣٤٢ ــ ٣٤٣ والانساب ص ٢٣٥ أ .
(٤٢٢) الولاة ص ٥٩ .
(٤٢٣) الولاة ٩٣ .
(٤٢٤) المصدر نفسه ص ٥٩ .
(٤٢٥) المصدر نفسه ٩٣ .

٤ ـ عبس :

كانت من الجمرات الثلاث ، اى القبائل التى لم تتحالف قط (٤٢٦) . وكانت محترمة بالرغم من صغرها ، ودخلت فى منازعات ، اشهرها حرب داحس ، مع عدد كبير من القبائل (٤٢٧) . وتزعم عبس أن كان فيها رجل موحد فى زمن الالحاد ، اسمه خالد بن سنان يقال فيه انه كان نبيا (٤٢٨) . واشتركوا فى حركة الردة بعد تردد كثير (٤٢٩) . وانتقل كثير منهم الى المدائن ، والى الكوفة حيث كان لهم مسجدهم الخاص فى الحى الذى يسمى باسمهم (٤٣٠) . وتحسنت أحوالهم فى عهد المروانيين لأن عبد الملك بن مروان كانت زوجته ولادة منهم (٤٣١) .

وشهدت عبس فتح مصر مع عمرو ، وكانت من أهل الراية وكان لهم شأنهم شأن العرب الآخرين مكانهم الخاص بهم فى الفسطاط (٤٣٢) . ويبدو ان كل من جاء منهم هم آل يسار بن ضنة (٤٣٣) .

وكانت عبس تترك الفسطاط الى أتريب حيث تأخذ مرتبعها (٤٣٤) . ولكننا نراهم منذ أواخر القرن الثانى فى الحوف الشرقى (٤٣٥) . وقد اشتهروا باقامتهم فى بلبيس بالذات (٤٣٦) . حتى ان المتنبى (ت ٣٥٤ هـ) نص على ذلك فى مدحه اياهم (٤٣٧) . فمتى انتقلوا الى هناك ؟ لعلهم ذهبوا الى هناك ليعيشوا مع قبائل قيس الأخرى التى هاجرت الى تلك المنطقة فى أوائل القرن الثانى كما سبق القول .

وأول من ظهر منهم بمصر كعب بن يسار (٢٠ هـ) الذى ارغم على تولى القضاء وكان كثير البربر من الموالى . وهو حفيد خالد بن سنان (٤٢٨) . الذى مر ذكره . ودخل عمار بن ياسر (ت ٣٧ هـ بصفين)

---

(٤٢٦) العقد جـ ٢ ص ٢٢٣ و Ency. Isl. I. P. 73.

(٤٢٧) Ency. Isl. I, p. 37.

(٤٢٨) القضاة ص ٣٠٤ ــ ٣٠٥ و Ency. Isl. I. P. 73.

(٤٢٩ ، ٤٣٠ ، ٤٣١) Ency. Isl. I. P. 73.

(٤٣٢) الانتصار جـ ٤ ص ٣ و Ency. Isl. I. P. 73.

(٤٣٣ ، ٤٣٤) فتوح مصر ص ٤٢ .

(٤٣٥) الولاة ص ١٥٠ ــ ١٥٤ والانتصار جـ ٤ ص ١٥ .

(٤٣٦) Ency. Isl. I, p. 37.

(٤٣٧) معجم البلدان : جـ ٢ ص ٢٦٢ .

(٤٣٨) القضاة ص ٣٠١ ــ ٣٠٥ .

مصر رسولا من عثمان فى بداية الفتنة ، ولكنه انضم الى الثوار بها (٤٣٩) . ولاشك فى أن قرة بن شريك ، أمير مصر (٩٠ ـ ٩٦ هـ) ، هو أشهر العبسيين فيها (٤٤٠) . وكان عثمان بن بلادة (ت ١٩٨ هـ) أحد قواد أهل الحوف فى المعركة ضد أهل الفسطاط فى حركة خلع الأمين (١٩٦ ـ ١٩٨ هـ) (٤٤١) .

والذى يلوح لنا هو أن دور عبس فى مصر كان ـ كدور قيس عامة ـ دورا ثوريا فى معظمه .

٢ ـ بنو جديلة

حضر الى مصر منذ الفتح فرعاها كلاهما وهما : فهم ، وعدوان (٤٤٢) . وقد وضحنا بطلان ما زعمه عبيد الله بن الحبحاب من أن جديلة كانت بفرعيها هذين الممثلة الوحيدة لقيس فى مصر منذ الفتح حتى سنة ١٠٩ هـ (٤٤٣) .

١ ـ فهم :

شهدت الفتح واختطت بمصر (٤٤٤) . وكانت خطتها بالفسطاط فى الحمراوات الثلاث على ما يبدو من ظاهر كلام ابن دقماق (٤٤٥) . وكانت تأخذ مرتبعها فى أتريب وعين شمس ومنوف (٤٤٦) . وسنرى ان قد جاء منهم الى مصر بطون كثيرة ، وظهر منهم على مسرح الحياة المصرية طوال الفترة التى ندرسها شخصيات مهمة . وقد أعجب قرة بن شريك لحظة وصوله الى مصر سنة ٩٠ هـ بواحد من أفرادها كان على الشرط ، فمدحها بقوله :

---

(٤٣٩) حسن جـ ١ ص ٩٣ ، ١٠٣ والطبرى جـ ٣ ص ٣٧٩ .

(٤٤٠) فتوح مصر ص ١٣١ والولاة ص ٦٢ ـ ٦٥ والنجوم جـ ١ ص ٢١٧ ـ ٢٢٠ .

(٤٤١) الولاة ص ١٥٠ ـ ١٥٤ والانتصار جـ ٤ ص ١٥ .

(٤٤٢) الولاة ص ٧٦ .

(٤٤٣) انظر ص ١٢١ ـ ١٢٢ من هذا البحث .

(٤٤٤) فتوح مصر ١١٣ ـ ١١٧ ونهاية الأرب ص ٣١٩ .

(٤٤٥) الانتصار جـ ٤ ص ٥ .

(٤٤٦) فتوح مصر ص ١٤٢ .

ولن تجد الفهمى الا محافظــا على الخلق الأعلى وبالحق عالمــا
سائنى على فهم ثنــاء يسرها اوافى به أهل القرى والمواسما(٤٤٧)

وهذه هى بطون فهم فى مصر :

(أ) بنــو رفاعــة :

هم فى الواقع أسرة من بطن بنى العجلان . وجدهم خالد بن ثابت الذى رفض أن يتولى المكس ، وكان من وجوه شيعة عثمان سنة ٣٥ هـ ثم من شيعة مروان بن الحكم سنة ٦٤ هـ (٤٤٨) . وقد تداول افراد هذه الأسرة شرطة مصر وامرتها حوالى ثلاثين عاما (٨٩ ــ ١١٩ هـ) فكان منها عبد الأعلى بن خالد (٨٩ ــ ٩٠ هـ) (٤٤٩) ، وعبد الملك بن رفاعة (٩٦ ــ ٩٩ هـ) (٤٥٠) ، واخوه الوليد (٩٦ ــ ١١٧ هـ) (٤٥١) ، وعبد الرحمن بن خالد (١٠٩ ــ ١١٩ هـ) (٤٥٢) ، وغيرهم . وكان الليث بن سعد الامام الفقيه المحدث (٩٤ ــ ١٧٥ هـ) من موالى هذه الأسرة (٤٥٣) .

(ب) بنــو شــبابة :

اختطوا بالفسطاط ، وكان لهم المسجد الذى له المنارة (٤٥٤) .

وليس لدينا منهم سوى أحد مواليهم ، هانىء بن المتوكل ، كان فقيها ، ونزل الاسكندرية (٤٥٥) .

---

(٤٤٧) فتوح مصر ص ٢٣٩ والولاة ص ٦٢ ــ ٦٣ مع ملاحظة ان هذين البيتين مكتوبان على انهما سطور من النثر .

(٤٤٨) فتوح مصر ١١٢ ، ٢٣١ والولاة ص ١٥ ، ٤٢ وحسن جـ ١ ص ٨٣ .

(٤٤٩) الولاة ص ٦٠ ــ ٦٤ .

(٤٥٠) المصدر نفسه ٦٤ ــ ٦٧ ، ٧٥ .

(٤٥١) المصدر نفسه ص ٦٦ ــ ٦٧ ، ٧٥ ــ ٧٩ .

(٤٥٢) المصدر نفسه ص ٧٦ ، ٧٩ ــ ٨٠ والنجوم جـ ١ ص ٢٧٨ وحسن جـ ١ ص ١١١ .

(٤٥٣) الولاة ٨٩ ، ١٣٤ والقضــاء ص ٣٦٥ ــ ٣٦٦ ، ٣٧٢ ــ ٣٧٣ ــ ٣٨٤ ومعجم البلدان جـ ٧ ص ٥٨ ــ ٥٩ ووفيــات الأعيان جـ ١ ص ٥٥٤ ــ ٥٥٥ ونهــاية الارب ٣١٩ ــ ٣٢٠ والنجوم جـ ٢ ص ٨٢ وحسن جـ ١ ص ١٢٠ ــ ١٢١ ومقدمة كست ص ٢٩ ــ ٣١ .

(٤٥٤) فتوح مصر ص ١٢٠ .

(٤٥٥) الانساب ص ٣٢٨ ب .

(ج) بنـو بلبـلة :

من مواليهم عبد الله بن محمد البيطارى (ت ٢٣١ هـ) ، محدث من أهل مصر (٤٥٦) .

(د) كنانـة فهـم :

لا نعلم عنها سوى انها شرعت مع فهم الى القنطرة (٤٥٧) .

٢ ـ عـــــدوان

كانت تتولى الافاضة ، اى الأشراف على سعى الحجيج بين عرفات والمزدلفة (٤٥٨) . وسرعان ما نلاحظ قلة أهميتهم بالنسبة الى اخوتهم بنى فهم وكل ما بقى عنهم انهم اختطوا بمصر (٤٥٩) ، وكانوا يرتبعون فى بوصير (٤٦٠) ، والأرجح انها بوصير بنا (٤٦١) ، ولهم سـويقة باسمهم بالفسطاط ، وهى السويقة التى عند زقاق المكى (٤٦٢) .

٣ ـ بنـو خصفـة

جاء منهم الى مصر القبائل الآتية :

١ ـ بنـو سـليم :

قبيلة قوية نشيطة ، كان فى منطقتها ـ عالية نجد ـ بالحجاز سلسلة من الحرات البركانيـة ومراكز التعدين والواحات . وكان لهم مركز ممتاز بين عرب الحجاز لسيطرتهم على الطريق الى المدينـة ونجد والخليج الفارسى وغنى أقليمهم بالثروة المعدنيـة والزراعيـة (٤٦٣) .

---

(٤٥٦) المصدر نفسه ص ٨٩ أ ، ٨٩ ب .

(٤٥٧) فتوح مصر ص ١١٦ ، ١١٨ .

(٤٥٨) Ency. Isl. II, p. 655

(٤٥٩) فتوح مصر ص ١١٨ .

(٤٦٠) فتوح مصر ص ١٤١ .

(٤٦١) Amé. p. 9.

(٤٦٢) فتوح مصر ص ١١٧ .

(٤٦٣) Ency. Isl. IV, p. 518. والبيان ص ٥١ ونهاية الأرب ص ٢٤٣ .

وتفرق بنو سليم فى البلاد ، ونزلت جماعة كثيرة منهم حمص (٤٦٤) . والذى يهمنا ان مائة أسرة منهم قدمت الى مصر ونزلت بلبيس فى هجرة قيس الكبرى الى مصر سنة ١٠٩ هـ (٤٦٥) .

ويبدو ان سليما حافظت على أسلوب حياتها فى الجزيرة ، فواصلت اشتغالها بالزراعة وتربية الخيل ، وهو ما كانت تجيده هناك (٤٦٦) . قال الحمدانى : « فيهم الأبطال الأنجاد والخيل الجياد » (٤٦٧) . بل انها لم تستطع أن تنسى التعدين فهاجر قوم منهم قبل نهاية القرن الثالث قطعا الى منطقة العلاقى لاستخراج الذهب (٤٦٨) .

ولعل سليما كانت تفضل الاشتغال بالزراعة والتجارة على الاشتغال بالسياسة ، اذ لم يظهر منهم على مسرح الحياة العامة سوى يزيد بن أسيد الذى يتفرد ابن خلكان بذكر أن المنصور ولاه مصر سنة ١٥٤ هـ لما عقد لأميرها يزيد بن حاتم على افريقية (٤٦٩) .

٢ ـ هوازن :

قبيلة كبيرة . كانوا متفرقين فى نجد على حدود اليمن وشرقى الحجاز قرب مكة . كانت الطرف الآخر فى حرب الفجار التى نشبت فى التسعينات من القرن السادس الميلادى بينها وبين قريش وقبائل أخرى من كنانة . هاجموا المسلمين فى حنين سنة ٨ هـ وانتصروا أول الأمر ثم هزموا هزيمة منكرة . ثاروا فى حركة الردة ولكنهم عادوا فسلموا (٤٧٠) .

قدم من افنائها مائة أسرة الى مصر سنة ١٠٩ هـ ، ونزلوا بلبيس (٤٧١) وليس لهم ذكر فى الحياة العامة بمصر .

---

(٤٦٤) الانساب ص ٣٠٣ .
(٤٦٥) الولاة ص ٧٧ والبيان ص ٥١ .
(٤٦٦) Ency. Isl. IV, p. 518.
(٤٦٧) نهاية الأرب ص ٢٤٣ .
(٤٦٨) كتاب البلدان ص ١٢٣ .
(٤٦٩) وفيات الأعيان جـ ٢ ص ٣٢٢ .
(٤٧٠) Ency. Isl. II, p. 293 — 294
(٤٧١) الولاة ص ٧٧ والبيان ص ٥١ .

٣ ــ ثقيــف :

بطن من هوازن . زعم بعض النسابين انهم من بقايا ثمود . كانت منازلهم بالطائف وربما قيل انهم موال لهوازن (٤٧٢) .

قدموا الى مصر قبل مقدم هوازن بزمن كبير فقد كانوا فى جيش الفتح واختطوا فى ركن المسجد الشرقى (٤٧٣) . ولاشــك فى قلتهم فهم من أهل الراية (٤٧٤) . أول من ظهر منهم بمصر حبيب بن أوس ، سيد ثقيف ، وهو من شخصيات الفتح ، وقد اختط بالفسطاط ، وعليــه نزل يوسف بن الحكم ومعه ابنه الحجــاج عندما قدما الى مصر مع مروان بن الحكم (٤٧٥) . ولا يظهر منهم بعد ذلك ســوى زرعــة بن سهيل ــ من قراء الكوفة ــ الذى كشف غلطة فى مصحف عبد العزيز بن مروان (٤٧٦) . وعبد الوهاب بن عبد المجيد (١١٠ ــ ١٩٤ هـ) كان من المحدثين الثقات (٤٧٧) .

ومن مواليهم راشــد مولى حبيب ســالف الذكر ، كان من صغار التابعين بمصر (٤٧٨) .

٤ ــ بنــو نصــر :

بطن من هوازن (٤٧٩) . قدم منهم مائة أسرة الى مصر سنة ١٠٩ هـ ونزلوا بلبيس مع بطون قيس الأخرى (٤٨٠) .

لم يظهر منهم أحد بمصر .

---

(٤٧٢) نهاية الارب ص ١٦٨ .
(٤٧٣) فتوح مصر ص ١٠٨ ، ١٠٩ .
(٤٧٤) الانتصار جـ ٤ ص ٣ .
(٤٧٥) فتوح مصر ص ١٠٩ والانتصار جـ ٤ ص ٩ .
(٤٧٦) القضاة هامش ص ٣١٥ والانتصار جـ ٤ ص ٧٢ .
(٤٧٧) الانساب ص ١٢٥ ب .
(٤٧٨) فتوح مصر ص ٢٥٢ ــ ٢٥٣ وحسن جـ ١ ص ١٠٨ .
(٤٧٩) نهاية الارب ص ٣٤٧ .
(٤٨٠) الولاة ص ٧٦ والبيان ص ٥١ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

٥ ـ ســـلول :

لم تحضر هذه القبيلة الى مصر ، ولكن عاش بها منهم أفراد ذوو أثر فى الحياة المصرية . هؤلاء هم فى الواقع أسرة عبيد الله بن الحبحاب مولى ســـلول ، صاحب خراج مصر (١٠٢ ـ ١١٦ هـ) (٤٨١) . وكان لابن الحبحاب نفوذ ضخم فى شئون مصر اقتصاديا وسياسيا . وحسبه انه هو الذى حصل من هشام على الاذن بهجرة قيس الكبرى سنة ١٠٩ هـ الى مصر ، تلك الهجرة التى كان لها أعمق الأثر فى مجرى الأمور بمصر من بعد . وهنـــاك ابنــه القاســـم الذى ولى خـــراج مصر كذلك (١١٦ ـ ١٢٤ هـ) والظاهر انه كون ثروة طائلة مكنته من أن يبنى قرية فى الجيزة (٤٨٢) .

ويبدو أن المصريين والوا هذه الأسرة عند اقامتها بمصر ، فهنـــاك سعيد بن سابق الرشيدى المحدث مولى عبيد الله بن الحبحاب (٤٨٣) .

ولاشـــك فى قدوم أفراد مختلفين من بنى ســـلول الى مصر منذ ذلك الحين فعلى شـــواهد القبور اســـم اثنين منها توفيـــا بمصر فى القرن الثالث (٤٨٤) .

٦ ـ بنـــو عـــامر :

من مجموعـــة هوازن الكبرى ، اسلمت عـــام الوفود . وظلوا محتفظين بالهدوء فى الثورة العامة على أبى بكر . وفى معركة مرج راهط (٦٥ هـ) قاتلوا مع ابن الزبير هم وقبائل قيسية أخرى (٤٨٥) .

كان أول قـــدومهم الى مصر ســـنة ١٠٩ هـ فى الهجـــرة المعروفة (٤٨٦) . وواضح من أخبـــارهم انه قد قـــدم منهم الى مصر قبيلتان كبيرتان هما :

---

(٤٨١) الولاة ص ٧٤ ـ ٧٧ والقضاة ص ٣٤١ ـ ٣٤٢ والخطط جـ ١ ص ٢٠٨ .
(٤٨٢) الخطط جـ ١ ص ٢٠٨ .
(٤٨٣) معجم البلدان جـ ٤ ص ٢٥٢ .
(٤٨٤) Rép. Chro. I, p. 228 & II, p. 71.
(٤٨٥) Ency. Isl. I, pp. 329 — 339
(٤٨٦) الولاة ص ٧٦ ـ ٧٧ والبيان ص ٥١ .

(أ) بنـو هـلال :

ظهر منهم عبد الله بن حليس الذى قاد ثورات أهل الحوف ضد الدولة طوال سـنة ٢١٤ هـ (٤٨٧) وقد انتشروا فى وقت متأخـر فى الصعيد (٤٨٨) .

(ب) بنـو كعـب :

كان منهم بمصر البطون الآتية :

١ ــ الحـريش :

نزل أكثرهم البصرة ومنها تفرقوا الى البلاد (٤٨٩) .

وأول من ظهر بمصر منهم أبو الجراح بشر بن أوس ، رسـول الحوثرة بن سهيل الى أهـل مصر سـنة ١٢٨ هـ ، وقـد ولى مصر استخلافا سنة ١٣١ (٤٩٠) . وكان ربيعة بن قيس بن الزبير أظهر بنى الحريش ، بل كان أبرز قيس كلهـا ، فقـد كان طوال حـركة الأمين (١٩٦ ــ ١٩٨ هـ) رئيسها الذى قادها فى خـلال المعارك العنيفـة الطويلة ضـد أنصار المـأمون (٤٩١) .

ومن مواليهم مبارك الأسود الذى اغتال سنة ٢١٤ هـ عمير بن الوليد أمير مصر وهو يطارد أهل الحوف (٤٩٢) .

٢ ــ عقيـل :

يقال : البيت فى قشير ، والعدد فى عقيل (٤٩٣) .

ظهر منهم بمصر مسلم بن بكار (١٧٧ ــ ١٧٨ هـ) من كبـار

---

(٤٨٧) الولاة ص ١٨٥ ن ١٨٩ .
(٨٨) نهاية الأرب ص ٢٧٠ والبيان ص ٢٩ .
(٤٨٩) الانساب ص ١٦٣ أ .
(٤٩٠) الولاة ص ٨٨ ، ٩٢ ــ ٩٣ والخطط (بولاق) جـ ١ ص ٣٠٣ والنجوم جـ ١ ص ٣١٤ .
(٤٩١) الولاة ص ١٤٩ ــ ١٥٣ .
(٤٩٢) المصدر نفسه ص ١٨٦ .
(٤٩٣) نسب عدنان ص ١٤ .

الموظفين (٤٩٤) . وعلى شواهد القبور اسم واحد منهم توفى بالفسطاط فى ٢٤٦ هـ (٤٩٥) .

٣ ــ قشـــير :

لم يظهر منهم بمصر شخصـيات عامـة ، ولكن تدل شـواهد القبور على اقامتهم بمصر فى أواسط القرن الثالث (٤٩٦) .

٤ ــ جعـدة :

ظهر منها بمصر عبد العزيز بن داود الشاعر (٤٩٧) ، وابنه أشهب (١٤٠ ــ ٢٠٤ هـ) الفقيه المـالكى العظيم (٤٩٨) .

٥ ــ بنـو البـكاء :

ظهر منهم بـمصر معاوية بن صرد (١٧٧ ــ ١٩٢ هـ) من كبار الموظفين بها (٤٩٩) .

وبالفراغ من قيس نفرغ من قبائل مضر التى تمثل القسم الأول الكبير من القبائل العدنانيـة ، ويبقى أمامنا قبائل ربيعة التى تمثل القسم الثانى من عرب الشمال .

---

(٤٩٤) الولاة ص ١٣٦ والنجوم جـ ٢ ص ٨٧ .

(٤٩٥) Rép. Chro. II, p. 38.

(٤٩٦) Ibid I, p. 304, 310 g, II, p. 22.

(٤٩٧) معجم البلدان جـ ٦ ص ٨١ ــ ٨٢ ووفيـات الأعيـان جـ ١ ص ٩٧ والانتصار جـ ٤ ص ٢٣ .

(٤٩٨) القضاة ص ٣٩٥ ــ ٣٩٨ ، ووفيـات الأعيـان جـ ١ ص ٩٧ ــ ٩٨ والانتصار جـ ٤ ص ٢٣ والسمعانى ص ٣٧٨ ب وحسن جـ ١ ص ١٢٢ .

(٤٩٩) الولاة ص ١٣٦ ــ ١٣٨ و ١٤١ ــ ١٤٢ .

الفصل الثانى

قبائل ربيعة

يبدو أن بطنا منها جاءت الى مصر وقت الفتح (٥٠٠) ، ثم جاء منها جيش سنة ٢٠٧ هـ مع خالد الشيبانى الذى ولى مصر حينذاك (٥٠١) . ولكن الهجرة الفعلية لربيعة الى مصر تمت فى خلافة المتوكل أعوام بضع واربعين ومائتين . وقدم حينذاك عدد كبير وانتشروا فى النواحى (٥٠٢) . ولما كانت القبائل العربية القديمة قد اتخذ كل منها لنفسه موطنا فان ربيعة لم تجد بدا من الذهاب الى أعالى الصعيد حيث سكنوا بيوت الشعر فى براريها الجنوبية وأوديتها (٥٠٣) ، وخلعوا اسمهم على القرية الكبيرة الجامعة — قرية بنى بربيعة فى أقصى الصعيد بين أسوان وبلاق (٥٠٤) (بلد فى آخر عمل الصعيد وأول بلاد النوبة كالحد بينهما (٥٠٤) ، وهى جزيرة فيلة الشهيرة (٥٠٦) .

وارتفع نجم ربيعة عندما استطاعت بقيادة أبى عبد الرحمن العمرى سنة ٢٥٥ هـ أن تضع حدا لغارات البجة على القرى الشرقية . فقد اتصلت ربيعة منذ ذلك الحين بالبجة وأصهروا اليهم ، فقويت

---

(٥٠٠) انظر : عنزة من بطون ربيعة .
(٥٠١) الولاة ص ١٧٤ .
(٥٠٢ ، ٥٠٣) البيان ص ٣٨ .
(٥٠٤) معجم البلدان ج ٤ ص ٢٢٥ .
(٥٠٥) المصدر نفسه ج ٢ ص ٣٦١ .
(٥٠٦) Amé. p. 347.

ربيعة بذلك الى حد استطاعت معه ان تحتل وادى العلاقى (مركز الدر ـ محافظة اسوان (٥٠٧) وتسيطر على معادن الذهب به (٥٠٨) .

١ ـ عنـــزة :

يبدو انها جاءت مع جيش الفتح ، فابن عبد الحكم يذكر ان لها بمصر دورا مجتمعة نحوا من عشر ـ وفى هـذا ما يدل على كثرتها ـ ومسجدا فى أصل العقبة التى عند دار ابن صامت (٥٠٩) .

وتاريخ مصر خال تماما من شخصياتها .

٢ ـ بنـو شـيبان :

نقابل منهم بمصر سنة (١٢٧ ـ ١٢٨ هـ) عمرو بن يزيد الذى كان من رؤساء فتنة خلع مروان بن محمد ووجوهها (٥١٠) . ولكننـا لا نستطيع ان نجزم بمصريتـه ولا بوجود غيره من بنى شيبان فى مصر حينذاك . ولكن فى ٢٠٧ هـ قدم الى مصر وال جديد ، هو خالد بن يزيد الشيبانى ، على رأس جيش من ربيعة وافناء النـاس ليأخذها من يد عبيد الله بن السرى . وفشـل خالد فى مهمته التى كلفه بهـا المـأمون بل انه أسر واسـتأمن معظم جيشـه وخرج من مصر الى مكة (٥١١) . ولكن يبدو أن جيشه استطاب المقـام بمصر . بل لعل قبيلته بل أسرته الخاصـة لم توافقه على ترك مصر . ذلك بأننـا لا نلبث حتى نجد احد بنى شيبان (عسامة بن الوزير) يقود مراكب عبيد الله بن السرى الثائر ضد ابن طاهر (٢١٠ ـ ٢١١ هـ) (٥١٢) . وفى ثورة أسـفل الأرض (٢١٦ ـ ٢١٧ هـ) ذهب عبيد الله بن يزيد ـ أخو خالد سـالف الذكر ـ الى الاسكندرية لاخضـاعها من قبل الافشـين (٥١٣) . أما ابنـه محمـد فكان أميرا للاسـكندرية ذاتهـا سـنة ٢٥٢ هـ (٥١٤) .

---

(٥٠٧) الدليل الجغرافى ص ٣٥٧ .
(٥٠٨) الخطط جـ ١ ص ١٩٦ ـ ١٩٧ والبيان ص ٣٨ .
(٥٠٩) فتوح مصر ص ١١٦ .
(٥١٠) الولاة ص ٩٠ .
(٥١١) المصدر نفسه ص ١٧٤ ـ ١٧٦ .
(٥١٢) المصدر نفسه ص ١٨٠ .
(٥١٣) المصدر نفسه ص ١٩١ .
(٥١٤) المصدر نفسه ص ٢٠٥ .

لعل لنا الحق بعد هـذا فى أن نعد بنى شيبان من بطون ربيعة التى أقامت بمصر اقامة فعلية . ومن الطريف انه ظهر منهم عدد من القواد حالفتهم الهزيمة جميعا .

٣ ـ بنـو حنيفـة :

من أهل اليمامة . وكانوا يمثلون اغلبية سكان وادى العلاقى ـ واغلبية ربيعة بالتالى ـ فقد انتقلوا اليه بالعيلات والذرية . واقاموا هناك بأحد المراكز المهمة لاستخراج التبر (٥١٥) .

وليس لدينا أخبار عن شخصياتهم .

٤ ـ بنـو غبـر :

هم بطن من يشكر من ربيعة (٥١٦) .

ظهر منهم بمصر أحمد بن العباس (ت ٢٨٣ هـ) وهو محدث فيما يبدو ، وحمزة ابن أخيه (ت ٣٠٧ هـ) سمع من يونس بن عبد الأعلى (٥١٧) أما الكروس الشاعر فلا نجزم بمصريته (٥١٨) .

٥ ـ بنـو يـونس :

قدموا مع ربيعة من اليمامة فى هجرتهم الكبرى أيام المتوكل وملكوا عيذاب وسكنوها . ثم جرى بينهم وبين ربيعة العلاقى حروب انهزموا فيها ، فرضوا من الغنيمة بالاياب ، ومضوا الى الحجاز من عيذاب (٥١٩) .

خلاصـة :

بذلك ننتهى من القبائل الشمالية جميعا . ونحب ، قبل الانتقال الى القبائل الجنوبية ، أن نلقى نظرة خاطفة على حياة تلك القبائل الشمالية فى مصر ككل .

---

(٥١٥) كتاب البلدان ص ١٢٣ .
(٥١٦) نسب عدنان ص ١٧ والانساب ص ٤٠٦ أ .
(٥١٧ ، ٥١٨) الانساب ص ٤٠٦ أ .
(٥١٩) البيان ص ١٨ .

قدم من تلك القبائل ثلاثون قبيلة يضم بعضها (قريش ، فهم ، عامر) كثيرا من البطون . وقد عاش معظم هذه القبائل فى مصر منذ اللحظات الأولى للفتح محتفظا بوجوده بها فى خلال القرن الثالث . وقد اقامت أول الأمر فى الفسطاط ثم انتقلت شمالا وجنوبا سواء لرعى دوابها فى فصل الربيع (الارتباع) أو للاقامة الدائمة . وتنحصر الجهات التى انتقلوا اليها فى الدلتا فى البلاد الآتية :

عين شمس ، اتريب ، منوف (محافظة القليوبية). بلبيس ، بسطة ، فربيط ، طرابية (محافظة الشرقية) . بنا وبوصير (محافظة الغربية) خربتا (محافظة البحيرة) . الاسكندرية .

أما فى الصعيد فقد انتقلوا الى البلاد الآتية :

حلوان ، وسيم ، منف ، سكر (محافظة الجيزة) . بويط ، بوصير ، اهناس (محافظة بنى سويف) . طحا ، طوخ الخيل (محافظة المنيا) . الأشمونين ، تندة ، دلجة (محافظة أسيوط) . اخميم (محافظة سوهاج) . أسوان ، العلاقى (محافظة أسوان) .

وكان اثرهم واضحا فى الحياة المصرية بنواحيها المختلفة . فقد كان منهم معظم أمراء مصر وعدد كبير من كبار الموظفين (اصحاب الشرط ، القضاة ، القادة) الذين حكموها ودبروا امورها . كما أن منهم أو من مواليهم معظم الفقهاء الكبار الذين تركوا أعمق الآثار فى المجتمع المصرى فكريا ودينيا واجتماعيا (الليث بن سعد الفهمى ، أشهب العامرى ، عبد الله بن وهب ، والامام الشافعى ، والبويطى القرشيون ، المزنى) . بل كان منهم كثير من الثوار الذين تدخلوا فى مصائر الأمور بها (ابن عبيدس الفهرى ، دحية بن مصعب الأموى ، العلويون ، أهل الحوف من قيس ، جابر المدلجى) .

ولم يكن مواليهم اقل اثرا فى الحياة المصرية وبخاصة من الناحية الفكرية (ذو النون مولى قريش ، بنو الأشج موالى زهرة ، موالى عثمان بن عفان ، بنو عبد الحكم موالى عثمان كذلك) .

ولاشك فى ان سيطرة بنى عدنان بمصرعلى المناصب العليا ، وتنقلهم فى انحائها على نطاق واسع ، واقامتهم المبكرة بالكور المختلفة .. لاشك فى ان هذه أمور ساعدت بنى عدنان على أن يتركوا أثرا قويا فى الحياة المصرية .

الباب الثاني

• القبائل القحطانية



مقـــدمة

تنتسب القبائل العربيـــة التى عاشت فى النصف الجنوبى من شبه جزيرة العرب ، والتى تتكون من العرب العاربة ، أى الحقيقيين ، الى قحطـــان باعتباره جدها الأعلى . وكان ذلك القسم الجنوبى من الشعب العربى ينقسم بدوره قسمين عظيمين هما : كهلان وحمير . ثم يعود كل من هذين القسمين فينقسم أقساما أخرى أصغر . ونتناول بالحديث هذه الأقسام جميعا متبعين نفس النظـــام الذى اتبع عند الحديث عن أقسام عدنان فنرتبها ترتيبا تنازليا .

ولكن من الضرورى أن نتوقف قليـــلا عند مجموعـــة من القبـــائل نستطيع اعتبارها قسما ثالثا مستقلا من القبـــائل القحطـــانية ، تلك هى القبائل المنسوبة الى سبأ .

ســـــبأ

من الحق ان كهلان وحمير ابنا سبأ الذى تزعم الروايـــة أنه « رجل ولد عامة قبائل اليمن » (١) . ولكن الذى حدث هو أن حمير وكهلان تكاثرتا تكاثرا ضخما ، وتفرع عنهما قبائل كثيرة جـــدا تكون

(١) الانتصار جـ ٤ ص ٤ .

في مجموعها القبـائل اليمنية ، أى القسم الجنوبى من الشعب العربى ، في حين انطوت سـبأ على نفسها ، ولم تصبح أكثر من عدد من القبائل أو الأسر فى الأصح ــ اذ ليس لسائر بنى سـبأ قبائل يعرفون بها (٢) ــ جمعها اسم ذلك الأب القديم .

وكان نتيجـة ذلك أن أصبح يقال لبنى سـبأ كلهم السـبئيون الا حمير وكهلان . فاذا سألت الرجل : ممن أنت ؟ فقال : سبئى ، فليس بحمير ولا كهلان (٣) .

وفى كل حال فقد شهد هؤلاء السبئيون فتح مصر ، واختطوا شرقى جنب ، وكان لهم مسجد بالفسطاط (٤) .

واشتهر منهم وقت الفتح اسميقع بن وعلة اذ كان أول من شـد على باب حصن بابليون حتى اقتحمه وأتبعه المسلمون فكان الفتح (٥) . ويبدو ان أسميقع أقام بمصر فقد ترك بها ثلاثة أولاد حدثوا بها وكان أولهم من أشرافها وهم : عبد الرحمن ، وعلقمة ، وشرحبيل (٦) .

وعاش بمصر حتى القرن الثـالث طائفـة أخرى منهم كلهم من الرواة (٧) .

أما مواليهم فكان منهم عبد الله بن يزيد بن خذامر قاضى مصر (١٠٠ ــ ١٠٥ هـ) (٨) والقاسـم بن أبى القاسـم صـاحب الشرط (١٠٣ ــ ١٠٥ هـ) (٩) .

من هذا نرى أن السبئيين كانوا قلة بمصر ، وكانوامنصرفين الى العلم والدين بها .

والآن نتفرغ للحـديث عن القسمين الحقيقيين لقحطـان : كهلان وحمـير .

---

(٢) نسب عدنان ص ١٨ .
(٣) العقد جـ ٢ ص ٢٣٤ .
(٤) فتوح مصر ص ١٢٦ و ١٢٧ والانتصار جـ ٤ ص ٤ .
(٥) حسن جـ ١ ص ٥٦ عن القضاعى عن الكندى .
(٦) الانساب ص ٢٨٨ أ .
(٧) الانساب ص ٢٨٨ أ .
(٨) القضاة ص ٣٣٧ ، ٣٤٠ .
(٩) الولاة ص ٧١ .

الفصــل الثــالث

قبــائل كهــلان

تتفرع كهلان فرعين رئيسيين : مالك ، وعريب .

اولا ـ مــالك

كان منهم بمصر الأقسام الآتية :

١ ـ الازد

الآزد من أعظم الاحيــاء ، واكثرها بطونا ، وامدها فرعا (١٠) . وكان بعض أقسامها موضــع السخرية من العرب ، فكانت قريش تانف من اعتبار ازد عمان ـ وعمان ثغر بالبحرين نزلها فرقــة منهم فعرفوا بها ـ عربا ، وكان عملهم الرئيسى صــيد الســمك (١١) . أما أزد السراة ـ فى جبال السراة باطراف اليمن ، وهم وأزد شنوءة شيء واحد فيما يبدو ـ فكانوا موضــع السخرية لاشتغالهم بالنسـاجــة (١٢) . ولعل هــذا هو أهم ما قصــد اليه الرسول فى حديثه : « الأزد أزد الله فى الأرض ، يريد الناس ان يضعوهم ، ويأبى الله الا أن يرفعهم » (١٣) .

---

(١٠) نهاية الادب ص ٧٨ ـ ٧٩ .

(١١ ، ١٢) المصدر نفسه ص ٧٩ و Ency. Isl I, p. 529.

(١٣) طبقات الشافعية جـ ١ ص ١٠١ .

وقد أرغم تحطم سد مأرب الأزد على النزوح من سبأ الى مواطنهم الجديدة فى عمان والسراة ومكة ويثرب والشام ، وكان ذلك قبيل القرن الخامس الميلادى على وجه التقريب (١٤) . وفى الاسلام نزحت اعداد كبيرة من أزد السراة وازد عمان الى الكوفة والبصرة حيث قاموا بدور البطولة الرئيسى بين العرب الجنوبيين فى المعارك التى دارت بين عرب الشمال وعرب الجنوب . وفى خراسان ، حيث قدموا من البصرة ، كانوا أهم قبيلة بعد تميم القيسية ، وازدادت اهميتهم بعد قيام المهلب الأزدى (ت ٨٣ هـ) وأسرته . ولكنهم ذاقوا مرارة الاضطهاد فى عهد قتيبة بن مسلم الباهلى أمير خراسان زمن عبد الملك بن مروان (٨٥ — ٩٦ هـ) والخليفة يزيد الثانى (١٠١ — ١٠٥ هـ) (١٥) .

أما فى مصر فالأزد يظهرون منذ الفتح . منهم عمرو بن حمالة ، قائد قبائل « اللفيف » الى الاسكندرية فى فترة الفتح (١٦) . وشريك ابن الطفيل الذى كان يزيد بن أبى حبيب فقية مصر العظيم من موالى ابنته عائشة (١٧) . ويبدو أنه كان للأزديين سمعة طيبة تقد كتب معاوية بن أبى سفيان الى مسلمة بن مخلد وهو على مصر (٤٧ — ٦٢ هـ) : « لا تول عملك الا أزدى أو حضرمى فانهم أهل الأمانة » (١٨) .

ولما كان زياد بن أبيه يحكم البصرة (٤٥ — ٥٣ هـ) اتهم قوما من الأزد بأنهم من الخوارج ونفاهم الى مصر ، فنزلوا فى الفسطاط بموضع يقال له الظاهر .

فامسوا بدار لا يفزع اهلها وجيرانهم فيها تجيب وغافق

---

(١٤) Ency. Isl. II, p. 984.

(١٥) Ency. Isl. I, p. 530.

(١٦) الانتصار جـ ٤ ص ٣ .

(١٧) المصدر نفسه جـ ٤ ص ١٧ .

(١٨) فتوح مصر ص ١٢٥ .

على قول عمران بن حطان الشاعر الذى رحب بخروجهم (١٩) . وأطلق المصريون عليهم اسم العراقيين لمجيئهم من العراق (٢٠) .

لما ولى مصر الحاكم الأزدى يزيد بن حاتم (١٤٤ — ١٥٢ هـ) جاء معه عدد من الأزد من أهل خراسان منهم العلاء بن بزين القائد الذى اشترك فى اخماد حركة العلويين بمصر (١٤٥ هـ) (٢١) ، وعبد الجبار بن عبد الرحمن الذى عين حاكما لكورة سخا وثار عليه القبط هناك وقتلوه سنة ١٥٠ هـ (٢٢) . واستمر آل عبد الجبار بمصر بعد مصرع عميدهم فكانوا وجوه آل خراسان بها . ووهب لهم ابراهيم بن صالح العباسى أمير مصر داره العظمى التى بناها ، وذلك عند مغادرته مصر سنة ١٦٧ هـ (٢٣) . وكان عبد العزيز بن عبد الجبار من القواد الذين اخمدوا ثورة أهل نتووتمى سنة ١٩٤ هـ (٢٤) .

وقد لعب آل عبد الجبار بقيادة عبد العزيز هذا دورا مهما فى سياسة مصر يدل على بعد نفوذهم ، فقد تزعموا الجند فى الثورة على السرى بن الحكم أمير مصر فخلعوه سنة ٢٠١ وولوا غيره (٢٥) . وتزعموا العناصر العربية الأخرى واستجابوا لابراهيم بن المهدى الذى دعا سنة ٢٠٢ هـ الى خلع المأمون وولى عهده على بن موسى العلوى . ولكن أمير مصر هزمهم وظفر بعبد العزيز وبجمع من أهل بيته وقتلهم جميعا (٢٦) .

وكان منهم كذلك محمد بن زهير الذى حكم مصر سنة ١٧٣ هـ واكثر من عزل أصحاب الشرط (٢٧) . وابن الأبرش الذى ادعى ملكية القطاس — خصم ابن أبى الليث قاضى مصر سنة ٢٢٨ هـ — وباعه (٢٨) .

---

(١٩) معجم البلدان جـ ٢ ص ٢١ .
(٢٠) الانتصار جـ ٤ ص ٣٤ .
(٢١) الولاة ص ١١٣ .
(٢٢) المصدر نفسه ص ١١٦ — ١١٧ .
(٢٣) المصدر نفسه ص ١٢٤ و ١٦٥ .
(٢٤) المصدر نفسه ص ١٤٧ .
(٢٥) المصدر نفسه ص ١٦٥ .
(٢٦) الولاة ص ١٦٨ .
(٢٧) المصدر نفسه ص ١٣٣ .
(٢٨) القضاة ص ٤٥٧ .

وتشهد شـواهد القبور باقامة اشخاص من الأزد بمصر فى القرنين الثانى والثالث (٢٩) .

أما موالى الأزد فأهمهم يزيد بن أبى حبيب (٥٢ — ١٢٨ هـ) فقيه مصر وشيخها ومفتيها ، وأول من أوجد فيهـا طريقة ثابتـة بين فيها أسس الحلال والحرام (٣٠) . ومنهم الربيع بن سليمان الجيزى (ت ٢٥٦ هـ) الفقيـه الشـافعى (٣١) ، وابنـه محمـد المؤلف (٢٣٩ — ٣٢٤ هـ) (٣٢) .

ونتحدث الآن بالتفصيل عن قبائل الأزد فى مصر :

١ ـ غســـان :

نزلوا الشام ، وكان منهم ملوكها (٣٣) . وكان بعضهم من اللفيف اى من هؤلاء الأفراد من القبـائل المختلفة الذين انضم بعضهم الى بعض وتعاقدوا على اللحاق بعمرو بن حمالة الأزدى لمـا بعثـه عمرو الى الاسكندرية (٣٤) .

ظهر منهم فى الحيـاة العامـة شخصـيات قليلة هم : يزيد بن عبد العزيز صاحب شرطة (١٨١ — ١٨٢ هـ) (٣٥) ، والغمر بن الحصين (ت ٢٠٦ هـ) من ولد السـموءل بن عاديـا اليهودى ، لـه دار فى الفسطاط باسمه (٣٦) ، وابراهيم بن الغمر من شخصـيات القـرن الثالث (٣٧) .

---

(٢٩) Rép. Chro. I, pp. 64, 178, 249 & II, p. 201.

(٣٠) حسن جـ ١ ص ١١٩ — ١٢٠ ومقدمة كست ص ٣٤ — ٣٥ .

(٣١) طبقات الشافعية جـ ١ ص ٢٥٩ .

(٣٢) مقدمة كست ص ٢٠ .

(٣٣) العقد الفريد : جـ ٢ ص ٢٤٥ والانساب ص ٤٠٨ ب

(٣٤) الانتصار جـ ٤ ص ٣ — ٤ .

(٣٥) الولاة ص ١٣٨ .

(٣٦) الانتصار جـ ٤ ص ١٠ .

(٣٧) القضاة ص ٤٥٤ .

٢ ـ الأنصـــار :

وهم قبائل الأوس والخزرج ، كان لهم ملك يثرب ، نزلوها عند قدومهم من اليمن (٣٨) . شـــهدوا الفتح ، وكانوا من أهل الراية (٣٩) ، وكان منهم بشر كثير فى غزوة افريقية سنة ٣٤ هـ بقيـــادة معاوية بن حديج (٤٠) .

نرى منهم بمصر محمد بن مسلمة الذى قاســم عمرا ماله بأمر من عمر (٤١) ، وجبلة بن عمرو من فقهاء الصحابة (٤٢) ، وقيس بن سعد (ت ٥٩ هـ بالمدينة) الذى حكم مصر سنة ٣٧ هـ (٤٣) ، ومسلمة بن مخلد أمير مصر (٤٧ ــ ٦٢ هـ) (٤٤) ، وأم كلثوم زوجتـــه وزوجـــة عبد العزيز بن مروان من بعده (٤٥) ، وابنته أم عبد الله (٤٦) . وكان محمد بن بشير ممن اختط بالفسطاط من الأنصـــار كذلك (٤٧) . ومن مشاهيرهم سعيد بن كثير بن عفير (١٤٦ ــ ٢٢٦ هـ) الفقيه النسابة الاخبارى الشاعر (٤٨) . ومنهم الحسن بن عبيد بن لوط الذى دفع حياته (١٩٩ هـ) ثمنـــا لاستبداده (٤٩) . وعبد الملك بن محمد الحزمى (١٧٠ ــ ١٧٤ هـ) قاضى مصر النزيه (٥٠) .

وتدل شـــواهد القبور على اســتمرار الأنصار بمصر فى القرن الثـــالث (٥١) .

---

(٣٨) نهاية الأرب ص ٤٧ و ٨١ .
(٣٩) الانتصار جـ ٤ ص ٣ .
(٤٠) فتوح مصر ص ١٩٣ .
(٤١) فتوح مصر ص ٩٣ و ١٤٦ .
(٤٢) حسن جـ ١ ص ٨٠ .
(٤٣) الولاة ص ٢٠ ــ ٢١ وحسن جـ ١ ص ٩٥ .
(٤٤) فتوح مصر ص ١٠٠ والولاة ٣٧ ــ ٤٠ .
(٤٥) الولاة ص ٥٤ .
(٤٦) الانتصار جـ ٤ ص ٣٤ .
(٤٧) المصدر نفسه جـ ٤ ص ٦ .
(٤٨) حسن جـ ١ ص ١٢٣ ــ ١٢٤ ، ٢٣٨ ومقدمة كست ص ٢٥ ــ ٢٦ .
(٤٩) الولاة ١٥٣ ــ ١٥٥ .
(٥٠) القضاة ص ٢٨٣ ــ ٢٨٥ .
(٥١) Rép. Chro. I, pp. 123, 155 — 156, 177, 205 — 206, 234 — 235

أما موالى الأنصـــار فهم كثير ، منهم الحرث بن يعقوب التابعى العابد (٥٢) . وابو المهاجر دينار (ت ٦٣ هـ) أول من أقام بافريقية حين غزاها (٥٣) . ويمتـــاز مسلمة بن مخلد بكثرة مواليـــه الذين كان منهم أبو منصـــــور (٥٤) ، والسمط (٥٥) ، وعثيم (٥٦) ، وبنو منير الحمصى الذين ظهروا فى القرن الثالث (٥٧) . ومن مشاهير هؤلاء الموالى عمرو بن الحارث الفقيه (ت ١٤٨ هـ) من الأئمة المجتهدين بمصر(٥٨) . ويبدو أن موالى الأنصار بعامة كانوا كثيرين بمصر ، وقد اتخذ القاضى العمرى (١٨٥ — ١٩٤ هـ) الشـــهود منهم فهجاهم يحيى الخولانى ووصفهم بأنهم « المدينيون أصحاب البلح » (٥٩) .

نرى من هذا ان الأنصـــار عاشـــوا فى مصر طوال القرون الثلاثة الأولى . وكانوا ما بين أمراء وفقهاء . ولاشك فى أنهم تمتعوا بمركز ممتاز ، وكانوا محل الرعاية من اولى الأمر ، وقد أوصى بهم عمر وصيته المشهورة : « وأوصى الخليفـــة من بعدى بالأنصـــار الذين تبوأوا الدار والايمان أن يحسن الى محسنهم وأن يعفو عن مسيئهم » (٦٠) . ولكن ذلك لم يعصمهم فى كل حـــال من المصير الذى انتهى اليه العرب فى مصر بعامة ، فقد منع الحارث بن مسكين قاضى مصر (٢٣٧ — ٢٤٥ هـ) أن يدفع اليهم — هم وقريش — من طعمة رمضان شىء (٦١) .

٣ — خزاعـــة :

انتقلت من الجنوب فى هجرة الأزد الكبرى قبيل القرن الخامس الميلادى الى الشمال حيث أقامت بالقرب من مكة ، ثم دارت معارك

---

(٥٢) حسن جـ ١ ص ١٠٨ .
(٥٣) فتوح مصر ١٩٧ — ١٩٩ .
(٥٤) الانتصار جـ ٤ ص ٦ .
(٥٥) فتوح مصر ص ٩٨ .
(٥٦) القضاة ص ٤٧٤ ، ٥٠٣ — ٥٠٤ .
(٥٧) معجم البلدان جـ ٣ ص ٣٤٢ والانساب ص ١٧٦ ب
(٥٨) الولاة ص ٨٤ ، ٨٩ ، ١٠٥ والقضـــاة ص ٣٥٧ ، ٣٥٩ والذهبى : تذكرة — ١ ص ١٦٥ . وابن حجر : ت . التهـذيب — ٨ : ١٤ وابن تغرى بردى : النجوم — ٢ : ١٠ والسيوطى : حسن — ١ : ١٢٠ .
(٥٩) القضاة ص ٣٩٦ .
(٦٠) الطبرى جـ ٣ ص ٢٦٤ ، ٢٦٥ .
(٦١) القضاة ص ٤٦٩ .

بينها وبين جرهم انتهت بزوال سيطرة جرهم من مكة وانتقال سدانة الكعبة وحكم مكة الى خزاعة . وظل الأمر كذلك حتى اختلف قصي — سيد قريش ورئيسهم — مع خزاعة بسبب سدانة الكعبة اختلافا سالت فيه الدماء وانتهى بانتقال السدانة وحكم مكة لقصي والسماح لخزاعة بالاقامة مع قريش فى ارباض البقعة المقدسة ، ومن الجائز أن قريشا عادت فزحزحتها خارج تلك الأرباض فى وقت ظهور الاسلام (٦٢) .

ولما كان فتح مصر والمغرب قد قام به محاربون جندوا من غربى شبه الجزيرة فقد اشتركت خزاعة فى فتح مصر (٦٣) . وزعم بعضهم ان كان لها داران بالفسطاط (٦٤) ، ولكنها كانت من أهل الراية على كل حال (٦٥) .

ووقفت خزاعة فى مصر ضد عثمان فقد كان منها عمرو بن الحمق الذى دخلها فى خلافة عثمان ثم خرج منها ليعين على قتله (٦٦) ، وابن ورقاء الذى كان على رأس مائة فى الجيش الذى سيره ابن أبى حذيفة الى عثمان سنة ٣٥ هـ (٦٧) .

وتختفى خزاعة منذ ذلك الوقت فلا تظهر الى أواسط القرن الثانى اذ يتتابع أفراد منها حتى نهاية القرن على حكم مصر . فكان منهم : محمد بن الأشعث أمير مصر (١٤١ — ١٤٣ هـ) (٦٨) ، المهاجر بن عثمان صاحب شرطة (١٤١ هـ) (٦٩) ، الفضل بن غانم قاضى مصر (١٩٨ — ١٩٩ هـ) (٧٠) . المطلب بن عبد الله (١٩٨ — ٢٠٠ هـ) أمير مصر الذى وليها فى أكثر أوقاتها اضطرابا (٧١) ، هارون والفضل أخوا المطلب (٧٢) ، عمرو بن وهب (٢٠١ هـ) من قواد

---

(٦٢) نهاية الأرب ص ٣٢٣ و Ency. Isl. II, p. 984

(٦٣) Ency. Isl. II, p. 984 — 985.

(٦٤) فتوح مص ص ١١٥ .

(٦٥) الانتصار جـ ٤ ص ٣ .

(٦٦) حسن جـ ١ ص ٩٣ — ٤

(٦٧) الولاة ص ١٧ ، ٢٧ والطبرى جـ ٢ ص ٤٠٢ و ٤٠٣ .

(٦٨) الولاة ص ١٠٨ — ١٠٩ والنجوم جـ ١ ص ٣٤٧ .

(٦٩) النجوم جـ ١ ص ٣٤٦ .

(٧٠) القضاة ص ٤٢٠ — ٤٢١ .

(٧١) الولاة ص ١٥٢ — ١٦١ .

(٧٢) المصدر نفسه ص ١٥٣ — ١٥٨ .

السرى بن الحكم (٧٣) ، وعوف بن وهب (ت ٢٠٤ هـ) كان من وجوه الجند وولى مصر استخلافا مرتين (٧٤) .

ومن المهم ان نذكر أن قوما من خزاعة صحبوا المطلب لما ولى مصر سنة ١٩٩ هـ ، وسكنوا الفسطاط ، وسمى زقاق المطلبية باسمهم لأنهم سكنوا فيه (٧٥) .

واهم موالى خزاعة عبد العزيز بن عمران (ت ٢٣٤ هـ) الفقيه الزاهد (٧٦) .

وكان من خزاعة فى مصر البطن الآتى :

اسلم :

الواقع ان أسلم اسم لبطون من كل من : الأزد ، خزاعة ، قضاعة ، حمير . ونحن نرجح أن أسلم المذكورة فى أخبار مصر هم أسلم خزاعة اعتمادا على أن أسلم تلك هى الوحيدة التى ذكرها ابن عبد ربه (٧٧) ، كما انها هى التى ينسب اليها دون غيرها فيما يبدو من كلام السمعانى (٧٨) .

واثنى الرسول على أسلم فى حديثه الذى ذكر فيه القبائل التى سارعت الى الاسلام : « أسلم سالمها الله .. الخ » (٧٩) . وقد شهدت أسلم فتح مصر ، واختطت حول عمرو والمسجد مع أهل الراية فقد كانت هى من أهل الراية . وكانت خطتها مما يلى دار أبى ذر . وكانوا يرتبعون هم وغفار مع وائل من جذام وسعد فى بسطة وفربيط وطرابية (٨٠) . وفى كل حال يبدو ان أسلم كانت قليلة العدد جدا بحيث لم يظهر منها أحد من ذوى الشهرة .

---

(٧٣) المصدر نفسه ص ١٦٥ .
(٧٤) المصدر نفسه ص ١٤٧ ، ١٧١ .
(٧٥) الانتصار جـ ٤ ص ٢٣ .
(٧٦) حسن جـ ١ ص ١٦٧ وطبقات الشافعية جـ ١ ص ٢٦٥ .
(٧٧) نسب عدنان ص ٢٢ .
(٧٨) الانساب ص ٣٥ ب .
(٧٩) فتوح مصر ص ١٣٨ ، ٣٠٣ .
(٨٠) المصدر نفسه ص ٩٨ ، ١١٥ ، ١٤٣ والانتصار جـ ٤ ص ٣ .

نستطيع أن نستنتج مما سبق أن خزاعة خملت فى مصر بعد مقتل عثمان . ثم عادت الى الظهور والتحكم فى مصائر الأمور طوال النصف الأخير من القرن الثانى بفضل أبنائها الذين قدموا من الخارج – من مكة والعراق – وحكموا مصر . والواقــع إن شواهد القبور وأوراق البردى لا تدل على اقامة خزاعة بمصر فى القرن الثانى فحسب بل فى الثالث كذلك (٨١) .

٤ – العتيــك :

رهط المهلب بن أبى صــفرة (٨٢) . عــاش بمصر منهم اسرتــان متميزتان :

(أ) المهالبــة :

آل المهلب بن أبى صفرة أمير خراسان (٨٣ هـ) ، وهم أهــل بيت اجتمع فيه خلق كثير من الأعيان والأمجــاد النجباء (٨٣) . أول من ظهر منهم بمصر يزيد بن حاتم (ت ١٧٠ هـ بالقيروان) من أحفــاد المهلب ، حكم مصر (١٤٤ – ١٥٢ هـ) وقاوم ثورات للعلويين والأحباش والقبط والخوارج (٨٤) . وكان نصر بن حبيب من قواده (٨٥) . وحكم ابنه داود بن يزيد مصر كذلك (١٧٤ – ١٧٥ هـ) (٨٦) . فى حين كان حفيده المهلب بن داود من أعوانه (٨٧) . وولى خالد بن يزيد شرط مصر سنة ١٧٦ هـ (٨٨) ، كما وليها سليمان بن الصمة سنة ١٨١ هـ(٨٩) . وكان أبو خالد المهلبى من قواد المــأمون ورســولا من لدنه سنة ٢١٤ هـ الى اليمانيين من اهل الأحواف يدعوهم الى السلام (٩٠) .

(٨١) Rép Chro. I, pp. 87, 138, 308 & Ar. Pap. III, p. 79.

(٨٢) نسب عدنان ص ٢٢ والعقد جـ ٢ ص ٢٤٣ .

(٨٣) وفيات الأعيان جـ ٢ ص ٣٧١ .

(٨٤) الولاة ص ١١١ – ١١٧ ووفيــات الأعيــان جـ ٢ ص ٣٧١ – ٣٧٤ والنجوم جـ ٢ ص ١ – ٣ .

(٨٥) الولاة ص ١١٣ ، ١١٦ ، ١١٧ .

(٨٦) المصدر نفسه ص ١٣٣ – ١٣٤ .

(٨٧) المصدر نفسه ص ١٣٦ .

(٨٨) المصدر نفسه ص ١٣٥ .

(٨٩) المصدر نفسه ص ١٣٨ .

(٩٠) المصدر نفسه ص ١٨٦ .

ظهر المهالبة بمصر اذن طوال النصف الأخير من القرن الثانى امراء وقـادة وموظفين كبـارا ، وفى هـذا ما يغنى عن النص على أهميتهم الرسمية بمصر ، فهم فيما يبدو لم يختلطوا بالمصريين خارج نطـاق الطبقة الارستقراطية الحاكمة .

(ب) بنو المغـيرة :

اسرة من العتيك يبدو انها كانت تقيم فى القرن الثانى بصعيد مصر فى كورة البهنسا (مركز بنى مزار محافظة المنيا) (٩١) ، فان عميدها زياد بن المغيرة أنشأ جامعا بدروط بلهاسـة (الأرجح انها بلهاسـة الحالية مركز مغاغة ، محافظة المنيا) (٩٢) من مدن تلك الكورة (٩٣) .

ويبدو انها كانت أسرة غنية ماجدة فقد رثى الشعراء زيادا ذلك عندما مات سنة ١٩١ هـ ، كما رثوا أخاه ابراهيم (ت ١٩٧ هـ) ، وابنه أحمد (ت ٢٣٦ هـ) من بعده (٩٤) .

وفى حياه هـذه الأسرة دليل جديد على أن قبيلة العتيك التى ظهرت متأخرة بمصر كانت قبيلة ممتازة تتمتع بالثراء والنفوذ .

٥ ـ الحجـــــر :

شهدوا فتح مصر وكانوا من اللفيف (٩٥) ، وقد اختطوا بالفسطاط خطة يبدو انها كانت كبيرة (٩٦) ، وكانوا من القبـائل التى جعلها عمرو ابن العـاص تعسـكر فى الجيزة خوفـا من عـدو يغشـاهم من تلك الناحية (٩٧) . والواقع أن بطنا منهم فقط ـ هم بنو كعب بن مالك بن الحجر ـ هو الذى أقام بالجيزة واختلط بها فيما بين بكيل ويافع من همـدان (٩٨) ، وهـذا سوى خطتهم الأخرى بالفسطاط أسـفل من عقبة تنوخ (٩٩) .

---

(٩١) AM6. P. 92 والدليل الجغرافى ص ٢٩٤ .
(٩٢) الدليل الجغرافى ص ٣٠٢ .
(٩٣) الخطط جـ ١ ص ٢٠٥ .
(٩٤) الخطط جـ ١ ص ٢٠٥ .
(٩٥) الانتصار جـ ٤ ص ٣ .
(٩٦) فتوح مصر ص ١١٧ .
(٩٧ ، ٩٨) الانتصار جـ ٤ ص ١٢٦ والخطط جـ ١ ص ٢٠٦ .
(٩٩) فتوح مصر ص ١٢٩ .

ومن بنى كعب بن مالك هؤلاء أول حجرى نقابله بمصر ، علقمة بن جنادة (ت ٥٩ هـ) الصحابى الذى شهد الفتح وولى البحر لمعاوية (١٠٠) .

ويسود الصمت الحجريين تماما حتى أول القرن الثالث حين يظهر سلامة بن عبد الملك الطحاوى بالصعيد متحالفا مع العناصر العربية الأخرى فى الثورة على المأمون وولى عهده العلوى . وانتهت هذه الثورة الطويلة الفاشلة (٢٠٢ ــ ٢٠٤ هـ) بمصرع سلامة وابنه ابراهيم (١٠١) . ولكن ظهر بعد ذلك حفيده أبو جعفر الطحاوى (٢٣٨ ــ ٣٢١ هـ) رئيس الأحناف بمصر (١٠٢) . وكان محمد بن أحمد يروى عن عمه أبى جعفر (١٠٣) .

واقامة هذه الأسرة فى طحا دليل على انتقال القبيلة أو بعضها الى تلك المنطقة الواقعة فى محافظة المنيا الحالية منذ القرن الثانى . وكأنما قارب هذا الانتقال بينها وبين المصريين مع احتفاظها بمركز الزعامة فى كل حال ، فان « الفقراء » ــ وهم العامة ــ قد انضموا الى سلامة فى ثورته .

وراسله من كان يحفى بفاقة واصبح ذا ميل اليه مماليا (١٠٤)

وفى جمع أفراد هذه الأسرة بين الانتساب الى القبيلة والانتساب الى البلد ما يشير الى سيرهم فى طريق التمصر والأخذ بعادات المصريين .

٦ ــ دوس :

شهدوا الفتح ، وكانوا من أهل الراية (١٠٥) .

ويبدو انهم كانوا قليلين جدا فى مصر ، فليس لدينا منهم سوى ابن فاطمة الصحابى الذى اختط بالفسطاط ثم صارت خطته الى

---

(١٠٠) المصدر نفسه ص ١٢٩ وحسن جـ ١ ص ٩٣ .
(١٠١) الولاة ص ١٦٨ ــ ١٧١ .
(١٠٢) وفيات الاعيان جـ ١ ص ٢٣ وحسن جـ ١ ص ١٤٧ ومقدمة كست ص ١٧ ــ ١٨ .
(١٠٣) القضاة ص ٤٣٦ ومقدمة كست ص ١٨ .
(١٠٤) الولاة ص ١٧١ .
(١٠٥) الانتصار جـ ٤ ص ٣ .

عبد العزيز بن مروان (١٠٦) . وقدم ابو هريرة الصحـابى الشهير مصر على مسلمة بن مخلد فى خلافة معاوية ، ويبدو انه اقام بمصر زمنـا فقد روى عنه اهل مصر ثلاثة وثلاثين حديثا (١٠٧) . وهناك شفيق بن ثور (ت ٦٤ هـ) من مشاهير التابعين بمصر (١٠٨) .

وهكذا تختفى دوس بعد عصر الفتح اختفـاء تاما . وفى أوائـل القرن الثالث يظهر على شـواهد القبور اسم أحد افرادها (١٠٩) . فلعلها كانت ماتزال تقيم فى خمول بمصر حتى ذلك الوقت .

٧ ـ هنـــاءة :

ليس هناك ما يدل على قدومها كقبيلة الى مصر . ولكن ولى مصر حوالى سبع سنوات ـ ١٣٣ ـ ١٣٦ هـ و ١٣٧ ـ ١٤١ هـ ـ أبو عون من مواليهـا (١١٠) . وفى ١٩٠ هـ كان كامـل الهنـائى على شرط مصر (١١١) .

وقد هجا سعيد بن عفير الشاعر المصرى هـذه القبيلة ووصفها بأنها « ظلف ذى يمن » (١١٢) .

٨ ـ عــــك :

بلادهم جنوبى جزيرة العرب ، وهى تهامة اليمن ، وتمتد مساكنهم شمالا حتى اقليم جدة ، وتتبع بلادهم الجنوب من ناحيـة الادارة ، ولكنها كانت تخضع أحيانا لحكومة مكة (١١٣) .

اشترك العكيون فى مساكنهم مع قبائل أخرى كالخولانيين ، وان كانوا ظلوا فى مخلافهم لا يشترك معهم سـوى الأشعريين الذين تربطهم

---

(١٠٦) المصدر نفسه جـ ٤ ص ٦ .
(١٠٧) حسن جـ ١ ص ١٠٣ .
(١٠٨) المصدر نفسه جـ ٢ ص ١٠٥ .
(١٠٩) Rép. Chro. I, p. 100.
(١١٠) الولاة ص ١٠١ ـ ١٠٣ ، ١٠٥ ـ ١٠٦ .
(١١١) المصدر نفسه ١٤٢ ـ ١٤٣ .
(١١٢) المصدر نفسه ص ١٤٣ .
(١١٣) Ency. Isl. I, p. 240.

بهم صلات وثيقة لا سيما وان القبيلتين تنتميان الى اصل واحد . وغالبا ما يظهر العكيون والأشعريون مشتركين فى العمل فكان لهم مثلا حكام مشتركون كما أن بعض الخصائص اللغوية تشترك بينهما (١١٤) .

وكان العكيون من أوائل الذين خرجوا عن نطاق الاسلام بعد وفاة النبى ، ولكنهم هزموا هم وحلفاؤهم الأشعريون فى اقصى الشمال من بلادهم (١١٥) .

وكان للعكيين دور بارز فى فتح عمرو لمصر . وفى حروب على مع معاوية استحقوا ثناء الأخير لأنهم خاضوا تحت امرته موقفا من أخطر المواقف فى معركة صفين . وفى سنة ٢٠٧ هـ يشار الى رجل علوى يثير الاضطراب بين العكيين ، ولكن المأمون سرعان ما قمعه فى كل حال (١١٦) .

اشتركت عك فى فتح مصر كما قلنا ، ويقول ابن عبد الحكم (١١٧) - وهو قول فيه نظر - ان الجيش الأول الذى سار به عمرو لفتح مصر بعد موافقة عمر ، ويتراوح عدده ما بين ثلاثة آلاف وخمسمائة واربعة آلاف رجل ، كان كله من عك . وهذا هو ما هيأ لها الدور البارز فى عملية الفتح . والأرجح أن العكيين كانوا يمثلون جانبا كبيرا نسبيا من هذا الجيش ، وكان معظمهم من غافق التى سنتحدث عنها بعد ذلك .

وان ارتباع جند عك فى أماكن كثيرة هى : بوصير ، منوف ، ودسبندس (من قرى مصر القديمة) (١١٨) ، واتريب لدليل فى كل حال على كثرة افراد القبيلة بمصر (١١٩) .

وكانت فرسهم « عجلى » من خيل مصر المشهورة التى شاركت فى الفتح (١٢٠) .

ولاشك فى ان « عك » كانت ذات مكان ممتاز فى مصر لكثرتها العددية من جهة ولضخامة نصيبها فى عمليات الفتح من جهة أخرى . وفى

---

(١١٤) Ency. Isl. I, p. 240.

(١١٥ ، ١١٦) Ibid. I, p. 241

(١١٧) فتوح مصر ص ٥٦ .

(١١٨) معجم البلدان ج ٤ ص ٥٨ .

(١١٩) فتوح مصر ص ١٤٢ .

(١٢٠) المصدر نفسه ص ١٤٤ .

فتنة عثمان كان أحد أفرادها (الغافقي بن حرب العكي) القائد العام للجيش الذي وجهه ابن أبي حذيفة سنة ٣٥ هـ الى عثمان ، وهو الذي حكم المدينة بعد مصرع الخليفة (١٢١) . وهذا الموقف لا يتفق مع موقف عك في الشام الذي ذكرناه من قبل .

واستمرت عك طوال القرن الأول محتفظة بمكانتها مزهوة بمجدها على ما يبدو من رد نمر بن أيفع العكي عندما حاول عبد الرحمن بن معاوية بن حديج (ت ٩٥ هـ) قاضي مصر وصاحب شرطها الاستهزاء بعك وفرسها عجلى (١٢٢) .

ولكن يبدو أن العكيين لم يكونوا أكثر من جنود ، فلسنا نقابل منهم أحدا في الحياة العامة ولا المناصب العالية في مصر .

ومن الطبيعي أن تهيىء لهم كثرتهم العددية الاحتفاظ بالبقاء في مصر حتى القرن الثالث ، تشهد بذلك شواهد القبور (١٢٣) .

٩ ــ غافــق :

بطن من عك ، فهم منسوبون الى غافق بن الحارث بن عك (١٢٤) .

وقد روينا منذ لحظة أن الجيش الأول الذي توجه به عمرو لفتح مصر كان كله من عك ، والآن نضيف ان ثلث هذا الجيش ــ اى ما لا يقل عن الف جندى ــ كان من قبيلة غافــق بالذات (١٢٥) . وقد نص ابن عبد الحكم على هــذه الحقيقة بقوله : « كانت غافق ثلث النــاس مدخل عمرو بن العاص مصر » (١٢٦) . ولعل غافقا هي التي يقصــدها المؤرخون حين يذكرون « عك » .

وليس أدل على ضخامة غافق من مساحــة خطتها . فقد اختطت بالفسطاط بين مهرة ولخم فاتسعت خطتها لكثرتهم ، واستغرق وصف

---

(١٢١) الطبرى جـ ٣ ص ٣٨٥ و ٤٢١ و ٤٥٤ .
(١٢٢) فتوح مصر ص ١٤٤ .
(١٢٣) Rép. Chro. I, pp. 207, 246 & II. p. 42.
(١٢٤) الانتصار جـ ٤ ص ٤ ونهاية الأرب ص ٣١٢ ــ ٣١٣ .
(١٢٥) فتوح مصر ص ٥٦ والولاة ص ٨ .
(١٢٦) فتوح مصر ص ١٢١ .

هذه الخطة حوالى الصفحتين عند ابن عبد الحكم الذى ختم حديثه عنهـا بقوله : « ولغافق من الخطـة اكثر مما ذكرنا غير أن هـذه جملها » (١٢٧) . ونستطيع أن نقول ان غافقا كانت ترتبع فى نفس الأماكن التى كانت عك ترتبع فيها .

ومثلما كانت ميول عك فى مصر ضد عثمان كانت غافق كذلك . ومن الطبيعى أن نعتقد انها حاربت مع محمد بن أبى بكر سنة ٣٨ هـ ضد جيوش معاوية التى وجهها بقيادة عمرو لفتح مصر وانتزاعها من سلطان على ولما هزم ابن أبى بكر فى هـذه الحرب هرب الى خطـة غافق واختفى فى دار أحد أفرادها (١٢٨) .

وظلت غافق محتفظة بميولها تلك التى جعلتها تتخذ موقفـا عدائيا من الأمويين ولذلك اختار العراقيون الذين نفاهم زياد (٤٥ ــ ٥٣ هـ) الى مصر لميولهم المعادية للأمويين ان يكونوا جيران غافق بالفسطاط(١٢٩).

ولما ولى ابن جحدم مصر سنة ٦٤ هـ من قبل ابن الزبير انضمت غافق اليه استمرارا منها فى عدائها للأمويين وتحملت معه أهوال القتال ضد مروان بن الحكم سنة ٦٥ هـ (١٣٠) ، فى حين كان العكيون يشتركون فى احراق الكعبة فى أثناء حصار مكة .

ومن شخصيات غافق فى مصر أبو مسلم الصحابى ، كان يؤذن لعمرو ويبخر المسجد (١٣١) . وابن هجالة الذى اختفى محمد بن أبى بكر فى داره بعد هزيمته (١٣٢) . واياس بن عامر من مشاهير تابعى مصر ، وحضر معارك على فى صفه (١٣٣) . وعبد الله بن زرير (ت ٨٠ هـ) من مشاهير التابعين كذلك ومن أنصار على (١٣٤) .

---

(١٢٧) المصدر نفسه ص ١٢١ ــ ١٢٢ .
(١٢٨) المصدر نفسه ص ١٢٢ والولاة ص ٢٨ .
(١٢٩) انظر ص ١٥٠ من هذا البحث .
(١٣٠) الولاة ص ٤٤ .
(١٣١) فتوح مصر ص ٩٢ .
(١٣٢) المصدر نفسه ص ١٢٢ .
(١٣٣) حسن جـ ١ ص ١٠٥ والانساب ص ٤٠٥ ب.
(١٣٤) حسن جـ ١ ص ١٠٥ .

ومن مواليهم عباس بن الوليد المعروف بالنقى (٢٣٢ هـ) ، كان أحد الشهود بمصر (١٣٥) . أما عبد الواحد بن يحيى بن خالد مولى عمر بن عبد العزيز ، وهو من محدثى القرن الثانى ويعرف بسوادة ، فقد نسب الى غافق لسكناه فى خطتها بمصر (١٣٦) .

ونتحدث الآن عن بطون غافق فى مصر :

(أ) حمـــد :

كان لهم زقاق باسمهم فى الفسطاط . منهم أبو موسى الصحابى ، كان له مسجد باســمه فى زقــاق عشيرته ، وروى أهــل مصر عنه حديثين (١٣٧) .

(ب) حـــذران :

ذكره السمعانى باسم : جذران بالجيم (١٣٨) .

كان لهم مسجدان بالفسطاط مما يدل على كثرة عددهم (١٣٩) .

من مواليهم يعفوب بن اسحق (ت ٢٢٥ هـ) كان مؤذنا فى المسجد الجامع العتيق ، وكان مقبول الشهادة عند القضاة (١٤٠) .

(ج) دهنـــة :

لهم خطة بالفسطاط (١٤١) .

ظهر منهم بمصر عفيف بن حبان (ت ١٨١ هـ) من المحدثين ، وخالد بن زياد (١٤٢) .

---

(١٣٥) القضاة ص ٤٥٥ والانساب ص ٥٦٨ أ .
(١٣٦) الانساب ٤٠٥ ب .
(١٣٧) فتوح مصر ص ١٢١ .
(١٣٨) الانساب ص ١٢٥ أ
(١٣٩) فتوح مصر ص ١٢١ .
(١٤٠) الانساب ص ١٢٥ أ .
(١٤١) فتوح مصر ص ١٢٢ .
(١٤٢) الانسا بص ٢٣٥ أ .

من مواليهم ابو حكيم كان عـريف دهنـــة ، وكان مقبولا عنـد القضـــاة (١٤٣) .

(د) الحـــرقة :

من مواليهم عثمان بن عتيق (ت ١٨٣ هـ) أول من رحل من أهل مصر الى العراق فى طلب الحديث (١٤٤) .

(هـ) تيـــم :

منهم المـاضى بن محمد بن مسعود (ت ١٨٣ هـ) كان وراقـا يكتب المصاحف ، وروى الموطـأ عن مالك ، وروى عنه ابن وهب (١٤٥) .

(و) قيانـــة :

ذكره السمعانى بالنون مرة وبالفاء مرة اخرى (١٤٦) .

ظهر منهم حماد بن صفوان بن عتاب كان جليسا لليث بن سعد ، وعبدوس بن على من المحدثين (١٤٧) .

(ز) أحـــب :

من مواليهم عيسى بن ابراهيم بن عيسى (١٧٠ ـ ٢٦١ هـ) روى عن ابن وهب وغيره (١٤٨) .

(ح) بنو عبد الجبار :

كانت لهم دار بالفسطاط (١٤٩) .

(ط) الربانيـون :

لم يحفظ لنا منهم أحد (١٥٠) .

---

(١٤٣) المصدر نفسه ص ٢٣٥ أ .
(١٤٤) الخطط جـ ٤ ص ١٤٣ والانساب ص ١٦٤ ب .
(١٤٥) الانساب ص ١١٣ ب .
(١٤٦ ، ١٤٧) المصدر نفسه ص ٤٦٧ ب .
(١٤٨) المصدر نفسه ص ١٩ ب .
(١٤٩) فتوح مصر ص ١٢٠ .
(١٥٠) المصدر نفسه ص ١٢٢ .

نستطيع بعد هذا كله أن نقول ان غافقا ظلت تحيا فى مصر منذ اللحظات الأولى للفتح حتى أواخر القرن الثالث ، وهـذا ما تشهد به شخصيات غافق وبطونها من جهة وشواهد القبور من جهة أخرى (١٥١) . واذا كانت غافق قد لعبت أدوارا حربيـة كان لها أثرها فى مصير مصر فان الطـابع الذى غلب على ابنائها ومواليها طابع دينى فى معظمه . ولعل فى هـذا ما يتفق مع التصريح العجيب الذى اتهم عمرو بن العاص غافقا فيه بأنهم قوم يقتلون (بضم الياء) ولا يقتلون (بفتحها) (١٥٢) . ولكن اهم ما يلحظ على غافق فى حياتها فى مصر هو عداؤها للأمويين والمروانيين وموالاتها للعلويين بخاصـة ــ كان اياس بن عامر وعبد الله بن زرير التابعيان من جنود على ــ ولخصـوم الأمويين بعامة . وكان هذا الموقف مناقضا لموقف العكيين فى الشام والحجاز (١٥٣) .

ونواصل الحديث عن قبائل الأزد فى مصر :

١٠ ــ سـلامان :

بطن من الأزد (١٥٤). والواقع أن سـلامان اسـم لبطن من خزاعة (١٥٥) ، لآخر من شنوءة (١٥٦) ، وليس فى استطاعتنـا رد بنى سلامان المذكورين فى مصر الى احدهما .

وقد اختطوا فى كل حال بالفسطاط ، فى الحمراوات الثـلاث ، ثم شرعت طائفة منهم الى البحر (١٥٧) .

وهم فى مصر منذ الفتح ، شهده منهم سعد بن مالك ، الذى أصبح من شيعة عثمان واعتزل ابن أبى حذيفة عندما ثار بمصر ، وظل محافظا على اتجاهه هـذا واصبح من شيعة بنى أمية ، ولمـا استولى ابن جحدم على مصر سنة ٦٤ هـ تظـاهر بموالاته وهو فى الواقع مع مروان .

---

(١٥١) Rép. Chro. I, pp. 56, 110, 141, 272.

(١٥٢) فتوح مصر ص ٧٦ ــ ٧٧ .

(١٥٣) Ency. Isl. I, p. 241.

(١٥٤) الانسـاب ص ٣٢٠ أ .

(١٥٥) العقد جـ ٤ ص ٢٤٣ .

(١٥٦) نسب عدنان ص ٢٣ .

(١٥٧) فتوح مصرص ١١٦ والانتصار جـ ٤ ص ٥ .

ومن العجيب أن ظل من ولده بقية بمصر حتى زمن السيوطى (القرن التاسع الهجرى) (١٥٨) .

ومن بنى سلامان عابد بن هشام الشاعر الذى حيا مسلمة بن مخلد عندما نظم اذان الفجر بالفسطاط بطريقة تجمع بين النظام والروعة(١٥٩). وكان منهم عياض بن عبيد الله ولى قضـاء مصر مرتين (٩٣ — ٩٧ ، ٩٩ — ١٠٠ هـ) (١٦٠) .

ومن مواليهم ابن قديد (٢٢٩ — ٣١٢ هـ) مولى عبد الملك بن سعد ابن مالك ، من مشاهير الرواة المصريين ، وهو صاحب نصف روايات كتاب الولاة وصاحب أكثر من ثلث روايات كتاب القضاة (١٦١) .

١١ — غنـث :

اختطوا بالفسطاط (١٦٢) . ولابد انهم كانوا كثيرين بمصر فقد حضر سبعمائة منهم غزوة افريقية سنة ٢٧ هـ (١٦٣) .

١٢ — ميدعـان :

كان منهم سبعمائة جندى كذلك فى غزوة افريقية سنة ٢٧ هـ وكان على مقاسمها شريك بن سمى (١٦٤) .

١٣ — بنو الحارث بن زهران :

أما أن يكونوا أسرة من بنى زهران مزيقيا ، واما ان يكونوا من بنى زهران شنوءة (١٦٥) . وكان منهم على كل حال ناشر الأزدى ممن حضر فتح مصر (١٦٦) . ومن أحفـاد ناشر هـذا كان فتح بن الصلت المساعد الأكبر لدحية بن مصعب الأموى فى ثورته بالصعيد سنة ١٦٩ هـ . وقد بدأ نجم دحية فى الأفول بعد مقتل فتح فى هذه الثورة (١٦٧) .

---

(١٥٨) الولاة ص ١٥ ، ٤٢ وحسن جـ ١ ص ٨٧ .
(١٥٩) الخطط جـ ٤ ص ٧ .
(١٦٠) القضاة ص ٣٣٢ — ٣٣٧ .
(١٦١) الانساب ص ٣٢٠ أ ومقدمة كست ص ١٨ .
(١٦٢) فتوح مصر ص ١١٩ — ٢٢٠ .
(١٦٣ ، ١٦٤) المصدر نفسه ص ١٨٤ .
(١٦٥) نهاية الارب ص ٢٢٨ .
(١٦٦ ، ١٦٧) الولاة ص ١٣٠ .

١٤ ــ بنو بحــر :

هم قوم من الأزد . كانت خطتهم بالحمراوات الثلاث (١٦٨) .

ومما يذكر أن دار عطاء بن دينار الفقيه المصرى (ت ١٢٦ هـ) كانت فى خطتهم (١٦٩) .

١٥ ــ ثــراد :

بطن من الأزد نزلوا مصر عند الفتح ، واختطوا بهـا وذكرهـم القضاعى فى خططه (١٧٠) . كانت خطتهم فى الحمراوات الثـلاث على ما يبدو من ظاهر كلام ابن دقماق (١٧١) .

١٦ ــ بنو شبابة الأزد :

اختطوا بالفسطاط ، وكان لهم المسجد الذى له المنارة (١٧٢) .

١٧ ــ خثيــم :

اختطت بالفسطاط (١٧٣) .

١٨ ــ مــازن :

اختطت بالفسطاط (١٧٤) .

وهكذا نفرغ من قبائل الأزد جميعا ، ولكننا نحب قبل أن نتركها ان نلحظ أن الأزد أقاموا بمصر منذ الفتح حتى أواخر القرن الثالث ، وكانوا طوال تلك المدة ظاهرين على مسرح الحياة المصرية يقومون عليه بأهم الأدوار اذ كان منهم ومن مواليهم الولاة واصحاب الشرط والقضاة والفقهاء والرواة ، فأتيح لهم بذلك أن يؤثروا فى الحياة المصريــة من نواحيها المختلفة .

---

(١٦٨) فتوح مصر ص ١١٦ والانتصار جـ ٤ ص ٥ والقلقشندى ص ١٤٩ .
(١٦٩) الانساب ص ٢٠٨ أ .
(١٧٠) نهاية الارب ص ١٦٣ .
(١٧١) الانتصار جـ ٤ ص ٥ .
(١٧٢) فتوح مصر ص ١٢٠ .
(١٧٣ ، ١٧٤) المصدر نفسه ص ١١٩ .

ولا ريب فى ان كثرة الأزد العددية قد ساعدتهم على التفوق والسيطرة فى مصر ، فقد راينا كيف كان جيش الفتح يتكون منهم بصفة عامة أول الأمر . ثم ان هجرتهم الى مصر قد استمرت بعد ذلك فجاء منهم العراقيون الذين نفاهم زياد ، ثم جاءت طائفة من اهل خراسان مع المهالبة ، ثم جاءت طائفة من خزاعة (المطلبية) مع احد الولاة .

وبالرغم من ان الأزد كانوا اهل حرفة وصناعة فى ماضى أيامهم ، أى انهم كانوا يمارسون الحياة المدنية ، فانهم كانوا فى مصر أميل الى التمرد على السلطة الحاكمة . ويلاحظ أنهم كانوا بوجه عام ضد العثمانيين والأمويين باستثناء بنى سلامان . ولما جاء العباسيون وثاروا عليهم مرة عندما تألبت العناصر العربية فى مصر ضد المأمون سنة ٢٠٢ هـ بدافع من العصبية فيما يبدو .

ننتقل الآن الى القسم الثانى من قبائل مالك .

٢ ـ بنو عمرو بن الغوث

عاش منهم بمصر افراد من القبيلتين الآتيتين :

١ ـ بجيلة :

ليس هناك ما يدل على قدومها الى مصر كقبيلة . ولكن يبدأ ظهور البجليين فيها بولاية أحدهم مصر (مسلمة بن يحيى ١٧٢ ـ ١٧٣ هـ) (١٧٥) . ومن المهم أن نلحظ انه دخل مصر فى عشرة آلاف من الجند (١٧٦) . ولنا الحق فى أن نعتقد ان عددا كبيرا منهم كان من قبيلة بجيلة . وقد ظلوا ظاهرين بمصر طوال مائة عام بعد ذلك التاريخ فكان منهم عدد من أصحاب الشرط بخاصة : عبد الرحمن بن مسلمة (١٧٢ ـ ١٧٣ هـ) (١٧٧) ، وحبيب بن أبان (١٧٣ هـ) (١٧٨) ، وسليمان بن غالب (١٩٣ ـ ١٩٦ هـ) (١٧٩) . وابنه محمد بن سليمان

---

(١٧٥) الولاة ص ١٣٢ ـ ١٣٣ والنجوم جـ ٢ ص ٧١ ـ ٧٢ .
(١٧٦ ، ١٧٧ ، ١٧٨) الولاة ص ١٣٣ .
(١٧٩) المصدر نفسه ص ١٤٦ ، ١٤٨ .

(٢٣٦ ــ ٢٣٨ هـ) (١٨٠) . كما كان منهم ابراهيم بن البكاء قاضى مصر (١٩٥ ــ ١٩٦ هـ) (١٨١) . بل ان اشتراك سليمان بن غالب صاحب الشرط فى الحوادث العنيفة الدائرة حينذاك ، واستيلاءه على حكم مصر بارادة الجند وتأييدهم سنة ٢٠١ هـ ، ثم اشتراكه فى الثورة العربية ضد المأمون (٢٠٢ ــ ٢٠٤ هـ) (١٨٢) ــ ان هذا كله لم يكن ليتم لولا وجود جماعة قوية من بجيلة بمصر .

ويبدو أن البجليين انتشروا بمصر ، فقد اقام بشر بن بكر (ت ٣٠٥ هـ) ، من صغار أتباع التابعين ، بتنيس ونسب اليها (١٨٣) .

وفى شواهد القبور دليل جديد على اقامة البجليين بمصر وانتشارهم بها فى القرن الثالث (١٨٤) .

٢ ــ خثعم

لم تأت الى مصر فى صورة قبيلة كذلك ، وانما هم أفراد ظهروا منها اولهم عثمان بن ابى نسعة من قواد مروان الحمار ، وقد قتله العباسيون لما فتحوا مصر (١٨٥) . اما المثنى بن زياد (١٣٦ هـ) فكان من قواد العباسيين او موظفيهم الكبار (١٨٦) . فى حين ولى مصر سنة ١٦٧ هـ موسى بن مصعب مولى خثعم الذى انتهى به ظلمه وسوء سلوكه الى أن قتله أهل الحوف سنة ١٦٨ هـ (١٨٧) .

ثم ننتقل الى القسم الثالث من قبائل مالك فى مصر .

٣ ــ همدان

همدان قبيلة كبيرة ، كانت بلادها أحدى مراكز الحضارة فى بلاد العرب القديمة ، وقد تصدت للحاكم الحبشى أبرهة عندما حاول

---

(١٨٠) المصدر نفسه ص ١٩٩ .
(١٨١) القضاة ص ٤١٧ .
(١٨٢) الولاة ص ١٦٥ ــ ١٦٨ .
(١٨٣) حسن جـ ١ ص ١١٤ .
(١٨٤) Rép. Chro. I, p. 258 & II, pp. 143, 183.
(١٨٥) الولاة ص ٩٦ ، ٩٨ .
(١٨٦) المصدر نفسه ص ١٠٣ .
(١٨٧) الولاة ص ١٢٤ ــ ١٢٨ والنجوم ــ جـ ٢ ص ٥٤ ــ ٥٥ .

تدمير الكعبة فى عام الفيل . ومع ذلك كانت من أخريات القبائل التى اعترفت بالنبى . وقد نزلت الكوفة وحارب اثنا عشر الفا منها فى جانب الخليفة على فى العراق سنة ٣٧ هـ (١٨٨) ، فان همدان كانت شيعة على عند وقوع الفتن بين الصحابة (١٨٩) .

شهدت همدان فتح مصر ، ويبدو انها بذلت فى الهجوم على حصن بابليون جهدا ملحوظا سجله عمرو فى رجزه :

يوم لهمدان ويوم للصدف والمنجنيق فى بلى تختلف

عمرو يرقل أرقال الشيخ الخرف (١٩٠)

ولما عادت من فتح الاسكندرية امرها عمرو أن تعسكر فى الجيزة هى وقبائل اخرى من الأزد وحمير والحبشة لتحمى جيش المسلمين من ناحية الغرب . ورفضت هذه القبائل العودة الى الفسطاط ، واقامت بصفة دائمة بالجيزة ، واختطت بها (١٩١) .

ومن شخصيات همدان وقت الفتح احمد بن عجيان الصحابى (١٩٢) . وفى القرن الثانى يقابلنا منها عقبة بن مسلم الذى تولى القصص بالمسجد الجامع (١٩٣) . وتشير شواهد القبور وأوراق البردى الى اقامة همدان بالفسطاط والأشمونين فى القرن الثالث (١٩٤) .

وكان ناعم بن أحيل التابعى المصرى الشهير (١٩٥) . وازهر بن عبد الله بن سالم الجيزى (ت . ٢٢٠ هـ) (١٩٦) من مواليهم .

وهذه بطون همدان فى مصر :

---

(١٨٨) الانساب ص ٥٩١ ب و Ency. Isl. II, p. 246.

(١٨٩) نهاية الارب ص ٣٥٢ .

(١٩٠) فتوح مصر ص ٦٢ .

(١٩١) المصدر نفسه ص ١٢٨ — ١٢٩ والخطط جـ ١ ص ٢٠٦ والانتصار جـ ٤ ص ١٢٦ .

(١٩٢) حسن جـ ١ ص ٧٣ .

(١٩٣) الخطط جـ ٤ ص ١٨ .

(١٩٤) Rép. Chro. I, p. 172. واوراق البردى جـ ١ ص ١١٣ ، ١١٤ ، ١١٧ .

(١٩٥) حسن جـ ١ ص ١٠٧ .

(١٩٦) الانساب ص ١٤٧ ب .

١ـ حــــران :

منهـــا عبد الرحمن بن أوس من محدثى مصر فى القرن الثـــانى (١٢٦ هـ) ، كان فى ثلاثين من العطاء (١٩٧) .

٢ ـ الأحـــروج :

منها ثمامةبن شفى (ت قبل ١٢٠ هـ) من محدثى مصر (١٩٨) .

٣ ـ بكيـــل :

احدى مجموعتى همدان القويتين . وكانت تسكن القسم الشرقى من بلاد همدان باليمن . وهى كثيرة البطون . ومن بلادها كان يبتـــاع السم الذى يقتل به الملوك (١٩٩) .

شهدت بكيل فتح مصر ، وعســـكرت بالجيزة ثم اقامت بهـــا واختطت فى جنوبها الشرقى (٢٠٠) .

وكان من بكيل فى مصر البطنان الآتيان :

(أ) ارحـــب :

قبيلة كبيرة تنسب اليها الابل الأرحبية (٢٠١) ، شـــهد منهم فتح مصر بنو عوف أو بنو حجر الذين عســـكروا بالجيزة ثم اختطوا فى قبليهـــا (٢٠٢) .

(ب) الحياويـــة :

وهم من بنى عامر بن بكيل . شـــهدوا فتح مصر ، وعســـكروا بالجيزة ، ثم اختطوا فى قبليها (٢٠٣) . وكان منهم مزاحف بن عامر صاحب مسجد جامع همدان بالجيزة . ويبدو ان همـــدان كانت تعبر النيـــل

---

(١٩٧) الانساب ص ١٦١ أ ، ب .

(١٩٨) المصدر نفسه ص ٢٠ أ .

(١٩٩) معجم البلدان جـ ٢ ص ٢٥٧ و Ency, Isl. II, p. 246.

(٢٠٠) الانتصار جـ ٤ ص ١٢٦ والخطط جـ ١ ص ٢٠٦ .

(٢٠١) معجم البلدان جـ ١ ص ١٨٢ ، نهاية الارب ص ٣٣ ، الانساب ص ٢٤ ب .

(٢٠٢ ، ٢٠٣) الانتصار جـ ٤ ص ١٢٦ والخطط جـ ١ ص ٢٠٦ .

وتذهب لصــلاة الجمعة فى جامع عمرو بالفسطاط حتى كان عقبة بن عامر (٤٤ ــ ٤٧ هـ) فأمرهم بأن يجمعوا فى مسجد مزاحف هذا (٢٠٤) .

٤ ــ حاشـــد :

تمثل المجموعة الثانية من همدان . وكانت تسكن القسم الغربى من بلاد همدان باليمن . ولم يكن هــذا يعنى انفصال حاشد وبكيل فالواقع أن بطون كل منهما كانت تعيش فى منازل بطون الأخرى (٢٠٥) .

وشهدت حاشد فتح مصر ، وعسكرت مع همدان بالجيزة ، ثم اختطت بها ولكن فى شمالها الغربى (٢٠٦) .

بذلك تنتهى قبائل مالك التى يتكون منها القسم الأول من كهلان فننتقل الى القسم الثانى .

ثانيــا ــ عــريب

قبائل عريب اربعة افرع : مرة ، مذحج ، طى ، الأشعر .

ونتحدث عن كل فرع وقبائله وبطونه .

١ ــ مــــرة

تتفرع مرة فرعين : عدى ، ومالك .

(أ) عـــدى

تنقسم الى قبائل كبيرة هى :

١ ــ كنـــدة

وتدعى أيضا كندة الملوك . غير كثيرة العدد فيما يحتمل . كانت تقيم فى الوقت الســابق لظهور الاســلام فى البــلاد الواقعــة غربى حضرموت . والواقع أنها هاجرت وقت مولد النبى تقريبا الى حضرموت فى أكثر من ثلاثين الف رجــل والحقت نفسها بالصــدف الذين كانوا

---

(٢٠٤) الخطط جـ ٤ ص ١٢٣ .

(٢٠٥) Ency. Isl. II, p. 246.

(٢٠٦) الانتصار جـ ٤ ص ١٢٦ والخطط جـ ١ ص ٢٠٦ .

سبقوها الى الاقامة ببلاد حضرموت . وكان من أهم بطونها عند ذاك تجيب . وتذكر لأول مرة فى التاريخ فى القرن الرابع من العصر المسيحى. وقد حكمت القبائل العربية المختلفة المقيمة فى وسط شبه جزيرة العرب : أسد ، بكر ، تغلب ، قيس ، كنانة ، وغيرها . وكان الدين اليهودى يسودها فى الجاهلية . فلما ظهر الاسلام قاوموه أول الأمر ، ثم شغلوا مناصب بارزة فى البلاط كنبلاء ذوى اهمية كبيرة فى وقت متأخر فى العصر الاسلامى . وأطلق اسم كندة على مقاطعة فى الشام وحى (خطة) فى البصرة لاقامة جانب منها هناك طبعا (٢٠٧) . وقد تفرقت كندة فى البلاد ، وكان لأبنائها الصدارة فى كل بلد انتقلوا اليه حتى صرخ هشام بن عبد الملك : يا لكندة ! عندما لاحظ أن سادة فلسطين وحمص والجزيرة كلهم من كندة (٢٠٨) .

شهدت كندة فتح مصر ، فى عدد كبير فيما يبدو ، فقد ظلت مهرة ـ من قضاعة من حمير ـ تتبعها فى الديوان حتى سنة ١٠٢ هـ (٢٠٩) . ويبدو أنه كان لها هى وغافق مقابر واحدة هى التى دفن فيها الكندى (٢٨٣ ـ ٣٥٠ هـ) صاحب كتاب الولاة والقضاة (٢١٠) .

وأول من نقابل من كندة بمصر هو غرفة بن الحارث الصحابى ، شهد فتح مصر وسكنها وحدث بها (٢١١) . وكان حجر بن عدى رسول محمد بن أبى بكر أمير مصر سنة ٣٧ هـ الى الثوار من أنصار عثمان الذين اعتصموا بخربتا (٢١٢) . وكانت ليلى ، أم عبد العزيز بن مروان ، كندية (٢١٣) . وهناك كذلك جعفر بن ربيعة (ت ١٣٦ هـ) زميل يزيد بن أبى حبيب فى النظر فى الفتيا بمصر(٢١٤) . ويحيى بن عبد الله بن العباس من وجوه قواد يزيد بن حاتم فى اخماد حركة العلويين بمصر سنة ١٤٥ هـ (٢١٥) . وكان أبناء كندة يأتون الى مصر ويقيمون بها

---

(٢٠٧) Ency. Isl. II, pp. 207, 1018 — 1019. ومقدمة كست ص ٥ ـ ٦

(٢٠٨) الانساب ص ٤٨٩ أ

(٢٠٩) الولاة ص ٧٠ ـ ٧١ .

(٢١٠) المصدر نفسه ص ٥ .

(٢١١) حسن جـ ١ ص ٩٤ .

(٢١٢) الولاة ص ٢٨ .

(٢١٣) الخطط جـ ١ ص ٢٠٨ .

(٢١٤) المصدر نفسه جـ ٤ ص ١٤٣ وحسن جـ ١ ص ١١٠ ومقدمة كست ص ٣٥

(٢١٥) الولاة ص ١١٣ .

اقامة مؤقتة أو دائمة فولى اسماعيل بن اليسع الكوفى قضاء مصر (١٦٤ — ١٦٧ هـ) (٢١٦) ، كما نزل حسان بن عبد الله بن سهل الواسطى (ت ٢٢٢ هـ) مصر وحدث بها حتى وفاته (٢١٧) .

وهكذا كان الكنديون فى مصر ما بين قائد وفقيه وقاض ومحدث . ولم يكن مواليهم بأقل منهم ، فقد لعب عباد بن محمد بن حيان دورا بارعا فى سياسة مصر حتى وليها من قبل المأمون (١٩٦ — ١٩٨)(٢١٨) . وكان يحيى بن زكريا من الشهود عند القضاة فى النصف الأول من القرن الثالث (٢١٩) .

ومن الواضح ان كندة ظلت حية بمصر منذ الفتح حتى القرن الثالث . وشواهد القبور تؤيد ذلك بالنسبة الى القرنين الثانى والثالث (٢٢٠) .

وكان لكندة بطون فى مصر هى :

(أ) السكاسك :

جدهم سكسك ملك (٢٢١) . وكانوا ممن ساعدوا معاذا الذى بعثه رسول الله حتى أجاب أهل اليمن الى الاسلام ، فدعا لهم النبى بالمغفرة ، وعدهم فى خير القبائل (٢٢٢) .

قدموا الشام زمن عمر بن الخطاب ونزلوا وادى السكاسك بالأردن (٢٢٣) . وشهدوا فتح مصر ، واختطوا فى المعافر . ولكن لم يظهر منهم أحد بمصر (٢٢٤) .

---

(٢١٦) فتوح مصر ص ٢٤٤ والقضاة ص ٣٧١ — ٣٧٣ .
(٢١٧) حسن جـ ١ ص ١١٥ .
(٢١٨) الولاة ص ١٤٨ — ١٥٥ ، ١٦٦ — ١٦٧ ، ١٧١ .
(٢١٩) القضاة ص ٤٥٩ — ٤٦٠ .
(٢٢٠) Rép. Chro I, pp. 79 119 — 120 & II, p. 140.
(٢٢١) القاموس المحيط مادة السك .
(٢٢٢) فتوح مصر ص ١٢٧ .
(٢٢٣) الانساب ص ٣٠٠ ب .
(٢٢٤) فتوح مصر : ص ١٢٦ ، ١٢٨ .

(ب) بريــــح :

بطن من كندة ، من بنى الحارث بن معاوية .

نعرف منهم أبا القاسم بن عبيد الله ، من التابعين ، أدرك عبد الله بن عمرو بن العاص (٢٢٥) .

(جـ) السـكون :

من القريب جدا انها كانت تعتنق اليهودية التى كانت تسود كندة كلها فى الجاهلية . ومن المهم ان نلحظ فى هـذا الصدد أن محمد بن أبى بكر سب معاوية بن حديج ، زعيم السكون فى مصر ، بعد موقعة المسناة سنة ٣٨ هـ بقوله : « يابن اليهودية النساجة » (٢٢٦) .

ولكن لمـا ظهر الاسلام ساعدت فى ادخاله الى اليمن ، فعدها الرسول فى خير القبائل التى مدحها (٢٢٧) ، وان كان عدم قيام الملوك منهـا جعلها فى مركز أدنى بالنسبة الى سـائر القبيلة (٢٢٨) . ثم اشترك منهـا فى فتح فارس فرقة حربيـة كبيرة يحتمل انها أو جزءا منها قد انضـم بعد ذلك الى جيش عمرو الذى سار لفتح مصر (٢٢٩) .

ومن الواضح لدينـا أن لم يحضر من هـذه القبيلة الى مصر ــ باستثناء تجيب ــ عدد كبير ، فان كل من ظهر منها بمصر هم الحديجيون ذرية معاوية بن حديج (ت ٥٢ هـ) الذى لعب فى فتنة عثمان دورا غير مجرى التاريخ فى مصر ان لم يكن فى العالم الاسـلامى كله ، فبفضله خرجت مصر من سلطان على الى سلطان معاوية (٢٣٠) .

ونحب ان نلحظ أولا أن معاوية بن حديج هـذا غالبا ما يذكر منسوبا الى تجيب ولا ينسب الى السكون الا نادرا . وهـذا من باب

---

(٢٢٥) الانساب ٧٢ أ والقاموس المحيط : مادة : البرح .

(٢٢٦) النجوم جـ ١ ص ١١٠ .

(٢٢٧) فتوح مصر ص ١٢٨ .

(٢٢٨) القضاة ص ٣٨٩ .

(٢٢٩) مقدمة كست ص ٥ .

(٢٣٠) الولاة ص ١٥ ، ١٨ ــ ٢١ ، ٢٧ ــ ٣٠ .

الخطأ المشهور . وقد نبه ابن الأثير الجزرى (٢٣١) . الى ما فى نسبه من اختلاف ونص على أن النسبة الى السكون هى الصواب .

بمراجعة تاريخ الحديجيين فى مصر يتضح فى الحال ان اسرتهم كانت من أهم اسر الأشراف أو الطبقة الارستقراطية فى المجتمع المصرى طوال الفترة التى ندرس، فقد ظهر بعد عميدهم معاوية ابنه عبد الرحمن (ت ٩٥ هـ) الذى كان من كبار رجال الدولة الى جانب كونه من ائمة مصر المجتهدين (٢٣٢) . ولعل عبد الواحد بن عبد الرحمن هذا الذى ولى قضاء مصر (٨٩ — ٩٠ هـ) من أندر القضاة الذين عرفهم التاريخ ، فقد ولى القضاء وعمره خمس وعشرون سنة فما تعلق عليه بشيء (٢٣٣) . وولى أخوه عبد الله بن عبد الرحمن امرة مصر (١٥٢ — ١٥٥ هـ) بعد أن تقلب فى مناصب الشرطة ابتداء من ١١٩ هـ وأخمد الحركة العلوية التى تزعمها خالد بن سعيد الصدفى فى الفسطاط سنة ١٤٥ هـ (٢٣٤) .

وكان أخوهما محمد بن عبد الرحمن من اشراف مصر وقوادها وكبار موظفيها ، وقد انتهى الى أن ولى امرة مصر سنة ١٥٥ هـ (٢٣٥) . أما هاشم بن عبد الله بن عبد الرحمن ، فانه الى جانب كونه من كبار الموظفين (٢٣٦) . قد لعب دورا مهما فى قضية أهل الحرس (١٨٥ — ١٩٤هـ) (٢٣٧)وفى الدعوة الى خلع الأمين(١٩٥ — ١٩٨هـ).(٢٣٨) . وكان أخوه محمد بن عبد الله (ت ٢٢١ هـ) — وكان يعرف بزنين — صاحب دربين بالفسطاط وضيعة بالجيزة (٢٣٩) . وبدأ هبيرة بن هاشم ابن عبد الله حياته العامة بالاشتراك مع ابيه فى الدعوة الى خلع الأمين

---

(٢٣١) أسد الغابة جـ ٤ ص ٣٨٣ .
(٢٣٢) الولاة ص ٥٣ ، ٥٨ ، ٦٤ والقضاة ص ٣٢٤ — ٣٢٦ وحسن جـ ١ ص ١١٨ .
(٢٣٣) القضاة ص ٣٢٨ ، ٣٣٠ .
(٢٣٤) الولاة ص ٨١ ، ٩٣ ، ٩٨ ، ١١٠ — ١١٤ ، ١١٧ — ١١٨ .
(٢٣٥) المصدر نفسه ص ١٠١ ، ١١٦ — ١١٨ .
(٢٣٦) المصدر نفسه ص ١٢١ ، ١٣٩ ، ١٤٢ .
(٢٣٧) القضاة ص ٣٩٧ — ٤١٣ .
(٢٣٨) الولاة ص ١٤٨ .
(٢٣٩) الانتصار جـ ٤ ص ٢٩ .

سنة ١٩٥ هـ ، ثم ولى الشرط ثلاث مرات (٢٤٠) . وربما كان موقفه الرائع الى جانب ابراهيم الطائى الذى استجاره سببا فى وصوله الى مركز الزعامة بين المصريين ، هذه الزعامة التى انتهت بقتله سنة ٢٠٠ هـ فى الصراع بين المصريين والخرسانيين (٢٤١) .وولى حديج ابن عبد الواحد الاسكندرية سنة ١٩٨ هـ (٢٤٢) ووليها عمر بن هلال سنة ١٩٩ هـ كذلك (٢٤٣) ، ثم عاد فوثب عليها لصالح عبد العزيز الجروى ، واشترك فى الحوادث العنيفة التى قام بها الأندلسيون هناك وقتذاك ، وانتهى الأمر بقتله على صورة تجمع بين البطولة والمأساة(٢٤٤). أما معاوية بن عبد الواحد فولى الاسكندرية (٢٠٢ — ٢٠٣ هـ) ، ثم كان الرئيس العام لأهلها فى ثورة اسفل الأرض سنة ٢١٦ (٢٤٥) . وولى معاوية بن معاوية بن نعيم الشرط مرتين (٢٢٦ — ٢٢٨ هـ ، ٢٣٤ — ٢٣٥ هـ) (٢٤٦) .

أما مواليهم فيكفى ان كان منهم اسحق بن الفرات (ت ٢٠٤ هـ) ، أول من ولى قضاء مصر من الموالى (٢٤٧) .

هذا العرض لشخصيات الحديجيين فى مصر يبين أهمية هذه الأسرة ، فقد حفلت بعدد كبير من رجال الدولة والحرب والعلم وأثرت فى مختلف نواحى الحياة المصرية . أما من الناحية السياسية فقد أشرنا منذ قليل الى الدور الخطير الذى لعبه معاوية بن حديج فحول مصر الى ولاية اموية والواقع أن رجالات السكون قد ظلوا منذ ذلك التاريخ حتى نهاية الدولة الأموية يرسون قواعد الحكم العربى فى مصر ويثبتون دعائمه ويدافعون عن سلطان الدولة بعامة ، وذلك عن طريق الوظائف الكبرى التى تولوها ونهضوا باعبائها فى كفاءة واخلاص . ولاشك

---

(٢٤٠) الولاة ص ١٤٨ ، ١٤٩ ، ١٥٢ .

(٢٤١) انظر تفصيلات هذه الحوادث المثيرة فى الولاة ص ١٥٢ — ١٥٣ ، ١٥٩ — ١٦١ .

(٢٤٢) المصدر نفسه ص ١٥٣ .

(٢٤٣) الولاة ص ١٥٧ — ١٥٨ .

(٢٤٤) المصدر نفسه ص ١٥٧ — ١٥٨ ، ١٦١ — ١٦٣ .

(٢٤٥) المصدر نفسه ص ١٧٠ ، ١٩١ .

(٢٤٦) المصدر نفسه ص ١٩٦ ، ١٩٧ .

(٢٤٧) القضاة ص ٣٩٢ ، ٣٩٤ .

فى ان العباسيين كانوا يعلمون قدر رجال هذه الأسرة الذين كانوا « من أكابر المصريين من أعوان بنى أمية » (٢٤٨) . فأبقوا عليهم بالرغم من هذا ، وأعطوهم الأمان عندما طلبوه منهم (٢٤٩) . لما فتحوا مصر سنة ١٣٢ هـ . ويبدو ان الحديجيين كانوا ، نتيجة لمارستهم الحياة المنظمة منذ امد طويل ، يتمتعون بوعى سياسى رفيع جعلهم يفوقون غيرهم من العرب فى ادراك معنى الدولة ووجوب اقامة سلطانها ، فقد ظلوا على حالهم فى الدولة العباسية يلون المناصب الكبرى فى كفاءة واخلاص ويتعرضون للموت فى سبيل الدولة . وفى الصراع بين الأمين والمأمون وقفوا فى الناحية الأخرى المقابلة للعنصر الفوضوى المعادى للدولة (أهل الحوف) . ولاشك ان من آيات الثقة بالنفس والايمان بسلطان الدولة اقدامهم على ولاية الاسكندرية التى كانت تعج بالفتن فى أواخر القرن الثانى . ثم كان اشتراكهم فى ثورة اسفل الأرض — وهى ثورة كان لها مبرراتها من فساد اداة الحكم فى مصر باعتراف الخليفة المأمون نفسه (٢٥٠) . مظهرا جديدا لحرصهم على سلامة الدولة .

لم يكن اثر الحديجيين فى الحياة الاجتماعية أقل بروزا من اثرهم السياسى فقد ظلوا طوال حياتهم يحافظون على تقاليد الارستقراطية العربية ، وهى تقاليد النبالة بعامة . فقد حرص عميدهم معاوية على الثأر لعثمان ، كما حرص على حفظ روح الفروسية الحقيقية فى أولاده الذين لم تكن لسروجهم ركب انما يثبون على الخيل وثبا (٢٥١) . اما تحرش هاشم بن عبد الله بأهل الحرس وتمسكه بالفاء نسبهم المزور فدليل على حدة عصبيته الطبقية والجنسية معا . أما تفضيل هبيرة بن هاشم الموت على تسليم جاره الطائى فمثل من اروع امثلة الخلق العربى الأصيل الذى يعيد الى الاذهان قصة السموءل على نحو ما التفت سعيد بن عفير الذى أعجب بهذا الصنيع — وهو الشاعر العربى القح — اعجابا شديدا (٢٥٢) . ولا يقل روعة عن هذا حمية عمر بن هلال الذى آثر هو وأقاربه الرجال أن يدلوا أنفسهم من القصر ، وهو غير منيع ، الى اعدائهم على ان يقاوموا فيدخل الأعداء القصر

(٢٤٨ ، ٢٤٩) النجوم جـ ٢ ص ١٧ .
(٢٥٠) الولاة ص ١٩٢ والنجوم جـ ٢ ص ٢١٦ .
(٢٥١) فتوح مصر ص ١٤٣ .
(٢٥٢) الولاة ص ١٥٢ — ١٥٣ .

ويفضحوا حرمهم . وكان لهذا السلوك صدى عميق سجله ابن عفير كذلك فى شعره مقرونا بالاعجاب والتمجيد (٢٥٣) .

(د) تجيب :

بطن من السكون (٢٥٤) . وقد ذكرنا عند الحديث عن كندة ان تجيب كانت من أهم بطونها عندما هاجرت الى حضرموت وقت مولد النبى تقريبا . ويبدو أنها سارعت الى الاسلام فقد وصفها النبى فى حديث له بأنها « أجابت الله ورسوله » (٢٥٥) .

واغلب الظن انها كانت جزءا من الفرقة الحربية المكونة من السكون والتى شاركت فى فتح فارس . ثم سارت تجيب من هناك الى غزو مصر . ومن الواضح انها كانت احدى الوحدات الكبرى فى الجيش العربى الذى فتح عمرو مصر به (٢٥٦) . ويبدو أنها قامت بنصيب كبير فى الاستيلاء على بابليون دعا شاعرها الى الفخر :

وبابليون قد سعدنا بفتحها   وحزنا لعمر الله فيئا ومغنما (٢٥٧)

لم تكتف تجيب بالاقامة فى مصر فقد اتجهت نحو الغرب ، فكان منها قوم فى جبل برقة الغربى مع غيرهم من بطون العرب اليمنيين (٢٥٨) . ثم ساروا الى أسبانيا حيث أصبح لهم نفوذ كبير فى فترة ملوك الطوائف وفى عهد الخلفاء الأمويين سواء بسواء (٢٥٩) .

كانت تجيب فى كل حال من أوليات القبائل التى أقامت بمصر واختطت بها (٢٦٠) . ولما كانوا هم أخوال الحضارمة فقد أقام هؤلاء معهم أول الأمر (٢٦١) . ولكبر تجيب كان لها مرتبعان : الأول — وكان

---

(٢٥٣) المصدر نفسه ص ١٦٢ — ١٦٣ .
(٢٥٤) العقد جـ ٢ ص ٢٤٨ .
(٢٥٥) فتوح مصر ص ١٣٨ والانساب ص ١٠٣ ب .
(٢٥٦) مقدمة كست ص ٥ .
(٢٥٧) الخطط جـ ٤ ص ٥ .
(٢٥٨) كتاب البلدان ص ٣٣٢ .
(٢٥٩) Ency. Isl. II, p. 1019 & IV, p. 819.
(٢٦٠) فتوح مصر ص ١٢٥ و
(٢٦١) فتوح مصر ص ١٢٣ .

لمعظمهم — فى تمى (تمى الأمديد ، مركز السنبلاوين محافظة الدقهلية حاليا) (٢٦٢) . وبسطة ووسيم . والثانى — لطائفة منهم مع مراد — فى البدقون (٢٦٣) (كانت هذه الكورة تقع فى محافظة البحيرة الحالية شاغلة جزءا من جعيف والجزء الشمالى من مركز ايتاى البارود والجزء الجنوبى من مركز شبراخيت) (٢٦٤) . والذى يلفت النظر هنا ، سوى تعدد أماكن ارتباع تجيب ، تباعدها ، فهى متناثرة فى محافظات الدقهلية والشرقية والجيزة والبحيرة .

ومن الطبيعى أن نلتقى بشخصيات تجيب منذ اللحظات الأولى . فهناك أبو قبان الشاعر(٢٦٥) ، وعمار بن سعد التابعى(ت ١٠٥هـ) (٢٦٦) وبجاد الذى تولى احراق محمد بن أبى بكر سنة ٣٨ هـ (٢٦٧) ، وسليم بن عتر قاص مصر وقاضيها (ت ٧٥ هـ) (٢٦٨) . وهؤلاء جميعا من شخصيات الفتح .

ومن شخصيات القرن الأول عياض بن غنم أمير الاسكندرية سنة ٨٤ هـ (٢٦٩) ، وابن أبى ارطاة أحد شراة الاسكندرية الذين حاولوا اغتيال قرة بن شريك سنة ٩١ هـ (٢٧٠) ، وأبو عمران التابعى كانت الأمراء يقترضون منه (٢٧١) ، وشريح بن صفوان الذى قاد القراء فى ثورتهم على أمير مصر سنة ١١٧ هـ (٢٧٢) ، وابنه حيوة الفقيه (ت ١٥٨ هـ) (٢٧٣) وخالد بن يزيد (ت ١٦٨ هـ) كان من رجال

---

(٢٦٢) Toussoun, p. 34. والدليل الجغرافى ص ١٤٨ .

(٢٦٣) فتوح مصر ص ١٤٢ .

(٢٦٤) Toussoun, p. 16.

(٢٦٥) الخطط جـ ٤ ص ٥ .

(٢٦٦) حسن جـ ١ ص ١٠٦ .

(٢٦٧) الولاة ص ٢٩ .

(٢٦٨) القضاة ص ٣٠٢ — ٣١١ وحسن جـ ١ ص ١١٨ .

(٢٦٩) النجوم جـ ١ ص ٢٠٨ .

(٢٧٠) الولاة ص ٦٤ .

(٢٧١) حسن جـ ١ ص ١٠٥ .

(٢٧٢) الولاة ص ٧٨ .

(٢٧٣) فتوح مصر ص ٢٤١ ، والولاة ص ٧٩ والقضاة ص ٣٦٣ وحسن جـ ١ ص ١٢٠ .

الدولة المستبدين(٢٧٤) وبينما كان يوسف بن نصير (ت ١٦٨ هـ) (٢٧٥) من قواد دحية الثائر الأموى كان بحر بن شراحيل (٢٧٦) ، فى جيش الدولة ضد دحبة . ومحمد بن مسروق قاضى مصر القاسى (١٧٧ — ١٨٤ هـ) (٢٧٧) ، ودراج بن السمح التابعى (١٢٤ — ١٨٢ هـ) (٢٧٨) .

اما موالى تجيب فمنهم سعيد بن شريح (٢٧٩) وابو شبيب (٢٨٠) . وهما من شعراء القرن الثانى ، وابراهيم بن عبد الله الخفاف المحدث (ت ٢٠٥ هـ) (٢٨١) ومحمد بن رمح الحافظ (ت ٢٤٢ هـ) (٢٨٢) .

والآن نتحدث عن بطون تجيب فى مصر .

المعروف ان قبيلة تجيب تتكون من أبناء سعد وعدى ابنى اشرس (٢٨٣) وليست بطون تجيب فى الواقع سوى الأسر التى تفرعت اليها ذرية سعد وعدى هذين . وهذه الأسر هى التى نتكلم عنها الآن .

١ — بنو سعد :

شهدوا فتح مصر واختطوا بها (٢٨٤) . وكانت لهم مرحلة باسمهم فى الطريق الى الفسطاط . وبهذه المرحلة نزل سعد بن أبى وقاص عندما قدم الى مصر سنة ٣٥ هـ رسولا من عثمان الى الثوار المصريين . وذهب ابن أبى حذيفة زعيم الثوار ، يصحبه مائة منهم ، فقابله مقابلة عنيفة ارغمت ابن أبى وقاص على العودة الى المدينة ساخطا (٢٨٢)

---

(٢٧٤) الولاة ص ١٢٦ — ١٢٧ .
(٢٧٥) المصدر نفسه ص ١٢٦ ، ١٢٨ .
(٢٧٦) المصدر نفسه ص ١٣٠ .
(٢٧٧) القضاة ص ٣٨٨ — ٢٩٢ .
(٢٧٨) الانساب ص ١٠٣ ب .
(٢٧٩) الولاة ص ٨٧ .
(٢٨٠) القضاة ص ٤٢٣ — ٤٢٤ .
(٢٨١) الانساب ص ٢٠٤ أ .
(٢٨٢) معجم البلدان جـ ٢ ص ٣٦٧ وحسن جـ ١ ص ٤٢٦ .
(٢٨٣) العقد جـ ٢ ص ٢٤٨ ونهاية الارب ص ٣٧ ، ١٥٨ .
(٢٨٤) فتوح مصر ص ١٢٢ .
(٢٨٥) الولاة ص ١٦٠ .

وكان بنو عتاهية اهمهم واظهرهم بمصر . منهم مالك بن عتاهية الصحابى شهد الفتح (٢٨٦) . وعبد الرحمن بن حسان صاحب شرط عبد العزيز بن مروان (٧٦ – ٨٤ هـ) (٢٨٧) ، واخته امينة والدة زرعة بن معاوية الخولانى احد اشراف مصر (٢٨٨) ، وحفيده حسان بن عتاهية الصغير الذى ولى مصر سنة ١٢٧ هـ ، وضرب العباسيون عنقه لما فتحوا مصر اذ كان من امراء بنى أمية (٢٨٩) .

ومن الواضح اهميتهم ومكانتهم بمصر .

٢ – آل ايدعان بن سعد :

بطن من تجيب ، شهدوا فتح مصر واختطوا بها (٢٩٠) .

اهم من ظهر منهم بمصر كنانة بن بشر (ت ٣٦ هـ) . كانت له خطة وكان يملك « المقلد » احد سيفى تجيب . وكان من ابرز الثائرين على عثمان فى مصر ، فقد كان « راس الشيعة الأولى » كما كان احد القواد الستة للجيش المصرى الذى سيره ابن ابى حذيفة الى عثمان سنة ٣٥ هـ (٢٩١) .

وقد ظلوا مقيمين بمصر ، ولكن دون أن يبرز منهم احد بعد ذلك سوى ابى شجرة المحدث (ت ٢٦٨ هـ) (٢٩٢) .

والواقع أن موالى ايدعان هم الأكثر أهمية والأبقى أثرا فى الحياة المصرية . وقد لمعت منهم أسرة سليمان بن برد الشاهد الفقيه (٢٩٣) . طوال القرن الثالث . وظهر منهم بعد سليمان ابنه احمد (ت ٢٥٧ هـ) (٢٩٤) . وحفيده القاسم بن حبيش (ت ٢٤٥ هـ) (٢٩٥) ،

---

(٢٨٦) حسن جـ ١ ص ٩٦ .
(٢٨٧) الولاة ص ١٠ .
(٢٨٨) القضاة ص ٣٢٦ .
(٢٨٩) الولاة ص ٨٥ ، ٨٦ ، ٨٩ ، ٩٢ ، ٩٨ .
(٢٩٠) فتوح مصر ص ١٢٢ والانساب ص ٥٤ ب .
(٢٩١) فتوح مصر ص ١٢٥ ، والولاة ص ١٧ – ٢٠ والخطط جـ ٤ ص ١٤٨ .
(٢٩٢) الانساب ص ٥٤ ب .
(٢٩٣) القضاة ص ٤٢٢ ، ٤٣٦ والانساب ص ٥٤ ب .
(٢٩٤) القضاة ص ٤٦٨ ، ٤٦٩ والانساب ص ٥٤ ب .
(٢٩٥) الانساب ٧٣ أ

وحفيده أيضا احمد بن الرقاع (ت ٢٨٦ هـ) (٢٩٦) . وكلهم من أهل الرواية والعلم والشهادة .

٣ ـ خلاوة :

وتذكر بالحاء المهملة . من بنى سعد كذلك (٢٩٧) .

ظهر منهم بمصر زياد بن حناطة (ت ٧٥ هـ) . كان له قصر باسمه فى خطة تجيب . وكان من شيعة بنى أمية ، وأحد الاشراف الذين قاموا فى الصلح بين أهل مصر وبين مروان فى ثورة ابن جحدم سنة ٦٥هـ. وكان من كبار موظفى عبد العزيز بن مروان (٢٩٨) . وهناك كذلك ابن اخيه سعد بن مالك المحدث (٢٩٩) ، وقيس بن الأشعث (ت ١٢٤ هـ) من كبار الموظفين بمصر (٣٠٠) .

٤ ـ بنو الأعجم :

من بنى سعد . وقد شهدوا الفتح . واختطوا بالفسطاط (٣٠١) . ولسنا نعرف منهم سوى مواليهم الذين كان منهم أبو المهاجر البلهيبى من الموالى الاشراف وعريف موالى تجيب زمن معاوية (٣٠٢) . وعبد العزيز ابن سويد (ت ٢٠٤ هـ) كان شريفا ومن كبار الموظفين (٣٠٣) . وعبد ربه بن خالد (ت ٢٥٩ هـ) من الرواة (٣٠٤) .

٥ ـ بنو سوم :

من بنى عدى ، الفرع الآخر لتجيب (٣٠٥) . شهدوا فتح مصر واختطوا بها . وكانوا يملكون اثنين من أشهر خيل مصر : الذعلوق والخطار (٣٠٦) .

---

(٢٩٦) المصدر نفسه ص ٥٤ ب .

(٢٩٧) المصدر نفسه ص ١٨٢ أ ، ٢١٣ ب .

(٢٩٨) فتوح مصر ص ١٢٤ والولاة ص ٤٢ ، ٤٥ ، ٤٩ ، ٥١ .

(٢٩٩) الانساب ص ١٨٢ أ ، ٢١٣ ب .

(٣٠٠) الولاة ص ٨١ والانساب ٢١٣ ب .

(٣٠١) معجم البلدان جـ ٢ ص ٢٨٢ والانساب ص ٤٤ أ .

(٣٠٢) فتوح مصر : ص ٨٤ ومعجم البلدان : جـ ٢ ص ٢٨٢ والانتصار : جـ ٤ ص ٢٤ .

(٣٠٣ ، ٣٠٤) الانساب : ص ٤٤ أ

(٣٠٥) الولاة : ص ١٣٠ والانساب : ص ٣١٨ أ

(٣٠٦) فتوح مصر : ص ١٤٤ .

أشهرهم قيسبة بن كلثوم الذى جاء مع جيش الفتح فى عدد كبير من أهله وعبيده وخيله . ثم تنازل بلا مقابل عن المكان الذى احتله بجوار الحصن ليبنى فيه المسلمون مسجدهم الجامع . وكان هذا الصنيع سخاء استحق لأجله هو وابنه مدح الشعراء (٣٠٧) .

ومع انهم وقفوا مع ابن جحدم ضد مروان بن الحكم سنة ٦٥ هـ (٣٠٨) . فان أحدهم (ابراهيم بن الأومر) كان فى جيش الدولة ضد دحية بن مصعب الثائر الأموى سنة ١٦٩ هـ (٣٠٩) .

وكان مواليهم من أهل العلم والفقه ، منهم سليمان بن يحيى بن وزير (كان ظاهرا فى أواخر القرن الثانى) (٣١٠) ، وأبو زرعة المحدث الذى قيل انه قتل فى فتنة القراء سنة ٢١٧ هـ (٣١١) ، وأحمد بن يحيى ابن وزير (١٧١ — ٢٥٠ هـ) من فقهاء مصر وعلمائها الكبار (٣١٢) .

٦ — بنو انـدى :

والأرجح أنهم هم الذين ذكر السمعانى اسمهم مصحفا الى ابذو (٣١٣) .

وهم من بنى عدى فى كل حال (٣١٤) .

منهم أبو سويد بن قيس كانت له من عبد العزيز بن مروان منزلة (٣١٥) وكان عقبة بن مسلم (ت ١٢٠ هـ) القاص حليفا لهم (٣١٦) .

أما مواليهم فكان منهم عبد الرحمن بن يحنس الذى قتل عبد الله بن

---

(٣٠٧) الخطط : جـ ٤ ص ٥ .

(٣٠٨) فتوح مصر : ص ١٤٥ .

(٣٠٩) الولاة : ص ١٣٠ .

(٣١٠) القضاة : ص ٤٢١ .

(٣١١) معجم البلدان : جـ ٢ ص ١٥٥ والانساب : ص ٦٧ ب ، ٧٧ ا .

(٣١٢) طبقات الشافعية : جـ ١ ص ٢٢٣ وبغية الوعاة : ص ١٧٤ وحسن : جـ ١ ص ١١٧ . ومقدمة كست : ص ٢١ .

(٣١٣) الانساب : ص ١٦ أ .

(٣١٤) الولاة : ص ٥١ والانساب : ص ٥٠ أ .

(٣١٥) الانساب : ص ٥٠ أ

(٣١٦) الولاة : ص ٧١ وحسن : جـ ١ ص ١٠٩ .

الزبير سنة ٧٣ هـ فكافأه عبد العزيز بن مروان بسخاء (٣١٧) . وسالم بن غيلان (ت ١٥٣ هـ) كان من قواد مصر البحريين (٣١٨) .

٧ ـ بنو فهـــم :

يذكر الكندى انهم بنو « اذاة » ـ والأرجح أنه تحريف اندى ـ ابن عدى بن تجيب (٣١٩) . فهم على هـــذا بطن من عدى كذلك .

كان منهم قيس بن سلامة من أعوان محمد بن أبى بكر (٣٢٠) . والمهاجر ابن ابى المثنى زعيم الشراة الذين تعاقدوا بالاسكندرية على قتل قرة بن شريك سنة ٩١ هـ (٣٢١) .

٨ ـ بنو عــامر :

من بنى عــدى . شـــدوا الفتح واختطوا شرقى الحصـــن بمصر (٣٢٢) .

وكان عبد الله بن المهاجر الذى أخمد ثورة القبط سنة ١٥٦ هـ حليفا لهم (٣٢٣) .

٩ ـ زميـــــلة :

بطن من تجيب ، يذكرون احيانا باسم زميل (٣٢٤) .

يبدو أنهم كانوا من شيعة عثمان ثم الأمويين من بعد ، فان سلمة ابن مخزمة الذى شهد فتح مصر منهم ، وعميد أهم اسر هــذا البطن ، أبى ان يأخذ عطــاء من ابن ابى حذيفة لمــا اغتصب حكم مصر ، وذهب

---

(٣١٧) الولاة : ص ٥١ ، والقضاة : ٣٢١ والانساب : ص ٥٠ أ .
(٣١٨) الانساب : ص ٥٠ أ .
(٣١٩) الولاة : ص ٢٨ ، ٦٤ .
(٣٢٠) المصدر نفسه : ص ٢٨ .
(٣٢١) المصدر نفسه : ص ٦٤ .
(٣٢٢) فتوح مصر : ص ١٢٥ والولاة : ص ١١٩ والانساب : ص ٢٧٨ ب .
(٣٢٣) الولاة : ص ١١٩ .
(٣٢٤) المصدر نفسه : ص ٦٥ ، وفيـــات الأعيـــان : جـ ١ ص ١٦٠ ، والانساب : ص ٢٧٨ .

الى عثمان رسـولا من قبل شيعته بمصر ليخبره بأمرهم وبصنيع ابن ابى حذيفة (٣٢٥) . اما عبد الله بن قيس فقد استخلفه عتبة بن أبى سفيان على مصر سنة ٤٤ هـ ، وكانت فيه شـدة على بعض أهلها (٣٢٦) . وكان سعيد بن سلمة بن مخزمة (ت ١٥٢ هـ) من محدثى مصر (٣٢٧) .

اما موالى زميلة فأهمهم أسرة حرملة بن عمران المحدث المصرى (٨٠ — ١٦٠ هـ) (٣٢٨) . وكان ولاؤها لأسرة سلمة . ومنهم حفيد حرملـة يحيى بن عبد الله صـاحب مسـائل العمـرى قاضى مصر (١٨٥ — ١٩٤ هـ) (٣٢٩) . أما حرملة بن يحيى الفقيه الكبير صاحب الشافعى (١٦٦ — ٢٤٣ هـ) فلم يكن أهم أفراد هذه الأسرة فقط بل كان من أهم الشخصيات العلمية المصرية (٣٣٠) .

وكان عبد الوهاب بن خلف المحدث المصرى (ت بعد ٢٧٠ هـ) من مواليهم أيضا (٣٣١) .

١٠ — قتـيرة :

هم من تجيب . الأرجح ان مقسم بن بجرة ، أحد وجوه شـيعة عثمان بمصر سنة ٣٥ هـ ، وشيعة بنى امية سـنة ٦٤ هـ ، واحد منهم (٣٣٢) . ومنهم كذلك حبيب بن الشهيد (ت ١٠٩ هـ) (٣٣٣) . من ائمة مصر المجتهدين وفقيه طرابلس والمغرب كذلك (٣٣٤) .

---

(٣٢٥) الولاة : ص ١٥ ، ١٦ والانساب : ص ٢٧٨ أ .
(٣٢٦) الولاة : ص ٣٥ .
(٣٢٧) الانساب : ص ٢٧٨ أ .
(٣٢٨) وفيات الاعيان : جـ ١ ص ١٦٠ وحسن : جـ ١ ص ١١٠ .
(٣٢٩) القضاة : ص ٣٩٥ ، ٤١٨ .
(٣٣٠) وفيات الأعيان جـ ١ ص ١٥٩ وحسن : جـ ١ ص ١٢٣ والإنسـاب : ٢٧٨ أ وطبقات الشافعية : جـ ١ ص ٢٥٧ .
(٣٣١) الانساب : ص ٢٢٩ ب .
(٣٣٢) المصدر نفسه : ٤٤٣ أ .
(٣٣٣) الولاة : ص ١٥ ، ٤٢ .
(٣٣٤) حسن : جـ ١ ص ١١٩ والانساب : ص ٤٤٣ أ .

١١ ـ عبـــــاد :

بطن من تجيب نزل مصر (٣٣٥) .

نعرف منهم يحيى بن السائب روى عن مالك . وابنـــه شعيب (ت ٢١١ هـ) ، كان رجلا صالحا غلبت عليه العبادة (٣٣٦) .

ومن مواليهم سليمان بن ابى صالح كان من عمال الخراج بمصر زمن ابن الحبحاب . وابنه سلمة كان عاملا كذلك فى أيام المنصور(٣٣٧) .

١٢ ـ بنو القرنـــاء :

بطن من تجيب ، ومن الغريب أن يذكر السمعانى النسبة اليهم على انها القرمانى . والأرجح ان هـــذا تصحيف لكلمة : القرنانى (٣٣٨) .

وكان منهم شريك بن ســـويد شـــهد فتح مصر (٣٣٩) . وعميرة بن تميم ابن جزء صاحب الجب المعروف بجب عميرة ، وهو قريب من القاهرة يبرز اليه الحـــاج والعساكر . ومن المهم أن نلحظ أن الفرسان المصريين الذين اشتركوا فى معركة الخندق التى دارت بين ابن جحدم ومروان بن الحكم كانوا من جب عميرة هذا ، مما يدل على اقامة بعض بنى القرناء هنـــاك . وكان عميرة نفسه من بين هؤلاء الفرسان وقد قتل فى تلك المعارك (٣٤٠) .

١٣ ـ بنو الفصــــال :

يؤخذ من كلام الكندى أنهم من تجيب (٣٤١) .

منهم العباس بن عبدالرحمن صاحب شرطة مصر سنة ١٥٥ هـ(٣٤٢) .

١٤ ـ بنو فـــردم :

بطن من تجيب (٣٤٣) .

منهم أبو الدهمج ، رياح بن ذوابة ، الذى كان تحرشـــه هو

(٣٣٥ ، ٣٣٦ ، ٣٣٧) الانساب : ص ٣٨٠ ا .
(٣٣٨ ، ٣٣٩) المصدر نفسه : ص ٤٤٨ ب .
(٣٤٠) كتاب البلدان : ص ١٢٩ ، ومعجم البلدان : جـ ٣ ص ٤٦ ، الخطط : جـ ٣ ص ٣٦٥ ، والانساب : ص ٤٤٨ ب .
(٣٤١ ، ٣٤٢) الولاة : ص ١١٨ .
(٣٤٣) الانساب : ص ٤٢٣ ا .

وآخرين من أشراف العرب بأهل للحرس من اسباب اقدام أولئك على تزوير نسب عربي لأنفسهم (١٨٥ ــ ١٩٤ هـ) (٣٤٤) .

نستطيع الآن أن نرى في وضــوح الى حياة تجيب بمصر . ان كثرة عدد بطونها دليل بارز على ضخامة عدد من جاء منها . ولم تكن تجيب متفوقة من حيث العدد فحسب ، فان امتلاكها المقلد وعريض بني حديج، وهمامن أشهر سيوف العرب ، وامتلاكها الخطــار والدعلوق من أشهر خيلهم (٣٤٥) ... كان ذلك يهيىء لها تفوقا من نوع آخر . وكان اعفاء مسلمة بن مخلد اياها من الأمر الذى اصدره سنة ٥٣ هـ الى القبــائل ببناء منار المساجد كلها آية أخرى من آيات تميزها (٣٤٦) . ولكن تفوق هذه القبيلة يظهر في أحسن صــورة في تلك الحياة القوية المنتجــة الفعالة التي ظلت تجيب تمارسها في مصر طوال القرون الثلاثة الأولى . نقابل منها ومن مواليها في تلك الفترة حشدا كبيرا من الصحابة والتابعين والأمراء والموظفين الكبار والقادة والقضاة والفقهاء والرواة والشــعراء والثوار . وشــواهد القبور تشير في سخاء الى كثرتهم بمصر في القرن الثالث (٣٤٧) ، مما يدل على انهم افلحوا في الاحتفاظ ببقائهم على نحو قوى حتى ذلك الحين . ولكن مما يلفت النظر أن مشاهير القرن الثالث هم في الواقع من مواليها .

من الطبيعي اذن أن تتمتع تجيب بالشهرة بين القبائل الأخرى ، حتى انها كانت قريبة الى السنة الشعراء حين يتحدثون عن مصر . وقد رأينا عمران بن حطــان يذكرها وهو يرحب بالخوارج من أهل العراق الذين نفاهم زياد الى مصر (٤٥ ــ ٥٣ هـ) (٣٤٨) . وذكرها جميل وهو يتحدث عن بثينة حين سكنت مصر .

مجــاورة بمسكنها تجيبا   وما هي حين تسأل من مجيب (٣٤٩)

كما ذكرها عبد الرحمن بن الحكم وهو يصف هول المعــارك بين أخيه وبين ابن جحدم سنة ٦٥ هـ :

---

(٣٤٤) القضاة : ٣٩٧ والانساب : ٤٢٣ أ .

(٣٤٥) فتوح مصر : ص ١٢٥ ، ١٤٤ .

(٣٤٦) الولاة : ٣٨ ، ٣٩ والانتصار : جـ ٤ ص ٦٣ .

(٣٤٧) Rép. Chro. I, pp. 126 — 127, 131, 169 — 170, 177, 209. 321, 323, 260, 267, 279 — 280 & II, pp. 94, 87, 89, 124, 155 — 156, 170.

(٣٤٨) انظر ص ١٥٠ ، ١٥١ من هذا البحث .

(٣٤٩) معجم البلدان : جـ ٨ ص ٧٦ ــ ٧٧ .

وجاشت لنا الأرض من نحوهم   بحيى تجيب ومن غافق (٣٥٠)

وقد اتصلت تجيب بالحياة فى مصر اتصالا قويا منذ البداية . فهى قد اشتركت بقسط كبير فى الفتح . ولما كانت فتنة عثمان سنة ٣٥ هـ لعبت تجيب دورا رئيسيا . فكان منها كنانة بن بشر الايدعى أحد كبار زعماء الفتنة . وكان فى زقاق زويلة بالفسطاط المسجد الذى يقال أن تجيب تعاقدت فيه على قتل عثمان (٣٥١) . ووقف بنو سعد موقفا سلبيا من اعتداء ابن أبى حذيفة على ضيفهم سعد بن أبى وقاص . وكان أحدهم (قيس بن سلامة ، من بنى فهم بن أندى) من أعوان محمد بن أبى بكر (٣٧ — ٣٨ هـ) . وفى سنة ٦٥ هـ اشتركت تجيب بحييها كليهما : سعد وعدى ، على ما ذكر عبد الرحمن بن الحكم فى قصيدته ، مع ابن جحدم ضد مروان بن الحكم . اما الشراة الذين تآمروا على اغتيال امير مصر قرة بن شريك بالاسكندرية سنة ٩١ هـ فكان زعيمهم المهاجر بن أبى المثنى وأحدهم ، ابن أبى أرطاة ، كلاهما من تجيب . ولما قتل الوالى الوليد بن رفاعة وهيبا الشارى سنة ١١٧ هـ ثار القراء عليه وحاربوه يتزعمهم واحد من تجيب هو شريح بن صفوان . وكان من ضحايا هذه الثورة أبو زرعة المحدث مولى تجيب . وفى ١٢٩ — ١٣٠ هـ بايع ناس منها للثائر الاباضى عبد الله ابن يحيى طالب الحق ، وكان نصيبهم القتل (٣٥٢) .

ومما لا يتفق مع اتجاهها العام انضمامها الى السرى بن الحكم سنة ٢٠٢ هـ ضد الثائرين على المأمون وولى عهده العلوى ، ولكنها سرعان ما تخلت عنه (٣٥٣) .

والى جانب هذا الاتجاه الثورى نجد اتجاها مدنيا مثله سلمة بن مخزمة الزميلى الذى وقف ضد ابن أبى حذيفة ومقسم بن بجرة الفتيرى الذى كان من وجوه العثمانيين (٣٥ — ٦٤ هـ) . فى حين كان زياد بن حناطة الخلاوى (ت ٧٥ هـ) من شيعة بنى امية وكبار موظفيهم .

---

(٣٥٠) الولاة : ص ٤٤ .
(٣٥١) الانتصار : جـ ٤ ص ١٧ .
(٣٥٢) الولاة : ص ٢٠ ، والخطط جـ ٤ ص ١٥٢ والنجوم جـ ١ ص ٣٠٩ — ٣١١ .
(٣٥٣) الولاة : ص ١٦٩ .

وكان بنو عتاهية السعديون من كبار أتباع الأمويين . بل كان عبد الرحمن بن يحنس قاتل ابن الزبير (٧٣ هـ) من مواليهم .

نفهم من هذا أن تجيب ، شأنها شأن معظم القبائل المصرية ، ثارت على عثمان متأثرة بدعاية الجماعة التى كان ينتمى اليها ابن أبى حذيفة والواقع أن الأمر انتهى بأهل مصر جميعا الى أن أصبحوا من شيعة على فيما عدا أنصار عثمان الذين اعتصموا بخربتا (٣٥٤) . ولكن معاوية ، زعيم العثمانيين فى العالم الاسلامى حينذاك ، لم يلبث أن انتزع مصر من سلطان على سنة ٣٨ هـ وانتقم من أهلها ، وقتل ثمانين من تجيب ، وبذلك تعادل العلويون والعثمانيون فيها ، فكان جندها وأهل شوكتها عثمانية ، وكثير من أهلها علوية (٣٥٥) . والأرجح أن تجيب ظلت فى معظمها محتفظة بميولها العلوية . وجعلت فكرة الخوارج تتسرب بعد ذلك الى مصر ، ويبدو أن نشاطها اشتد فيما بين ٤٧ ، ٦٢ هـ (٣٥٦) . ولم يكن ابن الزبير يظهر ويدعو لنفسه حتى استعلن خوارج مصر المستترون وانضموا الى ابن الزبير وهم يظنونه من مذهبهم ، واشتركت قبائل مصر ، ومن بينها تجيب مع ابن جحدم والى مصر من قبل ابن الزبير ، ضد مروان بن الحكم . والحق اننا لا نستطيع أن نعين ما اذا كان اتجاه تجيب علويا أو خارجيا حينذاك . فالاتجاهان كلاهما كانا بارزين ومتحدين فى مقاومة الاتجاه العثمانى الذى كان يمثله مروان وعدد من أشراف مصر كان بعضهم من تجيب . وبذلك صار أهل مصر حينذاك ثلاث طوائف متعادلة : علوية وعثمانية وخوارج (٣٥٧) ولكن انتصار مروان أخلى السبيل للعثمانية فغلبت على مصر ، وانكفت السنة العلوية والخوارج (٣٥٨) . ويبدو أن تجيب سايرت الوضع الجديد وان ظل جزء محتفظا بميوله الخارجية ليثور على الدولة بين الحين والحين .

---

(٣٥٤) الخطط : جـ ٤ ص ١٤٦ والنجوم : جـ ١ ص ١٠٧ .
(٣٥٥) الولاة : ص ٢٨ ـ ٣٠ ، والخطط : جـ ٤ ص ١٥١ والنجوم : جـ ١ ص ١٠٩ ـ ١١١ .
(٣٥٦) الخطط : جـ ٤ ص ١٥١ .
(٣٥٧) الولاة : ص ٤٠ ـ ٤٤ والخطط : جـ ٤ ص ١٥١ والنجوم : جـ ١ ص ١٦٥ ـ ١٦٧ .
(٣٥٨) الخطط : جـ ٤ ص ١٥٢ .

وكان لتجيب أثرها كذلك فى الجانب العلمى من الحياة فى مصر ، فأسرتان من مواليها ـ أسرة حرملة بن عمران (القرن الثانى والثالث) ، واسرة سليمان بن برد (القرن الثالث) ـ حفلتا بالفقهاء والشهود .

كما انها شاركت فى الحياة الفنية بشعراء ثلاثة : أبو قبان ، سعيد ابن شريح ، وأبو شبيب .

وهكذا نستطيع ان نجزم بأن تجيب كانت من قبائل مصر البارزة التى اثرت فى مجرى الأمور بها وتركت طابعها فى كثير من جوانب حياتها.

بهذا نفرغ من القبيلة الأولى من عدى .

٢ ـ لخم

كانت لخم قد انتشرت قبل الاسلام بقرنين فوق الأراضى الواقعة شمالى شبه الجزيرة فى الشام وفلسطين والعراق (٣٥٩) . ولذلك كانت قبائل منها تقيم ، فى الوقت الذى سار فيه عمرو الى مصر ، فى جبل الحلال الواقع دون العريش من ناحية الشام . ولما مر عمرو بهذا الجبل فى طريقه الى مصر انضم اليه بعض هذه القبائل (٣٦٠) . وهكذا دخلت لخم مصر منذ أول لحظة مع جيش الفتح .

ومن الثابت أن لخما كانت كثيرة العدد ، فان خططها تبدو فى وصف ابن‌عبد الحكم كبيرة جدا . والواقع‌انها كانت ثلاث خطط لا واحدة(٣٦١). وقد جعلوا يتحركون ـ اعتمادا على كثرتهم وقوتهم ـ من خطتهم الأصلية وهى فى جبل ، متجهين نحو الأرض الخصبة « أرض الحرث والزرع » ، مصطدمين فى أثناء ذلك بالقبائل الأخرى ويحصب بالذات (٣٦٢) .

---

(٣٥٩) Ency. Isl. III, p. II

(٣٦٠) فتوح مصر : ص ٥٨ ، معجم البلدان : جـ ٣ ص ٣٠٩ .

(٣٦١) فتوح مصر : ص ١١٩ ، والانتصار : جـ ٤ ص ٣ ، حفريات الفسطاط : ص ٢٢ .

(٣٦٢) فتوح مصر : ص ١٢٨ .

ومما امتازت به لخم أول الأمر ان كان منها نفر من اللفيف (٣٦٣). وكان لها فرس يقال له « أبلق لخم » من خيول مصر المشهورة (٣٦٤).

ومن آيات كثرتها ان كانت ترتبع فى كور ثلاث : الفيوم وطرابية وفربيط (٣٦٥) . وأن قبيلة خشين ـ من قضاعة ، من حمير ـ ظلت تتبعها فى الديوان حتى سنة ١٠٢ هـ (٣٦٦) .

وكانت لخم كثيرة الحركة ، فقد نزلت طائفة منهـا هى وجذام وخشين أكناف صان (الكورة التى تحمل عاصمتها اسم صان الحجر الحـالى بمركز فاقوس محافظة الشرقية) (٣٦٧) وابليل (كورة مجاورة لصان وتذكر معها دائما) (٣٦٨) وطرابيـة . ويبدو انهم اندمجوا فى المصريين ، فانقطعت صلتهم بزملائهم العرب ، فانهم « لم يحفظوا »(٣٦٩). وأقـام جانب ضخم منهم بالاسكندرية حيث لعبوا أخطر الأدوار فى تاريخها وتاريخ مصر بعامة فى أواخر القرن الثانى وأوائل الثالث (٣٧٠) . كما أقام قوم منهم بصعيد مصر بالبر الشرقى (٣٧١) . وسـوف يتضح هذا عند الحديث عن بطون لخم . بل انهم زحفوا غربا فأقاموا فى جبل برقة الشرقى مع آخرين من أهل اليمن (٣٧٢) .

ظهرت شخصيات لخم على مسرح الحيـاة بمصر منذ اللحظـة الأولى ، فكان هناك لقيط بن عدى الصحابى من قواد عمرو (٣٧٣) . والقائد عمرو بن قيس الذى قتل « فى جمع من الناس كثير » لمـا نزلت الروم البرلس سنة ٥٣ هـ (٣٧٤) .

---

(٣٦٣) الانتصار : جـ ٤ ص ٤ .
(٣٦٤) فتوح مصر : ص ١٤٤ .
(٣٦٥) المصدر نفسه : ص ١٤٢ .
(٣٦٦) الولاة : ص ٧١ .
(٣٦٧) Toussoun, p. 33. والدليل الجغرافى : ص ١٢٨ .
(٣٦٨) معجم البلدان : جـ ١ ص ٩١ و جـ ٥ ص ٣٣٤ .
(٣٦٩) فتوح مصر : ص ١٤٢ ـ ١٤٣ .
(٣٧٠) الولاة : ص ١٥٣ ، ١٦٢ ـ ١٦٣ وسير الآباء البطاركة : المجلد الأول : ص ٥٤٢ ، ٥٤٤ .
(٣٧١) نهاية الارب : ص ٣٣٢ .
(٣٧٢) كتاب البلدان : ص ١٣٢ .
(٣٧٣) حسن : جـ ١ ص ٩٦ .
(٣٧٤) فتوح مصر : ص ١٢٤ والولاة : ص ٣٨.

وكانت لخم علوية الهوى . فكان منها قيس بن حرمل من قـادة ابن ابى حذيفة (٣٧٥) . وحمام بن عامر الذى حضر الدار وحكم مصر نيابة عن الأشتر النخعى سنة ٣٧ هـ (٣٧٦) . اما الأكدر ابنه ، سيد لخم وشيخها ، فقد حضر الدار مع ابيه وقاوم مروان بن الحكم مقاومة عنيفة جعلت مروان يبدأ بالتخلص منه بمجرد فراغـه من أمر ابن جحدم سنة ٦٥ هـ (٣٧٧) .

وكان للخم شعراؤها . ومنهم زيـاد بن قائـد من المخضرمين ، شهد الفتح وعاش حتى رثى الأكدر (٣٧٨) .

ولمـا فتح مروان مصر استسلمت لخم واصبحت — ولاسـيما مواليها النصيريين — من انصار الأمويين . فلما بدات الدعوة العباسية تهز اركان الدولة الأموية شاركت لخم فى اسقاط الأخيرة . فكان أيوب بن برغوث من رؤسـاء فتنة خلع مروان بمصر (١٢٧ — ١٢٨ هـ) (٣٧٩) . ووالوا العباسيين فكان الضحاك بن محمد — أحد أشراف أهل مصر — من أعوان العباسيين وقادتهم (١٣٦ — ١٣٧ هـ) (٣٨٠) .

ويبدو أن العباسـيين قد استحضروا عـددا منهم الى مصر من فلسطين سنة ١٦٩ هـ (٣٨١) . وظلت لخم طوال ربع القرن المحصـور بين أواخر القرن الثانى وأوائل الثالث تلعب دورا ثوريا عنيفا بمصر وبالاسكندرية بالذات التى كانت لخم أعز من فى ناحيتها . فقد اسـتولوا (١٩٦ — ١٩٨ هـ) على الاسكندرية . ولمـا نزل الأندلسيون الاسكندرية حالفتهم لخم ثم عادوا فانقلبوا عليهم وحاربوهم سنة ٢٠٠ هـ . وكان أبو ثور اللخمى زعيم العرب المقيمين فى محلة أبى الهيثم من شرقيون (مدينـة بحوف مصر (٣٨٢) ، يضعهـا كست فى كورة سـخا باسـفل

---

(٣٧٥) الولاة : ص ١٩ .
(٣٧٦) المصدر نفسه : ص ٢٦ .
(٣٧٧) المصدر نفسه : ص ٢٦ ، ٤٣ — ٤٦ وحسن : جـ ١ ص ٧٤ — ٧٥ .
(٣٧٨) الولاة : ص ٤٦ وحسن : جـ ١ ص ٨٦ .
(٣٧٩) الولاة : ص ٩٠ .
(٣٨٠) المصدر نفسه : ص ١٠٢ ، ١٠٣ .
(٣٨١) الولاة : ص ١٢٩ .
(٣٨٢) معجم البلدان : جـ ٥ ص ٢٥٥ .

الأرض) ، واشترك فى ثورات ابن الجروى (٢٠٥ ـ ٢٠٦ هـ) ثم فى ثورة أسفل الأرض سنة ٢١٦ هـ ، التى اشترك فيها اللخميون المقيمون بالاسكندرية كذلك (٣٨٣) . هـذا وقد كان قوم من لخم ثاروا بالحوف سنة ٢١٥ هـ فهزمهم والى الحوف (٣٨٤) .

وبالرغم من الطابع الحربى الذى ساد لخما ظهر فيها بعض رجال الفكر مثل طليب بن كامل (ت ١٧٣ هـ) من ائمة مصر المجتهدين وقد سكن الاسكندرية (٣٨٥) . وطلق بن السمح النفاط (ت ٢١١ هـ بالاسكندرية) محدث ومن رجال الأسطول المصرى ، وابنه ابراهيم ، روى عن ابيه وكان من رجال الأسطول كذلك (٣٨٦) .

وكما كانت لخم من قبائل مصر القوية كان مواليها كذلك . وكان النصيريون ـ أولاد موسى بن نصير ـ أهم هؤلاء الموالى . اما موسى نفسه (ت ٩٧ هـ) فقد أقام بمصر زمنا مع عبد العزيز بن مروان وزيرا له ومشيرا ثم انطلق الى المغرب يفتتحه (٣٨٧) ، بينما ظل احفاده بمصر يلعبون بها أهم الأدوار . فولى عبد الملك بن مروان خراج مصر ، ثم ولى صلاتها سنة ١٣٢ هـ (٣٨٨) فى تلك الفترة الدقيقة عندما كانت الأمور تتسرب من أيدى الأمويين الى العباسيين . وولى أخاه معاوية الشرط (٣٨٩) . كما استعان بموسى بن المهند القائد لاخماد ثورة القيسية فى الحوف الشرقى سنة ١٣٢ هـ ضد الأمويين (٣٩٠) . وقد بلغ هؤلاء النصيريون من الكفاءة والمهارة مبلغا جعل العباسيين يبقون عليهم ويحفظون عليهم مكانتهم الرفيعة فى الدولة . على نحو ما فعلوا مع الحديجيين (٣٩١) . وكان للنصيريين مواليهم شأنهم شأن

---

(٣٨٣) الولاة : ص ١٥٣ ، ١٦٣ ، ١٧٣ ، ١٩١ والآباء البطاركة الأول : ص ٥٤٢ ، ٥٤٤ .

(٣٨٤) الولاة : ص ١٨٩ .

(٣٨٥) حسن : جـ ١ ص ١٢١ .

(٣٨٦) الانساب : ص ٥٦٥ ب ـ ٥٦٦ أ .

(٣٨٧) فتوح مصر : ص ٢٠٣ ـ ٢٠٤ والولاة : ص ٤٧ ، ٥٢ ـ ٥٣ .

(٣٨٨) الولاة : ص ٩٢ ـ ٩٤ ، ٩٦ ، ٩٨ ، ١٠١ .

(٣٨٩) المصدر نفسه : ص ٩٣

(٣٩٠) المصدر نفسه : ص ٩٤ .

(٣٩١) المصدر نفسه : ص ٩٨ ، ١٠١ وانظر كذلك ص ١٧٩ من هذا البحث .

الأشراف اهل الطبقة الارستقراطيـة فى المجتمع العربى . وكان لموالى النصيريين زقاق باسمهم فى الفسطاط (٣٩٢) .

والآن نتحدث عن بطون لخم فى مصر .

(أ) راشـــدة :

من أبرز القبائل التى انضمت الى جيش عمرو عندما مر بجبـل الحلال (٣٩٣) . وشهدت الفتح من أوله طبعا . واختطت بمصر . ويبدو أن خطتها كانت بظـاهر ، أى خارج ، الفسطاط حيث كان مسجد راشدة المنسوب اليهم (٣٩٤) .

ويبدو أنها كانت كثيرة العدد ، اذ كان منها فى مصر عدد كبير من البطون . وكانت تمثل جانبا كبيرا من القسم الذى عاش من لخم بالصعيد فقد أقامت بطونها بالبر الشرقى من صعيد مصر فيما بين مسجد موسى وأسكر من عمل اطفيح (٣٩٥) ، وهى المنطقة التى كان الأمويون يكثرون من التردد عليها (٣٩٦) .

وانضمت راشدة ، شأنها شأن لخم كلها ، الى على بن أبى طالب ، وحاربت مع محمد بن أبى بكر ضـد جيوش معاوية العثمانية . فلمـا انهزم المصريون فى المسناة سنة ٣٨ هـ لجئوا الى حصن بابليون وولوا أمرهم واحدا من راشدة (قيس بن عدى بن خيمة) (٣٩٧) .

(ب) بنو القشـيب :

يبدو انهم اقاموا منذ وقت مبكر جدا فى بركوت من شرقية أرض مصر (٣٩٨) .

---

(٣٩٢) الانتصار : جـ ٤ ص ١٩ .
(٣٩٣) فتوح مصر : ص ٢٨ .
(٣٩٤) المصدر نفسه : ص ١٢٨ ونهاية الارب : ص ٢١٥ .
(٣٩٥) نهاية الارب : ص ٤٠ ، ١٨٨ ، ١٩٠ ، ٢١٥ .
(٣٩٦) انظر ص ٨٦ ، ٨٧ من هذا البحث .
(٣٩٧) الولاة : ص ٢٩ — ٣٠ .
(٣٩٨) الانساب : ص ٧٥ ب .

وأهم — ان لم يكن كل — من عاش منهم بمصر هم رباح بن قصير (٣٩٩) . وذريته الذين كان منهم على بن رباح (ت ١١٤ هـ) كان من علماء زمانه (٤٠٠) . أما ولده موسى بن على (ت ١٦٣ هـ) فكان من مشاهير أتباع التابعين بمصر الى جانب كونه من كبار رجال الدولة ، وقد حكم مصر (١٥٥ — ١٦١ هـ) وكان من سكان الاسكندرية (٤٠١) . مما يدل على وجود صلة مستمرة بين أهل الصعيد وأهل الاسكندرية من لخم . وكان ابنه عبد الرحمن بن موسى (١٦٨ —١٨٦ هـ)من رجال الدولة البارزين فى العصر العباسى كذلك (٤٠٢) .

(جـ) يشكر :

شهدت فتح مصر . واليهم ينسب جبل يشكر الذى بنى عليه جامع أحمد بن طولون فيما بعد (٢٦٣ هـ) ، لانهم اختطوا عليه . وكانت خطتهم تلك تقع عند ذاك فى الحمراوات الثلاث وهى خطط القبائل من غير الجنس العربى (٤٠٣) .

(د) بنو حدير :

بطن من بنى جعد ، من لخم .

مساكنهم بالأطفيحية بالبر الشرقى (٤٠٤) .

(هـ) بنو عدى :

مساكنهم بساحل اطفيح كذلك (٤٠٥) .

وننتقل الى القبيلة التالية من عدى .

---

(٣٩٩) معجم البلدان : جـ ٢ ص ١٥١ والانساب : ص ٧٥ ب .

(٤٠٠) فتوح مصر : ص ١١٨ ، الولاة : ص ٥٤ ، وحسن : جـ ١ ص ١١٩ والانساب : ص ٥٥٣ أ .

(٤٠١) الولاة : ص ١١٨ — ١٢٠ ، وحسن : جـ ١ ص ١٣ والانساب : ص ٤٩٥ أ ، ب .

(٤٠٢) الولاة : ص ١٢٦ ، ١٣١ ، ١٣٤ ، ١٤٠ .

(٤٠٣) فتوح مصر : ص ١٢١ ، والانتصار : جـ ٤ ص ٥ ، ونهاية الارب : ص ٣٦٠ والخطط : جـ ٤ ص ٣٥ ، وحفريات الفسطاط : ص ١٢ ، ٢٢ .

(٤٠٤) نهاية الارب : ص ١٦٢ .

(٤٠٥) المصدر نفسه : ص ٢٩١ .

٣ ـ جـــــذام

كانت جذام عصبة من البدو يحتلون الصحارى الواقعة فيما بين الحجاز والشام ومصر . وكانوا يرتزقون من ارشـــاد القوافل فى الطرق التجارية التى تربط ما بين جزيرة العرب والشام ومصر .

وادى اختلاطهم المستمر بالشام ومصر الى انتشار الأفكار المسيحية بينهم منذ زمن مبكر . وفى السنين الأولى للهجرة نجـدهم على رأس المستعربة أو العرب المتنصرة حلفـاء البيزنطيين . وكانت مسيحيتهم فى كل حال سطحية . وكانت علاقاتهم الأولى بالاســلام غير ودية على الاطلاق ولكنهم اثبتوا بعد احراز المسلمين النصر النهـائى على البيزنطيين انهم حلفاء مخلصـــون للعرب ، وساعدوهم مساعدة عظيمة فى اكمال فتح الشام . وكان نتيجة ذلك أن عوملوا كمهاجرين (٤٠٦) .

وجذام من قدماء عربان مصر ، قدموا مع عمرو بن العاص (٤٠٧) . وهم يتفقون مع لخم فى أمور كثيرة بحكم الصلة القديمة القوية بينهما فقد كان نفر منهم معها فى خطتهـــا (٤٠٨) . وكان نفر منهم فى اللفيف مثلها (٤٠٩) . وكانوا يرتبعون فى طرابية وفربيط (٤١٠) . وهما جزء من مرتبع لخم . وكذلك نزل قوم منهم أكناف صان وأبليل وطرابيـــة مع خشين ولخم فلم يحفظوا (٤١١) . ويذكر الكندى أن نفرا منهم اختصموا الى عبد الله بن ســـعد أمير مصر فحولهم الى عثمـــان بن قيس يقضى بينهم (٤١٢) . وقد تحركوا من مصر نحو الغرب فأقام بعضهم فى جبلى برقة الشرقى والغربى ، كما كان بعضهم يسكن العريش (٤١٣) .

ليس لدينا معلومات عن جذام مصر وقت الفتح وطوال القرن الأول أكثر من تلك ولكن الصلة القوية القديمة بينها وبين لخم تعطينا الحق

---

(٤٠٦) Ency. Isl. I, p. 1058 — 1059.

(٤٠٧) نهاية الارب : ص ١٧٤ والبيان : ص ٢٧ .

(٤٠٨) فتوح مصر : ص ١١٩ .

(٤٠٩) الانتصار : جـ ٤ ص ٤ .

(٤١٠ ، ٤١١) فتوح مص : ص ١٤٢ ـ ١٤٣ .

(٤١٢) القضـــاة : ص ٣٠٢ .

(٤١٣) كتاب البلدان : ص ١١٨ و ١٣٢ .

فى أن نفترض انها سلكت نفس الطريق الذى سلكت لخم ، بمعنى انها كانت علوية الهوى ، اشتركت فى التخلص من عثمان وقاومت الأمويين حتى عاد مروان ففتح مصر سنة ٦٥ هـ . ومن المهم أن نلحظ ان روح ابن زنباع ، زعيم جذام بفلسطين والشـام واحد كبار رجـال الدولة الأموية ، كان فى جيش مروان الذى غزا به مصر وقتذاك (٤١٤) . ويبدو أن روحا هـذا خلف عددا من بنيه بمصر كانوا يؤيدون السياسـة الأموية بها .

وكانت الصلة قائمة وقوية بين من بفلسطين ومن بمصر من جذام فلما ثار ابن نعيم الجذامى على مروان الحمار بفلسطين سنة ١٢٧ هـ دعـا المصريين الى مشاركتهم وارسـل اليهم رسولا حرضهم على خلع مروان . فلما فشلت حركته أراد الالتجاء الى مصر (٤١٥) . ولمـا ثار ابن ضبعان الجذامى سنة ١٣٧ هـ بفلسطين كذلك يبدو ان الجذاميين بمصر ايدوه فان العباسيين تتبعوا ذرية روح بن زنباع بمصر حينذاك وأبادوهم (٤١٦) .

ومنذ اواخر القرن الثانى جعلت جذام تلعب نفس الدور الثورى الفوضوى الذى لعبته لخم فى مصر . فظهر منها (١٩٠ — ١٩١ هـ) المنذر بن عابس قاطع الطريق (٤١٧) . وقاد أحدهم (عثمان بن مستنير) أهل نتووتمى فى ثورتهم على الدولة سـنة ١٩٤ هـ (٤١٨) . كما اشترك عثمان هذا فى مقاومة الدعوة الى المـأمون بمصر سنة ١٩٦ هـ (٤١٩) . وحرضوا عبد العزيز الجروى على أن يجرب حظه فى السياسـة المصرية ووقفوا وراءه فى جميع أدواره العنيفة المـاكرة التى مثلها على مسرح الحياة فى مصر (١٩١ — ٢٠٥ هـ) (٤٢٠) . كما اشتركوا فى الفتن التى ظلت تضطرم فى الاسكندرية منذ سنة ١٩٦ هـ حتى ثورة أسـفل

---

(٤١٤) الولاة : ص ٤٣ والنجوم : جـ ١ ص ٢٠٥ .
(٤١٥) الولاة : ص ٨٥ — ٨٧ .
(٤١٦) المصدر نفسه : ص ١٠٣ — ١٠٥ .
(٤١٧) المصدر نفسه : ص ١٤٣ — ١٤٤ .
(٣١٨) المصدر نفسه : ص ١٤٧ .
(٤١٩) المصدر نفسه : ص ١٤٩ .
ص ٥٤٢ ، ٥٤٤ .
(٤٢٠ ، ٤٢١) المصدر نفسه : ص ١٥١ — ١٧٢ وسير الآبـاء : مجلد اول :
ص ٥٤٢ ، ٥٤٤ .

الأرض الكبرى سنة ٢١٦ هـ (٤٢١) . ثم عادوا فاشتركوا مع يحيى الجروى فى ثورته سنة ٢١٨ هـ بسبب قطع العطاء عن العرب (٤٢٢) .

وبالرغم من الطابع العنيف الذى وسم حياة جذام بمصر ، ظهر منهـا بكر بن سـوادة (ت ١٢٨) (٤٢٣) وعثمـان بن الحـكم (ت ١٦٣ هـ) (٤٢٤) من ائمة مصر المجتهدين .

اما مواليهم فكان اشـهرهم ابن سـندر الخصى ، قـدم مصر سنة ٢٢ هـ ، واقطعه عمر بن الخطاب أرضا واسعة ودارا (٤٢٥) .

وعاش من جذام فى مصر البطون الآتية :

(ا) جـــرى :

ويســمون عرب القـاطع كذلك ، كانوا يقيمون بالفرما والبقـارة والورادة (٤٢٦) .

ظهر منهم بمصر معاوية بن مالك الذى راس قيسا واليمانيـة فى حلفهم ضد الوالى سنة ١٦٨ هـ (٤٢٧) . ولكن لاشك فى ان عبد العزيز بن الوزير ـ ملك الساحل (٤٢٨) ـ وذريته هم أهم هـذا البطن ان لم يكونوا أهم جـذام جميعا . وقـد ظل عبد العزيز من ١٩١ هـ حتى ٢٠٥ هـ العامل الرئيسى فى السياسة المصرية (٤٢٩) . وظل ابنه على حتى ٢١٦ هـ يواصـل سياسة أبيه (٤٣٠) . وثار أخوه يحيى بن الوزير على الدولة لمـا قطع العطـاء عن العرب سنة ٢١٨ هـ . ومن العجيب

---

(٤٢٢) الولاة : ص ١٩٤ .

(٤٢٣) حسن : جـ ١ ص ١١٩ والسمعانى : الانساب : ص ١٢٥ ا .

(٤٢٤) حسن : جـ ١ ص ١٢١ .

(٤٢٥) فتوح مصر : ص ١٣٧ ـ ١٣٨ والخطط : جـ ٣ ص ٢٢٢ ـ ٢٢٣ .

(٤٢٦) الخطط : جـ ١ ص ٢١٢ والسمعانى : ص ١٢٨ ب والنجوم : جـ ٢ ص ٢٢٣ .

(٤٢٧) الولاة : ص ١٢٥ .

(٤٢٨) الانتصار : جـ ٥ ص ٨٢ .

(٤٢٩) الولاة : ص ١٤٣ ـ ١٧٢ وسـير الابـاء : مجـلد اول ص ٥٤٢ ، ٥٦٩ ـ ٥٧٣ .

(٤٣٠) الولاة : ص ١٦٩ ، ١٧٢ ـ ١٨٠ ، ١٨٩ ـ ١٩٠ .

أن ابنه الحسن بن عبد العزيز (ت ٢٥٧ هـ) كان من حفاظ الحديث ونقاده ، كما كان من أهل الورع والفقر والعبادة (٤٣١) . ومن اهم شخصيات جرى عبد السلام بن أبى الماضى الذى ظل يتزعم ثورات اليمانية من أهل الحوف طوال سنة ٢١٤ هـ (٤٣٢) .

(ب) ســعد :

فى جذام خمس سعود (٤٣٣) . ولسنا نستطيع تحديد من اقام منها بمصر ، وان كان المقريزى (٤٣٤) . يذكر انها كلها اختلطت بمصر ، ولكنه يتحدث عن وقت متأخر .

وفى كل حال شهدت سعد جذام فتح مصر ، وكانت ترتبع فى بسطة وفربيط وطرابية (٤٣٥) ، أى فى المرتبع العام للخم وجذام .

وظلت سعد محتفظة ببقائها فى مصر منذ الفتح حتى اشتركت فى الأدوار التى قامت بها جذام ممثلة فى الجرويين ، وسجل الشعراء ذلك (٤٣٦) . وكان ابن غصين السعدى من قواد على بن عبد العزيز الجروى سنة ٢١٠ هـ (٤٣٧) .

(ج) وائـــل :

حضروا الفتح ، واختطوا بمصر (٤٣٨) . وقد نزل الفرس بناحيتهم (٤٣٩) وكانوا يرتبعون مع سعد فى مرتبعها (٤٤٠) .

ويبدو انها اشتركت فى فتنة خلع مروان بمصر (١٢٧ - ١٢٨ هـ) فقد كان أحد أفرادها (محمود - أو عمرو - بن سليط) من رؤسائها

---

(٤٣١) حسن : جـ ١ ص ١٤٦ .
(٤٣٢) الولاة : ص ١٨٦ - ١٨٩ .
(٤٣٣ ، ٤٣٤) البيان : ص ٢٦ .
(٤٣٥) فتوح مصر : ص ١٤٢ .
(٤٣٦) الولاة : ص ١٧٧ ، ١٧٩ .
(٤٣٧) المصدر نفسه : ص ١٧٩ .
(٤٣٨) فتوح مصر : ص ١٢٨ والانتصار : جـ ٤ ص ٤ .
(٤٣٩) فتوح مصر : ص ١٢٩ .
(٤٤٠) المصدر نفسه : ص ٥٧٨ أ .

ووجوهها (٤٤١) . كما كان معروف بن سليط ، من رواة القرن الثانى ، منهـا (٤٤٢) .

يؤخذ من كلام المؤرخين ان لخما فنيت فى جذام بحيث أصبحتا شيئا واحدا يطلق عليه اسم جذام فقط (٤٤٣) . والواقع اننا نلحظ فى مصر الاشتراك التام بين القبيلتين ولكن فى صـورة عكسية تستقل فيها لخم بالكثرة والسيطرة والزعامة ، مع ملاحظة ان هـذا الاشتراك لم يلغ شخصية اى منهما الى الحد الذى تفنى عنده فى صاحبتها . ويذكر المؤرخون كذلك ان القبيلتين قد كانتا فى صف معاوية بما هما من قبائل الشـام (٤٤٤) . وفى مصر لا يستقيم هـذا القول على علاته . فقد رأينـا ان لخما ظلت علوية الهوى حتى مجيء مروان على الأقـل . ثم رأينـا القبيلتين كلتيهما تعملان على اسقاط الدولة الأموية ، وان كان يبدو انهما آثرتا الهدوء طوال العهد المروانى ونستطيع الآن بعد معرفتنـا لأماكن ارتباع لخم وجذام والمنطقة التى أقام فيها بعضهم اقامة دائمـة أن ندرك انهم كانوا من اهل الحوف ، وانهم هم اليمانيـة الذين يعنيهم المؤرخون حين يتحدثون عن يمانية اهل الحوف وتحالفهم مع قيس .

بذلك ننتهى من قبائل عدى جميعا التى تمثل الفرع الأول من مرة ، وننتقل الى الفرع الثانى :

(ب) مالـــك

تنقسم الى قبيلتين كبيرتين هما :

١ ـ المعـــافر

المعـافر قبيلة كبيرة قويـة . ويبدو انهم كانوا يقيمون من اليمن فى مكان ممتاز وكانوا اهل جد ونجدة ، فكانوا أقوياء مناضلين مثلمـا كانوا مهرة ينتجون الثياب المعافرية التى اشتهروا بها (٤٤٥) .

---

(٤٤١) الولاة : ص ٩٠ .

(٤٤٢) الانسـاب : ص ٥٧٨ ا .

(٤٤٣) Ency. Isl. I, p. 1058 & III, pp. 11 — 12

(٤٤٤) Ibid, I. p. 1059 & III, p. 11.

(٤٤٥) فتوح مصر : ص ٣٠٣ ومعجم البلدان : جـ ٧ ص ٤٠٢ و جـ ٨ ص ٩٢ ووفيات الأعيان : جـ ١ ص ٣٦٥ ، ٣٨١ ونهاية الارب : ص ٣٤١ .

شهدوا فتح مصر ، واختطوا الى جنب عمرو بن العاص حول الجامع ، فآذاهم البعوض زمن الفيضان ، نقلهم عمرو الى الجبل المشرف على البركة التى أطلق اسمهم عليها . وبذلك أصبحوا فى موقع ممتاز يشبه فى ارتفاعه مسكنهم القديم باليمن ، كما أصبحوا يشرفون على قبائل مصر - وفيها قريش - التى كانت تسكن تحت أقدامهم حول الجامع . ولكنهم لم يكونوا وحدهم فى مسكنهم هذا فى كل حال ، فقد كان معهم قبائل من حمير (٤٤٦) .

كانوا يتحركون سنويا الى مرتبعهم فى اتريب ، وسخا (كورة عاصمتها هى مدينة سخا الحالية بكفر الشيخ) (٤٤٧) ، ومنوف (٤٤٨) . ولكن يبدو ان جانبا منهم اقام بالاسكندرية (٤٤٩) ، يؤيد هذا كثرة من سنقابل منهم بها بعد لحظات .

وليس تعدد مرتبعات المعافر هو الدليل الوحيد على كبر عددها ، فقد ذكر القضاعى انها كانت فى حرب ابن جحدم ضد مروان ٦٤ - ٦٥هـ « اكثر قبائل أهل مصر عددا ، كانوا عشرين الفا » (٤٥٠) . ومع ما فى هذا الرقم من مبالغة واضحة فانه يصور ضخامة هذه القبيلة فى مصر .

ولا تكاد المعافر تظهر فى عصر الفتح حيث لا نصادف منها سوى عبيد بن عمرو الصحابى الذى شهد الفتح ، ويقال انه أول من اقرأ - أو قرأ - القرآن بمصر (٤٥١) . وعامر - رجل نكرة - كان أول من دفن بالقرافة (٤٥٢) .

ويبدأ ظهور المعافر الفعلى فى الحياة العامة فى حركة ابن جحدم التى اشتركوا فيها اشتراكا يدل على أهمية الرقم الذى ذكرناه منذ لحظة ، الى جانب الصورة القوية التى سجلها عبد الرحمن بن الحكم فى قوله :

---

(٤٤٦) فتوح مصر : ص ١٢٦ - ١٢٧ .

(٤٤٧) Amé. p. 410 & Toussoun, p. 32.

(٤٤٨) فتوح مصر : ص ١٤٢ .

(٤٤٩) المصدر نفسه : ص ١٢٧ .

(٤٥٠) الخطط : جـ ٤ ص ٣٤٠ .

(٤٥١) الخطط : جـ ٤ ص ١٤٣ وحسن : جـ ١ ص ٦٢ .

(٤٥٢) الخطط : جـ ٤ ص ٣١٨ .

وسدت معافر افق البلاد بمرعد جيش لها مبرق (٤٥٣)

وهذا الاشتراك دليل على ميولهم المعادية للأمويين ، ويعطينا الحق فى اعتبارهم اما علويين واما خوارج . وهم على كل حال قد حملوا نصيبا ضخما من هذا الصراع ، وقتل منهم جمع كبير . ولذلك فانه من العجيب ان يكون احدهم (عبد الرحمن بن موهب) من بين الأشراف الذين قاموا فى الصلح بين أهل مصر وبين مروان (٤٥٤) .

ولكن جزءا من القبيلة رفض ذلك الصلح ، فقد اضطر مروان الى قتل ثمانين رجلا منها أبوا أن يخلعوا بيعة ابن الزبير ليبايعوه هو (٤٥٥) . ومما له اهميته ما يقال من ان مروان انما قتلهم لأنهم رفضوا اعلان البراءة من على (٤٥٦) . وسوف نرى بعد قليل ما يشير الى ميول المعافر العلوية .

وكما لفتت المعافر الأنظار بهذه الحوادث فى القرن الأول عادت فلفتتها فى القرن الثانى (سنة ١١٧ هـ) عندما تحدت الخليفة نفسه اذ رفضت استعمال المدى الذى أراد توحيد المكيال به فى بلاد خلافته ، مؤثرة عليه المكيال المحلى من الويبة والأردب (٤٥٧) . وقد أثبتوا بهذا السلوك انهم ظلوا على ما اشتهروا « مشاقين للملوك ، لقاحا ، لا يدينون لأحد » (٤٥٨) . وقد افتخر شاعرهم بتعصب قومه وتمردهم على الخليفة .

من بعد ما ذلت له اعناق يعرب بل مضر (٤٥٩)

تعطينا هذه الحوادث الحق فى ان نحكم على المعافر بأنها ظلت تعادى الأمويين طوال حكمهم . ولكن يبدو أن جزءا منها كان خارجا على هذه السياسة . ومن هذا الجزء عبد الرحمن بن وهب الذى سبق ذكره ، ويزيد ابن أبى أمية الرجل الوحيد الذى خالف اجماع

---

(٤٥٣) الولاة : ص ٤٤ .
(٤٥٤ ، ٤٥٥) الولاة : ص ٤٥ .
(٤٥٦) الخطط : جـ ٤ ص ٣٢١ .
(٤٥٧) الولاة : ص ٧٨ — ٧٩ .
(٤٥٨) معجم البلدان : جـ ٧ ص ٤٠٣ .
(٤٥٩) الولاة : ص ٧٩ .

اهل مصر على خلع مروان بن محمد لما دعاهم الى ذلك الثوار اليمانيون سنة ١٢٧ (٤٦٠) ، وعبد الرحمن بن عتبة الذى اخمد ثورة يحنس القبطى بسمنود سنة ١٣٢ هـ ثم ثورة لبنى مينا بها كذلك سنة ١٣٥ هـ (٤٦١) .

ولسنا نعرف موقف المعافر فى حركة التسويد بمصر ، ولكننا نعرف انهم ظلوا محتفظين بميولهم العلوية ، فان أحدهم (عسامة بن عمرو) استقبل فى منزله على بن محمد بن عبد الله أول علوى قدم مصر سنة ١٤٤ هـ يدعو لبنى الحسن ، وزوجه ابنته وأخفاه عنده لما فشلت حركته . وحبس عسامة لهذا السبب ، ثم عفا عنه المهدى ، واصبح حتى مات سنة ١٧٦ هـ من كبار رجال الدولة (٤٦٢) . ومما يدل على قوة المعافر الحربية والسياسية من جهة وعلى ميولهم العلوية من جهة اخرى ان امير مصر اطمأن لما عرف إن ابا حزن المعافرى لم ينضم الى الحركة العلوية التى ظهرت سنة (٤٦٣) . وفى ثورة المدلجى (٢٥٢ ــ ٢٥٣ هـ) انضم ابن عسامة المعافرى الى ابن الأرقط العلوى فى محاربة قوات الدولة ، ولكنه استسلم ولبس السواد لما فشلت الثورة (٤٦٤) .

ومع هذا ظهر من المعافر عدد من رجال الدولة فى العصر العباسى منهم بكار بن عمرو الذى قتل وهو يحارب دحية بن مصعب سنة ١٦٨ هـ (٤٦٥) . ومحمد بن عسامة الذى ولى الشرط لأربعة من امراء مصر (١٩٠ــ ٢٠١ هـ) (٤٦٦) . وأبو بكر بن جنادة الذى ولى الاسكندرية سنة ١٩٩ هـ وولى الشرط سنة ٢٠١ هـ (٤٦٧) ، وغيرهم .

---

(٤٦٠) المصدر نفسه : ص ٨٥ ، ٨٦ ، ٩٠ .

(٤٦١) المصدر نفسه : ص ٩٤ ، ١٠٢ .

(٤٦٢) الولاة : ص ١١١ ، ١١٥ ، ١٢١ ، ١٢٢ وغيرها . معجم البلدان ج ٦ ص ٦٦ ــ ٦٧ .

(٤٦٣) الولاة : ص ١١٣ .

(٤٦٤) الولاة : ص ٢٠٦ ــ ٢٠٧ .

(٤٦٥) المصدر نفسه : ص ١٢٦ ، ١٢٨ وحسن : جـ ١ ص ١٠٨ .

(٤٦٦) المصدر نفسه : ص ١٤٢ ، ١٥٢ ، ١٥٤ ، ١٦١ ، ١٦٧ .

(٤٦٧) المصدر نفسه : ص ١٥٨ ، ١٦١ ، ١٦٦ ، ١٦٧ .

بل ظهر من المعافر نفر من العلماء منهم بكار بن عمرو الذى سبق ذكره وسعيد بن عبد الله بن أسعد من كبار أصحاب مالك (ت ١٧٣ هـ بالاسكندرية) (٤٦٨) . وعبد الله بن يحيى من صغار أتباع التابعين بمصر (ت ٢١٢ هـ) (٤٦٩) . وضمام بن اسماعيل من مشاهير محدثى مصر (ت ١٨٥ بالاسكندرية) (٤٧٠) .

ظلت المعافر حية بمصر اذن طوال الفترة التى ندرس . ومن الواضح ان نشاطها كان يزداد بتقدم الزمن ، فالواقع ان العصر العباسى بخاصة كان المسرح الذى لعبت عليه شخصياتها المختلفة فى الحياة المصرية . وكان الولاة يترضونها . فقد بنى أمير مصر لهم فسقية خاصة بهم (حوالى ١٤٦ هـ) لما شكوا اليه بعد الماء عنهم (٤٧١) . ثم حفر ابن طولون عينا كانت تمر بأرضهم كذلك ذكرها سعيد القاص وهو يبكى الدولة الطولونية بقوله :

يمر على ارض المعافر كلها
وشعبان والاخمور والحى من بشر

قبائل لا نوء السماء يمدها
ولا النيل يرويها ولا جدول يجرى(٤٧٢)

وشواهد القبور وأوراق البردى تسجل وجودهم فى مصر فى القرنين الثانى والثالث (٤٧٣)

وهذه بطون المعافر فى مصر :

(أ) بنو موهب :

اختطوا فى المعافر (٤٧٤) . منهم عمارة بن الحكم المحدث (٢٤٧ هـ) من أهل الاسكندرية (٤٧٥) .

---

(٤٦٨) حسن : جـ ١ ص ١٩٠ .

(٤٦٩) معجم البلدان : جـ ١ ص ٢٦١ والسمعانى : ٥٣٥ أ وحسن : جـ ١ ص ١١٣ .

(٤٧٠) الانساب : ص ٧٦ أ وحسن : جـ ١ ص ١١٥ .

(٤٧١) الولاة : ص ١١٥ .

(٤٧٢) المصدر نفسه : ص ٢٥٥ — ٢٦ .

(٤٧٣) Rép. Chro. I, pp. 58 117 & II. pp. 64 — 65 & Ar. Pap. III,

(٤٧٤) فتوح مصر : ص ١٢٦ — ١٨٠ .

(٤٧٥) الانساب : ص ٥٤٥ أ .

(ب) بنو كاسر المدى :

كاسر المدى هو عبد الرحمن بن حيويل بن ناشرة أطلق عليه هذا اللقب لما كسر مدى هشام سنة ١١٧ هـ وصار نسبا لبنيه (٤٧٦) .

أما والده حيويل فهو من رجال الفتح ، كان ممن وكل اليهم عمرو بن العاص تقسيم الخطط سنة ٢١ هـ (٤٧٧) . وكان مرة بن عبد الرحمن (ت ١٥٧ هـ) من محدثى مصر (٤٧٨) .

(جـ) بنو خليف :

منهم صل بن عوف أحد أشراف أهل مصر فى وفد عتبة بن أبى سفيان على أخيه معاوية سنة ٤٣ هـ (٤٧٩) .

(د) شعبان :

كانت تمر بها العين التى تسقى المعافر (٤٨٠) .

منها شعبة شهد فتح مصر (٤٨١) . وسعيد بن يعقوب ولى الحرس والأعوان لعبد العزيز بن مروان (٤٨٢) . وعبد الرحمن بن زياد المحدث (ت ١٥٦ هـ) (٤٨٣) .

(هـ) بشر :

هى القبيلة المذكورة فى شعر سعيد القاص (٤٨٤) . ولعلها من المعافر .

---

(٤٧٦) الولاة : ص ٧٨ — ٧٩ .
(٤٧٧) فتوح مصر : ص ١٨٨ والولاة : ص ١٢ والانتصار : جـ ٤ ص ٣ .
(٤٧٨) الانساب : ص ٥٣٥ أ .
(٤٧٩) الولاة : ص ٣٦ .
(٤٨٠) المصدر نفسه : ٢٥٥ — ٢٥٦ .
(٤٨١) الانساب : ص ٣٣٤ أ .
(٤٨٢) الولاة : ص ٥٣ .
(٤٨٣) الانساب : ص ٤٦ ب ، ص ٢٣٤ أ .
(٤٨٤) الولاة : ص ٢٥٥ — ٢٥٦ .

(و) القرافـــة :

بطن من المعافر ، أطلق اسمهم على موضعين نزلوا بهمـا : الأول بالاسكندرية ، والثانى بمصر وهو الذى أصبح المقبرة المشهورة (٤٨٥) .

منهم علقمة بن عاصم المحدث (القرن الثـانى) ، وأبو دجانـة (ت ١٩٩ هـ) محدث كذلك (٤٨٦) .

(ز) بنو سريـــع :

كان لهم مسجد فى القرافة يقال له المسجد العتيق (٤٨٧) . أشهرهم أبو قبيل (ت ١٢٨ هـ) من أئمة مصر المجتهدين ، ويبدو أنه كان مختصا بالنبوءات (٤٨٨) .

(ح) الأخمـــور :

كانت فى خطة المعافر ، وكان عندها كوم الزينة (٤٨٩) . وذكرها سعيد القاص فى الشعر الذى سبق (٤٩٠) .

لم يبق منهم سوى زيد بن شعيب بن كلب (٤٩١) .

(ط) الأعمـــوق :

كان منها بطن يقال له : لبوان ، منهم عقبة بن نافع المحـدث (ت ١٩٦ هـ) بالاسكندرية (٤٩٢) .

---

(٤٨٥) الخطط : جـ ٤ ص ٣١٨ ، ٣١٩ ، ٣٢١ والانساب : ٤٤٥ ب والنجوم : جـ ١ ص ٣٦ والقاموس : مادة القرف .

(٤٨٦) الانسـاب : ص ٤٤٥ ب ومعجم البلدان : جـ ٧ ص ٤٣ ـ ٤٤ .

(٤٨٧) الخطط : جـ ٤ ص ٣٣٢ .

(٤٨٨) الولاة : ص ٨٣ ، ١٦٤ والانساب : ص ٢٩٧ ب و ٥٣٥ أ وحسن : جـ ١ ص ١١٩ .

(٤٨٩) الانتصار : جـ ٤ ص ٥٣ .

(٤٩٠) الولاة : ص ٢٥٥ ـ ٢٥٦ .

(٤٩١) الانسـاب : ص ٢٢ أ ، ١٨٦ ب .

(٤٩٢) الانسـاب : ص ٤٥ أ ، ٤٩٤ أ .

(ى) الأهجـــور :

كان لهم مسجد فى خطة المعافر .

منهم أبو الفرج بهد بن منصـــور (١٤٨ هـ) كان يحـدث فى مسجد الأهجور (٤٩٣) .

(ك) ثوجـــم :

منهم عمرو بن مرة ، من أهل مصر ، من رجال القرن الأول (٤٩٤) .

(ل) فـــــوى :

منهم سفيان بن هانىء بن خير (٤٩٥) .

(م) بنو كمونـــة :

جرت دعوتهم فى المعافر ، فلعلهم منهم .

منهم على بن الحسن الكمونى (ت ٢٩٨ هـ) (٤٩٦) .

وننتقل الى القبيلة الثانية من مالك :

٢ ـ خـــــولان

امتازت بلادهم فى اليمن بالعمران وكثرة الحبوب . وكانت صعدة ، أكبر مدنهم ، مركزا مهما للدباغة فى الجاهليـــة ، واعتنقوا الاســـلام سنة ١٠ هـ ، وعدهم النبى فى خير القبائل ، ولكنهم ارتدوا ثم أعادهم ابو بكر الى الاسلام (٤٩٧) . وقد افترقت خولان فى الفتوحات (٤٩٨) . فنزل كثير منهم الشام (٤٩٩) ، ولعب آخرون منهم دورا مهما بين العرب

---

(٤٩٣) المصدر نفسه : ص ٥٣ ب .

(٤٩٤) الانساب : ص ١١٧ أ .

(٤٩٥) المصدر نفسه : ص ٤٣٤ أ .

(٤٩٦) المصدر نفسه : ص ٤٨٧ أ .

(٤٩٧) معجم البـــلدان : جـ ٧ ص ٤٠٥ ـ ٤٠٦ وفتـوح مصر : ص ١٢٨، د Ency. Isl. II, p. 933.

(٤٩٨) نهاية الارب : ص ٢٠٨ .

(٤٩٩) وفيات الأعيان : جـ ١ ص ٥٥ والانساب : ص ٢١٢ ب .

الجنوبيين الذين اشتركوا فى فتح مصر واقاموا فيها (٥٠٠) . فهم فى مصر منذ الفتح ، واختطوا بالفسطاط وكانوا يرتبعون فى قرى اهنــاس ، والبهنسا ، والقيس (٥٠١) . (هى نفس القيس الحالية فى مركز بنى مزار محافظة المنيا ، وكانت فيما مضى جزءا من اقليم البهنسا) (٥٠٢) . وهم اصحاب مصلى خولان الشهيرة (٥٠٣) . وكانوا كثيرين بمصر . وعلى شواهد القبور أسماء عدد ضخم منهم من القرن الثالث بخاصة (٥٠٤) . كما انهم مذكورون بكثرة فى أوراق البردى (٥٠٥) .

وعمرو بن قحزم وذريتـه ممن اشتهر من الخولانيين فى مصر . أما عمرو نفسه فمن أهـل الفتـح ، وأحد من أشرفـوا على تخطيط الفسطاط ، وكان من وجوه شيعة عثمان الذين اعتزلوا ابن أبى حذيفة سنة ٣٥ هـ (٥٠٦) . وكان ابنه عبد الرحمن من رجال الدولة فى العهد المروانى (٥٠٧) . ولـما قامت الدولة العباسـية كانوا من رجالهـا كذلك . فكان عكرمـة بن عبد الله بن عمرو يلى الشرط ويستخلفـه الأمراء (١٣٣ — ١٤١ هـ) (٥٠٨) . وفى فتنـة الأمين والمـأمون وقفوا ضد العنصر العربى فكان زرعة بن معاوية بن عبد الرحمن وابنه الحارث ممن دعوا الى خلع الأمين سنة ١٩٥ هـ (٥٠٩) .

ومن غير آل عمرو بن قحزم نجد من خولان فى مصر أروى بنت راشد احدى زوجتى مسلمة بن مخلد امير مصر (٤٧ — ٦٢ هـ) وقد شفعت فى قومها عنده لـما أمر القبائل ببناء المنار فى جميـع المساجد

---

(٥٠٠) Ency. Isl. II, p. 933.

(٥٠١) فتوح مصر : ص ١٢٥ ، ١٤٢ .

(٥٠٢) Amé. p. 397. والدليل الجغرافى : ص ٢٩٥ .

(٥٠٣) الخطط : جـ ١ ص ٢٣٤ .

(٥٠٤) Rép. Chro. I, pp. 59, 72, 86, 89, 123, 168, 170, 198 — 199, 228, 248, 278, 285, 288, 301 & II. pp. 54, 64, 80, 114, 129, 162 — 163, 203 — 204, 211 212.

(٥٠٥) Ar. Pap. II p. 181.

(٥٠٦) فتوح مصر : ص ١٢٣ و ١٢٤ والولاة : ص ١٥ والانتصـار : جـ ٤ ص ٣ .

(٥٠٧) الولاة : ص ٥٩ والقضاة : ص ٣٢٦ .

(٥٠٨) الولاة : ص ٩٣ ، ١٠١ ، ١٠٢ ، ١٠٦ ، ١٠٧ .

(٥٠٩) المصدر نفسه : ص ١٤٨ .

سنة ٥٣ هـ فاستثناهم مسلمة (٥١٠) . وكان عبد الرحمن بن حجيرة (٦٩ — ٨٣ هـ) من أفقه الناس ، جمع له القضاء والقصص وبيت المال (٥١١) . وكان ابنه عبد الله قاضيا لمصر كأبيه (٩٠ — ٩٨ هـ)(٥١٢). وكان مالك بن شراحيل (ت ٨٥ هـ) من أهم رجال الدولة بمصر ، فكان يقود بعث البحر الذى سيره عبد العزيز بن مروان من مصر الى مكة سنة ٧٢ هـ لقتال ابن الزبير ، ثم ولى القضاء سنة ٨٣ هـ . وكان الحجاج بن يوسف يبعث فى كل سنة اليه بحلة وثلاثة آلاف درهم (٥١٣) .

وكما حفلت خولان بالقادة والقضاة ورجال الدولة ظهر فيها الشعراء . منهم مسرور الخولانى الذى رثى حفص بن الوليد ورجاء بن الأشيم لما قتلهما الحوثرة بن سهيل سنة ١٢٨ هـ (٥١٤) . ويحيى الخولانى كان متخصصا فى الهجاء ، ومن الدعاة الى العصبية العربية (٥١٥) . ويبدو أن خولان كانت تتمتع بموهبة الشعر ، فمنها رجل لم يعن التاريخ بتسجيل اسمه قام بالرد على شاعر يدعى ابن جذل الطعان عرض بخولان فى شعر له (٥١٦) . وحتى فى القرن الثالث كانت هذه الموهبة ما تزال حية لديهم فعندما مات أحد الأطفال غرقا سنة ٢٥٩ هـ أبى أبواه الا أن يسجلا رثاءهما اياه على شاهد قبره شعرا (٥١٧) .

وقد رأينا أن خولان كانت ترتبع بالصعيد ، ويبدو أنها أقامت هناك فقد ظهر من مواليها عمران بن أيوب السمسطائى (ت ٣٠٤ هـ) ينسب الى سمسطا وهى قرية من قرى صعيد مصر الأدنى (٥١٨) .

---

(٥١٠) فتوح مصر : ص ١٣١ والولاة : ص ٣٨ ، ٥٤ والانتصار : جـ ٤ ص ١٣ .

(٥١١) فتوح مصر : ص ٢٣٥ والقضاة : ص ٣١٤ — ٣١٩ .

(٥١٢) القضاة : ص ٣٣١ — ٣٣٣ .

(٥١٣) الولاة : ص ٥١ والقضاة : ص ٣٢٠ — ٣٢٢ وحسن : جـ ١ ص ١١٨ .

(٥١٤) الولاة : ص ٩١ .

(٥١٥) القضاة : ص ٣٩٦ ، ٣٩٩ ، ٤٠٠ — ٤٠٣ ، ٤١٢ — ٤١٥ .

(٥١٦) فتوح مصر : ص ١٢٥ — ١٢٦ .

(٥١٧) Rép. Chro. II, pp. 162 — 163.

(٥١٨) الانساب : ص ٣٠٧ ب .

(والأرجح انها سمسطا الحالية مركز ببا محافظة بنى سويف) (٥١٩) أما انصنا (الشيخ عبادة حاليا ، مركز ماوى ، محافظة أسيوط) (٥٢٠). فقد خرج منها جماعة من اهل العلم كان منهم : على بن عبد الله بن محمد بن حيون (ت ٢٨٧ هـ) والحسين بن أحمد بن حيون (ت ٢٩٨ هـ) وهما من موالى خولان (٥٢١) .

وكان لخولان بطون فى مصر هى :

(ا) الجديدة :

هم ولد رزاح بن مالك بن خولان (٥٢٢) . يبدو أنهم شهدوا الفتح . وقد ظلوا محتفظين ببقائهم فى مصر حتى عهد السمعانى صاحب الانساب . ومن المهم ملاحظة انهم ينسبون الى هذه القبيلة بقولهم : الجدادى (٥٢٣) .

ظهر منهم بمصر عبد الله بن الأسد ممن شهد الفتح (٥٢٤) . ولكن يبدو أن آل عاصم بن العلاء هم اهمهم . اما عاصم نفسه (ت ١٧ هـ) فكان على قصص مصر سنة ١٧٤ هـ (٥٢٥) . وكان الليث أبنه امام جامع مصر زمن الرشيد (١٧٠ ـ ١٩٤ هـ) (٥٢٦) . وتولى أخوه العلاء بن عاصم امامة جامع مصر كذلك ، وكان من أشراف مصر الذين سعوا حتى الغوا انساب أهل الحرس العربية المزورة (١٩٤ ـ ١٩٦ هـ) (٥٢٧) . وكان رازح بن رحب (ت ٢٣٠ هـ) يروى عن عمه عاصم بن العلاء (٥٢٨) .

---

(٥١٩) الدليل الجغرافى : ص ٢٧٦ .

(٥٢٠) Amé. p. 51

(٥٢١) السمعانى : ص ٥١ ا

(٥٢٢) هو رازح فى القاموس المحيط مادة : رزح .

(٥٢٣ ، ٥٢٤) الانساب : ١٢٣ ب .

(٥٢٥) القضاة : ٣٨٤ والانساب : ١٢٣ ب .

(٥٢٦) حسن : جـ ١ ص ١١٥ .

(٥٢٧) القضاة : ص ٤١٣ وحسن : جـ ٢ ص ١٣٦ .

(٥٢٨) السمعانى : ص ١٢٣ ب .

(ب) ســـــعد :

هم سعد خولان (٥٢٩) .

ظهر منهم عبيد الله بن سعيد ، كان من وجوه اهل مصر فى عهد عبد العزيز بن مروان (٥٣٠) .

وكان من مواليهم عمير بن ابى مدرك البربرى (ت ١٢٧ هـ) من الرواة ومن موظفى حكومة عبد العزيز بن مروان (٥٣١) . وبحر بن نصر بن سابق (١٨٠ – ٢٦٧ هـ) من رواة مصر (٥٣٢) .

(ج) بنو عبد الله :

بطن من خولان ، والنســبة اليه : العبدلى (٥٣٣) . ويبدو انهم اقاموا فى الصعيد وفى بركوت – قرية من كورة الشرقية – بالذات .

بقى لنـا منهم ذكر على بن محمـد بن عبد الرحمـن المحـدث (ت ٣٢٩ هـ) (٥٣٤) .

(د) بنو جعـــل :

يبدو انهم شهدوا الفتح ، فلهم مكان معروف باسمهم فى الفسطاط عده ابن دقماق من الأماكن المهمة (٥٣٥) .

منهم حيى الخولانى ، يروى عن ابى ذر فهو من أهل الفتح (٥٣٦) ، وكان معد ابنه يروى عنه (٥٣٧) . واحتفظت شـواهد القبور باسـم واحـد منهم توفى بالفسـطاط سنة ٢٠٠ هـ (٥٣٨) ، ممـا يدل على استمرارهم بمصر حتى ذلك الوقت .

---

(٥٢٩) السمعانى : ص ٢٩٨ ا

(٥٣٠) القضـاة : ص ٣٢٦ .

(٥٣١) الانساب : ص ٦٩ ب ، ٧١ ب .

(٥٣٢) المصدر نفسه : ص ٢٩٨ ب وطبقات الشافعية : جـ ١ ص ٢٤٧ – ٢٤٨ .

(٥٣٣) الانساب : ص ٣٨٠ ب .

(٥٣٤) معجم البلدان : جـ ٢ ص ١٥١ والانساب : ص ٧٥ ب و ٣٨٠ ب .

(٥٣٥) الانتصار : جـ ٤ ص ٣٥ .

(٥٣٦ ، ٥٣٧) الانساب : ص ١٣٢ ا

(٥٣٨) Rép. Chro. I, p. 85.

(هـ) الأديـــم :

ظهر منهم ابو سعيد بن عبد العزيز (ت ٢٨٨ هـ) ، كان افقه أهل مصر فى أيامه (٥٣٩) .

ومن مواليهم عبد الله بن ابى رفاعة (ت ٢٠٠ هـ بالاسكندرية) من محدثى الاسكندرية (٥٤٠) .

(و) الحبيـــا :

بطن من خولان (٥٤١) .

بقى لنا منهم ذكر رائم بن ثعلبة ، ويبدو أن نسبه كان موضـــع مناقشـــة (٥٤٢) .

(ز) حـــدس :

هو بطن من خولان ، وقد قيل بطن من لخم (٥٤٣) .

منه ابراهيم بن أحمد بن اسد المحدث (٥٤٤) .

نستطيع بعد هذا ان نلخص السمات البارزة لقبيلة خولان بمصر فى انهـــا كانت كثيرة العدد ، وظلت محتفظـــة ببقائها طوال الفترة التى ندرس ، وتحركت الى الصعيـــد الأدنى واقامت به ، وكانت ميولهـــا أموية ، كما كانت فى جملتها تميل الى الســـلم وتتجه اتجاها مدنيا . ويبدو ان هـــذا الاتجـــاه من الخصـــائص الأصيلة فى خولان فمثلما ظهر جماعة من الزهاد والعلماء ممن نزل منها الشام (٥٤٥) . ظهر منها بمصر جماعة من القضاة والعلماء ، كما رأينا .

ومن المهم أن نلحظ ميل خولان الى الشعر كذلك . ولاشك فى ان ميول خولان المدنيـــة تعود الى حياتها الأولى قبل الاسلام فى اليمن اذ كانت تعرف الاستقرار والزراعة والصناعة ، كما قلنا من قبل .

(٥٣٩ ، ٥٤٠) الانساب ٢٣ ب .

(٥٤١) الانساب : ص ١٨٢ أ .

(٥٤٢) فتوح مصر : ص ١٢٥ .

(٥٤٣ ، ٥٤٤) السمعانى : ص ١٥٩ ب .

(٥٤٥) المصدر نفسه : ص ٢١٢ ب .

بذلك نفرغ من مالك ، فنفرغ أيضـا من مرة الفرع الأول الكبير من قبائل عريب وننتقل الى الفرع الكبير الثانى .

٢ ـ مذحـج

كانت مذحج فى حرب مع عامر بن صعصعة حوالى الوقت الذى ظهر فيه النبى وقد مدحها النبى بقوله : « أكثر القبائل فى الجنـة مذحج » . وانتقل جانب منها الى الكوفـة حيث كانت أسر منهـا ذات سيطرة مع أسر كندة وهمدان (٥٤٦) .

أما بالنسبة الى مصر فمذحج من قبائل الفتح . واختطت بين خولان وتجيب (٥٤٧) ، ويبدو أنها لعبت دورا خطـيرا فى السياسـة المصرية . فكانت ميولها علوية ، وكان منها الأشتر النخعى امير مصر لعلى ، الذى سم عند جسر القلزم فى أول رجب سنة ٣٧ هـ قبل أن يدخل مصر (٥٤٨) . كما كان منها حجر بن الحـارث بن قيس ، الذى كان علويا أول الأمر شهد صفين مع على ، ثم صـار من الخوارج وحضر مع الحرورية النهروان ، ثم خرج وصـار الى مصر برأى الخوارج ، وكان أول من قدمها برأيهم وظل فيهـا حتى خرج منها الى ابن الزبير فى امارة مسلمة بن مخلد على مصر (٤٧ ـ ٦٢ هـ) (٥٤٩) . وأغلب الظن ان حجرا هـذا جعل ينشر مبادىء الخوارج بين المصريين طوال اقامتـه بينهم ، وانه كان يفعل ذلك فى الخفاء ، وان المصريين أقبلوا على دعوته تلك اقبالا شديدا . وكانت قبيلته ممن اعتنق مبادئه ، فانها اشتركت مع ابن جحدم ضـد مروان بن الحكم ، وسجل عبد الرحمن بن الحكم ذلك لها فى قوله :

واحيـاء مذحج والأشعرين وحمير كاللهب المحرق (٥٥٠)

ونتحدث الآن عن القبائل التى مثلت مذحج فى مصر .

---

(٥٤٦) فتوح مصر : ص ١٢٦ والانساب ص ٥١٧ و Ency. Isl. III. P. 82.

(٥٤٧) فتوح مصر : ص ١٢٦ والانتصار : جـ ٤ ص ٤ .

(٥٤٨) الولاة : ص ٢٣ ـ ٢٥ .

(٥٤٩) الخطط : جـ ٤ ص ١٥١ .

(٥٥٠) الولاة : ص ٤٤ .

(أ) مـــــراد

احتفظت مراد دائمـا بطـابع بدوى نموذجى بالرغم من انها كانت تجاور حضارة جنوبى الجزيرة . ويبدو أن بلادهم الجرداء المجدبـة كانت مسئولة عن سمعتهم السيئة وكونهم قطاع طرق . وفى نفس العام الذى وقعت فيه غزوة بدر (سنة ٣ هـ) تكبدت مراد على يد همدان هزيمة ساحقة اصابتها بالضعف الشـديد . واشتركت مراد فى حركة الردة ولكن أبا بكر هزمهم وعفا عن زعيمهم فلعبوا دورهم فى الفتوح ببسالة . وخرج من مراد خلق كثير ، ولكن الجزء الأكبر منهم أقـام فى الكوفة حيث ظهر منهم عبد الرحمن بن ملجم ، قاتل على بن أبى طالب (٥٥١) .

واشتركت مراد فى فتح مصر . واختطت بها . وكانت تأخذ مرتبعها فى منف والفيوم . كما كانت طائفـة منهم ترتبع مع تجيب بالبدقون (فى محافظة البحيرة حاليا) (٥٥٢) . ويبدو ان عددا كبيرا منهم قد انتقل الى أتريب حيث كان يقيم فى منتصف القرن الثانى (٥٥٣) .

وبرزت مراد فى مصر بوجه خاص عندما حاربت قبيلة يحصب لـما اختلفتا بسبب سباق أجرى بين فرسين لهما (١٨٣ ــ ١٨٧ هـ)(٥٥٤) .

ولاشك فى انهم كانوا كثيرين فى مصر ، فعلى شواهد القبور اسماء طائفة من القرنين الثانى والثالث (٥٥٥) ، كما أن النسبة « المرادى » كثيرة الاستعمال فى أوراق البردى (٥٥٦) .

ومن الطبيعى أن تظهر شخصيات مراد منذ اللحظات الأولى ، فهناك شراحيل بن حجية الذى نصب سلما آخر على حصن بابليون غير

---

(٥٥١) وفيات الأعيان : جـ ١ ص ٢٣٠ و Ency, Isl. III, p. 726

(٥٥٢) فتوح مصر : ص ١٢٦ ، ١٤٢ .

(٥٥٣) القضـاة : ص ٣٦٥ .

(٥٥٤) القضـاة : ص ٤٠٢ .

(٥٥٥) Rép. Chro. I, pp. 51, 73 — 74, 127 — 128, 134 — 135 & II. pp. 48 — 49, 62, 144, 237.

(٥٥٦) أوراق البردى : جـ ١ ص ١١٠ .

(٥٥٧) فتوح مصر : ص ٥٨ ــ ٥٩ (ط . ماسيه) .

سلم الزبير بن العوام (٥٥٧) ، وسالم بن عامر أول من عرف على المؤذنين بجامع عمرو ، وكان الأذان بجامع عمرو ، وكان الأذان فى ولده حتى انقرضوا (٥٥٨) . وشرحبيل بن عامر أخوه (ت ٦٥ هـ) كان عريف مؤذنى مصر كذلك فى عهد مسلمة بن مخلد (٥٥٩) . وابن مسلمة امير تنيس الذى قتله الروم فى جمع من الموالى فى هجومهم الكبير على المدينة سنة ١٠١ هـ (٥٦٠) . وابن شجرة الذى حاول اغتيال صاحب خراج مدينة اتريب سنة ١٤٤ هـ لما أساء معاملة أهلها الذين يبدو انهم كانوا من قبيلة مراد (٥٦١) .

وكان فراس المرادى من شعراء مراد فى القرن الثانى (٥٦٢) .

ويبدو أن بعضهم سكن رشيد ، فان عبد الوارث بن ابراهيم بن فراس ـ احدهم ـ من اهل رشيد ، وكان قاضيها ، ويعد من المحدثين الذين خرجوا منها (٥٦٣) .

وامتاز موالى مراد بظهور بعض ذوى الأهمية منهم . فكان عبد الأعلى بن الهجرس عريف الموالى بالاسكندرية ، ويبدو انه سود بها سنة ١٣٢ هـ ولذلك قتله الكوثر قائد مروان الحمار ، بعد أن انتصر على المسودة ودخل الاسكندرية سنة ١٣٢ (٥٦٤) . وكان عطاء بن شرحبيل من كبار الموظفين فى الشئون المالية فى أوائل الدولة العباسية (١٣٥ ـ ١٤١ هـ) (٥٦٥) . ومن موالى مراد كذلك الربيع بن سليمان (١٧٤ ـ ٢٧٠ هـ) التلميذ العظيم للشافعى (٥٦٦) .

وهذه بطون مراد فى مصر :

(٥٥٨ ، ٥٥٩) الخطط : جـ ٤ ص ٤٤ .
(٥٦٠) الولاة : ص ٧٠ .
(٥٦١) القضاة : ص ٣٦٥ .
(٥٦٢) المصدر نفسه : ص ٤١٩ ـ ٤٢٠ .
(٥٦٣) معجم البلدان : جـ ٤ ص ٢٥٢ .
(٥٦٤) الولاة : ص ٩٦ .
(٥٦٥) المصدر نفسه : ص ١٠٢ ، ١٠٦ .
(٥٦٦) وفيات الأعيان : جـ ١ ص ٢٢٩ ـ ٢٣٠ وطبقات الشافعية : جـ ١ ص ٢٥٩ ـ ٢٦٠ وحسن : جـ ١ ص ١٤٦ .

١ ـ رضـــا :

هورضا ـ كسدى ـ بن زاهر بن عامر (٥٦٧) . صاحب منامة ـ لعلها بمعنى فندق ـ مراد بالفسطاط (٥٦٨) . ويبدو أن رضـا هـذا ترك ذرية كثيرة بمصر كانت كافية لاعتبارهم بطنا من بطون مراد .

وليس لدينا خبر عن أحد من هؤلاء الرضائيين ، ولكننا نعرف من مواليهم عبد الله بن كليب بن كيسان الفقيه (١٠٠ ـ ١٩٣ هـ) وعمر بن ثواب بن عمران (ت ٢٠٧ هـ) ، واحمد ومحمد ابناه ، وكانوا جميعا من الشهود المقبولين عند القضاة (٥٦٩) .

٢ ـ زوف :

هو زوف بن زاهر بن عامر (٥٧٠) . والمفهوم ان خطتهم ومرتبعهم كانا مع مراد (٥٧١) . كما يفهم من شعر يحيى الخولانى انهم أصحاب الزعفران فرس مراد الذى سرقت يحصب سبقه (٥٧٢) .

ويظهر هـذا البطن فى مصر منذ الفتح . ومن المهم أن نعرف أن أحدهم (رشد بن يزيد) كان فيمن وفد الى على من أهل مصر ، وقد قطع يده عبد العزيز بن مروان لسبب نجهله (٥٧٣) . ومما يلفت النظر أن جميع من بقى لنا خبرهم من هـذا البطن من رجـال الروايـة والحديث . منهم . عبد الله بن أبى مرة من رجال الفتح ، واحمد بن شعيب بن سعيد (ت ١١٨ هـ) ، وأحمد بن سـوار (من رجال القرن الثـانى) ، وأحمـد بن عمرو بن شجرة (ت ٢٦٣ هـ) ، وابراهيم بن عمرو بن ثور (ت ٣٠٣ هـ) (٥٧٤) .

---

(٥٦٧) الانتصـار : جـ ٤ ص ٣٥ والانساب : ص ٢٥ أ والقـاموس المحيط مادة : رضى .
(٥٦٨) الانتصار : جـ ٤ ص ٣٥ .
(٥٦٩) الانساب : ص ٢٥٥ أ
(٥٧٠) الانتصار : جـ ٤ ص ٣٥ .
(٥٧١) فتوح مصر : ص ٢٥٥ أ .
(٥٧٢) القضاة : ص ٤٠٢ .
(٥٧٣ ، ٥٧٤) الانساب : ص ٢٨١ أ ، ب .

٣ ـ عبس :

هم عبس بن زوف ، عبس مراد ، وهم غير عبس قيس ، ولا ينسب اليهم فالأشهر الانتساب الى عبس غطفان (٥٧٥) .

شهدوا فتح مصر ، واختطوا فى مراد ، وكانوا يرتبعون مع مراد فى منف والفيوم (٥٧٦) .

وهم أصحاب زقاق بنى عبس بالفسطاط . وقد غلط بعض الناس فى هؤلاء العبسيين وقال : هم عبس قيس ، وليس كما قال (٥٧٧) .

ظهر منهم بمصر ليث بن قيس ، وأمين بن مسلم ، وهما من محدثى القرن الثانى (٥٧٨) . أما الحسن بن يزيد بن نافع (ت ٣٠٩ هـ) فهو من مواليهم (٥٧٩) .

٤ ـ غطيف :

ذكرهم السمعانى خطأ فى باب القاف والظاء باسم قظيف (٥٨٠) . وهم بطن من مراد كان لهم مخلاف باسمهم من مخاليف اليمن . نزل أكثرهم مصر (٥٨١) . واختطوا هم ووعلان فى مراد (٥٨٢) .

ظهر منهم بمصر عدد من الشخصيات المهمة فكان منهم شريك بن سمى الذى كان على مقدمة عمرو يوم الفتح ، وهو الذى سمى كوم شريك باسمه (٥٨٣) . وسهل بن سعيد الصحابى (٥٨٤) . وعلقمة بن يزيد

---

(٥٧٥) فتوح مصر : ص ١٢٦ ، والانتصار : جـ ٤ ص ٣٥ والانساب :
(٥٧٦) فتوح مصر : ص ١٢٦ ، ١٤٢ .
(٥٧٧) فتوح مصر : ص ١٢٦ .
(٥٧٨) الانساب : ص ٣٨٢ ا .
(٥٧٩) المصدر نفسه : ص ٤١٩ ب .
(٥٨٠) المصدر نفسه : ص ٤٥٩ ب .
(٥٨١) فتوح مصر : ص ١٢٥ ، العقد : جـ ٤ ص ٢٥١ ، أحسن التقاسيم ص ٨٦ والانساب : ص ٤٥٩ ب .
(٥٨٢) فتوح مصر : ص ١٢٦ .
(٥٨٣) المصدر نفسه : ص ٧٣ ومعجم البلدان جـ ٧ ص ٣٠٣ وحسن : جـ ١ ص ٨٨ .
(٥٨٤) الانساب : ص ٤١٠ ب ، ٤٥٩ ب .
ص ٣٨١ ب .

من رجال الفتح وأحد كبار القواد طوال عهد الفتح (٥٨٥) . وعابس بن سعيد الذى ظل منذ سنة ٤٩ هـ حتى وفاته سنة ٦٨ هـ يتقلب فى مناصب الشرطة والقضاء . وكان من شيعة بنى أمية بمصر (٥٨٦) .

وكان عبد العزيز بن سهل بن سعد المحدث (ت ٢٢٠ هـ) من مواليهم (٥٨٧) .

٥ ـ بنو جمل :

هم من بنى ناجية بن مراد (٥٨٨) . ويبدو أن معظمهم نزل الكوفة مع سائر مراد ، فان السمعانى ذكر كثيرين منهم من أهل تلك المدينة (٥٨٩) . ولم يكن منهم بمصر كثير فى كل حال ، فلسنا نقابل سوى يزيد بن عروة الذى كان من جند عبد العزيز بن مروان (٥٩٠) .

والواقع ان مواليهم هم الذين ظهروا بمصر ظهورا فعليا . واهم هؤلاء الموالى عامر جمل الذى كان من رجال عمرو بن العاص ، وبشر معاوية بقتل محمد بن ابى بكر . ومما يدل على اهميته انه كان عريف موالى مذحج جميعا (٥٩١) . بل كان له هو نفسه مواليه ، ومنهم محمد ابن سلمة من محدثى القرن الثالث وكان يقوم بالكتابة للحارث بن مسكين قاضى مصر (٢٣٧ ـ ٢٤٥ هـ) (٥٩٢) . وكان ابنه ابراهيم (ت ٢٨٥ هـ) من محدثى مصر كذلك (٥٩٣)

٦ ـ وعلان :

اختطت بالفسطاط مما يلى القصر (حصن بابليون) ثم مضوا ينازلون خولان وتجيب هم وبنو غطيف (٥٩٤) .

---

(٥٨٥) فتوح مصر : ص ١٩٠ ـ ١٩٢ ، والولاة : ص ٣٦ .

(٥٨٦) الولاة : ص ٣٨ ـ ٤٢ ، ٤٥ ، ٤٨ والقضاة : ص ٣١٠ ـ ٣١٣ .

(٥٨٧) الانساب : ص ٤١٠ ب .

(٥٨٨) نسب عدنان : ص ١٩ ، والعقد : جـ ٤ ص ٢٥١ ، والانساب : ص ١٣٥ أ .

(٥٨٩) الانساب : ص ١٣٥ أ ، ب .

(٥٩٠) الولاة : ص ٥٠ والخطط : جـ ١ ص ٢٠٩ .

(٥٩١) الانساب : ١٣٥ ب .

(٥٩٢) القضاة : ص ٤٦٨ والانساب : ١٣٥ ب .

(٥٩٣) الانساب : ١٣٥ ب .

(٥٩٤) فتوح مصر : ص ١٢٥ ، ١٢٦ والانساب : ص ٥٨٥ ؟ .

ويبدو انها كانت قليلة الأهمية اذ لم يبق لنا منها سوى مولاهم ابراهيم بن نشيط (ت ١٢٣ هـ) كان من الثقات (٥٩٥) . وكانت مولاته زوجة لعبد الله بن عبد الرحمن بن حجيرة الخولانى قاضى مصر (٩٠ ـ ٩٣ هـ) (٥٩٦) .

٧ ـ تدؤل :

لهذا البطن شهرة تاريخية لكون عبد الرحمن بن ملجم قاتل على ابن أبى طالب منه (٥٩٧) .

وقد شهد عبد الرحمن هذا فتح مصر ، واختط بها خطتين ، وكان له مسجد معروف ، وكان فارس تدؤل المعدود فيهم بمصر (٥٩٨) .

وربما كان هذا البطن ظل مقيما بمصر بعد ذلك ، اذ نقابل فى القرن الثالث أحد مواليهم : النضر بن عبد الجبار (ت ٢١٩ هـ) الزاهد العابد الذى استكتبه ابن المنكدر قاضى مصر (٢٠٢ ـ ٢١٤ هـ) (٥٩٩) .

٨ ـ سلهم :

سلهم كجعفر ، لهم خطة بمصر (٦٠٠) .

ظهر منهم عمار بن سعد ، كان هو وابنه عبد الكريم من محدثى القرن الثانى بمصر (٦٠١) .

وكان حجاج بن ريان مولاهم (ت ٢٠٥ هـ) من محدثى مصر أيضا (٦٠٢) .

---

(٥٩٥) الانساب : ص ٥٨٥ أ .
(٥٩٦) القضاة : ص ٣٣١ .
(٥٩٧) الانساب : ص ١٠٤ أ .
(٥٩٨) الانتصار : ج ٤ ص ٦ والانساب : ص ١٠٤ .
(٥٩٩) القضاة : ٤٣٥ ـ ٤٣٦ وحسن : ج ١ ص ١١٥ ، ٢١٨ والانساب : ص ١٠٤ أ .
(٦٠٠) فتوح مصر : ص ١٢٣ والانساب : ص ٣٠٤ أ والقاموس مادة : السلهم .
(٦٠١ ، ٦٠٢) الانساب : ص ٣٠٤ أ .

٩ ـ كعـــب :

بقى ذكر اثنين منها من شخصيات الفتح . وهما جديع خادم النبى الذى شهد الفتح (٦٠٣) وقيس بن الحارث كان يفتى النـاس فى زمانه وتزعم الروايـة أنه فتح القرية بصعيد مصر المعروفـة بالقيس فنسبت اليه (٦٠٤) . ولكن أملينو قد رد اسم هـذه القرية الى أصـله الهيروغليفى (٦٠٥) .

١٠ ـ ونبة (بفتح الواو وكسر النون) (٦٠٦) :

منهم ثابت بن طريف ، شهد فتح مصر وحدث بها (٦٠٧) . وعمار ابن صفوان (ت ٢٠٧ هـ) من أهل مصر ، وله ابن يقال له سالم الشاعر . وعبد السلام بن محمد بن بكر (ت ٢٦٠ هـ) من محدثى مصر (٦٠٨) . نستطيع الآن أن نرى فى وضـوح ان مرادا ظلت محتفظة بقبائلها فى مصر طوال الفترة التى نعنى بها . وانها كانت من القبائل متوسـطة العدد . وكانت ميولها أموية . وقد انتشرت بمصر فسكنت الفسطاط وأتريب والاسكندرية ورشيد والصعيد . وغلب عليها الاشتغال بالعلم والدين . وظهر من مواليها بعض النابهين .

وننتقل الى القبيلة الثانية من مذحج فى مصر .

(ب) ســعد العشيرة

يبدو أنهم كانوا قليلين جدا بمصر وكان بعضهم يمثل جزءا من العتقاء أى من هؤلاء الذين كانوا يقطعون الطريق على من يأتى النبى فبعث اليهم فأتى بهم أسرى فأعتقهم . ومن كان من سعد العشيرة من هؤلاء العتقاء كان من أهل الراية (٦٠٩) .

وكان منهم بمصر بطن واحد فى كل حال هو :

---

(٦٠٣) الانساب : ص ٤٨٤ ب .

(٦٠٤) الخطط : جـ ١ ص ٢٠٤ والانساب : ص ٤٨٥ أ ، ٤٦٨ ب .

(٦٠٥) Amé. P. 395 — 397.

(٦٠٦ ، ٦٠٧ ، ٦٠٨) الانسـاب : ص ٥٨٦ أ .

(٦٠٩) وفيات الاعيان : جـ ١ ص ٣٤٧ ونهاية الادب : ص ١٢٧ .

زبيـــد :

كانت زبيد تعيش فى اليمن مع الأشعريين فى مخلاف واحد اسمه الحصيب (٦١٠) ، وقد شـــهدت فتح مصر . وكل من بقى لنـا من شخصياتها من أهل الفتح ، منهم حومل الذى بارز البطريق الرومى وقتله (٦١١) ، وزياد بن جزء (٦١٢) ، ومحمية بن جزء الصحابى حليف بنى جمح (٦١٣) ، وعبد الله بن الحارث بن جزء الصحابى (ت ٨٦ هـ) لأهل مصر عنه عشرون حديثا (٦١٤) .

ويبدو ان عبد الله بن عبد الرحمن ـ احد سبى بلهيب ـ قد والى زبيدا وأصبح عريف مواليهم بعد أن اعتنق الاسلام (٦١٥) .

أما القبيلة الثالثة من مذحج فى مصر فكانت قبيلة .

(ج) جـــلد

وظهر منها بمصر البطون الآتية :

١ ــ بنو الحارث بن كعب :

هناك بطنان بهذا الاسم ، أحدهمــا من تميم من عدنان (٦١٦) ، والثانى من مذحج من قحطان (٦١٧) . ونحن نرجح أن بنى الحارث بن كعب المذكورين فى الولاة ص ١٦٩ ، ومنهم أبو بجــاد الحارثى الشـاعر ، هم ذلك البطن من مذحج . وذلك لأن شعر أبى بجــاد الذى يسخر فيه من ميمون بن السرى لمـا قتل فى معركة شطنوف ضد عبد العزيز الجروى سنة ٢٠٣ هـ يدل على يمنيته (٦١٨) .

---

(٦١٠) كتاب البلدان : ص ١٠٦ .
(٦١١) فتوح مصر : ص ١٧٥ ــ ١٧٦ .
(٦١٢) الطبرى : جـ ٣ ص ١٩٦ ، ١٩٧ .
(٦١٣) الانساب : ٢٧٠ ب وحسن : جـ ١ ص ٩٧ .
(٦١٤) فتوح مصر : ص ٩٤ ، ١٠٣ ، ٢٥٣ ، ٢٩٨ ، ٣٠٠ ، ٣٠١ وحسن : جـ ١ ص ٨٩ .
(٦١٥) الطبرى : جـ ٣ ص ١٩٧ .
(٦١٦) نسب عدنان : ص ٨ ، ٩ ونهاية الارب : ص ٤٢ .
(٦١٧) نهاية الارب : ص ٤٤ والانساب : ص ١٤٩ ب .
(٦١٨) الولاة : ص ١٦٩ ــ ١٧٠ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

٢ ـ النخـــع :

قبيلة كبيرة ، وقد نزلت الكوفة (٦١٩) . والواقع أن ليس لدينـا ما يدل على أنها دخلت مصر بصورة قبلية ســواء وقت الفتح أو بعده . وكل ما نعرف عنها هو أن الأشتر النخعى الذى أرســله على ليحكم مصر سنة ٣٧ هـ مات قبل أن يدخلها (٦٢٠) .

ولكن يبدو أن أفرادا ، أو أسرا دخلوا مصر فيما بعد ، فعلى شواهد القبور اسماء أفراد منهم من أهل القرن الثالث (٦٢١) .

٣ ـ جنـــب :

هم الاخـوة الســـتة الذين جانبوا أخـاهم وحالفوا ســـعد العشيرة (٦٢٢) .

شهدت جنب الفتح ، واختطت بمصر (٦٢٣) . وتشير شــواهد القبور الى وجودهم بمصر فى القرن الثالث (٦٢٤) .

ولكن يبدو أنهم كانوا قليلين جدا . فلسنا نقابل منهم سوى عبد الله ابن على الذى بعث به والى مصر فى جمع كثير لقتال دحية بن مصعب وأهل الواحات سنة ١٦٧ ـ ١٦٩ هـ (٦٢٥) .

ومن مواليهم عبد الملك بن نصير (ت ٢١١ هـ) كان مفرض أهل مصر فى زمانه (٦٢٦) .

---

(٦١٩) وفيات الاعيان : جـ ١ ص ٣ والانساب : ص ٥٥٧ أ .
(٦٢٠) الولاة : ص ٢٣ ـ ٢٥ والنجوم : جـ ١ ص ١٠٢ ـ ١٠٥ .
(٦٢١) Rép, Chro, I, pp. 108, 150, 183
(٦٢٢) نسب عدنان : ص ٢٠ والعقد : جـ ٤ ص ٢٤٩ .
(٦٢٣) فتوح مصر : ص ١٢٦ .
(٦٢٤) Rép. Chro. I: p. 161.
(٦٢٥) الولاة : ص ١٣٠ .
(٦٢٦) الانساب : ص ٥٢٨ ب .

(د) بديعـــة

كل ما نعرف عنها أنها قبيلة من مذحج اختطت بمصر (٦٢٧) . والأرجح أنها أحد البطون .

بذلك نفرغ من قبـائل مذحج الفرع الثـانى الكبير من عريب ، وننتقل الى الفرع الثالث .

٣ ـ الأشـعريون

كانت تعيش مع زبيد فى مخلاف الحصيب باليمن كما قلنا (٦٢٨) . وقد أسلم جماعة منهم ميكرين وشاركوا فى نشر الاسلام باليمن فاستحقوا ثناء النبي (٦٢٩) .

شهد الأشـعريون فتح مصر . وكانت خطتهم جـزءا من خطـة المعافر (٦٣٠) . وكانت ميولهم ضد الأمويين فقد اشتركوا مع ابن جحدم فى حربه ضـد مروان سنة ٦٥ هـ . وقد سجل عبد الرحمن بن الحكم لها ذلك فى قوله :

واحياء مذحج والأشـعرين وحمير كاللهب المحرق (٦٣١)

ولكن يبدو أنهم كانوا قليلين جدا بمصر ، ولم يظهر منهم أحد فى الحياة العامة بها .

وكان منهم البطنان الآتيان :

١ ـ بنو صـنم :

بطن من الأشعريين فى المعافر (٦٣٢) .

منهم ربيعة بن سيف الاسكندرانى المحدث (ت ١٢٠ هـ) (٦٣٣) .

---

(٦٢٧) فتوح مصر : ص ١٢٦ .
(٦٢٨) راجع ص ٢٢٣ من هذا البحث .
(٦٢٩) فتوح مصر : ص ١٢٧ ـ ١٢٨ .
(٦٣٠) فتوح مصر : ص ١٢٦ .
(٦٣١) الولاة : ص ٤٤ .
(٦٣٢) الانساب : ص ٣٥٥ ب .
(٦٣٣) المصدر نفسه : ص ٣٥٥ ب وحسن : ج ١ ص ١٠٨ .

٢ ـ الأكنوع :

كل ما نعرفه عنهم انهم من الأشعريين ، واختطوا معهم فى المعافر (٦٣٤) .

والذى يهمنا أن نلحظه فى هذا المقام ، هو اختلاط الأشعريين بالمعافر ، اختلاطا يكاد يجعلهم بطنا منهم ، فقد كانت خطتهم جزءا من خطة المعافر ، وكان ديوانهم مضموما فيما يبدو الى ديوان المعافر ، فالسمعانى يقول عن ربيعة بن سيف الذى تقدم ذكره ان « اسمه فى ديوان المعافر بمصر فى بنى صنم » (٦٣٥) . ويضيف اليه هو والسيوطى النسبة : المعافرى (٦٣٦) .

إما الفرع الأخير من عريب فى مصر فهو :

٤ ـ طى

لم تكن من قبائل الفتح ، ولم تظهر فى مصر الا فى أواسط القرن الثانى . ونحن نعرف أن حميد بن قحطبة الطائى لما ولى مصر سنة ١٤٣ هـ دخلها فى عشرين الفا من الجند (٦٣٧) ، فأغلب الظن أن قبيلته كانت ممثلة فى هذا الجيش . والواقع انها تظل ظاهرة على المسرح منذ ذلك التاريخ حتى القرن الثالث الذى تدل شواهد القبور على وجود هذه القبيلة بمصر فى أثنائه (٦٣٨) .

وكل من ظهر من طى بمصر كانوا من الشخصيات البارزة فهناك بعد حميد بن قحطبة يزيد بن عمران كان صاحب البريد سنة ١٧٤ هـ (٦٣٩) . وفى سنة ١٩٥ هـ ولى مصر وال آخر من طى هو جابر بن الأشعث (٦٤٠) . ومن المهم أن نعرف أن جابرا استخلف أحد

---

(٦٣٤) فتوح مصر : ص ١٢٦ .
(٦٣٥) الانساب : ص ٣٥٥ ب .
(٦٣٦) المصدر نفسه : ص ٣٥٥ ب وحسن : جـ ١ ص ١٠٨ .
(٦٣٧) الولاة : ص ١١٠ .
(٦٣٨) Rép. Chro. I, p. 186 & II, p. 68.
(٦٣٩) القضاة : ص ٣٨٤ .
(٦٤٠) الولاة : ص ١٤٧ ـ ١٤٩ .

ابناء قبيلته المقيمين بمصر (عبد الله بن ابراهيم) الى ان جاء (٦٤١) . وشارك ابراهيم بن نافع ، باعتباره من وجوه مصر ، فى السياسة المصرية مشاركة كلفته حياته سنة ١٩٩ هـ (٦٤٢) .

وكان معلى بن العلى الطائى — الشاعر الذى لا مبدأ له — من اظهر شخصيات طى فى مصر فى أواخر القرن الثانى وأوائل الثالث (٦٤٣) . وكان هنـاك فى الوقت نفسه الشاعر الناشىء أبو تمام (ت ٢٣١ هـ) الذى قضى صـدر حياته فى مصر ثم تركهـا ليصبح احـد الشـعراء الخالدين (٦٤٤) .

وكان فى مصر من طى البطن الآتى :

الفـوث :

وكان منهم عمـار بن مسلم بن عبد الله الذى ولى الشرطة عدة مرات فيما بين سنتى ١٦٥ ، ١٨١ هـ (٦٤٥) .

بذلك تنتهى قبـائل كهلان جميعا التى تكون القسـم الأول من قحطان أى عرب الجنوب وننتقل الى القسم الثانى .

---

(٦٤١) الولاة : ص ١٤٨ .

(٦٤٢) الولاة : ص ٥١٢ ، ١٥٥ — ١٥٦ .

(٦٤٣) المصدر نفسه : ص ١٥٥ ، ١٦٦ ، ١٧٠ ، ١٧١ ، ١٧٤ ، ١٧٥ ، ١٧٦ ، ١٧٧ ، ١٧٨ ، ١٧٩ ، ١٨٨ — ١٨٩ والقضاة : ص ٤١٤ ومعجم البلدان : جـ ٤ ص ٨٤ .

(٦٤٤) فى نشأة ابى تمام فى مصر وتفصيلات علاقاته بوجوهها وامرائها وشعرائها انظر : محمد كامل حسين : ادب مصر الاسلامية : ص ٢٠٠ — ٢٠٨ .

(٦٤٥) الولاة : ص ١٢٤ ، ١٣٣ ، ١٣٧ ، ١٣٨ .

الفصـــل الرابــع

قبـــائل حمـــير

تتفرع حمير فرعين : مالك ، والهميسع . وقبل ان نتناولهما بالبحث نتحدث عن حمير بوجه عام .

عرفت حمير الحياة المدنية منذ زمن بعيد وكان منها ملوك اليمن من التبابعة الا من تخلل فى خـلال ملكهم فى قليـل من الزمن (١) . وعندما دخلت المسيحية بلادها فى القرن الرابع الميلادى كانت هنـاك مجامع يهودية عديدة ، وقد غزاها الأحبـاش فى القرن الثالث ، وظلوا يحكمونها حتى بداية الثلث الأخير من القرن السادس عندما سقط حكمهم وقام الاحتلال الفارسى العسكرى الذى قضى عليه الاسـلام . وعلى كل حال فالنبى لمـا أرسل رسله الأول الى اليمن كانت مملكة حمير قد دالت منذ زمن بعيد ، وتقبل زعماء حمير الدين الجديد بغير معارضـة جديرة بالذكر (٢) .

واشتركت حمير فى فتح مصر ، واختطت بالفسطاط قبلى خولان وشرقيها . ومن المهم ان نلحظ انها سكنت مع المعافر فى موقعها الممتاز فوق الجبل . وكانت تذهب الى الصعيد الأدنى ترتبع فى بوصير وقرى

---

(١) نهاية الارب : ص ٢٠٠ .

(٢) Ency. Isl, II, pp. 310 — 311.

س . فى حين ذهبت طائفة منهم الى خربتا فأقامت بها مع مدلج
فتهم فيها فهى منازلهم (٣) .

ووقفت حمير ، شأنها شأن معظم القبائل اليمنية ، مع ابن جحدم
مروان بن الحكم . ويبدو انها قاتلت بعنف جعل عبد الرحمن بن
م يقول عنها انها « كاللهب المحرق » (٤) .

وهم يظهرون فى مصر طوال فترة البحث . ولكن كان أهمهم
يف الشاعر (١٢٧ هـ) (٥) ، وعبد العزيز بن ودعة (١٣٣ هـ)
جوه المصريين (٦) ، وابن هشام صاحب السيرة النبوية
٢١٨ هـ) (٧) .

وتدل شواهد القبورعلى انهم كانوا ما يزالون كثيرين بمصر فى
ن الثالث (٨) .

ونتحدث الآن عن فرعى حمير .

أولا ــ مالك

ان الأقسام الرئيسية التى تنقسم اليها القبائل المنتسبة الى مالك
فى الواقع فروع لقضاعة بن مالك . فلكى نتحدث عن مالك يجب
حدث عن قضاعة بما هى الممثل الفعلى لمالك .

قضاعة

شهدت قضاعة فتح مصر واختطت بها . وبالرغم من أن عمر بن
اب حول قبيلة بلى ــ وكانت تمثل ثلث قضاعة بالشام ــ الى
(٩) ظلت قضاعة قليلة العدد الى حد يصوره انها لم تكن صاحبة

---

(٣) فتوح مصر : ص ١٢٦ و ١٤٢ .
(٤) الولاة : ص ٤٤ .
(٥) المصدر نفسه : ص ٨٧ .
(٦) المصدر نفسه : ص ٩٨ .
(٧) وفيات الأعيان جـ ١ ص ٣٦٥ ، وحسن : جـ ١ ص ٢٢٨ ، بغية الوعاة : ٣١ .
(٨) Rép. Chro. I, pp. 191, 254, 275 & II, pp. 27 — 28, 66
(٩) فتوح مصر : ص ١١٦ ، والبيان : ص ٣٠ .

دعوة مفردة فى الديوان ، أى لم تكن ذات سجل خاص بها يشتمل على اسماء الأفراد الموجودين منها فى مصر ، وانما كانت موزعة فى القبائل الأخرى ، بمعنى ان كل بطن منها كان ملحقا بديوان قبيلة من القبائل . فكانت مهرة مثلا مسجلة فى ديوان كندة ، وتنوخ فى الأزد ، وجهينة فى اهل الراية .. الخ وظلت قضاعة على هذا الوضع حتى حكم مصر احد أبنائها (بشر بن صفوان الكلبى) فأعاد تنظيم الديوان بأن استخرج بطون قضاعة من القبائل الملحقة بها وجعلهم دعوة مفردة . وكان هذا هو التدوين الرابع للعرب المقيمين فىمصر ، وقد تم فى سنة ١٠٢ هـ (١٠).

ويبدو أن جانبا من قضاعة أقام فى بلاد الحوف حيث كان لهم ، قبل منتصف القرن الثالث على كل حال ، بلدة باسم (مسجد قضاعة) على الطريق ـ طريق الصيف ـ من الفرما الى مصر . وكانت فى منتصف المسافة بين فاقوس وبلبيس (١١) .

وفى القرن الثانى كانت قضاعة بارزة على مسرح الحياة المصرية يتحدث عنها الشعراء (١٢) .

والآن نتحدث عن أقسام قضاعة وبطونها فى مصر .

تنقسم قضاعة ثلاثة أقسام رئيسية : عمرو ، عمران ، أسلم .

ونتحدث الآن عن كل قسم وما كان من بطونه فى مصر .

١ ـ عمرو

كان من هذا القسم بمصر القبائل الآتية :

١ ـ مهرة :

المهريون شعب قديم من شعوب جنوبى الجزيرة ، يتكلم لغة تختلف اختلافا اساسيا من اللغة الغربية . وقد ارتدوا عن الاسلام ، ولكن ابا بكر اخضعهم بسهولة فعادوا الى الاسلام واشتركوا فى حركة الفتح الكبرى التى بدأت فى عهد عمر بن الخطاب (١٣) .

---

(١٠) الولاة : ص ٧٠ ـ ٧١ .
(١١) المسالك والممالك : ص ٢٢٠ .
(١٢) الولاة : ص ١٥٠ والقضاة : ص ٣٦٩ .
(١٣) Ency. Isl. III. pp. 138 — 144.

وتظهر مهرة فى معارك فتح مصر . ويبدو أنها امتازت بالبراعة فى القتال امتيازا جعل عمرو بن العاص يصف المهريين بأنهم « قوم يقتلون ـ بفتح الياء ـ ولا يقتلون » (١٤) . كما ان تمسكهم بان ينال أحدهم (تميم بن فرع) نصيبه من الغنائم بعد فتح الاسكندرية تمسكا أوشك أن يجرهم الى النزاع الفعلى مع قريش دليل على اعتدادهم بأنفسهم (١٥) . وقد اختطت مهرة على سفح جبل يشكر ، ثم نقلهم عمرو بن العاص الى جانبه (١٦) . وكان لهم بالفسطاط مسجد ذو قبة سوداء (١٧) . وكانوا يرتبعون فى تتاوتمى (١٨) .

وظلت مهرة مضمومة الى كندة فى الديوان شأنها شأن كل قبائل قضاعة حتى استخرجت سنة ١٠٢ هـ فى التدوين الرابع (١٩) .

ويبدو ان مهرة كانت قبيلة كثيرة العدد قوية الجانب بمصر فقد عدها عمرو بن العاص من القبائل المصرية . هذا الى أنه قد اشترك منهم وحدهم ستمائة رجل فى غزو افريقية سنة ٢٧ هـ بقيادة عبد الله ابن سعد (٢٠) .

وتشهد شواهد القبور بأن مهرة احتفظت ببقائها فى مصر حتى القرن الثالث (٢١) .

ومن شخصيات الفتح نرى من مهرة تميم بن فرع الذى سبقت الاشارة اليه (٢٢) ، وبرح بن حسكل الذى اعترض على خروج مال مصر الى معاوية (٢٣) .

ونرى منهم بعد ذلك شريح بن ميمون كان من قادة الأسطول

---

(١٤) فتوح مصر : ص ٧٦ – ٧٧ .
(١٥) المصدر نفسه : ص ١٧٨ .
(١٦) المصدر نفسه : ص ١١٨ و ١١٩ والانتصار : جـ ٤ ص ٣ .
(١٧) فتوح مصر : ص ١١٨ .
(١٨) المصدر نفسه : ص ١٤٢ .
(١٩) الولاة : ص ٧٠ – ٧١ .
(٢٠) فتوح مصر : ص ٧٧ و ١٨٤ .
(٢١) Rép . Chro. I, pp. 102, 146.
(٢٢) فتوح مصر : ص ١٧٨ والانساب : ص ٤٢٤ أ و ٥٤٦ أ .
(٢٣) فتوح مصر : ص ٩٤ و ١٠٢ و ٢١٦ .

المصرى سنة ٩٨ هـ (٢٤) . وكان ابنه محمد من رؤساء فتنة خلع مروان الحمار بمصر (١٢٧ — ١٢٨ هـ) (٢٥) .

ويبدو انهم اقاموا بالحوف فان واحدا منهم (مهدى بن زياد) هو الذى قتل موسى بن مصعب امير مصر فى معركة العريرا (ذكرها ياقوت باسم الفريراء بالغين المعجمة وقال انها موضع بحوف مصر) (٢٦) . التى دارت بينه وبين أهل الحوف سنة ١٦٨ هـ (٢٧) .

ومثلما ظهر من مهرة رجال الحرب ظهر منها رجال العلم ورجال الدين مثل خالد بن حميد الاسكندرانى (ت ١٦٩ هـ بالاسكندرية) من مشاهير أتباع التابعين بمصر (٢٨) ، ورشدين بن سعد (ت ١٨٨ هـ) لم يكن محدثا دقيقا (٢٩) ، وسليمان بن داود (ت ٣٥٢ هـ) من أصاغر أتباع التابعين بمصر (٣٠) .

وهكذا نرى أن مهرة كانت قبيلة على حظ من القوة والشهرة بمصر ، واستطاعت أن تظهر على مسرح الحياة العامة وتؤثر فيها حربيا وسياسيا وعلميا .

٢ — بلى :

بلى قبيل عظيم فيه بطون كثيرة . وكانت مساكنها على حدود الشام بين اراضى جهينة وجذام . وكانوا قبل ذلك جنوبى جزيرة العرب (٣١) .

وظلت بلى تقاوم الاسلام منضمة الى هرقل حتى تمكن المسلمون من هزيمتها هى واليونانيين فى معركة اليرموك ١٥ هـ ولكن هذا لم

(٢٤) المصدر نفسه : ص ١١٨ — ١١٩ .
(٢٥) الولاة : ص ٩٠ .
(٢٦) معجم البلدان : جـ ٦ ص ٢٨٦ .
(٢٧) الولاة : ص ١٢٦ — ١٢٧ .
(٢٨) حسن : جـ ١ ص ١٣ .
(٢٩) الانساب : ص ٥٤٦ ا ، مقدمة كست ص ٣٣ .
(٣٠) حسن : جـ ١ ص ١١٧ .
(٣١) البيان : ص ٣٠ و Mac, I, p. 137 & Ency. Isl. I, p. 618.

يمنـــع انها ـ او جزءا منهـــا ـ قدم خضـــوعه للنبى بعد فتح مكة سنة ٩ هـ ، وان كانوا حاولوا التمرد بعد وفاة النبى (٣٢) .

وقد نزل اكثرهم مصر بعد معركة اليرموك باذن الخليفة عمر (٣٣) . وقد قاموا فى عمليـــات الفتح بدور مهم ، اذ يبدو انهم تولوا ضرب حصن بابليون بالمنجنيق ، فسجل عمرو ذلك لهم فى رجزه المشهور :

يوم لهمدان ويوم للصدف   والمنجنيق فى بلى تختلف (٣٤)

ويبدو ان عمرا كان يحـــابى بليا لأن امه منهم ، فكانت بلى تقف فى المعارك عن يمين رايته (٣٥) . بل زعم قوم ان عمرا كان يقف تحت رايتهم هم (٣٦) . ثم انه وصف بليا بانها تمتـــاز من بين قبائل مصر بكثرة من ظهر من ابنائها من الصحابة والفرسان المتازين (٣٧) .

ولاشك فى ان بليا كانت كثيرة العدد بمصر ، فقد عدها عمرو من بين القبائل المصرية (٣٨) ، كما انها اختطت بالفسطاط خطة كبيرة (٣٩) . وكانت هذه الخطة فى الحمراوات الثلاث (٤٠) .

وقد تنازعوا فى اول اقامتهم بمصر مع جهينة الذين تبعوهم الى هنا ولكن سرعان ما اتفقوا اتفاقا اقامت بلى بمقتضاه فى البلاد الواقعة بين مصر وميناء عيذاب (شرقى اسوان) (٤١) . وكانوا يرتبعون فى منف وطرابيـــة (٤٢) .

ولم تستقر بلى بمصر استقرارا تاما ، فقد ذهب قوم منهم الى

---

(٣٢) Ency. Isl. I. p. 618.
(٣٣) الانساب : ص ١٩١ و Ency. Isl. I. p. 618.
(٣٤) فتوح مصر : ص ٦٢ .
(٣٥) المصدر نفسه : ص ١١٦ .
(٣٦) المصدر نفسه ص ٦٢ .
(٣٧ ، ٣٨) المصدر نفسه : ص ٧٧ .
(٣٩) المصدر نفسه : ص ١١٦ .
(٤٠) الانتصار : جـ ٤ ص ٥ .
(٤١) Mac. I, p. 137 & Ency. Isl. I. p. 618.
(٤٢) فتوح مصر : ص ١٤٢ .

معادن التبر فى اقصى الجنوب يبحثون عن الثروة (٤٣) . كما أقام بعضهم فى الرمادة من لوبية مع آخرين من جهينة وبنى مدلج (٤٤) .

وكان من بلى من الصحابة بمصر مسعود بن أوس (٤٥) ، وجبارة بن زرارة (٤٦) ، شهدا الفتح واختطا بها . ولاشك فى ان بليا كانت علوية الهوى فكان منها ابن الجثما من رجال ابن أبى حذيفة سنة ٣٦ هـ (٤٧) ، وعبد الرحمن بن عديس الذى قام بالدور الرئيسى فى مصرع عثمان (٤٨) . ثم كان عبد الله بن أبى حرملة صاحب الشرطة لمحمد بن أبى بكر الصديق (٤٩) . واستمرت ميول بلى ضد الأمويين فكان زهير بن قيس من قواد ابن جحدم فى حربه ضد مروان سنة ٦٥ هـ (٥٠) .

وكان عايذ بن ثعلبة (ت ٥٣ هـ) (٥١) ، ووحوح بن ثابت من أشراف أهل مصر (٥٢) .

ومن شعراء بلى أبو المصعب صاحب القصيدة المشهورة التى هجا فيها اشراف أهل مصر (٥٣) .

وكان من موالى بلى شعيب بن حميد من أصحاب الشرط (١٠١ هـ) (٥٤) ، وأبو الندى قاطع الطريق الرهيب (١٩١ ـ ١٩٢ هـ) فى الصحراء ما بين مصر والحجاز والشام (٥٥) .

وكان من بلى بمصر البطون الآتية :

---

(٤٣) كتاب البلدان : ص ١٢١ ، ١٢٢ ، ١٢٣ .
(٤٤) المصدر نفسه : ص ١٣١ .
(٤٥) الانتصار : جـ ٤ ص ١٠٦ .
(٤٦) الانساب : ١٢٠ ب .
(٤٧) الولاة : ص ١٩ .
(٤٨) انظر بطن عترة فيما يلى .
(٤٩) الولاة : ص ٢٧ .
(٥٠) فتوح مصر : ص ٢٠٢ ـ ٢٠٣ والولاة : ص ٤٣ .
(٥١) فتوح مصر : ص ١٢٣ ـ ١٢٤ والولاة : ص ٣٨ .
(٥٢) الولاة : ص ١٠٢ ، ١٠٣ .
(٥٣) فتوح مصر : ص ١٢٣ ـ ١٢٤ .
(٥٤) الولاة : ص ٧٠ .
(٥٥) المصدر نفسه : ص ١٤٣ ـ ١٤٤ .

(أ) قـــاران :

هو قاران بن بلى . منه فرج بن سهيل (ت ٢٣٨ هـ) من محدثى مصر (٥٦) .

(ب) عتــــرة :

عترة اسم لبطون فى قبائل كثيرة منها بلى (٥٧) .

وعترة بلى منها عبد الرحمن بن عديس الصحـــابى ، شهد فتح مصر واختط بها ، وكان أحد فرسان بلى المعدودين بمصر ، وكان القائد العام للجيش المصرى الذى سيره ابن ابى حذيفة الى عثمـــان سنة ٣٥ هـ (٥٨) .

(ج) بلى جـــزاء :

من بلى . لهم خطة بالفسطاط (٥٩) .

(د) بلى أهل الراية :

يبدو انهم هم الجزء الذى أقام مع أهل الراية من بلى (٦٠) .

(هـ) الوحاوحـــة :

قوم من بلى كانت لهم خطة بمصر . بنى فى خطتهم عبد العزيز بن مروان قيسارية الكباش (٦١) .

من الواضح الآن أن الدور الرئيسى الذى قامت به بلى فى الحياة المصرية يكاد ينحصر فى عمليـــة الفتح نفسها ثم فى الثورة على عثمان .. ومنذ ذلك التاريخ عاشت بلى بمصر فى خمول يكاد يكون مطلقا بالرغم من العدد الكبير الذى أقام منهم بمصر .

وننتقل فى كل حال الى القسم الثانى من قضاعة .

---

(٥٦) الانساب : ٤٣٦ ب .

(٥٧) المصدر نفسه : ٣٨٣ ب .

(٥٨) الطبرى : ٣ : ٤٠٧ ، ٤١١ والولاة : ١٧ ، ١٩ ، ٢٠ والانســـاب ص ٩١ أ .

(٥٩ ، ٦٠) فتوح مصر : ص ١١٦ .

(٦١) فتوح مصر : ص ١٣٦ .

٢ ـ عمـــران

كان من هذا القسم بمصر القبائل الآتية :

١ ـ ســـليح :

ويبدو انها كانت قليلة الأهمية . ولم يظهر منهم ســوى عبد الملك ابن مليل المحدث (٦٢) .

٢ ـ كـــلب :

مجموعة من القبائل الرعوية الشامية ، جعلهم فتح الشام فى المقدمة بسبب التحالف الوثيق الذى عقده معاوية مع قبيلتهم . وقد سما بهم هـــذا التحالف الى مرتبة عالية فى البلاط والجيش . وقـــد ظلوا الى جانب الأمويين يمدونهم بالمساعدات الحربية الفعالة فى المناسبات المختلفة حتى أصبح اسم الكلبى مرادفا للمتعصب للأمويين . وكانوا فى أثناء ذلك كله يناصبون قبيلة قيس العداء التقليدى المستحكم (٦٣) .

ولم تظهر كلب فى مصر الا فى وقت متـــأخر على كل حـــال . واذا استثنينا دحية بن خليفـــة مبعوث النبى الديبلوماسى الذى يبدو أن اقامتـــه بمصر كانت قصـــيرة (٦٤) ، كان بشر بن صـــفوان والى مصر (١٠١ ــ ١٠٢ هـ) ، وصاحب التدوين الرابع المشهور ، هو أول الكلبيين ظهورا بها (٦٥) . وبناء على ما مر بنا من ســـوابق نستطيع أن نفترض قدوم عدد من قبيلة كلب الى مصر مع ذلك الوالى . والواقع اننا نجد اخاه حنظلة يلى له الشرط سنة ١٠١ هـ ثم يحكم مصر نفسها مرتين (١٠٢ ــ ١٠٥ ، ١١٩ ــ ١٢٤ هـ) (٦٦) . وكذلك عياض بن حريبة صاحب شرط حنظلة هـــذا (١١٩ ــ ١٢٢ هـ) ، الذى ظل مقيما بمصر حتى قامت الدولة العباســـية وخرج مع صالح بن على العبـــاسى فى عشرة من اهل مصر سنة ١٣٣ هـ (٦٧) . بل أن جانبـــا من كلب أقـــام

---

(٦٢) الانساب : ص ٣٠٤ أ .

(٦٣) Ency. Isl. II, p. 688, 689.

(٦٤) الانساب : ص ٤٨٥ ب .

(٦٥) الولاة : ص ٧٠ ــ ٧١ .

(٦٦) الولاة : ص ٧٠ ــ ٧٢ ، ٨٠ ــ ٨٢ .

(٦٧) المصدر نفسه : ص ٨١ ، ١٠١ .

فى الحوف الشرقى مع القبائل اليمانية الأخرى المقيمة به ، حيث ظهر منهم شرحبيل بن مذيلفة الذى قـاد حركة التسويد بالحوف الشرقى سنة ١٣٢ هـ (٦٨) .

ويصبح وجود الكلبيين مألوفا بمصر بعد ذلك فنرى منهم أبا كندة ابن عبيد من القواد (١٤٥ هـ) (٦٩) ، وأبا الصهباء من أصحاب الشرط القساة (١٥٥ ــ ١٦١ هـ) (٧٠) ، ويزيد بن الخطاب احد زعمـاء الحوف فى فتنة الأمين والمـأمون . ومن المهم ان نلحظ أن يزيدا هـذا كان له مال ــ ولعل ذلك المـال كان أرضا ــ فى بنا وسنهور وسندفا من مدن الدلتا الشمالية (٧١) . ولعل أبا الكروس (١٦٨ ــ ١٦٩ هـ) كان شاعر كلب بمصر (٧٢) .

وتشـير شـواهد القبور الى اقامـة الكلبيين بمصر فى القـرن الثـالث (٧٣) .

وكان من كلب بمصر البطن الآتى :

بنو عـامر :

اشتهر هذا البطن بأن كان منه كلثم بن المنذر الذى اشترك مع خالد بن سعيد فى حركته العلوية سنة ١٤٥ هـ لخصومة شخصية بينه وبين والى مصر حينذاك (٧٤) .

نرى من هذا ان كلبا بالرغم من تأخر اقامتها بمصر قد ساهمت فى الحياة السياسية بها مساهمة فعالة طوال القرنين الأخيرين من الفترة التى ندرسها .

---

(٦٨) المصدر نفسه : ٩٥ ، ١٠١ ، ١٠٥ والانتصار جـ ٤ ص ٣٩ .
(٦٩) المصدر نفسه : ص ١١٣ .
(٧٠) المصدر نفسه : ص ١١٩ .
(٧١) المصدر نفسه : ص ١٤٩ ــ ١٥٧ .
(٧٢) القضاة : ص ٣٨١ .
(٧٣) Rép. Chro. p. 107 & II. p. 154.
(٧٤) الولاة : ص ١١٤ .

٣ ـ تنـــوخ :

تنوخ قبيلة من قضـــاعة (٧٥) . والواقع انها ليست قبيلة واحدة ، وانما هم عدة قبـــائل اجتمعوا قديمـــا بالبحرين وتحالفوا على التوازر والتناصر واقاموا هناك (٧٦) . ولذلك عدهم ابن حزم من بين القبـــائل التى لا ترجع الى أب واحد (٧٧) . هـــذا وتنوخ احدى القبائل التى هى نصارى العرب (٧٨) .

وشهدت تنوخ فتح مصر ، وكان نفر منهم من اللفيف (٧٩) . ويبدو ان خطتهم كانت مع اللفيف ، فان عقبة تنوخ التى كانت من عقبـــات مصر المشهورة كانت من خطة اللفيف (٨٠) . وكانت تنوخ مضمومة الى الأزد فى الديوان حتى استخرجها بشر بن صفوان سنة ١٠٢ هـ وجعلها هى وسائر بطون قضاعة دعوة مستقلة (٨١) .

ظهر منهم بمصر بطنان أو أسرتان هما :

(أ) بنو علقمـــة :

اختط جدهم بمصر (٨٢) ، وورث كعب بن علقمة هذه الخطة ثم وهبها لعبد العزيز بن مروان الذى حولها الى الحمـــام الذى كان يعرف بحمـــام زبان (٨٣) . وقـــد اتهم عبد الحميـــد بن كعب بالقـــدر سنة ١٧٠ هـ (٨٤) .

(ب) آل كعب بن عدى :

كان جـــدهم كعب من أهل الحيرة ، أرســـله عمر الى المقوقس سنة ١٥ هـ ، وشهد فتح مصر (٨٥) . وانضم آل كعب الى قريش فى

---

(٧٥) نسب عدنان ص ٢٤ والانتصار : جـ ٤ ص ٥١ .
(٧٦) وفيات الأعيان جـ ١ ص ٤٢ ، الانساب : ص ١١٠ ا .
(٧٧) نهاية الارب : ص ١٩ .
(٧٨) وفيات الأعيان : جـ ١ ص ٤٢ .
(٧٩) الانتصار : جـ ٤ ص ٤ .
(٨٠) المصدر نفسه : جـ ٤ ص ٥١ .
(٨١) الولاة : ص ٧٠ ــ ٧١ .
(٨٢) فتوح مصر ص ١١٣ ــ ١١٤ .
(٨٣) المصدر نفسه : ص ١١٤ .
(٨٤) الولاة : ص ١٣١ .
(٨٥) حسن : جـ ١ ص ٩٦ .

الديوان ، وظلوا كذلك حتى التدوين الرابع سنة ١٠٢ هـ فانضموا مع سائر قضاعة (٨٦) .

لم تكن تنوخ على ما يبدو مما سبق من القبائل المهمة بمصر ، ولكنها ظلت محتفظة ببقائها منذ دخلتها مع الفتح حتى الثلث الثانى من القرن الثانى على الأقل .

٤ ـ خشين :

ذكرها « كست » ناشر الولاة باسم خسين الذى عده من الاسماء المجهولة (٨٧) . ولكن من الواضح انها البطن من قضاعة رهط أبى ثعلبة الخشنى (٨٨) .

وشهدت خشين الفتح ، وانضمت الى لخم فى الديوان ، وظلت كذلك حتى استخرجت سنة ١٠٢ هـ (٨٩) . ويبدو انها كانت على صلة خاصة بلخم ، فمثلما انضمت اليها فى الديوان انضمت الى طائفة منها ومن جذام فنزلوا اكناف صان وابليل وطرابية واقاموا هناك حيث ضاعت آثارهم (٩٠).

ولم يبق لنا منهم بمصر سوى ابن أبى زمزمة الشاعر الذى أعجب بالسرعة التى تم بها حفر خندق ابن جحدم فى حربه مع مروان سنة ٦٥ هـ (٩١) . والأرجح انه هو نفسه زرعة بن سعد الله بن أبى زمزمة الذى هجا أمير مصر عبد الله بن عبد الملك سنة ٨٨ هـ (٩٢) .

ثم ننتقل الى القسم الأخير من قضاعة .

---

(٨٦) الولاة : ص ٧٠ ـ ٧١ .
(٨٧) الولاة : هامش ص ٧١ .
(٨٨) الانساب : ص ٢٠٠ أ والقاموس مادة : الخشن .
(٨٩) الولاة : ص ٧١ .
(٩٠) فتوح مصر : ص ١٤٢ ـ ١٤٣ .
(٩١) الولاة : ص ٤٢ .
(٩٢) المصدر نفسه : ص ٥٩ .

٣ ـ أسلم

كان من اسلم بمصر القبائل الآتية :

١ ـ عذرة :

وهم المعروفون بشدة العشق ، قوم جميل صاحب بثينة (٩٣) . وليس لدينا ما يدل على قدومهم الى مصر بصورة قبلية فى أثناء الفتح أو بعده . وربما كان أبو بكر بن القاسم بن قيس ـ ممن لحق بابن الزبير من أهل مصر سنة ٦٤ هـ دليلا على اقامة بعضهم بمصر فى أثناء القرن الأول (٩٤) . ولكن الأمر الذى لا شك فيه هو انهم جعلوا يفدون الى مصر بصورة فردية أو جماعية منذ القرن الأول نفسه . فقد قدم جميل بثينة على عبد العزيز بن مروان فأكرمه ، وظل بها حتى مات سنة ١٢٠ هـ (٩٥) . وكان آل حوى بن معاذ أهم من أقام بمصر من بنى عذرة على الاطلاق . كان منهم ابراهيم بن حوى الذى قتله أهل الحوف فى المعارك بينهم وبين الدولة ١٨٦ ـ ١٨٧ هـ (٩٦) . وكان حوى بن حوى (ت ٢٠٠ هـ) من أشراف أهل مصر ، صاحب فندق حوى بالفسطاط ، ولى أولاده الولايات بمصر (٩٧) : فكان أحمد بن حوى من أصحاب الشرط (١٨٩ ـ ١٩٩ هـ)(٩٨) ، وكان أبو الكرم بن حوى من القواد ، قتله أهل الحوف سنة ١٩٧ هـ (٩٩) .

ويظهر بنو عذرة بمصر فى القرن الثالث كذلك ، فكان منهم أبو مجاهد عذرة بن مصعب (ت ٢٥٢ هـ) المحدث ومؤذن المسجد الجامع بمصر (١٠٠) .

وقد احتفظوا ببقائهم فى مصر زمنا طويلا بعد ذلك فان الحمدانى يذكر ان منهم جماعة بدمياط وما حولها بتنيس (١٠١) .

---

(٩٣) العقد : جـ ٤ ص ٢٣٨ ، نهاية الارب : ص ٢٩٢ ، ٢٩٣ .
(٩٤) الولاة : ص ٤١ .
(٩٥) حسن : جـ ١ ص ٣٢٩ .
(٩٦) الولاة : ص ١٤٩ ـ ١٥٠ .
(٩٧) القضاة : ص ٣٨٩ ، ٣٩٨ والانتصار : جـ ٤ ص ٤٠ .
(٩٨) الولاة : ص ١٤٢ ، ١٥٤ .
(٩٩) المصدر نفسه : ص ١٥١ .
(١٠٠) الانساب : ص ٣٨٧ أ .
(١٠١) نهاية الارب : ص ٢٩٣ .

والواضح فى كل حال من حيــاة بنى عــذرة بمصر انهم كانوا من اشرافها اى من الطبقة الارستقراطية بها . وانهم كانوا فى جانب الدولة دائما ، فكانوا ممن يمثلون الاتجــاه المدنى المضـاد للاتجاه البدوى .

٢ ـ جهينــــة :

قبيلة عظيمة ، فيها بطون كثيرة ، اعتنقت الاســلام واندمجت فى الجماعة الاسلامية بدون مقاومة . ولم يشـــتركوا فى الردة ، بل ظلوا معاونين أقوياء الخلافة الناشئة . ونزلت جهينة الكوفــة والبصرة ، ولكن جمهورها هاجر الى مصر حيث نجدها عند الفتح مع أقسام أخرى وثيقة التحالف من قضـــاعة (١٠٢) ، ثم أخذوا يتقدمون بالتدريج من مصر الســفلى نحو مصر العليــا حيث لعبوا دورا ضخما فى العصر الفاطمى عندما كانوا يقيمون فى منطقة الأشمونين الى أن طردتهم قريش منها بمساعدة الفاطميين ومن المهم أن نلحظ أن جهينة كانت عند الفتح من أهل الراية ، وقد اختطت معهم حول عمرو والمسجد (١٠٣) . ولم تشترك جهينة بسبب قلتهــا مع أهل الراية فى المسكن فحسب ، بل انها ضمت اليهم فى الديوان أيضــا وظلت كذلك حتى التدوين الرابع سنة ١٠٢ هـ (١٠٤) .

ولم تجمد جهينة فى مساكنها الأولى بالفسطاط ، بل انهم أخذوا يتقدمون بالتدريج نحو مصر العليــا ، حيث نراهم فى القرن الثالث من بين القبائل المقيمة على حدود مملكة النوبة والتى حطمت تدريجيــا سلطان هــذه المملكة المسيحية القديمة . وقد كانت جهينة على أية حــال هى التى مهدت السبيل الى تفكك مملكة النوبــة وتحولها الى الاسلام ، وبذلك حطمت أقوى دفــاع كان يقوم على أراضى أعــالى النيل فى وجه غارات العرب والاسلام (١٠٥) .

ومثلما سجل اليعقوبى اقامتهم فى الجنوب فى معادن التبر مع

---

(١٠٢) البيان : ص ٣١ والانساب : ص ١٢٥ ب ووفيــات الأعيــان : جـ ١ ص ١٨٣ .
Ency. Isl. I, p. 1060

(١٠٣) فتوح مصر : ص ٩٨ والانتصار : جـ ٤ ص ٣ .

(١٠٤) الولاة : ص ٧١ .

(١٠٥) Ency. Isl.· Isl, I, p. 1060.

اصدقائهم بلى سجل اتجــاههم نحو الغرب واقامتهم مع بلى وبنى مدلج وغيرهم فى الرمادة من عمل لوبية (١٠٦) .

والواقع ان أهم تحركات جهينة هو ذلك الذى أدى الى انتشارها فى الصعيد . ولابد أن كثيرا من بطونها قد هاجر الى مصر بعد الفتح وانضم الى الفئة الأولى القليلة التى شهدت الفتح بحيث أصبحت جهينة من القبائل الكبيرة بمصر . ولايمكن بغير هــذا تفسير اشتراكهم فى غزو بلاد النوبة الذى مر ذكره ، ولا تفســير احتلالهم منطقــة الأشمونين واقامتهم كأغلبية هم وبلى مع قريش التى كانت قليلة العدد بهــذه المنطقــة أول الأمر . فلمــا كان العصر الفــاطمى زحفت قريش على الأشمونين واستأثرت بها دون هاتين القبيلتين على النحو الذى ذكرنا من قبل . فسارت جهينة الى الصعيد الأعلى حيث نزلت فى بلاد أخميم أعلاها وأسفلها (١٠٧) .

ومما يلفت النظر أن جهينة لم يظهر منها بمصر بالرغم من كثرتها سوى عقبة بن عامر الصحابى ، من كبــار رجالات مصر ومحدثيها فى عهد الفتح (١٠٨) .

وكل من ظهر منها بعد ذلك فهو من الموالى ، مثل أبى الهيثم مولى عقبة (١٠٩) ، وعبد الله بن صالح كاتب الليث (ت ٢٢٣ هـ) من حفاظ الحديث ونقاده (١١٠) ، وسهل بن الربيع الأخميمى الشاهــد المحدث (ت ٢٤٩ هـ) (١١١) ، وابنه أحمد بن سهل (٨ ٢٨١ هـ) شــاهد ومحدث كذلك (١١٢) .

بذلك نفرغ من أقسام قضــاعة جميعا ، فنفرغ من مالك أحــد فرعى حمير ، وننتقل الى الفرع الثانى .

---

(١٠٦) كتاب البلدان : ص ١٢١ ــ ١٢٢ و ١٢٣ ، ١٣١ .

(١٠٧) نهاية الارب : ص ١٨٦ والبيان : ص ٣١ , Ency. Isl. I, p. 1060 & Mac. I, p. 138. و ص ٨٩ من هذا البحث .

(١٠٨) فتوح مصر : ص ٢٨٧ ، ٢٩٤ والولاة : ص ١٤ ، ٣٦ ــ ٣٨ .

(١٠٩) حسن : جـ ١ ص ١٠٧ .

(١١٠) الانساب : ص ٤٦٩ ب وحسن : جـ ١ ص ١٤٥ .

(١١١ ، ١١٢) الانساب : ص ٢٢ أ .

ثانيا ـ الهميسع

تمثل القبائل المنتسبة الى الهميسع بن حمير سائر حمير غير قضاعة (١١٣) . وهذه القبائل هي :

١ ـ حضرموت

من المهم أن نلحظ أن بلاد حضرموت الواقعة فى جزيرة العرب ، شرقى اليمن كان يسكنها الصدف فى عصر ما قبل الاسلام (١١٤) . وقد ذكرنا عند الحديث عن كندة انها هاجرت فى وقت مولد النبى تقريبا من البحرين الى حضرموت فى أكثر من ثلاثين الف رجل والحقت نفسها بالصدف ، وكانت تجيب اخوال الحضارمة أهم بطون كندة عند ذاك (١١٥) . ولذلك كان لنا أن نتوقع وجود صلات كثيرة بين الحضارمة سكان البلاد الأصليين والصدف وكندة وتجيب سكانها الطارئين . والواقع أن ذلك الاختلاط كان له أثره البعيد فى حياة الحضارمة الى حد أن قال صاحب العبر ان أكثرهم ذهب واندرج باقيهم فى كندة وصاروا فى عدادهم (١١٦) . وقد تأثر الحضارمة بنظام كندة فى الحكم أو خضعوا لهذا النظام فكان يحكمهم فى عصر النبى الأمراء الملقبون بالعباهلة الذين كانوا يقابلون التبابعة ملوك اليمن فى علو الصيت ونباهة الذكر (١١٧) . وكان هؤلاء العباهلة وائل بن حجر الذى ترك ملكه ونهض الى الرسول لما بلغه ظهوره ، فبشر النبى بقدومه الناس قبل أن يقدم بثلاثة أيام . ومن المهم أن نلحظ أن السمعانى يضيف الى وائل هذا النسبتين الحضرمى الكندى معا (١١٨) .

ويبدو أن الحضارمة شهدوا فتح مصر . فقد ذكر ابن عبد الحكم اسماء من دخل منهم الفسطاط مع عمرو . ولاشك فى قلة عددهم آنذاك ، فانهم لم ينفردوا بخطة مستقلة وانما اقاموا مع اخوالهم فى

---

(١١٣) نسب معدنان : ص ٢٤ .

(١١٤) Ency. Isl. II, p. 207.

(١١٥) انظر ص ٧١٣ ، ١٧٤ من هذا البحث .

(١١٦) نهاية الارب : ص ١٩٧ .

(١١٧) المصدر نفسه : ص ١٩٧ و Ency. Isl. II, p. 207.

(١١٨) الانساب : ص ١٧٠ أ ، ب .

تجيب . وفى آخر خلافة عثمان ركب مائة منهم اليه واستأذنوه فى المسير الى مصر فأذن لهم . وبذلك زاد عددهم فى مصر بحيث أصبحوا يستحقون خطة مستقلة فاختطوا شرقى سلهم والصدف حتى اصحروا وتحول اليهم من أراد التحول ممن كان منهم بتجيب (١١٩) . وصاروا يرتبعون فى ببا (من كورة البهنسا) (١٢٠) . وعين شمس وأتريب (١٢١).

ويبدو ان طبيعة بلاد حضرموت الفقيرة ترغم أبناءها على الهجرة سعيا وراء الرزق ، ويضطرهم هـذا بالتالى الى اكتساب مزايا معينة كالمهارة والأمانة تكفل لهم النجـاح فى كفاحهم فى البلاد الغريبة عليهم . وقد ظهر هـذا بوضوح فى حياة الحضارمة الذين أقاموا بمصر حيث كان لهم اعتبار خاص لدى أداة الحكم ، فقد كتب معاوية الى مسـلمة ابن مخلد والى مصر ينصحه ــ وربما يأمره ــ بأن يختـار موظفيه من الأزد أو الحضارمة فانهم أهل الأمانة (١٢٢) . وحدث ان ساء التفاهم بين عريف حضرموت (الملامس بن جذيمة) ووالى مصر (مسلمة بن مخلد) فاستأذن الملامس الخليفة معاوية فى الانتقال الى فلسطين فأذن لهم . ولكن مسلمة الذى كره ذلك لمـا فيه من خسارة مادية وأدبيـة لمصر بطبيعة الحـال احتال حتى احبط هـذه المحاولة (١٢٣) وضرب الحضارمة الرقم القياسى فى عدد من ولى القضـاء منهم ، ففى المدة ما بين سنة ٨٤ وسنة ٢٤٤ هـ ــ أى فى حوالى قرن ونصف قرن ــ ولى القضـاء بمصر تسعة من رجال حضرموت ــ أى بمعدل قاض واحد كل ثمانية عشر عاما ــ أولهم يونس بن عطية (٨٤ ــ ٨٦ هـ) وآخرهم لهيعة بن عيسى (١٩٩ ــ ٢٤٤ هـ) . هؤلاء عدا من ولى القضـاء منهم فى الأندلس وبرقة وفلسطين وحمص ودمشق . ولاشك فى أن الشاعر يزيد بن مقسم الصـدفى كان على حق اذ هنأ حضرموت بما اختصت به من الحكومة بين العجم والعرب (١٢٤) . ولمـا أخمد الحوثرة بن سهيل

---

(١١٩) فتوح مصر : ص ١٢٣ .

(١٢٠) معجم البلدان : جـ ٢ ص ٥٣ . الأرجح انها كورة بنا التالية لكورتى عين شمس وأتريب .

(١٢١) فتوح مصر : ص ١٤٢ .

(١٢٢) القضاة : ص ٤٢٦ .

(١٢٣) راجع : فتوح مصر : ص ١٢٤ .

(١٢٤) القضاة : ص ٤٢٥ ــ ٤٢٦ .

فتنة خلع مروان بمصر سنة ١٢٨ هـ ومضى يعدم زعماءها ــ وكان رجلا بدويا لا يجيد الا سفك الدماء ــ هم بقتل خير بن نعيم الحضرمى قاضى مصر وقتذاك ، ولكن حسان بن عتاهية التجيبى صاحب شرط الحوثرة تدخل ، فاكتفى الحوثرة بعزل ابن نعيم (١٢٥) .

والآن نتحدث عن بطون حضرموت أو الأسر التى عاشت منها فى مصر .

(أ) يس :

دخل هذا البطن مصر مع عمرو ، وكان أبرزهم نمر بن زرعة بن نمر (١٢٦) .

ومع الأيام أصبح بنو يغلب أشهر وأهم أسر هذا البطن بمصر ، حتى صاروا ينتسبون الى جدهم يغلب هذا (١٢٧) .

ومن بنى يغلب توبة بن نمر (ت ١٢٠ هـ) قاضى مصر وأحد أئمتها المجتهدين (١٢٨) . وعمه الحارث بن حرمل كان من تابعى مصر (١٢٩) . واشتهر عقبة بن كليب بفرسه « الجون » كان من خيل مصر المشهورة (١٣٠) . وكان ابنه عياش بن عقبة (١٣٢ ــ ١٥٥ هـ) من رجالات العباسيين بمصر كما كان من المحدثين (١٣١) .

(ب) الأعدول :

بطن من الحضارمة ، اشتهر منهم لهيعة بن عقبة (ت ١٠٠ هـ) من مشاهير تابعى مصر (١٣٢) . اما ابنه عبدالله بن لهيعة (٩٦ ــ ١٧٤ هـ)

---

(١٢٥) الولاة : ص ٩٠ والقضاة : ص ٣٥٢ .
(١٢٦) فتوح مصر : ص ١٢٣ .
(١٢٧) الانساب : ص ٦٠١ أ .
(١٢٨) فتوح مصر : ص ١١٩ ، والقضاة : ص ٣٤٢ ــ ٣٤٧ وحسن : حـ ١ ص ١١٩ والانساب ص ٦٠١ أ .
(١٢٩) الانساب : ص ٦٠١ أ .
(١٣٠) فتوح مصر : ص ١٤٤ والانساب : ٦٠١ أ .
(١٣١) الولاة : ص ٩٧ ، ١٠٣ ، ١١٤ والقضاة : ص ٣٦٩ ، والانساب ص ٦٠١ أ .
(١٣٢) الانساب : ص ٤٤ أ وحسن : : جـ ١ ص ١٠٧ .

فقد ولى قضاء مصر وحدث بها (١٣٣) . وكان أخوه عيسى بن لهيعة (ت ١٤٥ هـ) من المحدثين كذلك (١٣٤) . وشاركت ذرية عيسى هذا فى الحياة العامة بمصر ، فولى ابنه لهيعة بن عيسى (ت ٢٠٤ هـ) القضاء (١٣٥) ، وولى عباس بن لهيعة (ت ٢١٥ هـ) الشرط وحدث (١٣٦) ، كما ولى عيسى بن لهيعة (ت ٢٥٧ هـ) المظالم وحدث (١٣٧) .

(ج) الأحدوث :

بطن من ناهض ، من حضرموت (١٣٨) .

كان أشهرهم خير بن نعيم (ت ١٣٧ هـ) قاضى مصر وأحد ائمتها المجتهدين (١٣٩) .

(د) العقابة :

ظهر منهم رواة مثل : أواب بن عبد الله (مات قديما) (١٤٠) ، واسحق بن عمرو (ت ٢٤١ هـ) (١٤١) .

(هـ) بنو عوف :

منهم ابن أمية الذى ساعد مسلمة بن مخلد على احباط رغبة عريف حضرموت فى الانتقال بالقبيلة الى فلسطين (١٤٢) . ولكن أهمهم هو بلا شك حفص بن الوليد (ت ١٢٨ هـ) أمير مصر ومن أصاغر تابعيها (١٤٣) .

---

(١٣٣) القضاة : ص ٣٦٨ ـ ٣٧٠ والانساب : ص ٤٤ أ وحسن : جـ ١ ص ١٢٠ ومقدمة كست ص ٣١ ـ ٣٢ .

(١٣٤) الانساب : ص ٤٤ أ .

(١٣٥) القضاة : ص ٤١٧ ـ ٤٢٦ .

(١٣٦) الولاة : ص ١٦٦ والانساب : ٤٤ أ .

(١٣٧) الولاة : ص ١٩٨ والقضاة : ص ٤٦٨ والانساب : ص ٤٤ أ .

(١٣٨) الانساب : ص ٢٠ أ .

(١٣٩) الولاة : ص ٩٠ والقضاة : ص ٣٤٧ ـ ٣٥٦ والانساب : ص ٢٠ أ وحسن : جـ ١ ص ١٢٠ .

(١٤٠ ـ ١٤١) الانساب : ص ٣٩٤ أ ، ب .

(١٤٢) فتوح مصر : ص ١٢٤ .

(١٤٣) الولاة : ص ٧١ ـ ٩١ والنجوم : جـ ١ ص ٢٩٢ وحسن : جـ ١ ص ١١٠ .

(و) الحـــــارث :

دخلوا مع عمرو بن العــاص ، وكان أبرزهم مالك بن عمــرو بن الأجدع ، وكانوا يدعون للملامس بن جذيمة عريف حضرموت (١٤٤) .

(ز) عيـــــدان :

بطن من حضرموت ، منهم ربيعة بن عيدان الصحــابى ، شــهد الفتح (١٤٥) .

(ح) بنو سريـع :

ذكرهم السمعانى باسم سليع بضم السين وفتح اللام (١٤٦) .

وقد دخلوا مصر مع عمرو بن العاص . وكان اشهرهم الملامس بن جذيمة عريف حضرموت فى عهد الفتح (١٤٧) .

ولكن الذين اشتهروا منهم بمصر هم بنو الأعين بن نمر الذى دخل مصر مع عمرو (١٤٨) . وكان ابنه حيان بن الأعين من محــدثى مصر كمــا كان ممن لحق بابن الزبير من المصريين ســنة ٦٤ هـ (١٤٩) . وكان خالد بن حيــان من وجوه أهـــل مصر عنــد الفتح العبــاسى ومن المحدثين (١٥٠) .

(ط) أسرة يونس بن عطية :

يونس هذا اول حضرمى ولى قضاء مصر (٨٤ ـــ ٨٦ هـ) ، وقد هــاجر وهو غــلام مع أبيــه وأعمامه الى مصر زمن عثمان فى آخر امرته (١٥١) . واشتهر منهم كذلك ابن أخيــه ، أوس بن عبد الله ، والذى ولى قضاء مصر سنة ٨٦ هـ (١٥٢) .

---

(١٤٤) فتوح مصر : ص ١٢٣ و ١٢٤ .
(١٤٥) الانساب : ص ٣٠٤ أ .
(١٤٦) المصدر نفسه : ص ٣٠٤ ب .
(١٤٧) فتوح مصر : ص ١٢٣ ـــ ١٢٤ .
(١٤٨) المصدر نفسه : ص ١٢٣ .
(١٤٩) الولاة : ص ٤١ والانساب : ص ٣٠٤ ب .
(١٥٠) الولاة : ص ١٠٥ والانساب : ص ٣٠٤ ب .
(١٥١) القضاة : ص ٣٢٣ .
(١٥٢) المصدر نفسه : ص ٣٢٤ .

(ى) آل زياد بن ربيعة :

هم من صوران قرية باليمن للحضارمة ، واليها ينتسبون (١٥٣) .

اما زياد نفسه (ت ٩٥ هـ) فمن مشاهير تابعى مصر (١٥٤) . وابنه سليمان بن زياد (ت ١١٧ هـ) من محدثى مصر (١٥٥) . ولاشـك فى أن غوث بن سـليمان (ت ١٦٨ هـ) قـاضى مصر هو أشـهر هـذه الأسرة (١٥٦) .

تلك كانت بطون حضرموت فى مصر .

اما مواليهم فيظهرون كذلك منذ اللحظـات الأولى ، فقد دخل أبو العالية مصر مع عمرو (١٥٧) . وكان مغيث كاتبـا لتوبة بن نمر القاضى (١١٥ ـ ١٢٠ هـ) (١٥٨) . وضرب العباسيون عنق يزيد بن مقسم سنة ١٣٣ هـ لميوله الأموية (١٥٩) . ولكن لاشـك فى أن عبد الرحمن الميسرى (١١٠ ـ ١٨٨ هـ) الفقيه الراوية (١٦٠) . وابنه عبد العزيز (١٤١ ـ ٢٢٢ هـ) الراوية (١٦١) . هما أشهر واهم موالى حضرموت . وكان ابو ذؤالة (ت ٢٠٤ هـ) من الشهود وصاحب رحبة باسمه فى الفسطاط (١٦٢) .

وفى حديثنا عن موالى حضرموت لابد لنا من الوقوف عند طائفة من اهـل اليمن يتردد ذكرهم فى تاريخ مصر ، أولئـك هم الأبنـاء . والأبناء ، فيما اجمع المؤرخون ، هم نسل الجنود الفرس الذين استوطنوا اليمن بعد ان طردوا منها الحبش وحكموها وتزوجوا منها (١٦٣) .

---

(١٥٣) الانساب : ص ٣٥٦ أ .
(١٥٤) حسن : جـ ١ ص ١٠٥ .
(١٥٥) الانساب : ص ٣٥٦ أ ، ب .
(١٥٦) القضاة : ص ٣٥٥ ـ ٣٦٢ ، ٣٧٤ ـ ٣٧٦ .
(١٥٧) فتوح مصر : ص ١٢٣ .
(١٥٨) القضاة : ص ٣٤٣ .
(١٥٩) الولاة : ص ٩٩ ـ ١٠٠ .
(١٦٠) المصدر نفسه : ص ١١٨ ، وخطط جـ ٤ ص ١٤٣ عن الكندى ومقدمة كست ص ٢٧ ، ٢٩ .
(١٦١) الانساب : ص ٥٤٦ ب ـ ٥٤٧ أ ومقدمة كست ٢٧ ـ ٢٨ .
(١٦٢) الانتصار : جـ ٤ ص ٣٧ .
(١٦٣) وفيات الأعيان جـ ٢ ص ٢٣٨ والانساب : ١٧ ب .

وكان فى حضرموت بمصر من هؤلاء الأبنــاء ــ ويذكرون فى ابن عبد الحكم خطـأ باسم الأشباء ــ عبد الله بن كليب دخل مع عمرو ، وقيس اخوه حاجب مسلمة بن مخلد وعبد العزيز بن مروان . وكان هؤلاء الأبناء يدعون لعريف حضرموت الملامس بن جذيمة (١٦٤) .

بقى علينا أن نلقى نظرة عامة على حياة حضرموت بمصر .

ان اول ما يلفت النظر فى الحضارمة غلبة الاشتغال بالعلم والدين عليهم ويكفى ان كان منهم تسعة من القضاة . أما من اشــتغل منهم بالرواية الى جانب هؤلاء القضاة فكثير ، بل أن معظم كبــار الموظفين منها كانوا من رجال الحديث كذلك . وقد مرت أمثلة كثيرة من ذلك . ولكن هــذا لم يمنعهم من المشاركة فى شئون الدولة ، فقد ظهر منهم عدد من كبار رجال الدولة .

أما ميول حضرموت السياســية فتبدو فى موقفهــا من الحوادث السياسية المهمة .

لم تظهر حضرموت فى فتنة عثمان ، ولعل ذلك لأنها لم تكن قد كثرت بعد بمصر . ولكنهــا كانت ذات ميول ضد الأمويين على كل حال : فقد كان سخدور الصحابى من المحرضين على قتال مروان بن الحكم(١٦٥)، وقد ذكرنا منذ لحظــة ان حيان بن الأعين كان ممن لحق بابن الزبير فى الوقت نفسه سنة ٦٤ هـ . ولمــا آذنت الدولة الأموية بالانتهاء وانفجرت الثورات ضــد مروان الحمار كان أربعة من حضرموت هم : رجاء بن الأشيم ، فهد بن مهدى ، يزيد بن مسروق ، وعبد الله بن عبد الرحمن بن عميرة من كبــار رؤساء الدعوة الى خلع مروان (١٢٧ ــ ١٢٨ هـ)(١٦٦)، وفى الحركة العلوية التى ظهرت بمصر سنة ١٤٥ هـ كان ابن عمير ويحيى ابن جــابر ممن أيدوها من حضرموت (١٦٧) . وحفل العصر العبــاسى بالكثير من شخصيات حضرموت البارزة مما يدل على ثقة الدولة فيهم وولائهم لها .

---

(١٦٤) فتوح مصر : ص ١٢٣ والولاة : ص ٥٤ .
(١٦٥) حسن : جـ ١ ص ٨٧ .
(١٦٦) الولاة : ص ٨٤ ــ ٩١ ، ٩٤ ، ٩٥ .
(١٦٧) المصدر نفسه : ص ١١٣ ، ١١٤ .

من الواضح بعد هـذا ان حضرموت كانت من القبـائل الحيـة البارزة التى ساهمت مساهمة ايجابية فى الحياة المصرية . وقد ظلت محتفظة ببقائها فى قوة طوال القرون الثلاثة التى نعنى بها على ما يبدو من حياة اشخاصها الذين مروا بنا . أما شـواهد القبور فتقدم الدليل فى سخاء على صحة هذا بالنسبة الى القرنين الأخيرين (١٦٨) .

ننتقل الى القبيلة الثانية من الهميسع :

٢ ـ الصـــدف

اشرنا منذ قليل الى اختلاط كندة والصـدف فى بلاد حضرموت الى جانب اختلاطهم مع الحضارمة سكان البلاد الأصليين (١٦٩) . ويعبر ابن دقماق عن ذلك الامتزاج الغريب بقوله عن الصـدف انهم « بطن من كندة ينسبون اليوم فى حضرموت » (١٧٠) .

وقد شهدت الصـدف فى كل حـال فتح مصر ، وسجل عمرو دورها فى مهاجمة حصن بابليون فى رجزه المشهورة :

* يوم لهمدان ويوم للصدف * (١٧١)

واختلطت قبـلى مهـرة (١٧٢) ، وكانت تأخـذ مرتبعهـا فى الفيوم (١٧٣) . وظل الصـدف محتفظين بعلاقتهم بكنـدة ، فقد ذكر القضاعى ان دعوتهم مع كندة (١٧٤) .

ويبدو أن الجانب الأعظم من هذه القبيلة ترك موجة الفتوح تحمله خارج موطنه الأصـلى ، فقد قال أرباب علم النسب : اكثر الصـدف بمصر وبلاد المغرب (١٧٥) . وذكر السمعانى ان فى رواة العلم جمـاعة

---

(١٦٨) Rép. Chro. I, pp. 42 — 43, 62 — 63, 104, 179 — 180, 196, 283, 289, & II, pp. 59, 89.

(١٦٩) انظر ص ٢٤٤ ، ٢٤٥ .

(١٧٠) الانتصار : جـ ٤ ص ٤ .

(١٧١) فتوح مصر : ص ٦٢ .

(١٧٢) المصدر نفسه : ص ١٢٢ .

(١٧٣) المصدر نفسه : ص ١٤٢ .

(١٧٤) وفيات الأعيان : جـ ٢ ص ٥٥٥ ونهاية الارب : ص ٥٤ .

(١٧٥) وفيات لأعيان : جـ ٢ ص ٥٥٥ .

صدفيين كان عامتهم بمصر (١٧٦) . وذكر ابن خلكان ان الصـــدف قبيلة كبيرة من حمير نزلت مصر (١٧٧) واشـــار اليعقوبى الى أن قوما منهم كانوا بجبل برقة الشرقى مع غيرهم من أهل اليمن (١٧٨) . ويؤخذ من هذه الأخبـــار فى كل حال ان مصر كانت المستقر لجانب كبير من هـــذه القبيلة . والواقع أن فرعيها كليهما ـ الأجذوم وكان منهم حيان بن يوسف عريف الصـــدف وقت الفتح (١٧٩) ، والأخروم ومنهم جعشم بن الخير ابن ثعلبـــة ممن بايع تحت الشجرة (١٨٠) ـ مثلا فى مصر . ولكن من المؤسف أننا لا نستطيع رد شخصيات الصدف التى بين أيدينا الى الفرع الذى تنتسب اليه كل شخصية منها ، فقد كانوا يكتفون فيما يبدو بالانتساب الى القبيل الأكبر . وان الاسماء التى حفظتها شـــواهد القبور لمن مات بمصر من هذه القبيلة لتفوق فى الكثرة الاســـماء الخاصة بأية قبيلة أخرى على الاطلاق (١٨١) . كما حفظت أوراق البردى بعض اسمائهم فى القرن الأول (١٨٢) .

والآن ننظر فى حياة الصدف بمصر .

ظهروا منذ اللحظة الأولى كما قلنا فكان منهم من رجـــال الفتح حسيم بن ثعلبة (١٨٣) . والأرجح انه نفسه جعشم بن الخير بن ثعلبـــة الذى مر ذكره منذ لحظـــة ، ومالك بن ناعمـــة صاحب الأشقر فرس الصـــــدف المشهور الذى أنقذ المســـلمين من أيدى الروم عنـــد كوم شريك (١٨٤) . وقتادة بن قيس الذى تعرف به جنان الحبش (١٨٥) ، وعيسى بن هلال المحدث (١٨٦) .

---

(١٧٦) الانساب : ص ٣٥٠ ب .
(١٧٧) وفيات الأعيان : جـ ١ ص ٢٥٠ .
(١٧٨) كتاب البلدان : ص ١٣٢ .
(١٧٩) فتوح مصر : ص ١٢٣ .
(١٨٠) الانساب : ص ١٦٦ أ .
(١٨١) Rép. Chro. I, pp. 43, 140 — 141, 145, 147, 157 — 158 182, 213 — 214, 256, 261, 286 & II, pp. 11, 31, 37, 67, 165
(١٨٢) Ar. Uap. III, p. 79.
(١٨٣) الانساب : ص ٣٥٠ ب .
(١٨٤) فتوح مصر : ص ٧٣ .
(١٨٥) الخطط : جـ ٢ ص ٢٤٧ .
(١٨٦) الانساب : ص ٣٥٠ ب .

والظاهرة التى تجذب الانتباه بمجرد النظر فى حياة هـذه القبيلة هى علويتها المتطرفة . فمن المدهش حقا أن يشترك من الأحروم فى موقعة صفين عشرة اخوة هم أبناء يحيى بن سـلمة الحريمى ، قاتلوا جميعا فى صف على وقتل ثمانية منهم (١٨٧) . أما فى مصر فقد كان ربيعة بن حبيش ، عميد الأسرة الأولى المهمة من الصـدف فى مصر ، يمثل هذا التطرف فى الميول العلوية ، اذ كان من خاصـة على ، وحضر مقتل عثمان ثم وقف فى صف ابن جحدم سنة ٦٥ هـ واشـار عليـه بحفر الخندق المشهور (١٨٨) . وكان ابنه عمران بن ربيعة عريفـا على القبيلة (١٨٩) . واشتهر ابنه الثانى سعيد بن ربيعة بانه رفض منصب القضـاء سنة ١١٤ هـ (١٩٠) . ولكن خالد بن سعيد بن ربيعة ورث عن جده ميوله العلوية فقد قام بأمر دعوة بنى الحسن سنة ١٤٤ ــ ١٤٥ هـ وضم اليه بقايا العناصر الأموية المعادية للعباسيين (١٩١) . واشـترك مع خالد فى حركته تلك ابناه ابراهيم وهدبة (١٩٢) . ومن المهم ملاحظـة ان صـاحب شرط الفسطاط التجيبى يسر لهم الهرب لمـا فشـلت حركتهم ، كمـا كان الضرب العقاب الوحيد الذى أنزل بمن اشـترك معهم (١٩٣) .

وكان عبد الأعلى بن موسى (١٢١ ــ ٢٠١ هـ) عميد الأسرة الثانية المهمة من الصـدف فى مصر (١٩٤) . ولاشك فى ان يونس بن عبد الأعلى (١٧٠ ــ ٢٦٤ هـ) الفقيه الشافعى الكبير هو أهم شخصيات هـذه الأسرة فى الفترة التى ندرسها (١٩٥) . ولا بأس من أن نذكر ان هـذه الأسرة ظلت حية بمصر طوال القرن الرابع حيث ظهر منها عدد كبير من أهل العلم والحديث أهمهم الحافظ أبو سعيد ، عبد الرحمن بن أحمد

---

(١٨٧) الانساب ص ١٦٦ أ .
(١٨٨) الولاة : ص ١١١ ، ١١٢ والخطط جـ ٤ ص ٣٤٠ .
(١٨٩) فتوح مصر : ص ١٢٣ والانساب ص ٣٥٠ ب .
(١٩٠) القضاة : ص ٣٤١ ــ ٣٤٢ .
(١٩١) الولاة : ص ١١١ ــ ١١٥ .
(١٩٢) المصدر نفسه : ص ١١٣ ، ١١٤ .
(١٩٣) المصدر نفسه : ص ١١٣ ، ١١٤ .
(١٩٤) وفيات الأعيان : جـ ٢ ص ٥٥٤ ــ ٥٥٥ .
(١٩٥) القضاة : ص ٤٥٤ ــ ٤٥٦ وغيرها ووفيات الأعيان : جـ ٢ ص ٥٥٣ ــ ٥٥٤ وحسن : جـ ١ ص ١٢٤ ، ٢٠٧ ــ طبقات الشافعية جـ ١ ص ٢٧٩ ــ ٢٨١ .

ابن يونس بن عبد الأعلى (٢٤٠ — ٣٤٩ هـ) صاحب تاريخ مصر الذى اعتمد عليه كل من جاء بعده من المؤرخين ، والذى لازلنا نعتمد اعتمادا كبيرا على ما بقى من اخباره فى كتب المؤرخين (١٩٦) .

نرى من هذا كله أن الدور الذى لعبته الصدف فى مصر كان علميا بقدر ما كان سياسيا حربيا . ولكن الجانب العلمى كان المع الجانبين وابقاهما أثرا .

ثم ننتقل الى القبيلة الثالثة من الهميسع .

٣ — رعين

كان ذو رعين أبو القبيلة من اقيال اليمن (١٩٧) . فهى من الأذواء . ودخلت رعين مصر فى الفتح ، ونزلت بها ، واختطت شرقى خولان وقبلى مذحج (١٩٨) .

وكان من رعين بمصر البطون الآتية :

(أ) قتبان :

شهد هذا البطن فتح مصر . وكان منهم عند ذاك جابر بن ياسر الذى ترك ذرية ظهر منها عباس وجابر ابنا عباس بن جابر من المحدثين (١٩٩) .

وكان جعثل بن عاهان (ت ١١٥ هـ) من الأئمة المجتهدين بمصر (٢٠٠) . وكان عياش بن عباس من محدثى القرن الأول (٢٠١) ، فى حين كان ابنه عبد الله بن عياش قاصا بمصر سنة ١٤٤ هـ (٢٠٢) .

---

(١٩٦) الانساب : ص ٣٥٠ ب .
(١٩٧) المصدر نفسه : ص ٢٥٥ ب والعقد : جـ ٢ ص ٢٣٥ .
(١٩٨) فتوح مصر : ص ١٢٥ ، ١٢٦ والانتصار جـ ٤ ص ٤ ونهاية الارب : ص ٢١٩ .
(١٩٩) الانساب : ص ٤٤٣ ب .
(٢٠٠) حسن : جـ ١ ص ١١٩ .
(٢٠١) الانساب : ص ٤٤٢ ب .
(٢٠٢) فتوح مصر : ص ٢٤١ ، ٢٤٣ .

وكذلك كان فضـــالة القتبانى (ت ١٢٢ هـ) من المحدثين (٢٠٣) ، وهو والد المفضل (١٠٦ ــ ١٨١ هـ) الذى ولى قضـــاء مصر مرتين (٢٠٤) . وكان الليث بن عاصم (ت ١٤٥ هـ) وابنه عبد الأحد (ت ١٦٩ هـ) من رواة مصر البارزين (٢٠٥) . وكان سعيد بن يزيد (ت ١٥٤ هـ) من أصاغر تابعى مصر (٢٠٦) . فى حين كان سعيد بن عيسى (ت ٢١٩ هـ) من صغار أتباع التابعين (٢٠٧) .

ومن الواضح اهتمام قتبان بالعلم وتفوقها فيه .

(ب) حجــر رعين :

هم وحجر حمير شىء واحد (٢٠٨) . كان منهم زبيد بن الحرث العتقى (٢٠٩)، ودخر بن عـــامر (ت ١٠٢ هـ) من مشـــــاهير تابعى مصر (٢١٠) . وكان شرحبيل بن قليب من القواد سنة ١٢٧ هـ (٢١١) . كما كان عمران بن سعيد (١٥٢ هـ) ، عمرو بن عبد العزيز ، عبد الغنى ابن عدى (١٨٢ ــ ١٨٧ هـ)من كبار الموظفين (٢١٢) .

وكان من حجر رعين فى مصر البطن الآتى :

بنــو بــدر :

بقى لنا منهم عمير بن أبى ناجية مولاهم (ت ١٥٣ هـ) كان ناسكا متعبدا (٢١٣) .

---

(٢٠٣) القضاة : هامش ص ٣٨٧ .

(٢٠٤) المصدر نفسه : ص ٣٧٧ ــ ٣٨٨ وحسن : جـ ١ ص ١٢١ .

(٢٠٥) القضاة : ص ٤١٠ والانساب : ص ٤٤٢ ب ــ ٤٤٣ أ ومقدمة كست ص ٢٨ .

(٢٠٦) حسن : جـ ١ ص ١٢١ .

(٢٠٧) المصدر نفسه : جـ ١ ص ١١٥ .

(٢٠٨) نهاية الارب : ص ١٢٧ والإنساب : ص ١٥٧ أ ، ب والقاموس مادة : الحجـــر .

(٢٠٩) فتوح مصر : ص ١٢٠ ووفيات الاعيان : جـ ١ ص ٢٤٧ .

(٢١٠) حسن : جـ ١ ص ١٠٥ .

(٢١١) الولاة : ص ٨٧ .

(٢١٢) المصدر نفسه : ص ١١٧ ، ١٣٩ .

(٢١٣) الانساب : ص ٦٨ ب .

(ج) جيشـــان :

دخلوا مصر مع الفتح واختطوا بها (٢١٤) . وظهر منهم أسرتان بارزتان . الأولى عميدها مسروق بن مسلم ممن شهد الفتح (٢١٥) ، وكان حفيـــده سعيد بن عبد الله من المحـــدثين (٢١٦) . فى حين كان عبد الأعلى بن سعيد (ت ١٦٣ هـ) أول من سود بالصعيد سنة ١٣٢ هـ وأصبح من رجالات الدولة العباسية بمصر (٢١٧) .

ومن الطريف ان الأسرة الثانية من قبيلة المعافر اصـــلا ولكنهـــا حالفت جيشان واصبح افرادها ينتسبون اليها (٢١٨) . وعميد هـــذه الأسرة أبو سالم ممن شهد الفتح (٢١٩) . وكان ابنه سالم من مشاهير تابعى مصر (٢٢٠) ، فى حين ولى حفيـــــده عبد الرحمن بن ســـــالم (ت ١٥٣ هـ) القضاء والقصص (٢٢١) .

وظهر من جيشان عدا هـــؤلاء أبو تميم (ت ٧٧ هـ) من ائمـــة القراءات (٢٢٢) . وكان كريب بن مخلد (١٠٤ هـ) من الشعراء (٢٢٣) .

ومن الواضح غلبة الطابع العامى على هذه القبيلة .

(د) يافـــع :

يافـــع بن الحرث . دخلت مصر فى الفتح ، واختطت مع رعـــين بالفسطاط شرقى خولان . ولكنهـــا كانت من القبـــائل التى جعلهـــا

---

(٢١٤) معجم البلدان : جـ ٣ ص ١٩٣ والانتصار : جـ ٤ ص ٣٥ والانساب : ص ١٤٧ ب والقاموس مادة : جاش .
(٢١٥) الانساب : ص ١٤٧ أ .
(٢١٦) المصدر نفسه : ص ١٤٧ ب .
(٢١٧) الولاة : ٩٥ ، ٩٦ ، ١٠١ وغيرها والانساب : ص ١٤٨ أ .
(٢١٨) القضاة : ص ٣٥٣ والانساب : ١٤٧ ب .
(٢١٩) الانساب : ص ١٤٧ ب وحسن : جـ ١ ص ٨٧ .
(٢٢٠) حسن : جـ ١ ص ١٠٥ .
(٢٢١) القضاة : ٣٥٣ ــ ٣٥٤ والانساب : ص ١٤٧ ب ــ ١٤٨ أ
(٢٢٢) حسن: جـ ١ ص ١١٨ ، ٢٠٧ .
(٢٢٣) فتوح مصر : ص ١١٤ والولاة : ص ٧٢ والانتصار : جـ ٤ ص ٣٩ .

عمرو تعسكر فى الجيزة ، فانضمت الى همدان ووالتهـا على النزول بالجيزة حتى ان ابن عبد الحكم يعدها من رهط همدان (٢٢٤) .

واختطت يافع فى وسط الجيزة . وكانت روح البداوة متحكمـة فيهم ، فانه لما اراد عمرو بناء حصن هنـاك لتقيم به القبائل المعسكرة بالجيزة رفضت هـذه القبائل ، فاضطر عمرو الى الاقراع بينهم فوقعت القرعة على يافع فبنى الحصن فى خططهم فخرجت طائفـة منهم عن الحصن أنفة منه (٢٢٥) .

ومن المهم ملاحظة ان ابن دقماق يذكر هذه القبيلة دائما باسم نافع بالنون وهو خطأ .

كان ابرز شخصيات يافع وقت الفتح مبرح بن شهاب أحد وفد رعين الى النبى ، وقائد ميسرة عمرو عند الفتح (٢٢٦) . وكان عمرو بن سعود الصحابى من رجال الفتح أيضا (٢٢٧) . اما درع بن يشكر فكان أحد قادة جيش ابن أبى حذيفـة الستة الى عثمان سنة ٣٥ هـ (٢٢٨) . وكان راشد بن جندل وسليمان بن ابراهيم من محدثى مصر فى القرنين الثانى والثالث (٢٢٩) .

(هـ) ثنـــات :

مخلاف باليمن ، وقبيلة من حمير (٢٣٠) .

لم يظهر منها سوى أبى خزيمة ، ابراهيم بن يزيد (ت ١٥٤ هـ) القـاضى الذى لم يقبـل منصب القضـاء الا بعد أن هددوه بضرب عنقـه (٢٣١) .

---

(٢٢٤) فتوح مصر : ص ١٢٦ و ١٢٩ والانتصار : جـ ٤ ص ١٢٦ والخطط : جـ ١ ص ٢٠٦ .

(٢٢٥) الانتصار : جـ ٤ ص ١٢٦ والخطط : جـ ١ ص ٢٠٦ .

(٢٢٦) فتوح مصر : ص ١٢٩ والانساب : ص ٢٩٢ أ وحسن : جـ ١ ص ٩٧ .

(٢٢٧) الانساب : ص ٥٩٦ أ .

(٢٢٨) الولاة : ص ١٧ ، ١٨ .

(٢٢٩) الانساب : ص ٥٩٦ أ .

(٢٣٠) فتوح مصر : ص ٢٤١ والمسالك والممالك : ص ١٣٨ والمقدسى : ص ٨٩ والانساب : ص ١١٤ ب والقاموس مادة : ثنت .

(٢٣١) فتوح مصر : ص ٢٤١ ــ ٢٤٣ والقضـاة : ص ٣٥٨ ، ٣٦٣ ــ ٣٦٨ والانساب : ١١٤ ب .

(و) كحـــلان :

بضـــم الكاف .

ظهر منها الحسين بن يزيد (ت ٩٩ هـ) من أصحاب الشرط ، وابو هبيرة مولى عبد الله بن عمرو (٢٣٢) .

(ز) ردمــــان :

بفتح الراء .

لم يظهر منهم سوى المنتظر بن اسماعيل (١٤٥ هـ) مولاهم ، وابنه اسماعيل بن المنتظر (ت ٢٣١ هـ) من أهل مصر (٢٣٣) .

(ح) العبـــل :

بفتح العين والباء .

نستطيع أن نميز منهم ثلاث أسر .

عميد الأسرة الأولى مرثد بن زيد من رجال الفتح (٢٣٤) . وكان ابنه جناب (ت ٨٣ هـ) صاحب الحرس والأعوان والشرط — وهي هيئات بوليسية وعسكرية — لعبد العزيز بن مروان (٢٣٥) . ويبدو أن صاحب الشرط عقبة بن نعيم (ت ١٢٨ هـ) ، أحد بني زنباع بن مرثد ، ومن رؤساء فتنة خلع مروان من الأسرة نفسها (٢٣٦) .

وزرعة بن قرة من رجال الفتح هو عميد الأسرة الثانية (٢٣٧) ، وكان أخوه نمران (ت ١٥٧ هـ) من المحدثين (٢٣٨) .

أما الأسرة الثالثة فيظهر منها حميد بن هاشم من رجال القرن

---

(٢٣٢) فتوح مصر : ص ٢٥٨ والولاة ص ٦٨ والانساب ص ٤٧٥ ب .
(٢٣٣) الولاة : ص ١١٣ والانساب : ص ٢٥٠ ب .
(٢٣٤) الانساب : ص ٣٨٢ ب .
(٢٣٥) فتوح مصر : ص ٢٣٦ — ٢٣٧ الولاة : ص ٤٩ ، ٥١ ، ٥٣ .
(٢٣٦) الولاة : ص ٨١ — ٨٦ ، ٩٠ .
(٢٣٧ ، ٢٣٨) الانساب : ص ٣٨٢ ب .

الثانى ـ الثالث (٢٣٩) ، وكان محمد بن حميد ، وقرة بن محمد بن حميد ، ومحمد بن قرة بن محمد من محدثى أهل مصر (٢٤٠) .

ويبدو ان هذا البطن كان ذا ميول أموية ، اذ كان أحد افراده (يحيى بن يعمر) ممن بايع معاوية بن حديج على الطلب بدم عثمان (٣٥ ـ ٣٦ هـ) (٢٤١) . كما يبدو انهم كانوا ذوى منزلة خاصة لدى عبد العزيز بن مروان تبدو فى معاملته لجناب بن مرثد الذى مر ذكره .

(ط) القبض :

أورد السمعانى هذا باسماء ثلاثة أولها ذلك الاسم بالقاف والباء ، وثانيها القيض بالياء ، وثالثها القيظ بالياء والظاء (٢٤٢) .

والشخصيات التى تتردد فيما بين هذه الاسماء كلها أولها زياد بن نمران من رجال الفتح ، ثم ابنه عبيد من المحدثين (٢٤٣) . ثم زياد بن عبيد من محدثى القرن الأول ـ الثانى (٢٤٤) .

(ى) الأضمور :

بطن من رعين ينسب اليه جماعة بالضميرى (بضم الضاد وفتح الميم) (٢٤٥) . منهم عتبة بن زياد من محدثى القرن الثانى (٢٤٦) . وينتسب اليهم عبد الله بن محمد بن الحجاج الدهشورى (ت ٣٢٣ هـ) المحدث (٢٤٧) .

(ك) ذبحان :

لهم مخلاف باسمهم فى اليمن . وشهدوا فتح مصر . وحالفوا قبيلة مدلج العدنانية واقاموا معهم فى خربتا (٢٤٨) .

---

(٢٣٩) القضاة : ص ٤٣٦ .
(٢٤٠) الانساب : ص ٣٨٢ ب .
(٢٤١) الولاة : ص ١٨ .
(٢٤٢) الانساب : ص ٤٤١ ب ، ٤٦٨ ب .
(٢٤٣) الانساب : ص ٤٤١ ب .
(٢٤٤) المصدر نفسه : ص ٤٦٨ ب .
(٢٤٥ ، ٢٤٦) المصدر نفسه : ص ٣٦٢ أ .
(٢٤٧) معجم البلدان : ج ٤ ص ١١٤ والانساب : ص ٢٣٤ ب .
(٢٤٨) فتوح مصر : ص ١٤٢ ، ابن خرداذبة ، المقدسى : ص ٩٠ ، السمعانى ٢٣٩ أ ، القاموس : مادة ذبح .

كان منهم بمصر عبيد بن عمرو الصحابى شهد الفتح ، وعبد الملك ابن عمر بن جابر (ت ١٧٥ هـ) من المحدثين ، وطاهر بن اياد (ت ٣٠٤ هـ) من المحدثين (٢٤٩) .

وربما كانت النسبة « الزنجانى » المضافة فى النجوم (٢٥٠) . الى منصور بن يزيد بن منصور الحميرى الرعينى أمير مصر سنة ١٦٢ هـ تصحيفا للنسبة : الذبحانى ، فزنجان بلد بأذربيجان (٢٥١) . ولم تجر عادة العرب فى القرن الثانى على الانتساب الى البلدان .

(ل) عجلان :

يبدو أنها بطن من رعين (٢٥٢) .

منها الحسن بن يزيد صاحب شرط أيوب بن شرحبيل سنة ٩٩ هـ (٢٥٣) .

ومن الأسر التى لم نهتد الى البطن الذى تنتسب اليه ، ولعلها كانت تنتمى الى القبيل الأكبر مباشرة ، الأسرة التى يتزعمها بحر بن اضبع الصحابى من رجال الفتح (٢٥٤) . وكان له حفيدان احدهما شاعر وهو مروان بن جعفر بن خليفة والثانى وهو أبو بكر بن محمد كان قائدا لمراكب دمياط فى عهد عمر بن عبد العزيز (٢٥٥) .

نستطيع الآن ان نرى فى وضوح ان رعين كانت قبيلة كبيرة بمصر ، وقد برز منها كثير من رجال العلم ومن رجال الدولة على حد سواء . وقد ظلت محتفظة ببقائها فى قوة طوال القرون الثلاثة .

ثم ننتقل الى القبيلة الرابعة من الهميسع :

---

(٢٤٩) الانساب : ص ٢٣٩ ا .
(٢٥٠) النجوم : جـ ٢ ص ٤١ .
(٢٥١) القاموس مادة : زنج .
(٢٥٢ ، ٢٥٣) الولاة : ص ٦٨ وهامشها .
(٢٥٤ ، ٢٥٥) حسن : جـ ١ ص ٧٥ .

٤ ـ الكـــلاع

من الأذواء . نزلت الشام ، وأكثرهم نزل حمص (٢٥٦) . وحضر جانب منهم الى مصر فى الفتح ، واختطوا بها خطـة متصـلة بخطـة رعين (٢٥٧) .

ظهر منهم بمصر ضميم بن مالك قاضى الاسكندريـة ومن صغار التابعين بمصر (٢٥٨) . وهانىء بن المنذر من وجوه مصر (١٢٦ هـ) (٢٥٩).

ويبدو ان محمد بن معاوية ، من رجالات مصر فى العصر العبـاسى (١٣٢ ـ ١٤٣ هـ) (٢٦٠) . ومحمـد بن عبـد الرحيم بن يحيى من المحدثين (٢٦١) من أسرة لعل عميدها بجير بن ريسان من رجال الفتح .

وكان من قبيلة الكلاع البطون الآتية :

(أ) السـلف :

بضم السين وفتح اللام (٢٦٢) .
شهدوا الفتح ، وكانت خطتهم مع القبائل المنسوبة الى سبأ (٢٦٣).

ظهر منهم حكى بن سـعد بن بكر من رجـال الفتح (٢٦٤) . وكان أبو عبد الأعلى بن عبد الواحد (ت ٢٣٠ هـ) من المحدثين ، يقال انه توفى بالبرلس (٢٦٥) .

(ب) نخـلان :

بفتح النون وسكون الخاء .
كان منهم بمصر يزيد بن خالد بن مسعود من أصحاب الشرط

---

(٢٥٦) الانساب : ص ٤٩٢ أ والقاموس مادة : الكلع .
(٢٥٧) فتوح مصر : ص ١٢٦ والانتصار : جـ ٤ ص ٤ .
(٢٥٨) حسن جـ ١ ص ١٠٨ .
(٢٥٩) الولاة : ص ٨٤ .
(٢٦٠) الولاة : ص ٩٦ ، ٩٨ ، ١٠٤ ـ ١٠٥ ، ١٠٨ ـ ١١٠ .
(٢٦١) الانساب : ص ٢٦٥ أ .
(٢٦٢) المصدر نفسه : ص ٣٠١ ب .
(٢٦٣) فتوح مصر : ص ١٢٦ والانتصار : جـ ٤ ص ٤ .
(٢٦٤) الانساب : ص ٣٠١ ب .
(٢٦٥) المصدر نفسه : ص ٣٠٢ أ .

(ت ١٦٥ هـ) (٢٦٦) . وقد ترك ناشر الولاة نسبته (النخلانى) بدون اعجـام .

(جـ) الخبـــاير :

ظهر منهم اياد بن ياسر بن اياد (ت ٢٠٤ هـ) ، واخوه يونس بن ياسر (ت ٢١٠ هـ) وهما من المحدثين (٢٦٧) .

(د) نعيمـــة :

بفتح النون وكسر العين ، أو بضم النون وفتح العين .

وهم والخبائر اخوان من الكلاع .

كان منهم أبو الحسن بن حى ، تابعى من أهل مصر (٢٦٨) .

(هـ) زبـــاد :

بفتح الزاى والباء .

ذكر السمعانى طائفة منهم من المحدثين ، منهم يزيد بن خمير ، ومالك بن خير الاسكندرانى من محدثى القرن الثانى (٢٦٩) .

(و) ميتـــم :

بفتح الميم وسكون الياء .

يقول السمعانى انه بطن من الكلاع من حمير . ويسقط الكلام بعد ذلك فيما يبدو حين يتحدث عن واحد من هـذا البطن يقول عنه انه كان فى الطبقة العليا من جند مصر (٢٧٠) .

(ز) هـــوزن :

ظهر منهم الحسن بن ثوبان (ت ١٤٥ هـ) من أصاغر التابعين بمصر (٢٧١) .

---

(٢٦٦) الولاة : ص ١٢٤ والانساب : ص ٥٧ ب .
(٢٦٧) الانساب : ص ١٨٧ ب .
(٢٦٨) المصدر نفسه : ص ٥٦٥ أ .
(٢٦٩) المصدر نفسه : ص ٢٦٨ ب .
(٢٧٠) الانساب : ٥٤٨ ب .
(٢٧١) المصدر نفسه : ص ٥٩٣ أ وحسن جـ ١ ص ٢١٠ .

(ح) القفـــاعة :

هكذا اسمها فى الخطط (٢٧٢) . ولكن ابن خرداذبه (٢٧٣) . يذكر مخلافا باسم القفاعة بينما يذكره المقدسى باسم القناعة بالنون (٢٧٤) .

وكان لهم فى كل حال مسجد باسمهم فى القرافة (٢٧٥) .

لنا الحق بعد هذا فى أن نعتقد ان قبيلة الكلاع كانت من قبـائل مصر الكبيرة ، وان كان من المؤسف ان الأخبـار الباقية لنا عن بطونها ، ومعظمها فى الأنساب ، يسودها التصحيف المخل . ومن الواضح فى كل حال غلبة الاشتغال بالدين عليهم .

ومن المهم ان نذكر بنى خنيس الدمياطيين موالى الكلاع . ويبدو انهم مصريون أصلا . وكان لهم زقاق باسمهم فى الفسطاط (٢٧٦) .

٥ ــ أصـــبح

قبيلة كبيرة ، اليها تنسب السـياط الأصبحية ، ومنها الامـام مالك بن انس (٢٧٧) . حضروا الفتــح ، ونزلوا الجـيزة بأمر عمرو مع القبائل الأخرى ، وكرهوا مثل يافع أن يبنى الحصن فيهم (٢٧٨) .

كان بنو ابرهة أهم من عاش منهم بمصر . ولم يكن لهم خطــة بالفسطاط وانما خطتهم بالجيزة (٢٧٩) .

وعميدهم ابرهــة بن الصباح صحــابى ، دخــل مصر فى جيش عمرو (٢٨٠) ، ويبدو أن بنيه الأربعة جميعا : كريب وابا شمر ومعدى كرب ويكسوم دخلوا مصر كذلك ، وان كان من الثابت أن الأول والثانى

---

(٢٧٢) الخطط : جـ ٤ ص ٣٢٩ .
(٢٧٣) المسالك والممالك : ص ١٤١ .
(٢٧٤) أحسن التقاسيم ص ٩١ .
(٢٧٥) الخطط : جـ ٤ ص ٣٢٩ .
(٢٧٦) الانتصار : جـ ٤ ص ٢٢ .
(٢٧٧) نسب عدنان ص ٢٤ ووفيات الأعيان جـ ١ ص ٥٥٦ والانساب ٤١ أ .
(٢٧٨) فتوح مصر : ص ١٢٩ والانتصار : جـ ٤ ص ١٢٦ والخطط : جـ ٧ ص ٢٠٦ .
(٢٧٩) فتوح مصر : ص ١١٣ .
(٢٨٠) الخطط : جـ ١ ص ٢١١ .

منهم قد هاجرا فى خلافة عمر بن الخطاب (٢٨١) ودخلا مصر وأقاما بها اقامة دائمة . فان أبا شمر وهو أكبرهما كان سيد قبيلة اصبح عندما نزلت الجيزة (٢٨٢) .

واغلب الظن انه هو المذكور فى الولاة مرة باسم أبى سهم بن ابرهة، الذى اصيبت عينه فى غزوة الأساود سنة ٣١ هـ (٢٨٣) . ومرة باسم أبى شمس بن ابرهة الذى قتله معاوية سنة ٣٦ هـ فيمن قتل من زعماء الثورة ضد عثمان من أهل مصر (٢٨٤) . وقد بقيت ذريته فى مصر فى كل حال ، وظهر من احفاده اسحق بن ابرهة الذى ولى الاسكندرية سنة ١٩٩ هـ (٢٨٥) .

أما كريب بن ابرهة (ت ٧٨ هـ) فقد كان وقت فتح الشام غلاما لا يعى ما يسمع فلما كبر كان من أشراف مصر ، ويبدو انه كان سيد حمير جميعها فقد رآه أحدهم يخرج من عند عبد العزيز بن مروان « وان تحت ركابه خمسمائة رجل من حمير » . وبينما كان اخوه ابو شمر من الثائرين ضد عثمان كان هو من شيعة بنى أمية ، وممن عمل على انهاء حركة ابن جحدم (٢٨٦) .

وليس لدينا ذكر لمعدى كرب ولا لأحد من أولاده . أما يكسوم فقد ظهر من أولاده أيوب بن شرحبيل أمير مصر (٩٩ — ١٠١ هـ) الذى الحق لأهل مصر خمسة آلاف سنة ١٠٠ هـ (٢٨٧) .

وفيما عدا بنى ابرهة هؤلاء ظهر من أصبح بمصر سودان بن أبى رومان كان من قادة جيش ابن ابى حذيفة الستة الى عثمان (٢٨٨) ،

---

(٢٨١) فتوح مصر : ص ١١٣ .
(٢٨٢) المصدر نفسه : ص ١٢٩ .
(٢٨٣) الولاة : ص ١٢ .
(٢٨٤) المصدر نفسه : ص ١٢٩ .
(٢٨٥) المصدر نفسه : ص ١٥٨ .
(٢٨٦) فتوح مصر : ص ١١٣ والولاة : ص ٤٢ — ٤٦ وحسن : جـ ١ ص ٩٦
(٢٨٧) الولاة : ص ٦٧ — ٦٩ .
(٢٨٨) المصدر نفسه : ص ١٧ .

والحارث بن داخر صاحب شرط أيوب الذى مر منذ لحظة (٢٨٩) ، وأبو خالد بن يزيد بن سعيد المحدث (ت حوالى ٢٥٢ هـ) (٢٩٠) .

وظاهر ما تدل عليه اخبار هـذه القبيلة من قوتها ومكانتها فى مصر . ومن المهم ملاحظـة انها بدات حياتها السياسية بمعاداة عثمان ، ثم تحولت الى المعسكر الأموى فى عهد زعيمها القوى كريب بن ابرهة . وتشير شـواهد القبور الى بقائها فى مصر حتى القرن الثالث (٢٩١) .

٦ ـ يـزن

من الأذواء ، واليهم تنسب الرماح اليزنية (٢٩٢) .

لا نعرف شـيئا من اخبـارهم بمصر ، ولم يبق لنا منهم الا ذكر مرثد بن عبد الله (ت ٩٠ هـ) قاضى الاسكندريـة ، ومن الأئمـة المجتهدين (٢٩٣) .

٧ ـ يحصـب

امتازت بلاد يحصب فى اليمن بالخصب وكثرة المياه . وهى ميزة سجلها الشاعر فى قوله :

وبالربوة الخضراء من أرض يحصـب
ثمانون سـدا تقلس المـاء سائلا (٢٩٤)

وقد هاجروا مع حركة الفتوح ونزل أكثرهم حمص (٢٩٥) ، ولكنهم دخلوا مصر كذلك فى جيش الفتح ، واختطوا قبلى المعافر ، وان كان بطن منهم قد اقام مع حضرموت فى خطتها (٢٩٦) .

---

(٢٨٩) المصدر نفسه : ص ٦٨ .
(٢٩٠) الانساب : ص ٤١ أ .
(٢٩١) Rép. Chro. I, p. 154.
(٢٩٢) العقد : جـ ٢ ص ٢٣٥ والانساب : ص ٥٩٩ ب .
(٢٩٣) الانسـاب : ص ٥٩٩ ب والخطط : جـ ٤ ص ١٨ وحسـن : جـ ١ ص ١١٨ .
(٢٩٤) معجم البلدان : جـ ٧ ص ٤٠٣ .
(٢٩٥) الانساب : ص ٥٩٨ أ .
(٢٩٦) فتوح مصر : ص ١٢٣ ، ١٢٦ والانتصار : جـ ٤ ص ٤ .

كان منها فى عهد الفتح العوام بن حبيب صاحب « ذى الريش » أحد خيل مصر المشهورة (٢٩٧) . وفى سنة ١١٧ هـ عانت هــذه القبيلة موقفا حرجا عندما ثار وهيب اليحصبى من الخوارج ، ضد والى مصر اذ أذن للنصــارى ببناء احدى الكنائس . فان الوالى قبض على مروان ابن عبد الرحمن ، ولعله كان عريف يحصب ، فى جماعة من القبيلة ، ولم يخل سبيلهم الا عندما أعلنوا براءتهم من وهيب الذى لم يكن من أهل مصر ، وانما كان مدريا من اليمن قدم الى مصر (٢٩٨) .

وفى العقد الأخير من القرن الثانى عادت يحصب فلفتت الأنظار عندما لجــأت الى الغش فى سباق للخيل أجرى بينها وبين مراد . فلما عرض الأمر أمام القضــاء لجأت يحصب الى رشــوة القاضى العمرى (١٧٥ — ١٩٤ هـ) ، وكان قاضيا خرب الذمة ، ليحكم لها بالنصر المسروق . ولكن القاضى الجديد صحح الأوضاع الفاسدة (٢٩٩) .

ومن الواضح ان يحصب كانت قليلة العدد وقليلة الأهميــة بمصر وتشير شواهد القبور الى بقائها فى مصر فى القرن الثالث الهجرى (٣٠٠) .

٨ — ســيبان

جعلهم ابن عبد الحكم من مهرة (٣٠١) ، وجعلهم ناشر الولاة من مراد (٣٠٢) والواقع انه سيبان بن الغوث بطن من حمير (٣٠٣) .

يبــدو انهم اختطوا بمصر ، وكان لهم مســـجد باســـمهم فى الفسطاط (٣٠٤) .

---

(٢٩٧) فتوح مصر : ص ١٤٤ .
(٢٩٨) الولاة : ص ٧٧ — ٧٨ .
(٢٩٩) القضاة : ص ٤٠٢ ، ٤٠٣ .
(٣٠٠) Rép. Chro. I, pp. 220 — 221.
(٣٠١) فتوح مصر : ص ١٢١ .
(٣٠٢) الولاة : هامش ص ١٢٩ .
(٣٠٣) الانساب : ص ٣٢١ أ والقاموس مادة : السيب .
(٣٠٤) فتوح مصر : ص ١٢١ .

ظهر منهم عبد السلام بن عبد الله بن هبيرة الذى ولى برقة لما ضمت الى مصر سنة ١٤٨ هـ (٣٠٥) ، وابن ذى هجران السيبانى الذى حارب دحية بن مصعب سنة ١٦٩ (٣٠٦) .

٩ ـ الرجبة

هو الرجبة ـ بالجيم ـ بن زرعة بن كعب فيما ذكره ابن دقماق (٣٠٧) . ولكن السمعانى وصاحب القاموس يقولان انهم بنو رحبة ـ بالحاء ـ بطن من حمير (٣٠٨) . وكل ما نعرفه عنهم انهم اختطوا بالفسطاط (٣٠٩) .

١٠ ـ الوحاف

من قبائل الفتح ، فقد كان نفر منهم من اللفيف (٣١٠) . وأغلب الظن انهم هم وحاظة ـ ويقال أحاظة ـ البطن من حمير (٣١١) .

بذلك ننتهى من قبائل حمير جميعا ، فتنتهى القبائل القحطانية التى تمثل القسم الجنوبى من الشعب العربى .

ولكننا لا نستطيع أن نزعم الفراغ من القبائل العربية فى مصر قبل أن نتحدث عن أمرين : الأول هو بعض التجمعات الخاصة التى ظهرت بين تلك القبائل وقت الفتح . والثانى هو القبائل المجهولة التى لم تساعدنا المصادر التى فى متناولنا على تحقيقها ووضعها فى مكانها الصحيح .

---

(٣٠٥) الولاة : ص ١١٦ .
(٣٠٦) المصدر نفسه : ص ١٢٩ .
(٣٠٧) الانتصار : جـ ٤ ص ٤ .
(٣٠٨) الانساب : ص ٢٤٩ ب والقاموس مادة : الرحب .
(٣٠٩) الانتصار : جـ ٤ ص ٤ .
(٣١٠) المصدر نفسه : جـ ٤ ص ٤ .
(٣١١) ابن خرداذبه : ص ١٤١ المقدسي : ص ٩١ ، معجم البلدان : جـ ٨ ص ٤٠٢ والانساب : ص ٥٧٨ ب والقاموس مادة : وحاظة .

الباب الثالث

• التجمعات القبلية الخاصة والمجهولة



الفصل الخامس

التجمعات الخاصة

لاشك فى ان القبائل العربية التى كونت جيش الفتح كانت فى مجموعها مجتمعا بعينه له كل ما للمجتمعات من ظواهر واوضاع وتيارات . وهذه امور ادت على نحو ما الى ظهور تجمعات ذات طابع خاص بين القبائل العربية . ونقصر حديثنا هنا على التجمعات الخاصة بالعرب . وتلك كانت الآتية :

١ ـ اهل الراية

يفهم من اخبار الفتح أن الجيش الذى فتح عمرو به مصر كان منظما على اساس قبلى ، بمعنى أن افراد كل قبيلة كانوا يكونون كتيبة مستقلة ذات راية خاصة بها تميزها عن غيرها لأن العرب كانوا يجعلون لكل بطن منهم راية يعرفون بها . ولكن كان هناك قبائل لم يحضر منها سوى عدد قليل لم يكن كافيا لتكوين كتيبة . هذه القبائل بالذات هى : قريش ، الانصار ، خزاعة ، اسلم ، غفار ، مزينة ، أشجع ، جهينة ، ثقيف ، دوس ، عبس ، جرش من كنانة ، ليث بن بكر والعتقاء . وكان لابد أن يكون لكل قبيلة من هذه القبائل مكانها فى صفوف الجيش . وكان الحل الطبيعى أن تلتحق كل منها بقبيلة من القبائل الكبيرة مع مراعاة القرابة مثلا أو تجاور المساكن سابقا فى شبه الجزيرة . ولكن الذى حدث هو أن تلك القبائل ـ أو افناء القبائل

فى الأصح — انفت أن نقف تحت راية غيرها . واستطاع ذكاء عمرو ايجاد الحل السعيد لهذه المشكلة ، فقد جمعهم معا وجعل لهم راية خاصة — لعلها رايته هو بصفته القائد العام — ونسبهم اليها ، فكانت لهم كالنسب الجامع ، واصبحوا يسمون أهل الراية . ومثلما ذلل هذا الحل المشكلة النظامية ، ذلل مشكلتين اكثر خطرا هما مسألتا الخطط والديوان . فان هذه القبائل وقد كونت تجمعا معينا له أسسه ورابطته ومظهره الخاص كان من الطبيعى أن تتخذ خطة واحدة تقيم فيها معا ، وكانت تلك خطة أهل الراية حول المسجد . وكذلك كان من الطبيعى أن تسجل أسماء أفراد هذه القبائل فى الديوان على اساس هذا الوضع الجديد الذى نجم أصلا نتيجة مشكلة عددية (١) .

وقد ذكرنا عند الحديث عن قبائل أهل الراية فى موضعها الشخصيات التى برزت منها بمصر . ويبدو ان أهل الراية بما هم تجمع خاص لم يطرأ عليهم تغيير ما سوى انفصال جهينة منهم فى التدوين الرابع سنة ١٠٢ هـ (٢) .

هذا وقد ازدهرت خطة أهل الراية وعمرت بسبب وقوع المسجد الجامع فى وسطها ، واضبحت مع الأيام محلة عظيمة (٣) .

٢ — اللفيف

فتح العرب الاسكندرية سنة ٢١ هـ . ثم عادوا الى الفسطاط يبنونها . وفيما هم فى ذلك أخبروا أن الاسطول البيزنطى فى طريقه الى الاسكندرية . فأرسل عمرو بن العاص رجلا من الأزد (عمرو بن جبالة) ليأتيه بالخبر وبعد قليل ثارت فى صدور بعض القبائل عاطفة هى مزيج من الحماسة والتدين والعصبية فتعاقدوا على اللحاق بأخيهم عمرو . فلما ادركوه فى الطريق نظر اليهم فى دهشة واعجاب وقال : « تالله ما رأيت قوما قد سدوا الأفق مثلكم ! وانكم لكما قال

(١) فتوح مصر ص ٩٨ ، ١١٦ — ١١٧ ومعجم البلدان جـ ٤ ص ٢١٩ ووفيات الإعيان جـ ١ ص ٣٤٧ عن خطط الكندى والانتصار جـ ٤ ص ٣ .

(٢) الولاة : ص ٧١ .

(٣) فتوح مصر : ص ١٢٧ ومعجم البلدان جـ ٤ ص ٢١٩ .

سبحانه : « فاذا جاء وعد الآخرة جئنا بكم لفيفا » (٤) . ولم يكد ينطق بهذا حتى عملت العادة الشائعة ، عادة الصاق الاسم أو اللقب بالشيء الذى يطلق عليه ، عملها ، فأطلق اسم اللفيف على هذه القبائل التى كان معظمها من الأزد من الحجر ومن غسان ومن شجاعة ، مضافا اليهم نفر من جذام ولخم والوحاف وتنوخ .

وعادت هذه القبائل من الاسكندرية ، وقد وحدت بينها هذه الحادثة التى اصبحت ذكرى من ذكريات الجهاد فى سبيل الله ، فنزلوا معا منزلا واحدا وطلبوا من عمرو بن العاص أن يعدهم جماعة واحدة ويفرد لهم دعوة مستقلة فى الجيش والخطط والديوان طبعا . ولكن القبائل الأصلية التى ينتسبون اليها عارضت ذلك . فطالبت قبائل اللفيف بأن تظل مجتمعة فى المنزل على الأقل أى فى الخطة ، فأجيبوا الى ذلك ، فكانوا مجتمعين فى المنزل متفرقين فى الديوان اذا دعى كل بطن منهم انضم الى بنى أبيه (٥) .

وهكذا ظهر فى محيط القبائل العربية ذلك التجمع الجديد منبعثا عن وضع من أوضاع الزمالة الحربية . وقد تحدثنا عن قبائل اللفيف وعمن ظهر من أبنائها فى موضعه .

ومما يلفت النظر أن ابن دقماق هو الوحيد الذى تحدث عن اللفيف هؤلاء ، ولكن لاشك فى انه نقل خبرهم عن مصدر أقدم الأرجح أنه كتاب الكندى عن خطط مصر .

٣ – أهل الظاهر (العتقاء)

كان النبى فى المدينة ، وكان الناس يأتون اليه ليعلنوا اسلامهم ويبايعوه . فكان مما حاربه به خصومه ان اتحد جماعة من حجر حمير ومن سعد العشيرة ومن كنانة مضر ، ورابطوا فى الطريق يقطعونه على الذاهبين ، الى النبى . ولما كان هذا عملا خطيرا يهدد حياة المسلمين مثلما يهدد دعوتهم فقد أرسل النبى قوة أسرت قاطعى الطريق هؤلاء

---

(٤) الاسراء : ١٠٤ .
(٥) الانتصار : جـ ٤ ص ٣ ، ٤ .

وحملتهم الى النبى الذى عفا عنهم واعتقهم . فكونوا منذ ذلك الحين تجمعا خاصا اطلق عليه اسم العتقاء .

دخل هؤلاء العتقاء مصر مع عمرو ، وشهدوا فتحها ، وكانوا معدودين فى أهل الراية . ولما ذهب عمرو ليفتح الاسكندرية ذهبوا معه ، ولكنهم تأخروا فى العودة الى الفسطاط ، فلم يجدوا — شأنهم شأن كل من يصل متأخرا — مكانا ينزلون به فى خطة أهل الراية ، فغضبوا وشكوا ذلك الى عمرو . ولكن معاوية بن حديج ، أحد المشرفين على الخطط ، قال لهم : « أرى لكم أن تظهروا على هذه القبائل فتتخذوا منزلا وتسموه الظاهر » وكأنما أعجبهم هذا الرأى لأنه يحل المشكلة أولا ، ولأن فيه استقلال وأناقة سكنى الضواحى ثانيا ، ولأنه كان له سابقة فى قريش ذاتها ثالثا . وفى كل حال فان أهل الظاهر هو الاسم المصرى الذى أصبح يطلق على العتقاء منذ ذلك الحين (٦) .

ويبدو ان العتقاء كانوا أكثر اندماجا من التجمعين السابقين فقد كان لهم مسجد باسمهم هنالك مشهور (٧) ، بل لقد أصبح اسمهم علما خاصا بهم ينتسبون اليه انتساب الفرد الى القبيلة ، فظهر منهم عبد الله بن قيس الصحابى (ت ٥٩ هـ) (٨) ، والحرث بن سعيد المحدث (٩) ، وزبيد بن الحرث عريف العتقاء (١٠) .

وقد كان من مواليهم عبد الرحمن بن القاسم (ت ١٩١ هـ) الفقيه المالكى الكبير الذى نشر مذهب مالك بمصر (١١) . وكان ابنه عبد الصمد بن عبد الرحمن (ت ٢٣١ هـ) من أئمة القراءات (١٢) ، كما كان ابنه الثانى موسى بن عبد الرحمن (٢٤٦ هـ) من أهل العلم والدين بمصر (١٣) .

---

(٦) الانتصار : جـ ٤ ص ٣ ، ٤ ووفيات الأعيان جـ ١ ص ٣٤٧ عن الكندى والقضاعى ونهاية الأرب ص ١٢٧ والانتساب ص ٣٨٢ ب .

(٧) فتوح مصر : ص ١٢٠ .

(٨ ، ٩) الانساب : ص ٣٨٣ ب .

(١٠) فتوح مصر : ص ١٢٠ .

(١١) فتوح مصر : ١٢٠ ووفيات الأعيان جـ ١ ص ٣٤٦ — ٣٤٧ والخطط جـ ٤ ص ١٤٥ وحسن جـ ١ ص ١٢١ .

(١٢) الانساب : ٣٨٣ ب وحسن جـ ١ ص ٢٠٧ .

(١٣) القضاة من ٥٠٦ — ٥٠٧ عن رفع الاصر .

الفصــل الســادس

القبــائل المجهــولة

١ ـ بنو شرحبيل بن حسنة

هم فى الواقع أسرة دخلت مصر وعاشت بها . وابوهم هو شرحبيل ابن عبد العزى (١٤) وانما قيل له ابن حسـنة ـ وهى أمه ـ تمييزا له من اخوته الآخرين فيما يبدو . وأصبح بنو شرحبيل ومواليــه ينسبون الى حسنة هذه .

كان بنو شرحبيل فى مصر هم : ربيعة وكان على المكس (١٥) ، وعبد الرحمن وقد اختط هو وأخوه السابق بمصر (١٦) ، ويزيد كان من أشراف مصر وهجاه أبو مصعب البلوى (١٧) . وهؤلاء جميعا من عهد الفتح .

ثم كان منهم عمران بن عبد الرحمن بن شرحبيل كان على الشرط والقضاء (٨٦ ـ ٨٩ هـ) (١٨) . وجعفر بن ربيعة ، كان من وجوه مصر فى القرن الثانى (١٩) .

---

(١٤) العقد : جـ ٢ ص ٢٢١ .
(١٥ ، ١٦) فتوح مصر : ص ١٠٩ .
(١٧) المصدر نفسه : ص ١٢٣ ـ ١٢٤ .
(١٨) المصدر نفسه : ص ٢٣٨ والولاة : ص ٥٨ ـ ٦٠ والقضاة : ٣٢٦ ـ ٣٢٨ .
(١٩) القضــاة : ص ٣٢٧ .

وكان مواليهم كثيرين وظلوا باقين حتى القرن الرابع ، فكان منهم سهيل الرومى اختط بالفسطاط (٢٠) ، وبكر بن مضر (ت ١٧٤ هـ) يبدو انه كان من أشراف الموالى فقد كان ابراهيم بن تميم (ت ٢١٧ هـ) صاحب خراج مصر مولى له (٢١) ، واسحق بن بكر بن مضر (٢٢) ، والحسين بن محمد القرمى المحدث (ت ٣٣٥ هـ) (٢٣) .

والمشكلة هنا فى تحديد القبيلة التى ينتسب اليها بنو شرحبيل هـؤلاء .

نص ابن عبد ربه على أن شرحبيل من الغوث بن مر ، من طابخة ، من مضر ، فيهم كانت الأجازة فى الجاهلية (٢٤) . وفى هامش القضاة ص ٣٢٦ ان شرحبيل كندى حليف بنى زهرة ، فى حين ان الكندى نفسه ينص على أن نسب شرحبيل مختلف فى أنه من الغوث بن مر أو من كندة أو من مذحج (٢٥) . والواقع أن جعفر بن ربيعة قد أجاب صاحب الخراج بأنهم من الغوث من مذحج لما سأله بأسلوب فيه الريبة أو السخرية قائلا : « ممن أنتم اليوم يا بن شرحبيل ؟ » (٢٦) . أما السمعانى فقد جعل شرحبيل بن حسنة قرشيا (٢٧) .

وانه لمن المدهش أن يشمل الابهام نسب أسرة أو بطن لم يكن قليل الحظ من الشهرة والامتياز .

٢ ـ بنو عبد كلال

ظهر منهم بمصر يعفور بن عريب زعموا انه شهد فتح مصر (٢٨) ، ومعاوية بن الزبير من أشراف مصر (١٣٢ هـ) (٢٩) ، وام شرحبيل

---

(٢٠) الانتصار : جـ ٤ ص ٨ .
(٢١) الولاة : ص ١٣٤ والانتصار : جـ ٤ ص ٩ ، ٣٧ .
(٢٢) الانساب : ص ١٦٨ أ .
(٢٣) المصدر نفسه : ص ٤٢٥ أ .
(٢٤) العقد : جـ ٢ ص ٢٢١ .
(٢٥ ، ٢٦) القضاة : ص ٣٢٧ .
(٢٧) الانساب : ١٦٨ أ .
(٢٨) المصدر نفسه : ٣٦٨ أ .
(٢٩) الولاة : ص ٩٨ .

بنت عبد الرحمن التى تزوجها عبد الأعلى بن سعيد الجيشانى (١٤٤ - ١٥٤ هـ) ولكن أولياءها فرقوا بينهما بحجة عدم الكفاءة (٣٠) .

٣ - شجاعة

اختطت بالفسطاط (٣١) ، وكان منهم عدد كبير من اللفيف (٣٢) .

وقد يفهم من سياق كلام ابن دقماق انها من الأزد (٣٣) .

٤ - حماء

اختطت بمصر ، وكان لها مسجد باسمها ذو منارة (٣٤) .

وقد ذكرت فى الحديث مع قبيلة حكم من سعد العشيرة (٣٥) ، فهل هى مثلها من قبائل مذحج من عريب ؟

ولكن ابن عبد الحكم يذكر أنها اختطت مع حجر الأزد (٣٦) ، فهل هى من قبائل الأزد ؟

٥ - آل وعلة

دخلوا مصر مع الفتح ، وكانوا يأخذون مرتبهم فى سفط من بوصير (٣٧) .

---

(٣٠) القضاة : ص ٣٦٧ - ٣٦٨ .
(٣١) فتوح مصر : ص ١١٧ ، ١٢٠ .
(٣٢ ، ٣٣) الانتصار : جـ ٤ ص ٤ .
(٣٤) فتوح مصر : ص ١١٩ .
(٣٥) الانساب : ص ١٧٢ ب .
(٣٦) فتوح مصر : ص ١١٩ .
(٣٧) فتوح مصر : ص ٤٢ أ .

ولعلهم هم الوعلية الذين ذكر ابن عبد الحكم أن بنى أبرهـة من أصبح قد ورثوا عنهم المنازل التى لهم بالفسطاط لأنهم كانوا قد صاهروا الى ابن وعلة فصارت المنازل لهم بالميراث (٣٨) .

٦ ـ القبض بن مرثـد

كل ما نعرف عنهم انهم اختطوا بالفسطاط ، مما يدل على انهم حضروا الفتح (٣٩) .

ولعلهم ذلك البطن من رعين الذى مر ذكره فى ص ٢٥٩ من هـذا البحث ، والذى جاء فى انساب السمعانى بصور مختلفة .

٧ ـ بنـو الصـمة

كل ما نعرف عنهم انهم صارت اليهم الدار التى اختطها رويفع بن ثابت الأنصارى (٤٠) .

٨ ـ دارس

يبدو انهم شهدوا الفتح ، فقد اختطوا بالفسطاط ، وخطتهم هى زقاق المكى (٤١) .

٩ ـ يرفـا

كل ما نعرف عنهم ان نفرا منهم كان مع دارس فى خطتها (٤٢) .

* * *

(٣٨) المصدر نفسه : ص ١١٢ .
(٣٩) الانتصار : جـ ٤ ص ٤ .
(٤٠) فتوح مصر : ١١٠ .
(٤١ ، ٤٢) فتوح مصر : ص ١١٨ .

احصـــائية

بالنظر فى جميع القبائل العربيـــة وبطونها التى وفدت الى مصر فى الفترة المحددة للبحث نخرج بالاحصاءات الآتية :

١ ــ كان مجموع القبائل والبطون العربية التى وفدت الى مصر واقامت بها سواء مع الفتح أو بعده ٢٤٤ توزع كالآتى :

(أ) عدنـــــان	٣٠ قبيـــلة
	٣٠ بطنـــا
(ب) قحطـــــان	٦١ قبيـــلة
	١١١ بطنـــا
(جـ) تجمعات خاصة	٣
(د) قبائل مجهولة	٩

٢ ــ مجموع قبـــائل عدنان وبطونهـــا ٦٠
مجموع قبـــائل قحطـــان وبطونهـــا ١٧٢

كان العرب القحطانيون على هـــذا الأساس حوالى ثلاثة اضعاف العرب العدنانيين . ولنا أن نتوقع أن القحطانيين كانوا لذلك أصحاب الأثر الفعلى الذى تركه العرب فى الحياة المصرية .

٣ ــ لم تكن القبائل متساوية فى عدد من جاء منها الى مصر ، وقد مر بنا فى البحث قبائل لا نكاد نجد منها أحدا ، فى حين كان هناك قبائل تكاد تكون هاجرت برمتها الى مصر . والاحصـــائية التالية تبين أكثر القبائل بطونا وبالتالى أضخمها عددا :

القبيلة	العدد			
قريش	١٣ بطنـــا	خندف ــ مضر ــ عدنان		
الأزد	١٨ قبيلة	مـــالك	كهـــلان	قحطـــان
غـــافق	٩ بطـــون	مـــالك	كهـــلان	قحطـــان
تجيب	١٤ بطنـــا	عـــريب	كهـــلان	قحطـــان
المعـــافر	١٣ بطنـــا	عـــريب	كهـــلان	قحطـــان
خـــولان	٧ بطـــون	عـــريب	كهـــلان	قحطـــان
مـــراد	١٠ بطـــون	عـــريب	كهـــلان	قحطـــان
حضرموت	١٠ بطـــون	الهميسع	حمـــير	
رعـــين	١٢ بطنـــا	الهميسع	حمـــير	

من هذه الاحصائية نستطيع الخروج بالنتائج الآتية :

(أ) كانت قريش اكثر القبائل العدنانية عددا فى مصر .

(ب) كانت قبائل عريب أكثر القبائل القحطانية عددا .

(جـ) كانت قبائل الهميسع اقوى تمثيلا لحمير من قبائل قضاعة .

(د) كانت قبائل كهلان بعامة اقوى تمثيلا لقحطان من قبائل حمير وكانت النسبة بينهما ٣ : ١ تقريبا .

الباب الرابع

القبائل العربية
والمجتمع المصري



فرغنا فى الأبواب السابقة من البحث عن القبائل العربيــة التى وفدت الى مصر وعاشت بها طوال القرون الثلاثة الأولى . وقد رأينــا نسبها العددية بعضها الى بعض ، وتتبعنا ما أمكن تنقلها فى طول البلاد وعرضها ، وسجلنا ضروب النشاط الذى ساهمت به فى المجــالات الحيوية فى مصر .

والآن نريد أن نبحث عن الصلة بين تلك القبائل وبين الأدب ــ العربى طبعــا ــ الذى عــاش فى مصر فى الفترة المذكورة . واهتمامنــا فى هذا الصــدد ينحصر فى محــاولة كشف نوع ومدى وجود « القبيلة » فى ذلك الأدب .

ولكن ماذا نعنى بهذه القبلية ؟

ان القبيلة نظــام اجتماعى له أسسه وقوانينه وتقاليده واعرافه . وفى كلمة له شخصيته التى يتميز بها عن غيره من النظم الاجتماعيــة كالطائفة أو الطبقة او الأمة مثلا . ومجموع العناصر التى تكون هــذه الشخصية ، والســمات التى تحدد شكلها هو ما نطلق عليــه اســم « القبيلة » . فكأن القبلية هى فى الواقع النظم التى تقوم عليهــا القبيلة اى ضروب السلوك التى تصطنعها فى المجالات الحيوية المختلفة ابتغاء المحافظة على بقائها .

ولكن من المسلم أن الأدب كائن حى يتأثر ويؤثر فى البيئة التى يمارس حياته فيها ســواء كانت بيئة مادية أو اجتماعية . فمن الطبيعى اذن أن يتأثر الأدب الذى يعيش داخــل قبيلة بضروب الســلوك التى أطلقنا عليها اسم : القبلية .

وتأثر الأدب المصرى بهذه القبلية وتأثيره فيها فى خــلال القرون الثلاثة الأولى هو ما نريد بحثه فى الفصل الحاضر .

ولكن كيف نقوم بهذا البحث ؟

ان لدينا شيئين واضحين هما : قبيلة ، وأدب يحيا داخل هذه القبيلة . ولذلك يقضى منطق البحث بأن نبدأ بمحــاولة كشف مركز

القبيلة فى المجتمع المصرى ، ومدى أهميتها بالنسبة اليه ، ونوع تأثيرها فى الحيـــاة الاجتماعية والفردية للناس . ولكننا اذا فعلنا هذا فلن نكون قد فعلنا سوى البحث عن ظاهرة القبلية فى المجتمع المصرى . وفى كل حال فانه لن يكون علينا بعد ذاك الا البحث عن موقف الأدب بالنسبة الى القبيلة .

من الواضح الآن اننا سندرس نقطتين هما:

١ ــ القبلية فى المجتمع المصرى فى القرون الثلاثة الأولى للهجرة .

٢ ــ القبلية فى الأدب المصرى فى الفترة نفسها .

الفصل السابع

القبلية فى المجتمع المصرى

فتح العرب مصر ، ثم اقاموا بها اقامة دائمة ، وأصبح لهم مدينة خاصة بهم تجمعهم هى الفسطاط ، كما بنوا الجيزة حيث أقام بعضهم ، وخصصت لهم مرتبات ثابتة ، وكان لهم بلاد معينة يذهبون اليها فى الربيع لرعى دوابهم ، واتخذوا المنازل والقصور والمساجد والأسواق .. وفى كلمة أصبح العرب جزءا من الشعب الذى يعيش فى مصر ، او اصبحوا يكونون طبقة من طبقات المجتمع المصرى . ولما كانت طبقتهم تلك تتكون من مجموعة من القبائل فاننا نريد أن نتتبع السلوك القبلى لأفرادها ، أى ان نحدد ما كان لهم من نظم وعلاقات وتصرفات وأخلاق تتسم بسمة قبلية اى يختص بها المجتمع القبلى ولا تصدر الا عن افراد يمارسون حياتهم فى حدود قبيلة . ووسيلتنا الى هذا احصاء مظاهر هذا الضرب من السلوك فيما بقى لنا من أخبار العرب الذين عاشوا بمصر فى القرون الثلاثة الأولى من الهجرة .

١ ـ القبيلة وحدة المجتمع العربى :

أول ما يلفت النظر فى المجتمع فى مصر او ـ بتعبير ادق ـ فى الطبقة العربية من المجتمع المصرى كون القبيلة هى الوحدة الأساسية فى هذا المجتمع او الخلية الأولى فى ذلك الجسد .

(أ) الجيـــش :

كان جيش الفتح يتكون من جنود ينتسبون الى قبائل مختلفة بطبيعة الحال وكان منظما على أســاس انضمام الجنود من قبيلة واحدة معا بحيث يكونون كتيبة واحدة .

ومن الواضح ان هــذا التنظيم اذ يتمشى مع الأوضـــاع الأصيلة للاجتماع العربى يضمن الانسجام والتكاتف بين افراد الكتيبة الواحدة ويقطع الطريق على اية فرصة للتفاخر أو التنافس أو تذكر العداوات القديمة فى داخل الكتيبة وهى أمور لم يكن يسترها فى صــدور العرب حديثى العهد بالاتحاد سوى ستار رقيق من تعاليم الدين الجديد .

وهكذا نظمت وحدات الجيش على اساس قبلى ، فكانت كل وحدة منهــا عبــارة عن قبيلة من القبــــائل والعكس صحيح . وكان لكل لكل قبيلة ــ وهذا من عاداتهم القديمة ــ راية (١) ، وظلت القبــائل محتفظة براياتها تلك ، وكانت الراية مع زعيم القبيلة على نحو ما كانت راية الأجذوم (بطن من الصدف) مع حيان بن يوسف الصدفى (٢) ، « فكان الناس اذا كان فزع خرجوا براياتهم ، وكان لكل قوم موقف »(٣)، وقد بينا عند الحــديث عن اهــل الراية كيف كانت قلة افراد بعض القبائل سببا فى ضمها بعضها الى بعض ليصبح عددها كافيــا لتكوين فرقة من فرق الجيش العربى اطلق عليها اسم : أهل الراية (٤) .

ومن أوضح ما يصــور تقسيم الجيش على اساس قبلى رجز عمرو عندما بلغ الهجوم على حصن بابليون ذروته :

يوم لهمدان ويوم للصدف   والمنجنيق فى بلى تختلف (٥)

---

(١) وفيات الاعيان جـ ١ ص ٣٤٧ من خطط مصر للكندى .
(٢) فتوح مصر : ص ١٢٢ .
(٣) المصدر نفسه : ص ١٢٧ .
(٤) انظر من ٢٧١ ــ ٢٧٢ من هذا البحث .
(٥) فتوح مصر : ص ٦٢ .

(ب) الخـــطط :

لم يراع المبدأ القبلى فى تنظيم الجيش فحسب وانما روعى فى تخطيط المدن التى بناها العرب كذلك ، وللحكمة نفسها ، أى تجنبا لتنافس القبائل وتصادمها (٦) .

طبق المبدأ القبلى عند تخطيط مدينة الفسطاط ، فان عمرو بن العاص لما نزل موضع فسطاطه ـ معسكره ـ بعد عودته من فتح الاسكندرية واجتمعت كلمة الجنود على بناء مدينتهم فى تلك البقعة « انضمت القبائل بعضها الى بعض وتنافسوا فى المواضع » . فأسرع عمرو وعين أربعة من كبار أصحابه من قبائل مختلفة ، مشرفين على عملية تخطيط المدينة الجديدة وتوزيع المواقع على القبائل . « فكانوا هم الذين أنزلوا الناس وفصلوا بين القبائل » . وهذا هو ما يعنيه ابن سعيد فى كتاب المغرب بقوله : « ولما فتحها عمرو قسم المنازل على القبائل » (٧) .

واتبع المبدأ نفسه فى تخطيط مدينة الجيزة (٨) . بل انه اتبع فى توزيع دور الاسكندرية التى كان الجنود العرب يحتلونها بطريقة الابتدار أى أن « من ركز رمحه فى دار فهى له ولبنى أبيه . فكان الرجل يدخل الدار فيركز رمحه فى منزل منها ، ثم يأتى آخر فيركز رمحه فى بعض بيوت الدار ، فتكون الدار لقبيلتين ولثلاث قبائل » (٩) .

(جـ) الديـوان :

كان طبيعيا جدا بعد هذا ان ينظم الديوان نفسه ـ ديوان الجند ـ على أساس القبائل ، فمهمة هذا الديوان الذى نظمه عمر بن الخطاب

---

(٦) « كانت القبائل تسكن فى أحياء ، والبطون فى شوارع ، والأسر فى منازل . وكانت الأحياء تحمل اسماء القبائل ، والشوارع تحمل اسماء البطون . وهكذا يعطينا تخطيط الكوفة صورة عن انساب العرب . ولم يكن الأمر فى البصرة مختلفا عن هذا » .

(يوليوس فلهوزن : الخوارج والشيعة ، هامش ص ١٥٤ ـ الترجمة العربية ـ القاهرة ١٩٥٨) .

(٧) الانتصار : جـ ٤ ص ٣ والنجوم : جـ ١ ص ٦٥ .

(٨) الانتصار : جـ ٤ ص ١٢٦ ـ ١٢٧ والخطط جـ ١ ص ٢٠٦ عن القضاعى .

(٩) فتوح مصر : ص ١٣٠ ـ ١٣١ والانتصار : جـ ٥ ص ١١٨ .

سنة ٢٠ هـ كانت حصر أسماء الجنود المقيمين بالقطر المفتوح ليتسنى صرف نصيبهم من العطاء . فكانت الطريقة المثلى هى تدوين أسماء الجنود حسب قبائلهم : .فالدواوين ما هى الا ضرب من ضروب الحساب ، وثبت يكتب فيه أسماء القبائل والعشائر والبطون (١٠) .

وأول تدوين كان بمصر على يد عمرو (١١) . ولكن كان تنقل العرب من قطر الى قطر لا ينتهى ، كما كان الجنود المقيمون يتناسلون . ومن الطبيعى أن العرب المسجلين بالديوان كانوا يزيدون بالتناسل وقدوم غيرهم عليهم أو ينقصون بالموت والهجرة . ولذلك جعل معاوية على كل قبيلة من قبائل العرب بمصر رجلا يصبح كل يوم فيدور على المجالس فيقول : هل ولد الليلة فيكم مولود ؟ وهل نزل بكم نازل ؟ فيقال : ولد لفلان غلام ، ولفلان جارية . فيقال : سموهم ، فيكتب . ويقال : نزل بنا رجل من أهل اليمن بعياله ، فيسمونه وعياله ، فاذا فرغ من القبائل كلها أتى الديوان (١٢) .

ولسنا نعرف على وجه اليقين السبب الذى دعا عبد العزيز بن مروان ، أو ابنه عمر ، ثم قرة بن شريك العبسى الى اعادة تدوين الديوان بمصر (١٣) . ولن يخرج ذلك السبب فى كل حال عن تغييرات كبيرة أصابت القبائل المسجلة بالديوان ، لمثل الأسباب السابقة أو لسبب سياسى ، فنحن نعرف أن حكم بنى مروان قام بمصر بعد صراع عنيف بينه وبين المصريين الذين تقاسمتهم الدعوة العلوية ودعوة الخوارج . أما التدوين الرابع الذى أجرى سنة ١٠٢ هـ فكان كما مر بسبب استخراج بطون قضاعة من القبائل الأخرى التى كانت مضمومة اليها وجعلها دعوة مفردة (١٤) .

من الواضح الآن ان بناء المجتمع العربى أو الطبقة العربية فى مصر تأسس على القبائل . وقد فرغنا من بيان كيف قام الجيش والمدينة والديوان ـ وهى من اهم جوانب الكيان الاجتماعى للعرب ـ على أساس

---

(١٠) دكتور محمد كامل حسين : ادب مصر الاسلامية ص ١٠٠ .
(١١) الولاة : ص ٧١ والخطط : جـ ١ ص ٩٤ .
(١٢) فتوح مصر : ص ١٠٢ والخطط جـ ١ ص ٩٤ وحسن : جـ ١ ص ٦٦ ،
(١٣) الولاة : ص ٦٥ ، ٧١ والخطط : جـ ١ ص ٩٤ .
(١٤) الولاة : ص ٧٠ .

قبلى محض . ولن نكون مبالغين اذا قلنا ان هـذا الأساس قد تحكم فى جميع مظاهر الحياة العربية فى مصر بحيث نجد الروح القبلية ظاهرة فى كل وضـع . وقد رأينا مثلا الاعتماد على القبيلة فى الاحصـاء اليومى الذى ابتكره معاوية . أما عبد العزيز بن مروان ممثل تقاليد الارستقراطية العربية فقد كان له مائة جفنـة يطاف بها على القبـائل ، تحمل على العجل الى قبائل مصر (١٥) .

***

٢ - تنظيم القبيـلة :

بقيت لنا بعض معالم التنظيم العام الذى كانت القبـائل فى مصر تمارس حياتها وفقه .

(أ) مر بنا منذ قليل انه كان لكل قبيلة خطـة أى مكان تقيم فيه منازلها . وهذا بالطبع من أول المقومات الضرورية لكيانها .

(ب) كما مر بنا أن القبيلة لها دعوة فى الديوان يستحق افرادها بموجبها العطـاء .

(جـ) المرتبـع :

كان من النظم الأساسية التى سنها عمرو لحيـاة العرب فى مصر خروجهم الى الريف فى الربيع للصيد والرعى رعى الابل بخاصـة . وكان يترك لكل قبيلة حرية اختيار الكورة التى تحب أن ترتبع فيها . وقد عقد بن عبد الحكم فصـلا بعنوان « ذكر مرتبع الجند » تحدث فيه عن البلاد التى تعودت القبائل الخروج اليها فى الربيع (١٦) .

ولاشك فى أن الارتباع كان فرصـة ذهبية بالنسبة الى العرب يتعرفون فيه على البلاد ، ويختلطون بأهلها ، وكان لهذا بالتـالى أثر كبير فى امتزاج الفريقين امتزاجا أدى الى انتشار العرب فى مصر والى تأثر المصريين بلغة العرب ودينهم .

---

(١٥) المصدر نفسه : ص ٥١ .

(١٦) فتوح مصر : ص ١٣٩ ، ١٤١ - ١٤٢ وانظر النجوم : جـ ١ ص ٧٣ - ٧٤ .

وقد ظل العرب محافظين على رحلة الربيع هذه ، ففى سنة ١٠٢ هـ هاجم الروم تنيس وقتلوا أميرهـا فى جمع من الموالى فقال أحد الشعراء :

ألم تربع فتخبرك الرجال
بما لاقى بتنيس الموالى ؟ (١٧)

(د) المسجد :

كان أول ما بنى من الفسطاط المسجد الجامع ، وهو المسجد الرئيس الذى يجتمع فيه المسلمون جميعا ويؤدون فريضة الجمعة ، ولكن كان الى جانب هذا المسجد مساجد أخرى صغيرة خاصة بالقبائل وتقع فى داخل خطط تلك القبائل . ذلك بأن عمر لما افتتح البلدان كتب الى ولاة البصرة والكوفة ومصر يأمر كلا منهم « ان يتخذ مسجدا للجماعة ويتخذ للقبائل مساجد ، فاذا كان يوم الجمعة انضموا الى مسجد الجماعة » (١٨) . فكان لكل قبيلة مسجدها الخاص بها فى خطتها . وقد بقى لنا ذكر مسجد لخم (١٩) ، ومسجد عنزة من ربيعة ، ومسجد مهرة (٢٠) ، والمسجد الأبيض فى حضرموت (٢١) ، ومساجد ذى أصبح وهمدان بالجيزة (٢٢) . وأصبحت هذه المساجد تعرف فيما بعد باسم مساجد الصلوات الخمس (٢٣) . ونحن نعرف أن مسلمة بن مخلد اصدر امره سنة ٥٣ هـ الى القبائل بأن تبنى كل منها منارة لمسجدها (٢٤) .

(هـ) المجلس :

لم يكن المسجد فى العصور الاسلامية الأولى مكان عبادة فحسب ، وانما كان نادى اجتماع ، ومدرسة علم ، ومجلس حكم كذلك . ولذلك

---

(١٧) الولاة : ص ٧٠ : وقد تناولنا ظاهرة الارتباع بالتحليل فى ص ٥٦ ــ ٦٠ من مقدمة هذا البحث .
(١٨) الخطط : جـ ٤ ص ٤ .
(١٩) فتوح مصر : ص ١١٩ .
(٢٠) المصدر نفسه : ص ١١٦ ، ١١٨ .
(٢١) القضاة : ص ٣٦٠ .
(٢٢) الانتصار : جـ ٤ ص ١٢٧ .
(٢٣) القلقشندى : صبح الأعشى ــ ٣ : ٣٦٥ .
(٢٤) فتوح مصر : ١٣١ والولاة : ٣٨

كان لكل قبيلة مجلس بل مجلسان فى الواقع : مجلس فى مسجدها الخاص وثان فى المسجد الجامع .

فكان المسجد الذى على الطريق مجلسا للخم يجلسون فيه (٢٥) . وكان ابن بلال (ت ١٤٠ هـ) خليفة غوث بن سليمان على قضاء مصر يجلس للناس فى المسجد الأبيض بحضرموت (٢٦) .

ونستطيع أن نفهم من هذا ان مسجد القبيلة كان يعد ، كله أو بعضه ، مجلسا لهم . أما المسجد الجامع فكان لكل قبيلة مجلسها الخاص بها فيه ونحن نعرف من هذه المجالس مجلس قيس الذى اشتهر بعمده التى طلا قرة بن شريك رءوسها بالذهب (٢٧) .

من الواضح الآن أن المجلس كان مرفقا حيويا للقبيلة ، ففيه كان أبناؤها يجتمعون ، وعلماؤها يعلمون ، وقضاتها يحكمون . وقد رأينا منذ قليل ذلك الموظف الذى كان يدور كل صباح على مجالس القبائل يسألهم عمن زاد عليهم أو نقص منهم . وربما أعطانا هذا المثل الحق فى افتراض ان التعليمات الرسمية كانت تبلغ الى القبائل عن طريق مجالسها .

(و) العريف :

يبدو ان شيخ القبيلة القديم أو زعيمها اتخذ هنا صورة جديدة أطلق عليها اسم العريف . ومن الطبيعى أن يكون لكل جماعة من الناس رئيس . وهذا هو ما فعله عمرو بن العاص منذ اللحظات الأولى فقد جعل لكل قبيلة محرسا وعريفا (٢٨) .

وحيان بن يوسف وعمران بن ربيعة الصدفيان ، والملامس بن جذيمة الحضرمى أقدم من نعرف من العرفاء ، فقد كانوا عرفاء لقبائلهم منذ الفتح (٢٩) .

---

(٢٥) فتوح مصر : ١١٩ .
(٢٦) القضاة : ٣٦٠ .
(٢٧) فتوح مصر : ١٣١ والخطط : ج ٤ ص ٩ .
(٢٨) كتاب البلدان : ص ١١٨ .
(٢٩) فتوح مصر : ص ١٢٣ ، ١٢٤ .

ومن الطبيعى أن يكون لعريف القبيلة مكانة سامية ، ففى الاسكندرية مثلا ــ حيث كان العرب يتناوبون المرابطة ــ كان لكل عريف « قصر » ينزل فيه بمن معه من أصحابه (٣٠) .

ويبدو أن العريف كان يتمتع فى قبيلته بسلطات واسعة على نحو ما يبدو من اعتزام عريف حضرموت (اللامس بن جديمة) الانتقال بها عن مصر الى فلسطين دون الرجوع اليها عندما ساء التفاهم بينه وبين مسلمة بن مخلد (٣١) .

كما يبدو أن العريف كان هو المسئول الرسمى عن كل ما يتعلق بالقبيلة نلمح طرفا من هذا فى قيام عريف مراد بالوصاية على أحد الأيتام من قبيلته (٣٢) . بل ان القاضى عبد الرحمن بن معاوية بن حديج لما كشف عن أموال اليتامى سنة ٨٦ هـ « جعلها على أيدى عرفاء القبائل » ــ أى جعلهم المسئولين عنها ــ « وشهرها واشهد فيها » (٣٣) .

(ز) المحرس :

رأينا منذ لحظة أن عمرا جعل لكل قبيلة محرسا وعريفا .

والمحرس هنا فى أغلب الظن رجال يتولون حراسة خطة القبيلة ــ كالخفراء الآن ــ وهم طبعا غير الشرط فهؤلاء كانوا حفظة الأمن العام .

نخرج من هذا كله بأن القبيلة ــ كهيئة اجتماعية ــ كانت تقوم على الأركان الآتية :

الخطة ــ الدعوة ــ المرتبع ــ المسجد ــ المجلس ــ العريف ــ المحرس .

* * *

(٣٠) المصدر نفسه : ١٣٠ ، ١٩٢ .
(٣١) المصدر نفسه : ص ١٢٤ .
(٣٢) القضاة : ص ٣٤١ .
(٣٣) المصدر نفسه : ص ٣٢٥ .

٣ ــ مظاهر السلوك القبلى العام :

ونعنى به الأوضـــاع أو النظم التى كانت القبيلة ترعاها ككل فى حياتها الخاصة او فى علاقاتها مع القبائل الأخرى او الأفراد الآخرين .

ولاشك فى أن النظم القبلية التى فرغنا للتو من ذكرها تعبر عن ضرب من الســلوك القبلى العام . بل ان تمسك أولى الأمر باتخــاذ القبيلة وحدة أساسية للمجتمع العربى المنتقل الى مصر على النحو الذى رأيناه فى تكوين الجيش واختطاط المدن وتنظيم ديوان الجند .. نقول ان هذا الصنيع ذاته يكشف فى وضـــوح عن سيطرة فكرة القبيلة على وجدان العربى الاجتماعى وبعد جذورها فى نفسيته .

ونذكر الآن مظاهر اجتماعية أخرى للسلوك القبلى العام :

(أ) الحـــلف :

التحالف ــ بما هو ارتباط يشترك الطرفان أو الأطراف المتحالفة بمقتضاه فى حمل أعباء الحــاضر ومواجهة حوادث المستقبل فى المحيط الحربى ــ نظــام عربى قــديم . وقد ظهر هــذا النوع من العــلاقة الاجتماعيـــة بين العرب منذ السنين الأولى لاقامتهم فى مصر ، فقد تحالفت مدلج (قبيلة من مضر) وذبحان (قبيلة من حمير) وأقامتــا بخربتا (٣٤) . وحالف أبو سالم المعافرى جيشان وأصبح هو وبنوه ينسبون اليها (٣٥) . وكان عبد الله بن المهاجر الذى أخمد ثورة القبط فى بلهيب سنة ١٥٦ هـ حليفـــا لبنى عامــر من تجيب (٣٦) . وكان ابراهيم بن أسحق القارى قــاضى مصر (٢٠٤ ــ ٢٠٥ هـ) حليف بنى زهرة (٣٧) . وطالمــا تحالفت قبائل قيس ويمن المقيمة بالحوف ضد الولاة لأسباب مختلفة أهمها الخراج ، وكان أهم ما حــدث ذلك فى سنى ١٦٨ ، ١٩٦ ، ١٩٨ ، ٢١٤ هـ (٣٨) . ولمــا هاجرت قريش الى الأشمونين تحــالف بنو خالد بن يزيد بن معاوية ، وبنو مسلمــة بن عبد الملك بن مروان مع بنى جعفر بن أبى طالب (٣٩) .

---

(٣٤) فتوح مصر : ص ١٤٢ .
(٣٥) القضاة : ص ٣٥٣ والانساب : ص ١٤٧ ب .
(٣٦) الولاة : ص ١١٩ .
(٣٧) القضـــاة : ص ٤٢٧ .
(٣٨) الولاة : ص ١٢٥ ، ١٤٩ ، ١٥٣ ، ١٨٥ ــ ١٨٦ .
(٣٩) الخطط : ج ١ ص ٢٣٩ .

(ب) الجـــوار :

اى أن تجير القبيلة أو أحد افرادها شخصا آخر ، أى يسبغ عليه حمايته . وأبرز ما حدث ذلك فى مصر لما أجار كريب بن أبرهة سيد حمير الخليفة مروان بن الحكم سنة ٦٥ هـ عندما تجمع المصريون على بابه يريدون قتله انتقاما للأكدر بن حمام سيد لخم (٤٠) .

وقد أثار هبيرة بن هاشم ــ من أشراف مصر ــ الاعجاب العام عندما أجار ابراهيم الطائى الثائر سنة ١٩٨ هـ ورفض أن يسلمه الى الوالى بالرغم من انه عرضه على السيف (٤١) .

هذا بينما أثار المطلب بن عبد الله أمير مصر السخط العام عندما خان جوار أبى بشر الأنصارى سنة ١٩٩ هـ وسلط عليه الجند فقتلوه (٤٢) .

(جـ) الــولاء :

هو تبعية شخص لآخر أو لقبيلة . وقد مر بنا فى خلال البحث عشرات من مشاهير الموالى فى مصر . ويكفى دليلا على قوة هذا الضرب من الرابطة الاجتماعية وانتشاره فى المجتمع المصرى أن الموالى كانوا يكونون فيه ما يشبه أن يكون طبقة خاصة .

(د) العــد :

وهو اسم وضعناه لنعبر عن قولهم : فلان عديد قبيلة كذا ، أو عداده فى بنى فلان .. وهذا معناه انه ليس من أنفسهم ولا من مواليهم ، وانما هو يعد منهم فى الديوان (٤٣) .

ومن أمثلة هذه العلاقة بمصر مالك بن شراحيل الخولانى قاضى مصر سنة ٨٣ هـ ، فهو من همدان ولكنه كان عديد خولان (٤٤) ،

---

(٤٠) الولاة : ص ٤٦ .
(٤١) الولاة : ص ١٥٢ ــ ١٥٣ .
(٤٢) المصدر نفسه : ص ١٥ ــ ١٥٦ .
(٤٣) القاموس : مادة : العد وابن خلكان جـ ٢ ص ٥٥٥ .
(٤٤) القضاة : ص ٣٢١ .

اى أن اسمه فى الديوان كان مسجلا ضمن قبيلة خولان لا همدان قبيلته الأصلية . وكان عبد الأعلى بن موسى عديدا للصـدف ، وكذلك كان ابنه يونس الفقيه المشهور (٤٥) .

* * *

٤ ـ مظاهر السلوك القبلى الخاص :

كانت العصبية ، بما هى جملة العواطف التى تربط الفرد بجماعته ، من أبرز مظاهر السلوك العربى فى مصر ، سواء كان سلوكا فرديا أو جماعيا .

(أ) العصبية الجماعية :

هناك ما يدل على أن العرب الذين عاشوا فى مصر كانوا يعون وبالتالى يعترفون ويتأثرون بالتقسيمات الجنسية العامة كعدنان وقحطان ويعرب ومضر وما تستتبعه هذه التقسيمات من تقارب أو تنافر أو تعاون أو تشاحن . وفيما يلى نماذج لذلك :

١ ـ فى أثناء الهجوم على حصن بابليون حدث سوء تفاهم ، نتيجة للتنافس فيما يبدو ، بين الزبير بن العوام القرشى وشراحيل بن حجية المرادى ، فعرض عمرو على الزبير ان يستقيد من شراحيل الذى أهانه ، ولكن الزبير استكبر قائلا : امن نفغة من نغف اليمن استقيد يابن النابغة ؟ (٤٦) .

(النغف : دود فى انوف الابل والغنم أو فى النوى أو من الخنافس .. ومنه قالوا للمستحقر : يا نغفة . القاموس : مادة : النغف) .

٢ ـ شهد تميم بن فرع المهرى فتح الاسكندرية الثانى سنة ٢٥ هـ . فلما وزعت الغنائم لم يحتسب له فيها نصيب بدعوى صغر سنه . فتعصبت قبيلته مهرة له وكاد أن تقع منازعة بينها وبين قريش التى يبدو انها كانت تتولى تقسيم الغنائم . ولم يحل المشكلة سوى اثنين من الصحابة (٤٧) .

---

(٤٥) وفيات الأعيان ج ٢ ص ٥٥٥ .

(٤٦) فتوح مصر : ص ٦٤ .

(٤٧) المصدر نفسه : ص ٣ ـ ١ .

٣ ــ وقف قيس بن سعد الأنصارى ، والى مصر ذو الأصل الجنوبى اليمنى القحطانى ، يوصى خليفته محمد بن أبى بكر القرشى ؛ أى الشمالى العدنانى المضرى (سنة ٣٧ هـ) بأن يعامل قومه المضريين معاملة طيبة فقال : « وانظر هذا الحى من مضر ، فأنت أولى بهم منى ، فألن لهم جناحك ، وقرب عليهم مكانك ، وارفع عنهم حجابك » (٤٨) .

ترى هل كانت هذه سياسة كل وال ؟

٤ ــ بلغ من قوة العصبية العامة بين العرب فى مصر ، حتى فى القرن الثانى ان كان القاضى توبة بن نمر (١١٥ ــ ١٢٠ هـ) لا يقبل شهادة مضرى على يمانى ولا يمانى على مضرى (٤٩) .

٥ ــ يبدو ان أولى الأمر كانوا يستغلون هذه العصبية لخدمة اغراضهم ، فقد اخذ زبان بن عبد العزيز مواليه « وجندا من قيس » وحارب بهم ثابت بن نعيم الجذامى الثائر سنة ١٢٧ هـ (٥٠) . ولما ثار ابن ضبعان الجذامى بفلسطين سنة ١٣٧ هـ كون والى مصر لمحاربته جيشا أسند قيادته الى يزيد بن الزبرقان القيسى (٥١) .

٦ ــ نحن نعرف أن صراعا قبليا جبارا دار بين مضر ويمن طوال العهد الأموى ، وان هذا الصراع كان من أهم اسباب سقوط الأمويين (٥٢) . ومن العجيب اننا لا نكاد نجد اثرا لهذا النوع من الصراع فى مصر حيث أقام عدد ضخم من العرب الجنوبيين منذ الفتح ثم هاجر عدد كبير من قبائل قيس سنة ١٠٩ هـ . بل ان العكس هو الذى حدث اذ نرى القبائل القيسية واليمنية المقيمة بالحوف تدخل سلسلة من الأحلاف وتخوض كجبهة واحدة عددا كبيرا من المعارك . والظاهر أن وحدة المصالح المشتركة كانت أقوى لديهم من الخلاف القبلى التقليدى . وهذا وضع سليم فى منطق الحياة فى كل حال .

---

(٤٨) الولاة : ص ٢٧ .
(٤٩) القضاة : ص ٣٤٦ .
(٥٠) الولاة : ص ٨٧ .
(٥١) المصدر نفسه : ص ١٠٣ .

Ency. Isl. II, P. 655.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

٧ ــ ألقى القبض على هــارون بن ســليم بن عيــاض القرشى (١٧٧ ــ ١٨٤ هـ) وهدد بالضرب لأنه كان يتكلم فى العصبية (٥٣) .

٨ ــ قصة التنافس على الفوز فى سباق الخيل بين مراد ويحصب وتحايل ثانيتهما على الفوز ولو بطرق غير شريفة مظهر واضح لتمكن العصبية من القبائل وحرص كل منها على الاستئثار بالفخر (٥٤) .

٩ ــ فى منتصف القرن الثالث هاجرت قبائل مختلفة الى بلاد البجة ، فأصهرت ربيعة الى البجة انفسهم فقويت بهم على من ناواها وجاورها من قحطان (٥٥) .

١٠ ــ كان موقف قبائل مصر من الثورات والحركات السياسية المختلفة مظهرا بارزا من مظاهر العصبية الجماعية . فقد ظهر فى محيط الحياة المصرية تيارات كثيرة أولها حركة ابن أبى حذيفة المعادية لعثمان (٣٥ ــ ٣٦ هـ) . ثم ظهر كرد فعل لها حركة موالية لعثمان يتزعمها معاوية بن حديج السكونى . ثم ظهر فيها الاتجاه العلوى . وفى سنة ٦٤ هـ استعلنت حركة الخوارج . وفى أخريات الدولة الأموية (١٢٧ ــ ١٢٨ هـ) انتقلت من فلسطين الى مصر حركة عنيفة تعمل على خلع مروان الحمار ، ثم ظهرت الدعوة العباسية وانتشر التسويد بمصر . ثم كان الصراع بين حزبى الأمين والمأمون (١٩٦ ــ ١٩٨ هـ) .

ومن الممكن فى كل حال تلخيص الحركات السياسية منذ فتنة عثمان حتى نهاية الدولة الأموية فى اتجاهين اثنين : اتجاه أموى واتجاه مضاد له . وباحصاء موقف القبائل وشخصياتها نلحظ اتجاه الأغلبية الغالبة فى مصر ضد الأمويين سواء ظهر هذا الاتجاه فى الانضمام الى ابن أبى حذيفة أو الى على أو الى عبد الله بن الزبير .

ولكن هذا لم يمنع اتخاذ بعض القبائل لونا واضحا مثل لخم ذات الميول العلوية المتطرفة ، وفهر التى وقفت مع ابن جحدم الفهرى فى صراعه ضد مروان بن الحكم ، وحضرموت التى ناصبت مروان الحمار عداء مريرا .

---

(٥٣) القضاة : ص ٣٩١ .
(٥٤) المصدر نفسه : ص ٤٠٢ .
(٥٥) الخطط : ج ١ ص ١٩٦ ــ ١٩٧ .

ونحن فى كل حـال قد ذكرنا ما أمكن موقف كل قبيلة ولونهـا السياسى فيما مضى من البحث .

(ب) العصبية الفرديـة :

ونعنى بها العصبية التى يبديها الفرد نحو قبيلته ، وهى عاطفـة لم تكن أقل وضوحا من سابقتها . ومن أمثلتها :

١ ـ فى أثناء تخطيط الفسطاط طلب عمرو بن العاص ـ وهو من سهم ـ أن تكون خطـة عمير بن وهب ـ وهو من جمح ـ الى جانب خطته قائلا : « خطوا لابن عمى الى جانبى » (٥٦) .

٢ ـ لمـا شكت المعافر الى عمرو سوء موقع خطتهم قرر نقلهم الى موقع خطة قريش ونقل قريشا مكانهم قائلا : « لا أجد قوما أحمل لى من أصحابى » (٥٧) .

٣ ـ لم تكن الخصومات السياسية أقوى من الرابطة القبلية ففى فتنة عثمان كان معاوية بن حديج السكونى زعيم شيعة عثمان ، فى حين كان قريبه كنانة بن بشر التجيبى من كبار زعمـاء المتمردين على عثمان . فلما ثار ابن أبى حذيفة بمصر واستولى عليها بعث الى ابن حديج ـ وكان أرمد ـ ليكرهه على البيعة ، فخف اليه كنانة بن بشر الذى تحركت فى دمه عواطف القرابة فدفع عنه ما كره (٥٨) .

٤ ـ وثمة نموذج آخر لغلبة الرابطـة القبلية على الخصـومة السياسية .

لمـا اعتزل شيعة عثمان سنة ٣٦ هـ وثب مسلمة بن مخـلد فنعى عثمـان ودعـا الى الطلب بدمـه ، وكان أمير مصر حينـذاك قيس بن سعد . وكان ذلك خرقـا خطيرا لتقاليد العصبية القبليـة

---

(٥٦) فتوح مصر : ص ١٠٨ .
(٥٧) المصدر نفسه : ص ١٢٧ .
(٥٨) الولاة : ص ١٨ .

فكلاهما من بنى ساعدة من الخزرج من الأنصار . فأرسل قيس الى مسلمة يقول والمرارة تغلب دهشته : « ويحك ! على تثب ؟ فوالله ما أحب أن لى ملك الشام الى مصر وانى قتلتك » . وانتبه مسلمة الى خطئه فبعث اليه يقول : « انى كاف عنك ما دمت انت والى مصر » (٥٩) .

٥ ــ لما ولى عبد العزيز بن مروان مصر سنة ٦٥ هـ بعد أن فتحها أبوه نظر حوله فلم يجد أحدا من آل مروان يقيم بمصر ، فاستوحش وثقل على نفسه الا يكون معه أحد من أقاربه الأدنين ، وعبر عن هذا تعبيرا صادقا بقوله : « كيف المقام ببلد ليس به أحد من بنى أبى ؟ » (٦٠) .

٦ ــ ذكرنا من قبل أن قرة بن شريك العبسى (٩٠ ــ ٩٦ هـ) طلا بالذهب رءوس الأعمدة التى ينحصر بينها مجلس قيس فى المسجد الجامع « وليس فى المسجد عمود مذهب الراس الا فى مجالس قيس » (٦١) . وكان هذا محاباة صريحة من الوالى لقبيلته . ولاشك فى أن المحاباة صورة من صور العصبية .

٧ ــ ومن مظاهر اهتمام الوالى بقبيلته كذلك التدوين الرابع الذى اجراه بشر بن صفوان الكلبى سنة ١٠٢ هـ لا لشىء الا ليستخرج قبائل قضاعة الموزعة بين القبائل ويكون منها دعوة مفردة (٦٢) .

٨ ــ من مظاهر العصبية الصارخة أن هجرة قيس الكبرى الى مصر سنة ١٠٩ هـ لم تتم الا بمسعى أحد موالى قيس (عبيد الله بن الحبحاب ، مولى سلول) ، وفى عهد وال قيسى (الوليد بن رفاعة الفهمى) ، وفى خلافة خليفة « قد شرف هذا الحى من قيس ونعشهم ورفع من ذكرهم » (٦٣) (هشام بن عبد الملك) .

---

(٥٩) الطبرى : ج ٣ ص ٥٥١ .
(٦٠) الولاة : ص ٤٧ .
(٦١) فتوح مصر : ص ١٣١ والخطط : ج ٤ ص ٦ .
(٦٢) الولاة : ص ٧٠ ــ ٧١ .
(٦٣) المصدر نفسه : ص ٧٦ .

٩ ـ أسند الوالى القيسى سالف الذكر (الوليد بن رفاعة) منصب القضاء سنة ١١٥ هـ الى رجل يمنى (توبة بن نمر الحضرمى). وكان هذا اجراء غير عادى لا يدل على نزاهة الوالى بقدر ما يدل على امتياز توبة الى حد لم يتوفر لأحد من أبناء قبيلة الوالى . ولم تحاول زوجة توبة ، مع انها قيسية من أشجع ، اخفاء هذه الحقيقة فقالت لزوجها : أما والله يا توبة ما حاباك ابن رفاعة بهذه الولاية . ولو انه وجد فى قيس كلها من يسد مسدك أو يستضلع بهذا الأمر لآثره عليك وقدمه وأخرك (٦٤) .

(٦٤) القضاة : ص ٢٤٢ .

الفصل الثامن

القبيلة فى الأدب

اما وقد بلغنا ذلك القسم من البحث فلابد من أن نعترف بأننا نواجه الآن مشكلتين :

الأولى هى أن الشطر الأعظم من الفترة التى نعنى بها — اى ما لا يقل عن قرنين ونصف قرن — قد مضى دون أن يكون للنثر قيمة فنية . بحيث لم يكن فيه « ما تتوفر الدواعى على نقله ، ولا تنصرف الهمم لتدوينه مع تطاول الأيام وتوالى الليالى » (٦٥) . ولذلك ظلت مصر حتى قيام الطولونيين (٢٥٤ هـ) بلا ديوان للانشاء والرسائل، وانما كان « لبعض الأمراء كتاب ينشئون عنهم الكتب والرسائل » (٦٦) . ونحن مضطرون ازاء هذا الى اغفال النثر والاكتفاء بالنظر فى الشعر ونحن نبحث عن القبلية فى الأدب المصرى فى تلك الفترة من حياته .

وحتى هذا الشعر الذى سنعتمد عليه اعتمادا كليا فى ادراك

---

(٦٥) القلقشندى : صبح الاعشى جـ ١١ ص ٢٨ .

(٦٦) الخطط : جـ ٣ ص ٣٦٨ . وللحصول على تاريخ فن الانشاء والرسائل فى مصر راجع : محمد كامل حسين : أدب مصر الاسلامية ، الباب الثالث ، كتاب الرسائل والانشاء ص ٩٦ — ١٢٤ . ولكن من المهم ان نضيف ان فى كتاب القضاة للكندى ص ٣٥٦ نصا صريحا على وجود ديوان للرسائل فى مصر فى ذلك العصر هو : « وكان عبد الملك بن مروان النصيرى (أمير مصر سنة ١٣٢ هـ) قد ولى خيرا (خير بن نعيم الحضرمى ت ١٣٧ هـ) ديوان الرسائل بعد ان كان قاضيا » .

حقيقة موقف الأدب والقبيلة أحدهما من الآخر قد وصلنا منه — وهذا المشكلة الثانية — قدر يسير لا يكفى لأن نعرف منه خصائص الشعر المصرى . ويكفى دليلا على قلة هذا الشعر ان لم يصلنا منه فى الفترة ما بين الفتح وسقوط الدولة الأموية — من ٢٠ الى ١٣٢ هـ . اى ما ينوف على مائة عام — الا عدة ابيات قليلة جدا لا نستطيع أن نتحدث بها عن الشعر كله ، بل أنه لم تصلنا قصيدة كاملة الا اذا استثنينا شعر الشعراء الوافدين على مصر . وهذه الأبيات القليلة فى كل حال انما تدلنا على انه كان فى مصر شعر ، وانه لم يعن أحد بروايته وحفظه ففقد ولم يبق منه الا مقطوعات قليلة متناثرة فى كتب الأدب والتاريخ (٦٧) .

***

وهكذا نجد انفسنا عندما نقبل على البحث عن القبلية فى الأدب المصرى فى ذلك العصر الذى يطلق عليه أستاذنا الدكتور محمد كامل حسين (٦٨) اسم « عصر الولاة » .. أقول نجد انفسنا مضطرين الى أن نقنع بالشعر دون النثر بل الى أن نقنع بالأبيات القليلة المتناثرة التى بقيت لنا هنا وهناك من ذلك الشعر .

رسمنا فى الفصل السابق من هذا الباب المعالم الكبرى للسلوك القبلى فى المجتمع المصرى ، وعندما نتأمل الشعر الذى انتجه هذا المجتمع نستطيع أن نتميز فيه المعالم السابقة نفسها .

١ — القبيلة وحدة المجتمع العربى :

قد أثبتنا منذ قليل هذه الحقيقة التى لم يكن الشعر أقل ادراكا لها أو اعترافا بها من غيره من عناصر المجتمع .

فكان الشاعر يعرف أن وحدات الجيش انما هى قبائل ، وحين يتحدث عن دور هذه الوحدات فى المعارك يتحدث عنها كقبائل .

---

(٦٧) أدب مصر الاسلامية : ١٢٥ — ١٢٦ .

(٦٨) انتقل الى رحمة الله فجأة اثر نوبة قلبية مساء الجمعة ٣١ مارس سنة ١٩٦١ فى منزله بالجيزة .

١ ـ لما وصف عمرو بن العاص عمليات الهجوم على حصن بابليون وضربه بالمنجنيق قال :

يوم لهمدان ، ويوم للصدف والمنجنيق فى بلى تختلف (٦٩)

(ب) تحدث عبد الرحمن بن الحكم عن الجيش المصرى الذى وقف فى وجه مروان بن الحكم سنة ٦٥ هـ ليمنعه من دخول مصر ، وصور أهم فرقه بقوله :

وجاشت لنا الأرض من نحوهم
بحيى تجيب ومن غافق

واحياء مذحج والأشعرين
وحمير كاللهب المحرق

وسدت معافر أفق البلاد
بمرعد جيش لها مبرق (٧٠)

(جـ) كان الشاعر ، حتى من غير المصريين ، يعرف قيام الخطط على أساس قبلى ، فلما تحدث عمران بن حطان الشاعر الخارجى عن الخوارج الذين نفاهم زيادة من البصرة الى مصر (٤٥ ـ ٥٣ هـ) فنزلوا بخطة الظاهر فى الفسطاط ، قال :

فساروا بحمد الله حتى احلهم
ببيلون منها الموجفات السوابق

فامسوا بدار لا يفزع اهلها
وجيرانهم فيها : تجيب ، وغافق (٧١)

(د) ومن المهم ان نلحظ ان وضع الخطط هذا كان ما زال راسخا فى نهاية القرن الثالث ، فان سعيدا القاص ، وهو يبكى الطولونيين سنة ٢٩٢ هـ يقول عن احمد بن طولون :

---

(٦٩) فتوح مصر : ص ٦٢ .
(٧٠) الولاة : ص ٤٤ .
(٧١) معجم البلدان : ج ٢ ص ٢١ .

فبالجبل الفربى ، خطـــة يشكر
له مسجد يغنى عن المنطق الهذر(٧٢)

ثم يذكر جدولا كان ابن طولون اجراه بحيث :

يمر على أرض المعـافر كلهـــا
وشعبان والأحمور والحى من بشر

قبـــائل لا نوء السحـــاب يمدها
ولاالنيل يرويها ، ولا جدول يجرى(٧٣)

(هـ) مثلما كانت القبيلة هى الأساس الذى أقيم عليه ديوان الجند كانت أســاس ديوان الخراج فيما يبدو ، فكثيرا ما كانت القبـــائل القيسية واليمنية المقيمة بالحوف تمتنع عن دفع الخراج وتحـــارب القوات التى ترسلها الدولة لتأديبها وجباية الخراج منها . وقد سجل أبو عثمان السكرى احدى هـــذه المرات عندما انهزمت قبائل الحوف أمام يحيى بن معاذ قائد الرشيد سنة ١٩٢ هـ ، فقال :

قد جبينــا قيسا ولم تك تجبى
وقتلنـــا أبـــا الندى وابن عابس

وتركنـــا لخمـــا وحيى جـــذام
لا يطيقون رفـــع كف تلامس (٧٤)

وقال أيضـــا يهدد قيسا :

يا قيس عيـــلان انى ناصـــح لكم
أدوا الخراج ، وخافوا القتل والحربا (٧٥)

وهكذا نرى أن الشعر كان على وعى كامل بحقيقة وضـــع القبيلة فى المجتمع وأهميتها بالنسبة الى بناء الاجتماع العربى بمصر .

❋ ❋ ❋

(٧٢) الولاة : ص ٢٥٤ .
(٧٣) المصدر نفسه : ص ٢٥٥ — ٢٥٦ .
(٧٤ ، ٧٥) المصدر نفسه : ص ١٤٥ .

٢ ـ مظاهر السلوك القبلى العام :

ذكرنا من قبل أن هـذه المظـاهر كانت : الحلف ، والجـوار ، والولاء ، والعد .

والواقع أن ما لدينا من شعر لا يتحدث الا عن الجوار من بين هـذه المظاهر . وليس من المصادفة أن الشاعر الذى تحدث عن ذلك التقليد القبلى القديم هو سعيد بن عفير (١٤٦ ـ ٢٢٦ هـ) الشـاعر الذى « كان يستلهم شعورا عربيا قويا » (٧٦) . والذى يمكن أن نعده بحق شاعر الطبقة العربية فى مصر .

(أ) منح هبيرة بن هاشـم جواره لابراهيم بن نافع الطـائى سنة ١٩٨ هـ ، ورفض تسليمه بالرغم من أن الوالى (المطلب الخزاعى) هدده بضرب عنقه . وأعجب ابن عفير اعجابا عميقا بهذا الوفـاء الذى أثار فيه أقدم ذكريات هذا الخلق العربى الأصيل فقال :

لعمرى لقـد أوفى وفـاق وفاؤه
هبيرة فى الطائى وفـاء السموءل

وقاه المنايا ـ اذ أتاه ـ بنفسه
وقـد برقت فى عارض متهـلل

فما انفك محبوسـا ومطلب له
عليـه قصيف بالوعيـد المهـول

فمـا زاده الايعـاد الا توقرا
وصبرا ، ولم يخشع ولم يتفسكل (٧٧)

الى أن تجلت عنه أبيض ماجدا
كريم الثنا فى المشـهد المتدخل (٧٨)

---

(٧٦) مقدمة كست للولاة : ص ٤٠ .

(٧٧) التفسكل : التأخر : القاموس ، مادة فسكل .

(٧٨) الولاة : ص ١٥٢ ـ ١٦٣ . ويلحظ أن البيت الرابع مذكور هناك كالآتى :

فما زاده الا بعـادا لا توقـرا وصبرا ولم يخشع ولم يتفكل

وأورد الناشر بالهامش تصحيحات غير مقنعة . وقد اثبتنا البيت بالصـورة التى ارتضيناها .

(ب) ومن الطبيعى أن تكون خيبة أمل ابن عفير كبيرة عندما يخون المطلب الخزاعى جوار أبى بشر الأنصـــارى بعد ذلك بسنة واحدة فقط . بل لقد بلغت هذه الخيبة درجة من التشاؤم جعلته يقول :

أرى كل جار قد رمى بجواره
وخان ابا بشر جوار ابن مالك (٧٩)

بل ان هــذه الحادثة جعلته ــ وهو الشاعر المتعصب لقحطــان وقضاعة (٨٠) ــ يضحى بسمعة قومه ويسجل عليهم خيانتهم التقاليد العربية العريقة فى شعر تتناقله الألسن وتدونه الأقلام ، فيقول :

اخبر بنى قحطان فى مصر اننى
رايتهـــم لا يحفظون لهم اصرا (٨١)

※ ※ ※

٣ ــ مظاهر السلوك القبلى الخاص :

نتحدث عن هذه المظاهر فى نفس القسمين اللذين ذكرنا من قبل .

(أ) العصبية الجماعية :

كان الشعراء ، شأنهم شأن الآخرين ، يدركون التقسيمات الجنسية الكبرى للشعب العربى ، ويتأثرون بها ، ويتعصبون لها .

١ ــ قال رجل من خولان يفخر بأصله السبئى الملكى :

من مبلغ عنى فراســا رســالة
فنحن لخولان بن عمرو بن مالك
الى ســبا الأملاك اصلى ومنبتى
يحدثنى جدى به غير هالك (٨٢)

---

(٧٩) الولاة : ص ١٥٦ .
(٨٠) مقدمة كست : ص ٤٠ .
(٨١) الولاة : ص ١٥٦ .
(٨٢) فتوح مصر : ص ١٢٦ .

ولعل الروح القبلية فى هذا الشعر أوضح من أن نشير اليها .

٢ ـ قال عبيد الله بن قيس الرقيات الشاعر القرشى (ت ٧٥ هـ) يمدح عبد العزيز بن مروان :

امك بيضـــاء من قضـــاعة فى
البيت الـذى يســتظل فى طنبه
وانت فى الجوهـر المهـذب من
عبد منـــاف يـداك فى ســـببه

ثم تحدث عن القبائل التى تدين بالولاء لعبد العزيز فقال :

فيهـــم كريب يقود حمــير لا
يعدل اهل القضـــاء عن خطبـه
وعارض كالجبــال من مضر الحم
راء تشـــفى ذا الصـر من جربـه
وابنا نزار اذا همـــا اجتمعـا
لم يتركا هاربا على هربـه (٨٣)

فابن قيس الرقيات متشبع هنا تشبعا كامــلا بالتعصب لنزار وابنيه مضر وربيعة اللذين تناسل منهما جميع العرب العدنانية ، ويشير الى القبائل القحطانيــة ارضاء لممدوحه الذى كانت أمه من بنى عدى بطن من كنانة عذرة ، من قضاعة ، وفيهم البيت (٨٤) .

٣ ـ أشرنا فى القسم السابق الى تنافس قبيلتى مراد ويحصب على الفوز فى السباق (١٨٥ ـ ١٩٤ هـ) كمظهر لسيطرة العصبية على القبائل فيما بينها وحرص كل منها على التفرد بالفخر ، وكان طبيعيــا فى تلك المناســبة أن يعبر الشعر عن رايه . والواقع أن الشــعر سجل فساد ذمة القاضى العمرى الذى حكم ليحصب بالفوز فى مقابل « أموال عظيمة » دفعوها اليه ، ثم غمز آل فهر ، قوم القاضى ، وعرض بهم وذلك فى قول يحيى الخولانى :

---

(٨٣) ديوان ابن قيس الرقيات : ص ٨٠ وما بعدها .
(٨٤) نهاية الأرب : ص ٢٩١ .

ان كان مهر اخي زوف افات به

ريب الزمان عليه جور زنديق

فكم يد لبني زوف واخوتهم

في آل فهر تفض الشيخ بالريق (٨٥)

٤ ـ وضاق ابن عفير بالحسين بن جميل أمير مصر وصاحب الهنائي سنة ١٩١ هـ ، فذمهم بما كان شائعا عن قبائلهم في جزيرة ا منذ القدم ، فقال :

اما الأمير فحناج ، وصاحبه

على الخراج سوادي من الأكر

وما هناءة الأظلف ذي يمن

والباهليون مأوى اللؤم من مضر (٨٦)

ونحن نعرف ان العرب كانت تستنكف من الانتساب الى القبيلة حتى قال الشاعر :

وما ينفع الأصل من هاشم

اذا كانت النفس من باهله ؟

وقال آخر :

ولو قيل للكلب : يا باهلي

عوى الكلب من لؤم هذا النسب (٨٧)

وبقاء هذه المشاعر القديمة ، التي ربما كانت جاهلية ، ح ذاكرة العرب وعلى السنتهم حتى أواخر القرن الثاني الهجري دليل على أن العصبية القبلية كانت ما تزال تضطرم في دمائهم عند ذ

٥ ـ انتصر عبد العزيز الجروي ، الثائر القحطاني ، على ، ابن السري وقتله سنة ٢٠٣ هـ فقال ابو بجاد الحارثي يسم السري أمير مصر ووالد ميمون :

---

(٨٥) القضاة : ص ٤٠٢ .

(٨٦) الولاة : ص ١٤٢ ـ ١٤٣ .

(٨٧) وفيات الأعيان : ج ١ ص ٥٤٢ ـ ٥٤٣ .

جمع رعاعك يا سرى فانها
حرب تحس سعيرها قحطان

ولت تجيب واسلمته جيادها
عيلان يوم تواكلت عيلان (٨٨)

٦ ـ سار عيسى بن يزيد الجلودى امير مصر الى اهل الحوف سنة ٢١٤ هـ فصبحوا به ، فهاله أمرهم ، فانهزم الى الفسطاط ، فقال حبيب بن أوس الطائى يهجو الجلودى ويسجل التحالف العسكرى الذى طالما عقدته القبائل العدنانية والقحطانية فيما بينها ضد الدولة على نحو ما ذكرنا من قبل (٨٩) .

الله ارهقك الهزيمة اذ
جذبتك أحبال الردى جذبا

وأتتك خيل لو صبرت لها
أنهبن روحك فى الوغى نهبا

من حى عدنان واخوتهم
قحطان لا ميلا ولا نكبا (٩٠)

٧ ـ ظلت التقسيمات الجنسية العامة محتفظة بقوتها حية فى وجدان الناس حتى بعد انتقال السلطان الفعلى من أيدى العرب ، فلما اعتقل الموفق الخليفة المعتمد سنة ٢٦٩ هـ وتزعم ابن طولون ، أمير مصر ، الدعوة الى خلع الموفق ولى العهد ، قال قعدان بن عمرو يردد دعوة ابن طولون ويخاطب بها وجدان العرب ، أو مضر بالذات فى الأصح :

من مبلغ مضر الشآم ، وما حوت
مصر ومن هو متهم او منجد

ما بالكم هضتم جناح سنانكم
بتواكل من فعلكم لا يحمد ؟ (٩١)

---

(٨٨) الولاة : ص ١٦٩ .
(٨٩) انظر ص ٢٩٣ من هذا البحث .
(٩٠) الولاة : ص ١٨٧ ـ ١٨٨ .
(٩١) المصدر نفسه : ص ٢٨٨ .

(ب) العصبية الفردية :

تبدت هذه العصبية ، بما هى عاطفة للفرد نحو القبيلة ، فى المظاهر الآتيـــة :

١ ــ كان لتجيب شرف الاشتراك فى فتح مصر ، ثم تنازل أحـد أفرادها (قيسبة بن كلثوم السومى) عن الموقع الممتاز الذى كان نزل به فى أثنـاء القتال ليبنى فيه المسلمون مسجدهم الجـامع . فقـال أبو قبان بن نعيم بن بدر التجيبى فى أسلوب كله شغف بقبيلته واعجاب واعتزاز :

وبابليون قـد سـعدنا بفتحهـا
وحزنا لعمرو الله فينا ومغنما

وقيبســبة الخير بن كلثوم داره
أبـاح حماها للصـــلاة وسـلما

فكل مصــل فى فنانا صـــلاته
تعارف أهل المصر ما قلت فاعلما (٩٢)

٢ ــ اختط العتقاء خارج الفسطاط وأطلق عليهم اسـم أهـل الظاهر (٩٣) ، فابت عصبية كردويه بن عمرو الأزدى عليه الا أن يجعل من تأخرهم فى الوصـول الى الفسطاط الذى ضيع عليهم مكانهم بين القبائل والجـاهم الى الاختطاط خارجها ميزة يفخر بها فى قوله :

ظهرنـا بحمد الله والناس دوننا
كذلك مذكنا الى الخير نظهر (٩٤)

٣ ــ ضـاق أبو مصعب البلوى بقواعـد البروتوكول التى كان يتولى تنفيذها قيس بن كليب الحاجب (أوائل العصر الأموى) فقـال يهجو ــ والهجاء تعصب ضد القبيلة مثلما أن المدح والفخر تعصـب لها ــ قوم قيس :

---

(٩٢) الخطط : ص ٤ ص ٥ .
(٩٣) انظر ص ٢٧٣ ــ ٢٧٤ من هذا البحث .
(٩٤) معجم البلدان : جـ ٦ ص ٨١ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وظلت انادى اللكماء قيسا
ليدخلنى وقد حضر الفداء
وليس بماجد الجدات قيس
ولكن حضرميات قماء (٩٥)

٤ - أعجب قرة بن شريك اول ما جاء مصر سنة ٩٠ هـ بذكاء صاحب الشرط ودقته فى تأدية واجبه ، وكان صاحب الشرط من فهم وهى بطن من قيس اى من نفس قبيلة قرة الذى عبر عن اعجابه بقوله :

ولن تجد الفهمى الا محافظا
على الخلق الأعلى وبالحق عالما
سأثنى على فهم ثناء يسرها
اوافى به أهل القرى والمواسما (٩٦)

٥ - تمردت قبيلة المعافر ، ذات الميول المعادية للأمويين بعامة ، على هشام اذا رفضت الاعتراف بالمدى الذىأمر باستعماله سنة ١١٧ هـ ، ثم زادت فكسرته ! وصادف هذا الصنيع هوى عميقا فى نفس الشاعر المعافرى بما أرضى فيها من النزعات القبلية المكبوتة فانطلق يصيح :

قومى الذين تبادروا
مدى الخليفة بالحجر
وتحزبوا وتعصبوا
وجثوا عليه فانكسر
من بعد ما ذلت له
اعناق يعرب بل مضر (٩٧)

ومن الواضح فرحة الشاعر بانتكاس قومه الى تحزب البداوة وتعصبها وتحررها من سلطان الدولة .

---

(٩٥) فتوح مصر : ص ١٢٣ .
(٩٦) الولاة : ص ٦٢ - ٦٣ .
(٩٧) المصدر نفسه : ص ٧٩ .

٦ ــ لاشك فى خطورة منصب القضاء ، منصب الحكومة بين الناس . فاذا جلس تسعة رجال من قبيلة واحدة فى هذا المنصب فى بلد واحد ــ وهو ما حدث لحضرموت فى مصر ــ كان ذلك مجدا لاشك فيه وكان جديرا بأن يجعل الشاعر يهنئها بقوله :

يا حضرموت هنيئا ما خصصت به
من الحكومة بين العجم والعرب

فى الجاهليــة والاســلام يعرفه
أهل الرواية والتفتيش والطلب (٩٨)

نستطيع الآن ، ان نرى أن جميع مظاهر السلوك القبلى التى برزت فى المجتمع المصرى ظهرت كذلك فى الشعر ظهورا كافيا لتوضيح مدى احساس الشاعر بالقبيلة وروحها . بل اننا لنستطيع أن نقول ان القبيلة كانت فى ذلك العهد عنصرا لازما للعربى اجتماعيا ونفسيا بحيث لم يكن يستطيع التنفس الا فى جو قبيلته . قدم عبد العزيز بن داود العامرى ــ والد أشهب الفقيه المالكى المصرى ــ الى مصر ويبدو ان لم يكن بالفسطاط أحد من بنى عامر ، فنزل بين الأزد فى الظاهر . وكان عبد العزيز شاعرا فقال :

وجــاورت فى مصر لو تعلمـ
ين حيــا من الأزد فى الظــاهر

هنــالك غثنــا فمــا مثلهــم
لطــارق ليــل ولا زائــر

تــرانى ابختــر فى دارهــم
كــانى بــدار بنى عــامر (٩٩)

---

(٩٨) القضــاة : ص ٤٢٦ .

(٩٩) معجم البلدان : جـ ٦ ص ٨١ ــ ٨٢ ووفيات الأعيان : جـ ١ ص ٩٧ والانتصار : جـ ٤ ص ٢٣ .

هكذا لم يجد الشاعر الأمن وراحة النفس الا عندما نزل بين ظهرانى قبيلته ، فاسترد ثقته بنفسه وايمانه بوجوده الاجتماعى ، بل انه فقد الشعور بالغربة وهو شعور كان لاشك يقلقه ويخيفه

❋ ❋ ❋

لعلنا نستطيع الآن ان نطمئن الى أن القبيلة كان لها ، طوال القرون الثلاثة الأولى ، كيانها البارز فى المجتمع العربى بمصر ، وكان لها بالتالى اثرها الفعال فى نظم هذا المجتمع وفى سلوك الأفراد الذين يتكون منهم .

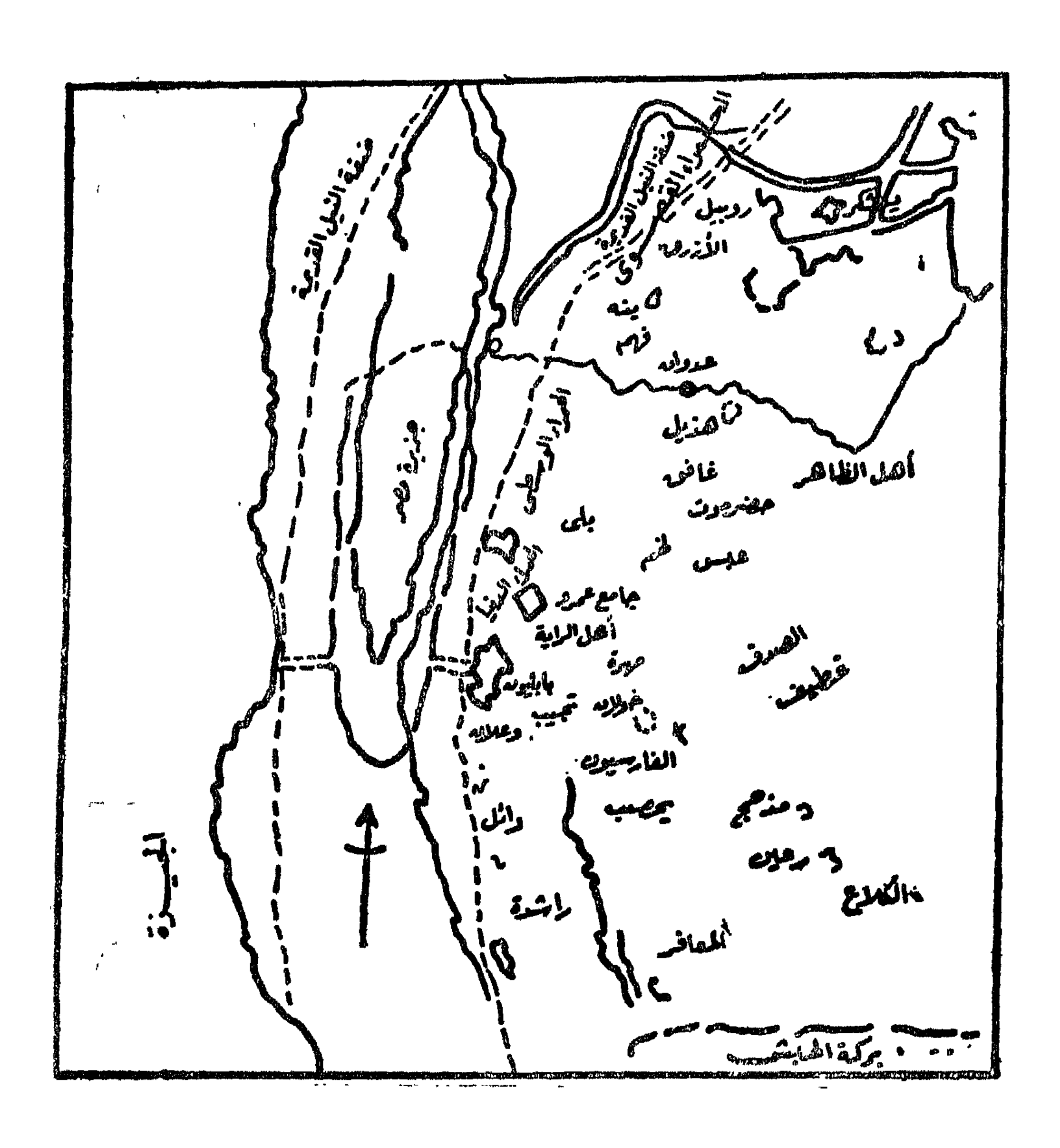
ولما كان الأدب كائنا حيا يمارس حياته فى مجتمع لم يكن بد من أن يتأثر بكل ما يدور فى هذا المجتمع . ولعلنا نستطيع أن نطمئن كذلك الى أن العواطف وضروب السلوك التى تمليها الحياة فى قبيلة ــ وهذا ما عبرنا عنه باسم القبلية ــ كانت شديدة السيطرة على الوجدان الأدبى على النحو الذى ظهر فيما أوردنا من الأمثلة الشعرية .

وعندنا ان هذه النماذج الشعرية تصلح ، بالرغم من قلتها ، أن تكون اصبعا تشير الى ظاهرة عامة كانت تسود الأدب المصرى كله ــ شعره ونثره حينذاك ، مثلما كانت تسود المجتمع تلك هى : القبلية .

والحمد لله أولا وآخرا ..

انتهى الكتاب



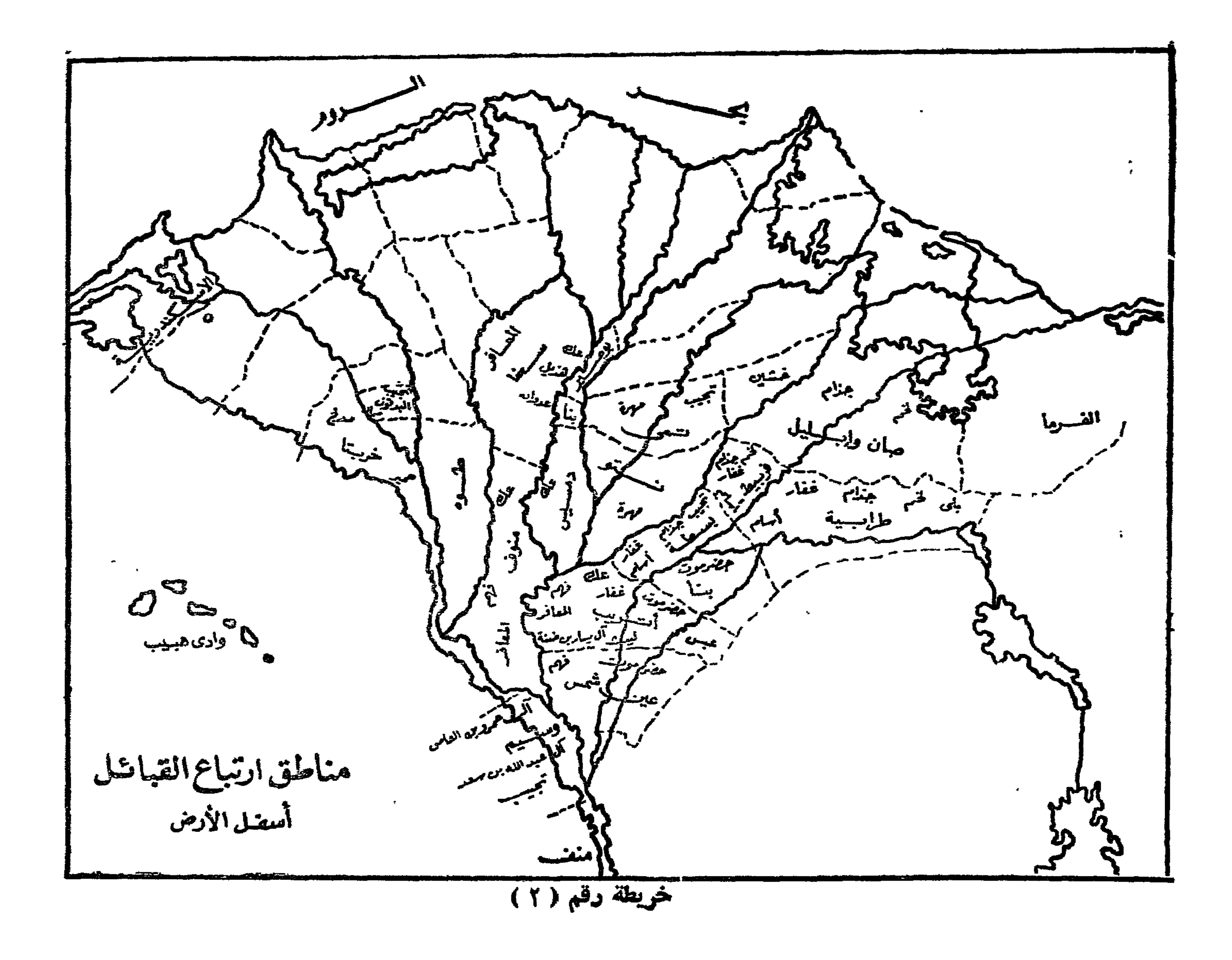


خريطة رقم (١)

خطط الفسطاط سنة ٢١ هـ

من كتاب مصر فى فجر الاسلام ــ للدكتورة سيدة اسماعيل كاشف

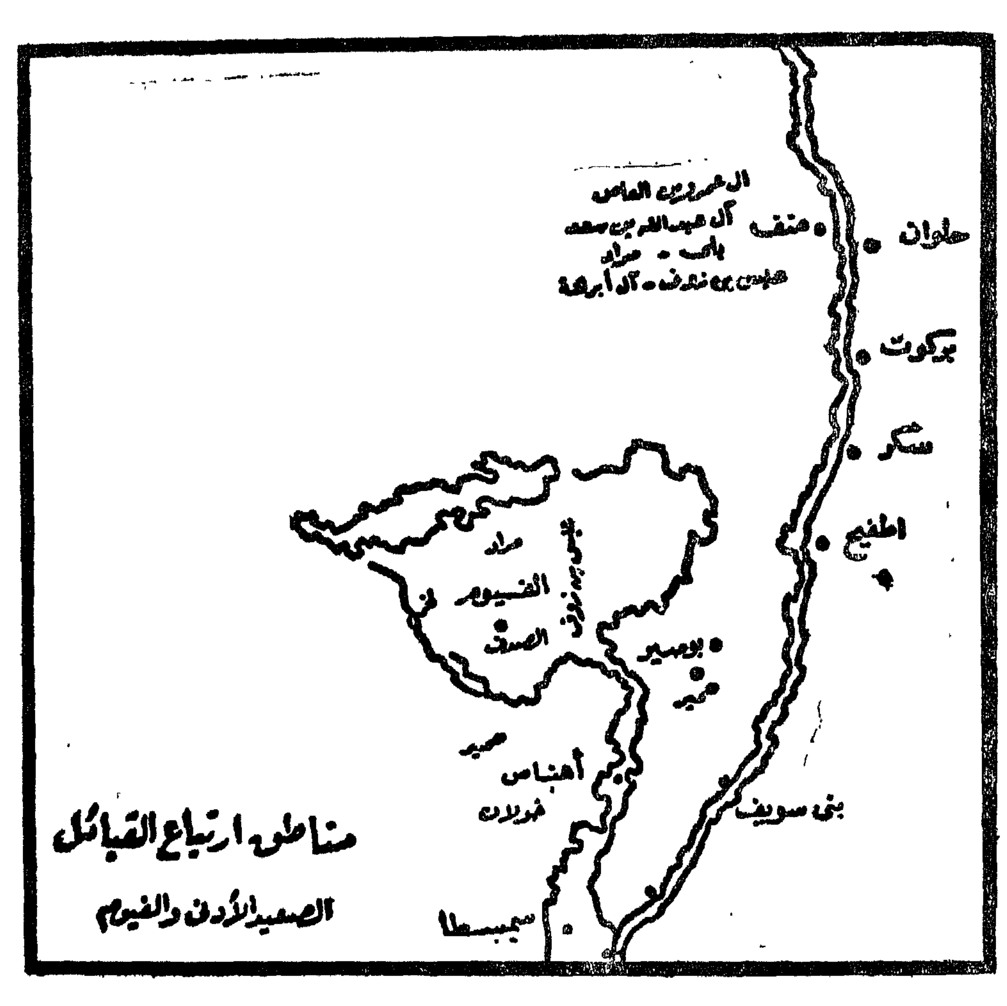




مناطق ارتباع القبائل
أسفل الأرض
البحر الرومي
وادى هبيب
الفرما
صبان وابسليل
جذام
لخم
طرابية
غفار
منوف
طسوه
دمسيس
مهرة
تجيب
منف
خربتا

خريطة رقم (٢)





حلوان
منف
بركوت
اطفيح
الفيوم
بوصير
أهناس
بني سويف
مناطق ارتباع القبائل
الصعيد الأدنى والفيوم

خريطة رقم (٣)

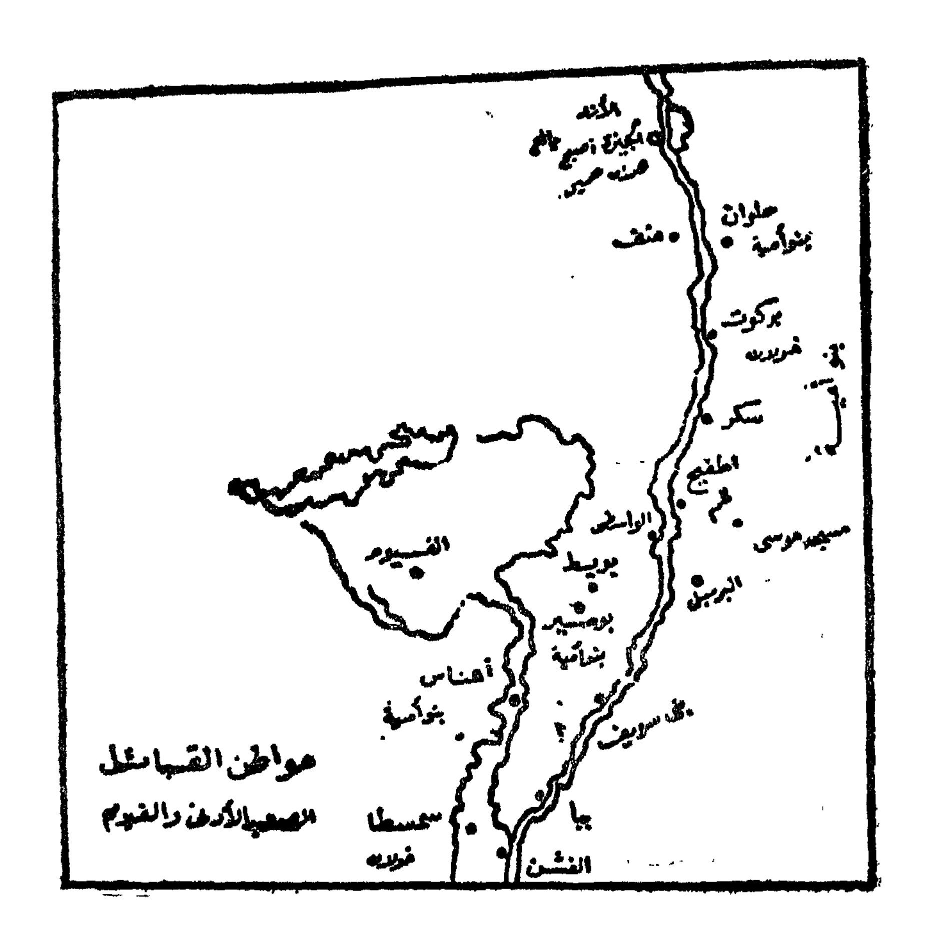


مواطن القبائل

أسفل الأرض

خريطة رقم (٤)




حلوان
بنوأمية
منف
بركوت
سكر
اطفيح
مسجد موسى
الواسطى
بويط
الفيوم
بوصير
بنوأمية
البربنل
أهناس
بنوأمية
بنى سويف
ببا
سمسطا
الفشن
مواطن القبائل

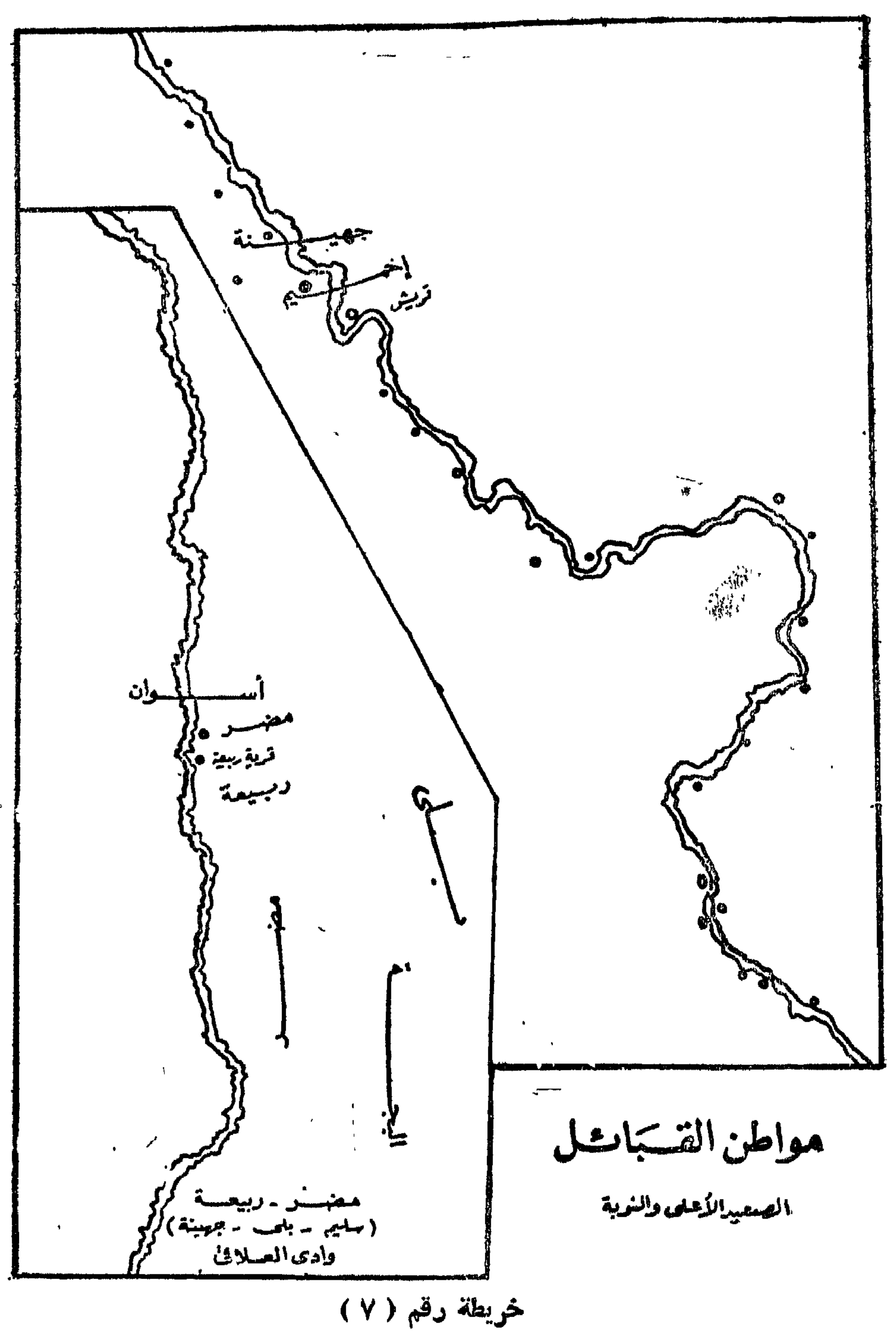
خريطة رقم (٥)



الفشن
البهنسا
(خولان ، ارتباع)
القيس
(خولان ، ارتباع)
سمالوط
طوخ الخيل
(هذيل)
المنيا
أنصنا
(خولان)
الأشمونين
كنانة قريش -
جهينة - بلى)
ملوى
تندة
(بنوأمية)
دلجة
(بنوأمية)
أسيوط
أبوتيج
بويط
(قريش)
مواطن القبائل
الصعيد الأوسط

خريطة رقم (٦)




جهينة
إخميم
قريش
أسوان
مضر
قرية ربيعة
ربيعة
مضر - ربيعة
(سليم - بلي - جهينة)
وادى العلاقي
مواطن القبائل
الصعيد الأعلى والنوبة

خريطة رقم (٧)



فهـــارس كتـــاب

القبائل العربيـــة في مصر



أولا – فهرس القبائل

(ح)

(خ)

ثانيا ـ فهرس الأعلام

(ب)

(ت)

(خ)

(س)

(ش)

(ل)

(م)

(و)

(ى)

ثالثا ــ فهــرس الأمــاكن

(ح)

(خ)

(د)

(ق)

(ك)

(ل)

(م)

رابعا ــ فهرس الحروب

خامسا ـ فهرس الثورات

سادسا ـ فهرس الأديان والمذاهب والفرق

سابعا ــ فهرس الكتب الواردة فى متن الكتاب



مصادر البحث ومراجعه

اولا ـ المصادر العربية

١ ـ هيرودوت فى مصر :
(تاريخ) (الترجمة العربية ـ القاهرة ـ ١٩٤٦) .

٢ ـ ديودور فى مصر :
(تاريخ) (الترجمة العربية ـ القاهرة ـ ١٩٤٦) .

٣ ـ ابن عبد الحكم (ت ٢٥٧ هـ) :
فتوح مصر وأخبارها (ليدن ـ ١٩٢٠) .

٤ ـ ابن خرداذبة (ت ٢٧٢ هـ) :
كتاب المسالك والممالك (بريل ـ ١٣٠٦ هـ) .

٥ ـ البلاذرى (ت ٢٧٩ هـ) :
فتوح البلدان (القاهرة ـ ١٩٥٦) .

٦ ـ اليعقوبى (ت ٢٨٤ هـ) :
كتاب البلدان (بريل ـ ١٨٦٠) .

٧ ـ المبرد (ت ٢٨٦ هـ) :
نسب عدنان وقطحان (لجنة التاليف والترجمة والنشر ـ القاهرة ـ ١٩٣٦) .

٨ ـ الطبرى (ت ٣١٠ هـ) :
تاريخ الأمم والملوك (ط . الاستقامة ـ القاهرة ـ ١٩٣٩) .

٩ ـ ابن عبد ربه (ت ٣٢٨ هـ) :
العقد الفريد جـ ٢ (ط . الجمالية ـ القاهرة ـ ١٩١٣) .

١٠ ــ الكنــدى (ت ٣٥٠ هـ) :

ولاة مصر وقضاتها (بيروت ــ ١٩٠٨) .

١١ ــ المقدسى (ت ٣٧٨ هـ) :

احسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم (بريل ــ ١٨٧٧) .

١٢ ــ ساويرس الأشمونينى (ت أواخر الرابع الهجرى) :

سير الآباء البطاركة (باريس ــ ١٩١١) .

١٣ ــ الســمعانى (ت ٥٦٢ هـ) :

الأنســاب (ليدن ــ ١٩١٢) .

١٤ ــ ياقوت الحموى (ت ٦٢٦ هـ) :

معجم البلدان (ط . الشنقيطى ــ القاهرة ــ ١٩٠٦) .

١٥ ــ ابن خلكان (ت ٦٨١ هـ) :

وفيات الأعيــان (ط . مصر ــ ١٣١٠ هـ) .

١٦ ــ السبــكى (ت ٧٧١ هـ) :

طبقات الشافعية (ط . الحسينية ــ القاهرة ــ ١٣٢٤ هـ) .

١٧ ــ ابن دقمــاق (ت ٨٠٩ هـ) :

الانتصار لواسطة عقد الأمصار (بولاق ــ ١٨٩٣) .

١٨ ــ الفيروزابادى (ت ٨١٧ هـ) :

القاموس المحيط .

١٩ ــ القلقشندى (ت ٨٢١ هـ) :

نهاية الأرب فى معرفة انساب العرب (ط . الرياض ــ بغداد) .

٢٠ ــ المقريزى (ت ٨٢١ هـ) :

(أ) الخطط والآثار (ط . بولاق . النيل ١٣٢٥ هـ) .

(ب) البيان والاعراب (ط . المحمودية التجــارية ــ القاهرة ــ ١٣٥٦ هـ) .

٢١ ــ ابن تغرى بردى (ت ٨٧٤ هـ) :

النجوم الزاهرة (ط . دار الكتب المصرية ــ القاهرة) .

٢٢ ـ السيوطى (ت ٩١١ هـ) :
حسن المحاضرة (ط . الشرفية ـ القاهرة ـ ١٣٢٧ هـ) .
٢٣ ـ على بهجت (ت ١٩٢٤) :
ـ كتاب حفريات الفسطاط (دار الكتب المصرية ـ القاهرة ـ ١٩٢٨) .
٢٤ ـ بندلى جوزى :
الحركات الاجتماعيـة فى الاسلام .
٢٥ ـ برستيد :
تاريخ مصر من أقدم العصور الى الفتح الفارسى (الترجمة العربية ـ القاهرة ـ ١٩٢٩) .
٢٦ ـ اسرائيل ولفنسون :
تاريخ اللغات السامية (القاهرة ـ ١٩٢٩) .
٢٧ ـ بتلر :
فتح العرب لمصر (الترجمة العربية ـ القاهرة ـ ١٩٣٣) .
٢٨ ـ دريوتون :
مصر (الترجمة العربية ـ القاهرة ـ بدون تاريخ) .
٢٩ ـ سليم حسن :
مصر القديمة (القاهرة ـ ١٩٤٠) .
٣٠ ـ جون ولسون :
الحضارة المصرية (الترجمة العربية ـ القاهرة ـ ١٩٥٥) .
٣١ ـ كارل بروكلمان (ت ١٩٥٦) :
تاريخ الشعوب الاسلامية (ط . الكشاف ـ بيروت ـ ١٩٤٨) .
٣٢ ـ محمد كامل حسين (ت ١٩٦١) :
أدب مصر الاسلامية (ط . دار الفكر العربى ـ القاهرة) .
٣٣ ـ مصلحة المساحة المصرية :
الدليل الجغرافى لسنة ١٩٤١ (بولاق ـ ١٩٤١) .

٣٤ ــ **فيليب حتى :**

تاريخ العرب (مطول) (بيروت ــ ١٩٥٨) .

٣٥ ــ **سيدة اسماعيل كاشف :**

مصر فى فجر الاسلام (القاهرة ــ بدون تاريخ) .

٣٦ ــ **جــواد على :**

تاريخ العرب قبل الاسلام (بغداد ــ ١٩٥٠) .

٣٧ ــ **نخبة من العلماء :**

تاريخ الحضارة المصرية (القاهرة ــ ١٩٦٢) .

ثانيا – المراجع الافرنجية

1 — E. Amélineau :
La géographie d'Egypte à Epoque Copte.
(Paris — 1893)

2 — H.A. MacMichael :
A History of the Arabs in the Sudan.
(Cambridge — 1922)

3 — Omar Toussoun :
La Géographie de L'Egypte à l'Eoque Arabe
(I.F.A.O. — 1926)

4 — Et. Combe, J. Sauvaget & Wiet :
Répertoire Chronologique d'Epigraphie Arabe
(Le Caire — 1931)

5 — A. Grohmann :
Arabic Papyri in the Egyptian Libray.
(Cairo).

6 — The Encyclopaedia of Islam



الفهـــرس



رقم الايداع ١٩٩٢/٤٥٠٧

الترقيم الدولى I.S.B.N. 977 — 01 — 3057 — 5

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب



مثلما اتجه العرب شرقا وشمالا اتجهوا غربا إلى مصر . ونحن لا نغالي اذا قلنا أن اتصال العرب بمصر يرجع إلى عهود سحيقة ، فإن صلات السلالة والدم بين وادى النيل الأدنى وشمال الجزيرة العربية هى صلات بعيدة الأصل ترجع إلى عصور ما قبل التاريخ ، إذ يرى علماء الجيولوجيا أن الجزيرة عبارة عن تكملة طبيعية لصحارى افريقية التى يفصلها عنها الآن منبطح وادى النيل ومنخفض البحر الأحمر العميق ، كما ذهبوا إلى أن الجزء الجنوبى الغربى من بلاد العرب كان فى العصور الجيولوجية القديمة يتصل بافريقية وكان البحر الأحمر عبارة عن بحيرة . وإذا كان البحر والصحراء قد شكلا فيما قبل التاريخ موانع لا يمكن التغلب عليها بالنسبة إلى قوة حربية كبيرة وجعلا من مصر بلدا لا يسهل غزوه ، فقد كان الأمر ميسورا جدا فى حالة تسلل افراد او جماعات متجولة او قوافل تجارية صغيرة سواء من الشمال عند شبه جزيرة سيناء حيث تلتقى الصحراء الشرقية ببلاد العرب لقاء دائما ، أو من الجنوب حيث يشتد اقتراب جزيرة العرب من افريقية عند باب المندب فلا يفصل بينهما سوى خمسة عشر ميلا .

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

٧٢٥ قرشاً